شرح عقود الجمان

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
محمد محمود الحلبي وشركاه - خلفاء

Suyuti

شرح عقود الجمان

في

علم المعاني والبيان

تأليف

الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

[المتوفى سنة ٩١١ هـ]

وبهامشه :

« حلية اللب المصون على الجوهر المكنون »

للشيخ أحمد الدمنهوري

مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م / ٥٩٧

خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ

(قرآن كريم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنزه عن المماثلة والتشبيه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة مخلص فى التنزيه . وأشهد أنّ سيدنا محمدا عبده ورسوله ذو المعجزات التى لايعتريها شوب التمويه . صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وعترته وذويه .

هذا تعليق لطيف علقته لينتفع به فى حلّ أرجوزتى التى نظمتها فى علم المعانى والبيان . وسميتها : [عقود الجمان] إذ لم يتسع وقتى لكتابة شرح عليه كما أرتضيه مع إلحاح قارئيه علىّ فى ذلك فنجزت لهم هذه العجالة لتعينهم على فهم مقاصدها ، وبالله سبحانه أستعين فى مصادر الأمور ومواردها .

[قال الفقير عابد الرّحمن ... الحمد لله على البيان
وأفضل الصلاة والسلام ... على النبىّ أفصح الأنام]

إدخال ألف فى عبد غير مخرج للكلمة عن أصل معناها وهو جائز واستعمله الناس كثيرا والإتيان بقال بصيغة الماضى مما كثر تداول الإيراد عليه والجواب عنه . والفقير له استعمالات منها وهو اللائق هنا المحتاج إلى الله تعالى فى كل شئونه وهو الغنى فى الحقيقة . وعبد فى الأصل وصف غلبت عليه الاسمية ، وله عشرون جمعا نظم ابن مالك أحد عشر فى بيتين واستدركت عليه الباقى فى آخرين ، فقال ابن مالك :

عباد عبيد جمع عبد وأعبد ... أعابد معبوداء معبدة عبد
كذاك عبدّان وعبدان اثبتا ... كذا العبدى وامدد ان شئت أن تمدّ

وقلت : وقد زيد أعباد عبود عبدة ... وخفف بفتح والعبدان إن تشدّ
وأعبدة عبدون ثمة بعدها ... عبيدون معبودا بقصر فخذ تسد

والرحمن صيغة مبالغة من الرحمة . وأصلها رقة القلب واستعمالها فى البارى تعالى بمعنى إرادة الخير مجاز لاستحالة الحقيقة عليه تعالى ، وهذا الاسم من خواص الله تعالى لم يستعمل فى غيره والأصح أنه عربىّ وقيل معرّب . والبيان : هو المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير وفى التعبير به براعة الاستهلال وكذا فى قوله أفصح الأنام والأنام الخلق والكلام على الحمد والصلاة والسلام والنبى مما شاع وذاع وقررناه فى غير ما تأليف .

[وهذه أرجوزة مثل الجمان ... ضمنتها علم المعانى والبيان
لخصت فيها ما حوى التلخيص مع ... ضمّ زيادات كأمثال اللمع
ما بين إصلاح لما ينتقد ... وذكر أشياء لها يعتمد
وضمّ ما فرقه للمشبه ... والله ربى أسأل النفع به
وأن يزكى عملى ويعرضا ... عن سوئه وأن ينيلنا الرّضا]

[بسم الله الرحمن الرحيم] إنّ أفضل ما تحلت به جياد المعانى والبيان ، وتباهت ببديع أنسه قلوب أهل العرفان ، الثناء على الله المختص على الحقيقة بالكمال ، المنزه فى ذاته وصفاته عن شائبة المثال ، والصلاة والسلام على أفصح الأنام ، سيدنا محمد الذى بلغ المسند إليه غاية المرام ، وعلى آله وأصحابه الطيبين ، الباذلين نفوسهم فى تشييد قواعد الدين ، [و بعد] فيقول العبد الفقير الحقير ، الراجى من مولاه الخروج من سجن التقصير ، أحمد الدمنهورى متعه الله بحصول آماله ، ومنّ عليه بكمال التوفيق فى أقواله وأفعاله : هذا بيان للرسالة الموسومة «بالجوهر المكنون» فى علم البيان للعارف بالله تعالى سيدى عبد الرّحمن الأخضرى رحمه الله تعالى ونفعنا به ، قد التمسه منى العلامة النبيل ، والنحرير الدرّاكة الجليل ، سيدى عبد الرحمن السوسى ، أفاض الله علينا وعليه من بحر النوال ، ورزقنا و إياه

حاصل هذه الأبيات أن هذه الأرجوزة حاوية لما فى تلخيص المفتاح مع تلخيص فى العبارة وترك كثير من الأمثلة والتعاليل معوضا عنها زيادات حسنة بعضها اعتراض عليه و بعضها ليس كذلك وفيه أبحاث تلقفناها عن شيخنا الامام محيي الدين الكافيجي وهو المراد حيث أطلق فيها ور بما قدمت وأخرت لمناسبة ثم من الزيادات ماهو مميز بقلت ومنه ماليس كذلك فأميزه هنا والأرجوزة بضم الهمزة أفعولة من الرجز البحر المشهور والجمان اللؤلؤ واحده جمانة بضم الجيم وتخفيف الميم والتلخيص تأليف قاضى القضاة جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزوينى وعندى منه نسخة بخط مؤلفه وترجمته بسطتها فى طبقات النحاة ، وقد أخبرنى بكتاب التلخيص شيخنا شيخ الاسلام قاضى القضاة علم الدين البلقينى إجازة عن أبى إسحق إبراهيم بن أحمد البعلى قال أخبرنا به مؤلفه سماعا

فائدة : قال الأندلسى فى شرح بديعية رفيقه ابن جابر: علوم الأدب ستة اللغة والتصريف والنحو والمعانى والبيان والبديع . قال فالثلاثة الأول لايستشهد عليها إلا بكلام العرب نظما ونثرا لأن المعتبر فيها ضبط ألفاظهم والعلوم الثلاثة الأخيرة يستشهد عليها بكلام العرب وغيره من المولدين لأنها راجعة إلى المعانى ولافرق فيها فى ذلك بين العرب وغيرهم إذ هو أمر راجع إلى العقل ولذلك قبل من أهل هذا الفن الاستشهاد بكلام البحترى وأبى تمام وأبى الطيب وأبى العلاء وهلم جرا . قلت وقد اتجه لى من هنا بحث فقهى وذلك أن النووى ذكر فى شرح المهذب وغيره أن الاشتغال بأشعار العرب من فروض الكفاية لأنها يستشهد بها فى علوم العربية التى هى من آلات علوم الشرع بخلاف أشعار المولدين فالاشتغال بها ليس كأشعار العرب بل إن كان فيها مايذم شرعا فمكروه و إلا فمباح ولا شك أن علوم البلاغة الثلاثة هى من أعظم آلات الشرع بل ذكر أن كمال الايمان متوقف عليها لتوقف إدراك إعجاز القرآن الذى هو معجزة النبى صلى الله عليه وسلم على معرفتها وقد تقرر أن أشعار المولدين حجة فيها فلتكن كأشعار العرب من هذه الحيثية وقد نبهت على ذلك فى حواشى الروضة .

فائدة أخرى : نقل الشيخ بدرالدين الزركشى فى قواعده عن بعض المشايخ أنه كان يقول: العلوم ثلاثة علم نضج وما احترق وهو علم الأصول والنحو وعلم لا نضج ولا احترق وهو علم البيان والتفسير وعلم نضج واحترق وهو علم الفقه والحديث .

مقدمة

[يوصف بالفصاحة المركب ومفرد ومنشئ مرتب
وغير ثان صفه بالبلاغه ومثلها فى ذلك البراعه]

الفصاحة تكون صفة للمتكلم فيقال متكلم فصيح وهو المراد بقولى منشئ وهو اسم فاعل من الانشاء ، وللمفرد فيقال كلمة فصيحة ، وللمركب فيقال كلام فصيح وتركيب فصيح والمركب يعم الكلام والجملة التى ليست بكلام كجملة الصلة والجزاء والتركيب الإضافى كعبد الله وكل ذلك يوصف بالفصاحة فلهذا عدلت إليه عن قول التلخيص والكلام لأنها لاتدخل فيه ولا فى المفرد نبه عليه السبكى والبلاغة لايوصف بها المفرد فلايقال كلمة بليغة و إن وقع فى كلام الجوهرى ذلك فاما مؤول أو تسامح و إنما يوصف بها المتكلم فيقال متكلم أوشاعر بليغ والكلام فيقال كلام بليغ وذلك لأن البلاغة كما سيأتى مطابقة الكلام لمقتضى الحال وهى منتفية فى المفرد وقياسه انتفاؤها أيضا فى المركب الذى لايفيد ولم ينبه عليه السبكى . والبراعة مثل البلاغة فيقال متكلم بارع وكلام بارع

النسج على أحسن منوال ، طالبا منى السهولة فى البيان ، لينتفع به المبتدئون فى علم البيان ، فأجبته و إن كنت لست أهلا لذلك ، ولا من رجال تلك المهامه والمسالك ، ولكن حسن ظنى بفيض الانعام ، هو الذى حملنى على الحلول فى هذا المقام ، راجيا منه سبحانه وتعالى حسن القبول ، والفوز برضاه بمحض فضله فانه المأمول . وسميته : « حلية اللب المصون بشرح الجوهر المكنون » والله أسأل من فيضه العميم ، أن ينفع به من تلقاه بقلب سليم ، إنه مفيض الخير والجود وهو حسبى ونعم الوكيل . قال :

[بسم الله الرحمن الرحيم]

أقول : ابتدأ بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز وعملا بخبر كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر وفى رواية كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم ولاتعذر فى العمل بالحديثين لحمل الابتداء فيهما على الأعم من الحقيق والاضافى أو لحمـ

ولايقال كلمة بارعة وقد حدها القاضي أبو بكر فى الانتصار بمايقرب من حد البلاغة وأهملها الجمهور وذكرها هنا من زوائدى .

[فصاحة المفرد أن لاتنفرا   حروفه كهعخع واستشزرا
وعدم الخلف لقانون جلى   كالحمد لله العلى الأجلل
وفقده غرابة قد أرتجا   كفاحما ومرسنا مسرجا
قيل وفقد كرهه فى السمع   نحو جرشاه وذا ذو منع]

الفصاحة فى المفرد أن يخلص من ثلاثة أمور .
أحدها : تنافر الحروف وهو قسمان ذكرهما فى الايضاح وأهمل فى التلخيص الأول وذكرته من زيادتى . القسم الأول ماتكون الكلمة بسببه متناهية فى الثقل وعسر النطق بها كهعخع بضم الهاء والخاء المعجمة وسكون العين المهملة الأولى من قول أعرابى وقد سئل عن ناقته تركتها ترعى الهعخع والهاء والعين لايكادان يجتمعان من غير فصل وهو شجر وقيل لاأصل له فى كلامهم وإنما هو الخعخع بخاءين معجمتين .
الثانى : ماهودون ذلك كاستشزر من قول امرىء القيس * غدائره مستشزرات إلى العلا * أى مرتفعات والتنافر لتوسط الشين وهى مهموسة رخوة بين التاء وهى مهموسة شديدة والزاى وهى مجهورة .
ثانيها : المخالفة لقواعد العربية كالفك فيما يجب إدغامه وعكسه كقول أبى النجم :
* الحمد لله العلىّ الأجلل * والقياس الأجل بالادغام وضرائر الشعر من هذا الباب إلا مالاتستوحش منه النفس كصرف مالا ينصرف قاله حازم الأندلسى وهو حسن .
ثالثها : الغرابة وهى أن تكون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى ولامأنوسة الاستعمال كقول رؤبة :
* وفاحما ومرسنا مسرجا * فان مسرجا صفة لمرسن وهو الأنف ولغرابته لايدرى هل معناه كالسراج فى البريق واللمعان أو كالسيف السريجى فى الدقة والاستواء والفاحم الشعر الأسود والمرسن بفتح الميم مع فتح السين وكسرها وقال الجوهرى هو بكسر الميم ووهموه وقولى قد أرتجا أى أغلق فلايدرى معناه وهو فعل لازم ضميره راجع إلى المفرد لا إلى الغرابة و إلا لأنث والمعنى وفقده غرابة يرتج بسببها فلا يفهم وزاد بعضهم أن يخلص من أمر رابع وهو الكراهة فى السمع كقول المتنبى * كريم الجرشى شريف النسب . فان السمع يمج لفظ الجرشى وهى النفس وفى هذا نظر لأن الكراهة إن كانت لاستغرابه فقد دخلت فى الغرابة أو من جهة الصوت فلا تعلق لها بالفصاحة لأن السمع قد يستلذ بغير الفصيح لحسن الصوت و بالعكس .

[وفى الكلام فقده فى الظاهر   لضعف تأليف وللتنافر
فى الكلمات وكذا التعقيد مع   فصاحة فى الكلمات تتبع
فالضعف نحو قد جفونى ولم   أجف الأخلاء وما كنت عمى
وذو تنافر أتاك النصر   كليس قرب قبر حرب قبر
كذاك أمدحه الذى تكررا   والثالث الخفاء فى قصد عرا
لخلل فى النظم أو فى الانتقال   إلى الذى يقصده ذوو المقال]

أى والفصاحة فى الكلام أن يخلص من ثلاثة أمور بعد رعاية الفصاحة فى مفرداته .

فى الأوّل على الأوّل وفى الثانى على الثانى كما فى القرآن المبين كيفية العمل بهما على أن اشتراط تحصيل البركة بالابتداء بهما معا محمول على الكمال وأمّا أصلها فحاصل بأحدهما بل بكل ذكر غيرهما كما يدل له رواية بذكر الله الدالة على اعتبار جهة عمومها وفى وصف الأمر بها بعده فائدتان : الأولى تعظيم اسم الله تعالى حيث لايبدأ به إلا فى الأمور التى لها شأن وخطر ، الثانية التيسير على الناس فى محقرات الأمور . وأورد : أن كلا من البسملة والحمدلة من أفراد موضوع قضية الحديث فيحتاج كل منهما حينئذ إلى سبق مثله ويتسلسل . وأجيب بأن كلا منهما كما يحصل البركة لغيره ويمنع نقصه كذلك يجب أن يحصل مثل ذلك لنفسه كالشاة من الأربعين تزكى نفسها وغيرها والباء فى البسملة متعلقة بمقدر وكونه فعلا ومن مادة التأليف هنا ومتأخرا أولى . أما الأول فلأصالة الفعل فى العمل . وأما الثانى فلأنه أمسّ بالمقام إذ لايشعر تقدير خلافه بما جعلت البسملة مبدأ له . وأما الثالث فلأن تقديم المعمول هنا أدخل فى التعظيم ودالّ على الاختصاص كما فى ـ إياك نعبد ـ . والاسم عند البصريين أحد الأسماء التى كثر استعمالها خففت بحذف أعجازها وتسكين أوائلها ثم اجتلبت همزة الوصل عند الابتداء بها توصلا للنطق بالساكن واشتقاقه من السموّ فأصله عند البصريين سمو ووزنه فعل وبعد التغيير افع وعند

الكوفيين أصله وسم حذفت الواو وعوض عنها همزة الوصل واشتقاقه من السمة وهى العلامة فالوزن قبل التغيير فعل و بعده أعل والله علم على الذات الواجب الوجود ووصف الذات بما بعدها بيان للمسمى لا لاعتباره فيه و إلا لكان المسمى

أحدها : ضعف التأليف بأن لايجرى على المطرد من قواعد العربية كقوله :

* جفونى ولم أجف الأخلاء إننى * لعود الضمير من جفونى على الأخلاء وهو متأخر عنه وكذا مثال التلخيص ضرب غلامه زيدا لكن الضعف فيه ليس فى الكلام بل فى ضمير المفعول وما أضيف إليه ، ولذا قال السبكى لو مثل بأمر دائر بين مسند ومسند إليه لصح وذكر البيت الذى مثلت به ولذا عدلت إليه تقليدا له ثم ظهر لى أن هذا البيت ليس من هذا القبيل لأنه من باب التنازع وعود الضمير فيه على متأخر ليس ضعفا و إنما ذلك فى غيره سوى ما استثنى : أى كباب نعم وبئس و إنما يسلم إذا رفع الأخلاء فاعلا لجفونى وجعل من باب أكلونى البراغيث فانه حينئذ ليس بفصيح فلنحمل المثال الذى فى النظم عليه .

الثانى : تنافر الكلمات وهو أيضا أعلى كالمثال المذكور فى النظم وهو نصف بيت أوله :

* وقبر حرب بمكان قفر * قال الرمانى : وذكروا أنه من شعر الجن لأنه لايتهيأ لأحد أن ينشده ثلاث مرات فلا يتتعتع ودون ذلك كقول أبى تمام :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى   معى و إذا مالمته لمته وحدى

واختلف فى وجه التنافر فيه فقال فى الايضاح فى قوله أمدحه ثقل لما بين الحاء والهاء من التنافر لتقاربهما ورد بوروده فى القرآن . قال تعالى ـ فسبحه ـ وقيل لاجتماعهما بعد فتحة والآية سالمة من ذلك وقيل الثقل بين الحاء والهاء والهمزة واعترضا بأنه تنافر فى الحروف لا فى الكلمات وجزم الخفاجى وحازم الأندلسى وغيرهما وتبعهم السبكى بأن سببه تكرار أمدحه ، وقد أشرت إلى ذلك فى النظم وهو من زيادتى وليس لك أن تقول سيأتى أن بعضهم شرط الخلوص من التكرار وأنه مردود لأن ذلك مطلق التكرار وهذا تكرير أمدحه خاصة لما فيه من الثقل بين الحاء والهاء .

الثالث : التعقيد وهو أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة إما لخلل فى النظم : أى التركيب فلا يدرى كيف يصل إلى معناه لما فيه من التقديم والتأخير والاضمار ونحو ذلك كقول الفرزدق :

وما مثله فى الناس إلا مملكا   أبو أمه حى أبوه يقاربه

فان المعنى وما مثل الممدوح فى الناس حى يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبو الممدوح : أى ابن أخته ففصل بين أبو أمه وهو مبتدأ وأبوه وهو خبر بحى وهو أجنبى وبين مثله المبتدأ وحى الخبر بقوله فى الناس وما بعده وبين حى الموصوف وصفته وهو يقاربه بأبوه وهو أجنبى وقدم المستثنى على المستثنى منه و إما أن يكون الخلل معنويا بأن لا يكون انتقال الذهن من المعنى الذى هو ظاهر اللفظ إلى المقصود ظاهرا كقول العباس بن الأحنف :

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا   وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

كنى بسكب الدموع عما يوجبه الفراق من الحزن وأصاب لأن البكاء يكنى به عنه كقول الحماسى :

أبكانى الدهر ويا ربما   أضحكنى الدهر بما يرضى

وأراد أن يكنى عما يوجبه التلاقى من السرور بجمود العين لظنه أن الجمود خلو العين من البكاء مطلقا وأخطأ إذ الجمود خلوها منه حال إرادته فلا يكون كناية عن المسرة بل عن البخل كقول أبى عطاء :

ألا إن عينا لم تجد يوم واسط   عليك بجارى دمعها لجمود

مجموع الذات والصفة وليس كذلك بل هى وحدها وقيل مع الصفة واعترض على جعل الله علما بأن وضع العلم بازاء ذاته تعالى فرع تعقله ولا تعقل فلا وضع وأجيب بتعقله تعالى بصفاته والمنفى تعقله بكنه حقيقته وهو غير لازم فى وضع العلم على أن الواضع مطلقا أو واضع هذا الاسم هو الله تعالى علمه لغيره بوحى أو إلهام ، والرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة مشتقان من رحم أى من مصدر ذلك والرحمة رقة فى القلب وانعطاف تقتضى التفضل والإحسان وأسماؤه المماثلة لهذه مأخوذة باعتبار الغايات التى هى أفعال دون المبادى التى هى انفعالات لاستحالة الكيفيات النفسانية عليه تعالى فالرحمة هنا مجاز مرسل عن الإحسان أو إرادته استعمالا لاسم السبب فى المسبب والأول أبلغ من الثانى لزيادة بنائه كما فى قطع وقطع ولا نقض بحذر وحاذر

لعدم التلاقى فى الاشتقاق وقدم الله على تاليه لانه اسم ذات وهى مقدمة على الصفة فقدم مايدل عليها وهذا التقديم تعقلى إلا فذات الله تعالى وصفاته ليس فيها تقديم ولا تأخير بحسب الواقع وقدم الرحمن على تاليه لأنه صار علما بالغلبة التقديرية

من حيث إنه لا يوصف به غيره تعالى وأما قوله * وأنت غيث الورى لازلت رحمانا * فخطأ نشأ عن التعنت فى الكفر واعترض بأن الصناعة تقتضى الترقى للأبلغ من غيره كما فى علم تحرير . وأجيب بجعل الثانى كالتتمة للأول

[قيل وأن لا يكثر التكرر ولا الاضافات وفيه نظر]

شرط بعض الناس فى فصاحة الكلام خلوه من كثرة التكرار وتتابع الاضافات كقول المتنبى : * سبوح لها منها عليها شواهد * وقول ابن بابك * حمامة جرعى حومة الجندل اسجعى * وفى هذا القول نظر لأن ذلك إن أفضى إلى الثقل فى اللسان فقد حصل الاحتراز عنه بالتنافر وإلا فلا يخل بالفصاحة وقد قال تعالى ـ والشمس وضحاها ـ إلى آخر السورة فكرر الضمائر وقال تعالى ـ ربنا وآتنا ما وعدتنا ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ـ وقال تعالى فى تكرير الاضافات ـ ذكر رحمة ربك عبده زكريا ، كدأب آل فرعون، بين يدى نجواكم ـ وقال صلى الله عليه وسلم «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم» رواه ابن حبان فى صحيحه . تنبيه : قولى * فى فصاحة المفرد أن لاتنفرا * وعدم الخالف وفقده غرابة وفى الكلام لضعف تأليف وللتنافر وكذا التعقيد وأن لا يكثر التكرر ولا الاضافات بتكرير العدم والفقد واللام ولالأن المقصود فقد كل واحد من هذه الأمور لا مجموعها وعبارة التلخيص لا تفيد ذلك ولذا عدلت عنها . فائدة : ذكر بعض الفضلاء أن من خصائص القرآن أنه اجتمع فيه ثمان ميمات متواليات ولم يحصل بسببها ثقل على اللسان أصلا بل ازدادت خفة وذلك فى قوله تعالى ـ أمم ممن معك ـ فان التنوين فى أمم والنون ممن يدغمان فى الميم بعدهما فيصيران فى حكم ميم أخرى والميم المشددة فى ممن بميمين وفيه أربع أخر فهذه ثمانية .

[وحدها فى متكلم شهر ملكة على الفصيح يقتدر]

الفصاحة فى المتكلم ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح ، والملكة هيئة راسخة فى النفس فمن تكلم بالفصيح وليس له ملكة فغير فصيح وقولنا يقتدر إشارة إلى أنه يسمى فصيحا حالة النطق وعدمه واللفظ أعم من المفرد والمركب وكذا قولى فى النظم الفصيح .

[بلاغة الكلام أن يطابقا ... لمقتضى الحال وقد توافقا
فصاحة والمقتضى مختلف ... حسب مقامات الكلام يؤلف
فمقتضى تنكيره وذكره ... والفصل الايجاز خلاف غيره
كذا خطاب الذكى والغبى ... وكلمة لها مقام أجنبى
مع كلمة تصحبها فالفعل ذا ... إن ليس كالفعل الذى تلا إذا
والارتفاع فى الكلام وجبا ... بأن يطابق اعتبارا ناسبا
وفقدها انحطاطه فالمقتضى ... مناسب من اعتبار مرتضى]

البلاغة فى الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته والحال هو الأمر الداعى إلى التكلم على وجه مخصوص ومقتضاه يختلف بحسب اختلاف مقامات الكلام فان مقام التنكير يخالف مقام التعريف ومقام الذكر يخالف مقام الحذف ومقام الفصل يخالف مقام الوصل ومقام الايجاز يخالف مقام الاطناب والمساواة ومقام التأخير يخالف مقام التقديم وخطاب الذكى يخالف خطاب الغبى ولكل كلمة مع أخرى تصحبها فى أصل المعنى مقام فالفعل المصاحب لإن ليس كالفعل المصاحب لإذا لما سيأتى فى الفرق بينهما وإنما يقضى على الكلام بالارتفاع فى الحسن والانحطاط بمطابقته للاعتبار المناسب وعدمها فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب أى الأمر الذى اعتبر مناسبا بحسب

باعتبار جلالة النعم فيه دون الثانى ومن أراد تحقيق الكلام على البسملة فعليه برسالتنا كشف اللثام عن مخدرات الأفهام فانها من أجل ما ألف فى هذا المقام . قال :

[الحمد لله البديع الهادى * إلى بيان مهيع الرشاد]

أقول : الحمد لغة هو الثناء بالكلام على المحمود بجميل صفاته ، واصطلاحا فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب إنعامه ومعنى الشكر لغة هو معنى الحمد اصطلاحا بابدال لفظ الحامد بالشاكر واصطلاحا صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه إلى ما خلق لأجله وجملة الحمد مفيدة له ولو كانت خبرية لأن الاخبار بالثناء ثناء ولاختصاص جميع أفراده به تعالى وإن أشير بأل إلى غير كل الأفراد لكون الحمد صفة ذات أو صفة فعل وقدم المسند إليه للأصل والبلاغة وعرف بأل ليتأتى ما يصلح أن يراد بها وتحقيق الكلام على الحمد والشكر والمدح لغة واصطلاحا والنسبة بين أفراد الجميع فى الرسالة المتقدمة والبديع المبدع للشىء على غير مثال فهو فعيل بمعنى فاعل ويطلق على الشىء المبدع فهو بمعنى مفعول

وإطلاقه على الله تعالى صحيح بالمعنى الأوّل مستحيل بالمعنى الثانى . والهادى يطلق على الدالّ على الطريقة الموصلة إلى المطلوب وعلى خالق الهداية فى القلب وهو بالمعنى الأوّل مشترك بين الله وأنبيائه وأوليائه وكل داع إليـه تعالى من خلقه وهو المراد هنا وبالمعنى الثانى خاص به تعالى والبيان الايضاح والمهيع الطـريق . والرشاد الصواب وفى ذكر البديع وبيان براعة استهلال وهى أن يذكر المتكلم فى أول كلامه مايشعر بمقصوده كما يأتى فى الفن الثالث . قال :

[أمدّ أرباب النهى ورسما
شمس البيان فى صدور العلما]

أقول: الامداد إعطاء المدد . وهو الزيادة فى الخير والأرباب جمع رب والمراد به هنا الصاحب والنهى جمع نهية وهى العقل . والرسم هنا عبارة عن الإثبات والبيـان المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير وإضافته لما قبله من قبيل لجين الماء ويحتمل تشبيه البيان بالنهار ففيه مكنية وتخييلية . ويحتمل استعارة الشمس لقواعد علم البيان فالاستعارة تحقيقية . ومعنى كون البيان كالشمس أنه يظهر به غيـره ، وهو المعانى كما أن الشمس يظهر بها غيرها وإن كان الظهور الأول معنويا والثانى حسيا أى باعتبار المتعلق فيهما والرسم لمعنى البيان لاله والصدور جمع صدر مرادا به هنا القلب أى اللطيفة فهو مجاز بمرتبتين وأل فى العلماء للكمال أى العامِلين وفيه تنبيه

تتبع تراكيب البلغاء .

[ويوصف اللفظ بتلك باعتبار ... إفادة المعنى بتركيب يصار
وقد يسمى ذاك بالفصاحـه ... ولبلاغة الكلام ساحـه
بطرفين حدّ الاعجاز علا ... وماله مقارب والأسفل
هـو الذى إذا لدونه نزل ... فهو كصوت الحيوان مستقل
بينهما مراتب وتتبع ... بلاغة محسنات تبدع]

لما تقرر أن البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال بحسب ماينا سبه عرف أن اللفظ إنما يوصف بها باعتبار إفادته المعنى بالتركيب لامن حيث أنه لفظ وصوت لأنه باعتبار ذلك لايوصف بكونه مطابقا أو غير مطابق ضرورة أن ذلك إنما يتحقق عند تحقق المعانى والأغراض التى يصاغ لها الكلام وقد يسمى هذا الوصف فصاحة أيضا كما يسمى بلاغة أما الفصاحة لا بهذا الاعتبار فهى من صفات اللفظ دون المعنى قطعا . ثم البلاغة لها طرفان أعلى وهو حدّ الاعجاز بأن يرتقى الكلام فى بلاغته إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته وقولى وما له مقارب كقول التلخيص ومايقرب منه وقد اختلفوا فى معناه فالذى اختاره الشيخ سعد الدين أنه عطف على الأعلى أى الأعلى مع مايقرب منه كلاهما حدّ الاعجاز وقيل هو عطف على حد الاعجاز فيكون من الأعلى قال الشيخ سعد الدين وفيه نظر لأن القريب من حد الاعجاز لا يكون من الطرف الأعلى . قلت : يمكن أن يقال الأعلى حقيقى وهو حد الاعجاز ونسبى أى بالنسبة لما يقدر عليه البشر وهو مايقرب منه فان الأوّل خارج عن طوق البشر وحينئذ لا إشكال فتأمل . ثم رأيت هذا الذى ظهر لى فى المعانى لعلم المعانى لعبد الباقى اليمنى فقال لها طرفان أعلى وهو منصب كلام الله تعالى المعجز ومايقرب منه وهو كلام نبيه صلى الله عليه وسلم لقوله « أوتيت جوامع الكلم » وهذا عين مافهمته ولله الحمد والطرف الأسفل هو مالو غير الكلام عنه إلى مادونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات فى خلوه عن الحسن وإن كان صحيح الاعراب وبين الطرفين مراتب كثيرة متفاوتة بعضها أعلى من بعض وتتبع بلاغة الكلام وجوه أخر سوى المطابقة والفصاحة تورث الكلام حسنا وهى الأنواع المذكورة فى علم البديع كما سيأتى وفى ذكره كونها تابعة إشارة إلى أنها إنما تعدّ محسنة بعد رعاية البلاغة وجعلها تابعة لبلاغة الكلام دون المتكلم لأنه لايوصف بها إلا الكلام كما سيأتى .

[وحدها فى متكلم كما ... مضى فمن إلى البلاغة انتمى
فهو فصيح من كليم أو كلام ... وعكس ذا ليس يناله التزام
قلت ووصف من بديع حرره ... شيخى وشيخه الامام حيدره]

البلاغة فى المتكلم على نسق الفصاحة فيه فيقال هى ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ فعلم مما ذكر فى حد البلاغة أن كل بليغ كلاما كان أو متكلما فصيح لجعل الفصاحة شرطا للبلاغة وليس كل فصيح بليغا كلاما كان أو متكلما لأن الفصيح قد يعرى عن المطابقة له . ثم البديع قال شيخنا وأشار إليه فى المطوّل بقوله يوصف به الكلام دون المتكلم لأنه ليس له فيه أثر ظاهر وإنما أثره فى الكلام فوصف به . ونقل لنا عن شيخه برهان الدين حيدرة الرومى أنه قال لامانع من أن يقال مبدع أو محسن ونحو ذلك قال ورد عليه بأنه لم يرد عن العرب . قلت إن أريد بكونه لاأثر له

على أن العلم لا يستقر ولا يثبت إلا في قلب تخلى عن الرذائل لمصادفته قلبا خاليا فيتمكن فإن الحكمة إذا لم تجد القلب كذلك فإنها ترجع من حيث أتت. قال: (٨) [فأبصروا معجزة القرآن واضحة بساطع البرهان] أقول: الفاء تفريعية والمراد بالإبصار هنا القلبي أي النظر بعين البصيرة والمعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي فإضافته لما بعده بيانية إذ المراد به النظم المعجز وإن كان يطلق بالاشتراك اللفظي على الصفة القديمة أيضا فالإضافة قرينة معينة، وقوله بساطع البرهان من إضافة الصفة للموصوف أي البرهان الساطع أي الظاهر والبرهان العقلي قياس مركب من قضايا يقينية والمراد به هنا ما يعم النقلي، ولاشك أن كون القرآن من كلام الله تعالى الناشئ عن الإعجاز المفهوم من معجزة ثابت بالبرهانين. أما الأول فقولنا هذا الكلام معجز وكل معجز ليس من تآليف الخلائق ينتج هذا الكلام ليس من تأليف المخلوق فيكون من تأليف الخالق إذ لا واسطة. وأما الثاني وإن ترتب على الأول فكقوله تعالى — قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن — الآية. قال: [وشاهدوا مطالع الأنوار وما احتوت عليه من أسرار] أقول: شاهدوا معطوف على أبصروا فهو من ثمرات رسم البيان أيضا والمراد المشاهدة بعين البصيرة والمطالع جمع مطلع وهو

هذا

في المتكلم أنه لا يعتبر فيه أن يكون للمتكلم ملكة يقتدر بها على إيراد المحسنات من الطباق والجناس والتورية وغير ذلك بخلاف علم البلاغة ففيه نظر بل ينبغي شرط الملكة فيه حتى لو تكلم بكلام بديع اتفاقا ولا ملكة له فيه لم يعد بديعا في الاعتبار، وقوله لا مانع من أن يقال مبدع كان الأولى منه أن يدعى أنه لا مانع من أن يقال بديع لأنه ورد لغة بمعنى الفاعل والمفعول ومنه في الفاعل بديع السموات وفي المفعول هذا شيء بديع. نعم في شرح بديعية ابن جابر لرفيقه يقال أبدع الشاعر إذا صنع البديع في شعره فعلى هذا يجوز أن يقال مبدع كمكرم.

[ومرجع البلاغة التحرز — عن الخطأ في ذكر معنى يبرز
والميز للفصيح من سواه ذا — يعرف في اللغة والصرف كذا
في النحو والذي سوى التعقد — المعنوي يدرك بالحس قد
وما به عن الخطا في التأديه — محترز علم المعاني سميه
وما عن التعقيد فالبيان — ثم البديع ما به استحسان]

هذا بيان لانحصار مقاصد الكتاب في الفنون الثلاثة وذلك أن البلاغة مرجعها إلى التحرز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد وإلا لأداه بغير مطابقة وإلى تمييز الفصيح من غيره وإلا لأورد المطابق بلفظ غير فصيح فلا يكون بليغا وذا أي تمييز الفصيح من غيره بعضه يعرف من علم اللغة وهو الغرابة وبعضه من علم التصريف وهو مخالفة القياس وبعضه من علم النحو وهو ضعف التأليف والتعقيد اللفظي وبعضه يدرك بالحس وهو التنافر فاستغنى عن ذكر ما يعرف به في هذا الكتاب وغيره من كتب البلاغة فلم يبق مما ترجع إليه البلاغة إلا الاحتراز عن الخطأ في التأدية فوضع له علم المعاني وإلا تمييز السالم من التعقيد المعنوي من غيره فوضع له علم البيان ثم احتاجوا إلى معرفة توابعها فوضع له علم البديع.

الفن الأول: علم المعاني

[وحده علم به قد تعرف — أحوال لفظ عربي يؤلف
مما بها تطابق لمقتضى — حال وحدي سالم ومرتضى]

حد علم المعاني علم تعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال فالعلم جنس وقولنا تعرف به أحوال اللفظ مخرج لما يعرف به أحوال غير اللفظ وقولنا العربي مخرج لغيره إذ الكلام في اللغة العربية وبقية الحد مخرج بقية علوم العربية وعلم البيان وإن أطلق عليه أيضا المطابقة لمقتضى الحال بناء على تفسيره بأنه الاعتبار المناسب وذلك شامل للعلوم الثلاثة لكن التقديم للمجرور في قوله بها تطابق يفيد الاختصاص أي الأحوال التي لا يطابق مقتضى الحال إلا بها هي التي في علم المعاني وما في العلمين بعده تحصل المطابقة به وبدونه وهذا الحد من أحسن الحدود وقد أشرت إلى ذلك بقولي وحدي سالم ومرتضى.

[يحصر في أحوال الإسناد وفي — أحوال مسند إليه فاعرف
ومسند تعلقات الفعل — والقصر والإنشاء ثم الوصل
والفصل والإيجاز والإطناب — ونحوه تأتيك في أبواب]

محل الطلوع والأنوار جمع نور وهو مابه ظهور الأشياء والمراد به هنا العلم لأن به تظهر المعلومات والأسرار جمع سرّ وهو المعنى الخفى ومعنى البيت أنهم بواسطة إمعان النظر الناشئ عما رسم فى قلوبهم شاهدوا معانى كلمات القرآن التى هى كمطالع الأنوار الحسية بجامع ما ينشأ عن كلٍّ من النور وإن كان محسوسا فى الثانى ومعقولا فى الأول وشاهدوا ما اشتملت عليه تلك الأنوار أى العلوم من أسرار أى نكات خفية إذ خبايا القرآن وخفاياه تقف دون آخرها العقول بدليل ومايعلم تأويله إلا الله وإدراك بعضها إنما يكون بالتنوير جعلنا الله من أهله قال :

[فنزهوا القلوب فى رياضه
وأوردوا الفكر على حياضه]

أقول : الرياض جمع روضة والمضاف إليه ضمير القرآن على تقدير مضاف هو معانى ولما كانت النفوس الناطقة تنتعش باقتناص المعانى كما تنتعش بالأقوات الأشباح والمبانى شبه معانى القرآن بالرياض بجامع تنزه النفس الناطقة بملابستها كتنزه القلب الجسمانى بالرياض المحسوسة فاضافة رياضه من قبيل لجين الماء مع مراعاة المضاف المتقدم كاضافة حياض بعده لما بعده وإن كان المقصود نوعا من المتوسط بين المتضايفين. والفكر حركة النفس فى المعقولات وحركتها فى المحسوسات تخييل والحياض

هذا العلم منحصر فى ثمانية أبواب لأن الكلام إما خبر أو إنشاء لما سيأتى والخبر لابدّ له من إسناد ومسند إليه ومسند فهذه ثلاثة أبواب والمسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلا أو فى معناه وهذا الباب الرابع وكل من التعلق والاسناد قد يكون بقصر وقد لا يكون وهذا الباب الخامس والانشاء هو الباب السادس ثم الجملة إن قرنت بأخرى فالثانية إما معطوفة على الأولى أولا وهما الوصل والفصل وهذا الباب السابع ثم لفظ الكلام البليغ إما زائد على أصل المراد بفائدة أو ناقص غير مخلّ أومساو والأوّل الاطناب والثانى الايجاز والثالث المساواة وهو المراد بقولى ونحوه وهذا هو الباب الثامن .

[مسئلة]

[محتمل للصدق والكذب الخبر وغيره الإنشا ولا ثالث قر]

هذا البيت من زيادتى إلا أن فى التلخيص إشارة إليه فى بيان وجه الحصر وحاصله أن الكلام إما خبر أو إنشاء لاثالث لهما لأنه إما أن يحتمل الصدق والكذب أولا والأول الخبر والثانى الانشاء وبعضهم يقيد الأول بقوله لذاته ليخرج الخبر المقطوع بصدقه كخبر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن سكت عن هذا القيد قال الخبر من حيث هو يحتملهما وإن خرج بعض أفراده لأمر خارج عنه ألا ترى أن قول الانسان مثلا زيد قائم يحتملهما وإن كان السامع يقطع بصدقه لمشاهدته له قائما ومن قسم الكلام إلى ثلاثة وزاد الطلب لم يصب فهو قسم من الانشاء والذى فعل ذلك بعض النحاة وقد رددناها عليه فى مؤلفاتنا النحوية .

[تطابق الواقع صدق الخبر وكذبه عدمه فى الأشهر
وقيل بل تطابق اعتقاده ولو خطا والكذب فى افتقاده
ففاقد اعتقاده لديه واسطة وقيل لاعليه
الجاحظ الصدق الذى يطابق معتقدا وواقعا يوافق
وفاقد مع اعتقاده الكذب وغير ذا ليس بصدق أو كذب
ووافق الراغب فى القسمين ووصف الثالث بالوصفين]

فى حدّ الصدق والكذب أقوال أصحها أن الصدق مطابقة الخبر للواقع والكذب عدم مطابقته له ولو كان الاعتقاد بخلاف ذلك فى الحالين ومن أدلته حديث الصحيحين « من كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» دل على انقسام الكذب إلى متعمد وغيره . الثانى أن الصدق المطابقة لاعتقاد المخبر ولو خطأ والكذب عدم المطابقة للاعتقاد ولو كان صوابا . واختلف على هذا هل تثبت الواسطة فقيل نعم وهى الساذج الذى ليس معه اعتقاد . وقيل لابل يدخل فى الكذب لأن عدم المطابقة للاعتقاد شامل لما لااعتقاد معه وما معه اعتقاد العدم والأول أرجح على هذا القول وذكر هذين القولين المفرعين عليه من زيادتى وهو البيت الثالث بكماله . القول الثالث للجاحظ وهو أبو عثمان عمرو بن بحر من المعتزلة ولقب الجاحظ لأن عينيه كانتا جاحظتين ، قال الصدق المطابقة للواقع مع اعتقاد المخبر المطابقة والكذب عدم المطابقة للواقع مع اعتقاد عدمها فما عدا ذلك ليس بصدق ولا كذب وهو أربع صور المطابق ولا اعتقاد لشىء والمطابق مع اعتقاد عدم المطابقة وغير المطابق مع اعتقاد المطابقة وغيره ولااعتقاد . القول الرابع للراغب وهو من زيادتى أيضا وهو كالجاحظ فى الصدق والكذب إلا أنه قال فى الصور الأربع الواسطة توصف بالصدق

جمع حوض وقعت واوه بعد كسرة قلبت ياء أى على معانيه التى هى كالحياض المحسوسة بجامع شفاء الصدر فى كل منهما ولا يخفى عليك تفريع هذا البيت على ماقبله قال : [ثم صلاة الله ما ترنما   حاد يسوق العيس فى أرض الحمى

على نبينا الحبيب الهادى
أجل كل ناطق بالضاد
محمد سيد خلق الله
العربى الطاهر الأواه]

أقول : الصلاة لغة العطف فان أضيف إلى الله تعالى سمى رحمة أو إلى الملائكة سمى استغفارا أو إلى غيرهما سمى دعاء فهى مقولة على هذه المعانى بالاشتراك المعنوى والترنم التغنى والعيس الابل وحاديها سائقها المغنى لها ليحصل لها نشاط فى السير والحمى الممنوع من قربه والمراد به أرض الحجاز لمنع الكفار من الاقامة بها والمقصود طلب تأييد الصلاة بجملتها لا التأقيت والنبى إنسان أوحى إليه بشرع فان أمر بتبليغه سمى رسولا أيضا وهو بالهمز من النبأ أى الخبر فيصح أن يكون بمعنى فاعل باعتبار أنه مخبر بكسر الباء عن الله عز وجل أو بمعنى مفعول باعتبار أن جبريل أخبره عن الله تعالى وبالياء من النبوة وهى الرفعة فيصح أن يكون بمعنى مفعول لأنه مرفوع الرتبة عن غيره أو فاعل لرفعه غيره إذ مامن مرفوع إلا وباب رفعته النبى صلى الله عليه وسلم والحبيب يصح أن يكون بمعنى فاعل أو بمعنى مفعول والهادى المرشد غيره وأجل بمعنى أعظم وكل ناطق بالضاد

والكذب بجهتين بالصدق من حيث مطابقته للخارج أو للاعتقاد وبالكذب من حيث انتفاء المطابقة للخارج أو للاعتقاد وهذا معنى قولى ووصف الثالث بالوصفين .

أحوال الاسناد الخبرى

[القصد بالاخبار أن يفادا   مخاطب حكما له أفادا
أو كونه علمه والأولا   فائدة الاخبار سم واجعلا
لازمها الثانى وقد ينزل   عالم هذين كمن قد يجهل
لعدم الجرى على موجبه   وما أتى لغير ذا أول به]

لاشك أن قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب أحد أمرين إما الحكم الذى ضمنه وهو النسبة المحكوم بها أو كون المخبر عالما بالحكم كقولك لمن زيد عنده وهو لايعلم أنك تعلم ذلك زيد عندك ويسمى الأول فائدة الخبر والثانى لازم فائدة الخبر لأنه يلزم من استفادة الجاهل الحكم من المخبر أن يستفيد علم المخبر به وقد يراد الخبر لغير هذين الأمرين فيرجع إلى قاعدة وهى أن العالم قد ينزل منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم بالعمل به كقولك لمن يعق أباه وأنت تعلم أنه أبوه زيد أبوك فأحسن إليه فيعامل معاملة الجاهل بأبوته لعدم عمله بمقتضى علمه وقولى بالاخبار فى أول الأبيات بكسر الهمزة والثانى يجوز ضبطه بالفتح والكسر وموجبه بفتح الجيم :

[فليقتصر على الذى يحتاج له   من الكلام وليعامل عمله
فان يخاطب خالى الذهن من   حكم ومن تردد فلتغتنى
عن المؤكدات أو مرددا   وطالبا فمستجيدا أكدا
أو منكرا فأكدن وجوبا   بحسب الإنكار فالضروبا
أولها سم ابتدائيا وما   تلاه فهو الطلبى وانتمى
تاليه للانكار ثم مقتضى   ظاهره إيرادها كما مضى
وربما خولف ذا فليورد   كلام ذى الخلق كالمردد
إذا له قدم ما يلوح   بخبر فهو لفهم يجنح
كمثل ما يجنح من ترددا   لطلب فالحسن أن يؤكدا
ويجعل المقر مثل المنكر   إن سمة النكر عليه تظهر
كقولنا لمسلم وقد فسق   ياأيها المسكين إن الموت حق
ويجعل المنكر إن كان معه   شواهد لو يتأمل مردعه
كغيره كقولك الاسلام حق   لمنكر والنفى فيه ما سبق]

إذا عرف أن القصد بالخبر أحد الأمرين السابقين فينبغى للمتكلم أن يقتصر من التركيب على قدر الحاجة فان ألقى الخطاب إلى خالى الذهن من الحكم ومن التردد فيه استغنى عن مؤكدات الحكم كقولك زيد قائم لمن هو خالى الذهن وإن كان مترددا فى الخبر طالبا له حسن أن يقوى بمؤكد واحد كقولك لزيد قائم أو إنه قائم وإن كان منكرا وجب تأكيده بحسب الانكار أى بقدره قوة وضعفا حتى يزيد فى التأكيد بحسب الزيادة فى الانكار كقوله تعالى حكاية عن رسل

عيسى عليه السلام إذ كذبوا فى المرة الأولى - إنا إليكم مرسلون - فأكد بأن واسمية الجملة وفى المرة الثانية - ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون - فأكد بالقسم وإن واللام واسمية الجملة لمبالغة المخاطبين فى الإنكار حيث قالوا - ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ إن أنتم إلا تكذبون - ويسمى الضرب الأول ابتدائيا والثانى طلبيا والثالث إنكاريا وهو معنى قولى وانمى تاليه للانكار ثم مقتضى الظاهر إخراج الكلام على الوجوه المذكورة بالخلو من التأكيد فى الأول والتقوية بمؤكد استحسانا فى الثانى ووجوب التأكيد فى الثالث وقد يخرج على خلاف ذلك فيلقى الكلام مؤكدا إلى خالى الذهن كما يلقى للتردد وذلك إذا قدم له مايلوح بالخبر فتستشرف نفسه إليه استشراف المتردد الطالب نحو - ولاتخاطبنى فى الذين ظلموا - أى لاتدعنى يانوح فى شأن قومك فهذا الكلام يلوح بالخبر تلويحا ويشعر بأنه قد حق عليهم العذاب فصار المقام مقام أن يتردد المخاطب فى أنهم هل صاروا محكوما عليهم بالاغراق أولا فقيل إنهم مغرقون بالتأكيد وقد يجعل المقر كالمنكر إذا ظهر عليه شئ من أمارات الانكار فيؤكد له الكلام تأكيد المنكر نحو :

جاء شقيق عارضا رمحه - إن بنى عمك فيهم رماح

فهو لاينكر أن فى بنى عمه رماحا لكن مجيئه واضع الرمح على العرض من غير التفات وتهيئ أمارة أنه يعتقد أن لارمح فيهم بل كلهم عزل لاسلاح معهم فنزل منزلة المنكر وأكد له الخطاب وكذلك قولى فى البيت :

كقولنا لمسلم وقد فسق   يا أيها المسكين إن الموت حق

فهو لاينكر حقية الموت لكنه لما فسق ولم يتأهب للموت بالتقوى والاستعداد فكأنه ينكره وقد يجعل المنكر كالمقر إذا كان معه دلائل وشواهد لو تأملها ارتدع عن إنكاره فلايؤكد له كقولك لمنكر الاسلام : الاسلام حق بلا تأكيد لأن مع المنكر دلائل دالة على حقية الاسلام وهذا المثال هو الذى مثل به الشيخ سعد الدين لهذه المسئلة وأما تمثيل التلخيص بقوله تعالى - لاريب فيه - فليس منه بل هو تنظير لمسئلة بتنزيل وجود الشئ منزلة عدمه بناء على وجود مايزيله فانه نزل ريب المرتابين منزلة عدمه تعويلا على مايزيله حتى صح نفى الريب على سبيل الاستغراق كما نزل الانكار منزلة عدمه لذلك حتى صح ترك التأكيد هكذا حققه الشيخ سعد الدين وقولى والنفى فيه ماسبق أى جميع ما تقدم من الاعتبارات فى الاثبات يأتى فى النفى من التجريد عن المؤكدات فى الابتداء نحو ليس زيد قائما والتقوية بمؤكد استحسانا فى الطلبى نحو مازيد بقائم ووجوب التأكيد فى الانكارى نحو والله مازيد بقائم وعلى هذا القياس :

[ثم من الاسناد مايسمى   حقيقة عقلية كأن ما
يسند فعل للذى له لدى   مخاطب وشبهه فيما بدا
كقولنا أنبت ربنا البقل   وأنبت الربيع قول من جهل
وجاء زيد مع فقد الفعل   علما وما يدعى المجاز العقلى]

الاسناد منه حقيقة عقلية ، وهى إسناد الفعل أو معناه كالمصدر واسم الفاعل والمفعول واسم التفضيل والظرف والصفة المشبهة ، وهو المراد بقولى وشبهه ، وهو معطوف على فعل إلى ماهو له عند المتكلم فى الظاهر ، وإن كان الواقع بخلاف ذلك فالمخاطب فى النظم بكسر الطاء هو المتكلم ومعنى فيما بدا

أشار به إلى قوله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه متكلما فيه بالوضع أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أنى من قريش ومقصوده الثناء على المصطفى صلى الله عليه وسلم بكمال فصاحته وفى بعض النسخ * على نبى اصطفاه الهادى * أجل الخ ومحمد علم على ذاته صلى الله عليه وسلم وسيد خلق الله أى أفضلهم وأشرفهم على الاطلاق بتفضيل من المولى سبحانه وتعالى بدليل «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» وأما ماورد من الأحاديث الدالة على نهيه عن تفضيله على غيره من الأنبياء فأجابوا عنها بأجوبة منها أنه قال ذلك تواضعا منه صلى الله عليه وسلم والعربى نسبة إلى العرب والطاهر المنزه حسا ومعنى عن شائبة وصف مخل بشئ من كماله صلى الله عليه وسلم صغيرا أو كبيرا قبل النبوة وبعدها عمدا أو سهوا والأواه كثير التأوه من خشية الله تعالى وقد ورد أنه كان يسمع لصدره صلى الله عليه وسلم أزيز كأزيز المرجل أى غليان كغليان القدر لأن الخوف على قدر المعرفة وهو أعرف خلق الله تعالى بالله . قال :

[ثم على صاحبه الصديق حبيبه وعمر الفاروق ثم أبى عمرو إمام العابدين وسطوة الله إمام الزاهدين] أقول : صاحب بمعنى صحابى وهو من اجتمع به صلى الله عليه وسلم مؤمنا به بعد نبوته حال حياته اجتماعا متعارفا وأما قولهم ومات على ذلك فبيان لثمرة الصحبة إذ تحققها لايتوقف على ذلك والصديق لقب لسيدنا أبى بكر رضى الله عنه

واسمه عبدالله وهو قرشى يلتقى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مرة بن كعب. من كلامه رضى الله عنه أكيس الكيس التقى وأحمق الحمق الفجور وأصدق الصدق الأمانة وأكذب الكذب الخيانة وكان رضى الله تعالى عنه يأخذ بطرف لسانه

ويقول هذا الذى أوردنى الموارد وكان يشمّ من فيه رائحة الكبد المشوىّ لشدّة خوفه رضى الله عنه وعمر الفاروق هو سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه لقب بالفاروق لفرقه بين الحق والباطل يجتمع نسبه مع النبى صلى الله عليه وسلم فى كعب من كلامه رضى الله عنه من خاف من الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد وكان يأخذ اللبنة من الأرض ويقول ياليتنى كنت هذه اللبنة ليتنى لم أخلق ليت أمى لم تلدنى ليتنى لم أك شيئا ليتنى كنت نسيا منسيا وكان يحمل جراب الدقيق على ظهره للأرامل والأيتام فقال له بعضهم دعنى أحمله عنك فقال له ومن يحمل عنى يوم القيامة ذنوبى رضى الله عنه. وأبو عمرو المراد به سيدنا عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه يجتمع نسبه مع النبى صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف وكان رضى الله تعالى عنه شديد الحياء وكان يصوم النهار ويقوم الليل إلا هجعة من أوله وكان يختم القرآن فى ركعة واحدة كثيرا وكان إذا مرّ على المقبرة بكى حتى يبلّ لحيته رضى الله تعالى عنه. وسطوة الله إمام الزاهدين المراد به سيدنا على بن أبى

أى فيما ظهر من حاله فأقسامها أربعة : الأوّل ماطابق الواقع والاعتقاد كقولنا أى المؤمنين أنبت الله البقل . الثانى ماطابق الاعتقاد فقط كقول الجاهل أى الكافر أنبت الربيع البقل . الثالث ماطابق الواقع فقط كقول المعتزلى لمن لايعرف حاله وهو يخفيها منه خلق الله الأفعال كلها ولم يمثل لهذا القسم فى التلخيص ولا فى النظم . الرابع مالا يطابق الواقع ولا الاعتقاد كقولك جاء زيد والحال أنك عالم بأنه لم يجئ دون المخاطب وهو معنى قولى مع فقد الفعل علما أى مع علمك بفقد الفعل وهو المجىء الذى نسبته إليه وقولى ومايدعى المجاز العقلى يأتى شرحه مع مابعده :

[إسناده إلى الذى ليس له — بل لملابس وقد أوّله
وأنه يلابس الفاعل مع — مفعوله ومصدر وما اتبع
من الزمان والمكان والسبب — فهو إلى المفعول غير ماانتصب
وفاعل أصل وغير ذا مجاز — كعيشة راضية إذا تجاز
والسيل مفعم وليل سارى — وجدّ جدّهم ونهر جارى
وقد بنيت مسجدا وقائل — أوّله يخرج قول الجاهل
من ثم لم يحمل على ذا الحكم — أشاب كرّ الدهر دون علم
فقل مجاز قول فضل الألمى — ميز عنه قنزعا عن قنزع
جذب الليالى أبطئى أوأسرعى — لقوله عقيب هذا المطلع
أفناه قيل الله للشمس اطلعى — حتى إذا واراك أفق فارجعى]

من الاسناد مايسمى بالمجاز العقلى وهو إسناده أى الفعل وشبهه إلى ماليس له بل لملابسه بتأويل بأن تنصب قرينة صارفة عن أن يكون الاسناد إلى ماهو له فعرف أن معنى كونه ليس له أى عند المتكلم فى الظاهر كما تقدم فى الحقيقة فخرج مامر من قول الجاهل أنبت الربيع البقل فانه وإن كان إسنادا إلى ماليس له فى الواقع لكن لا تأوّل فيه لأنه مراده ومعتقده وهذا معنى قولى وقائل أوّله إلى آخره ومن أجل ذلك أى خروج قول الجاهل عن المجاز لاشتراط التأويل لم يحمل عليه أى المجاز قوله :

أشاب الصغير وأفنى الكبير — كرّ الغداة ومرّ العشى

حيث أسند أشاب وأفنى إلى الكرّ والمرّ مالم يعلم أو يظنّ أن قائله لم يعتقد ظاهره لاحتمال أن يكون معتقدا له فيكون حقيقة كقول الجاهل ولذا حكمنا بالمجاز على قول أبى النجم واسمه فضل :

ميز عنه قنزعا عن قنزع — جذب الليالى أبطئى أوأسرعى

حيث أسند ميز المكنى به عن الشيب فى الرأس إلى جذب الليالى أى مضيها لقوله بعد ذلك :

أفناه قيل الله للشمس اطلعى — حتى إذا واراك أفق فارجعى

فانه دلّ على أنه يعتقد فعل الله تعالى وأنه المبدئ المعيد والمنشئ والمفنى فيكون الاسناد هناك على تأويل أنه زمان أوسبب . قلت وقد وقفت على القصيدة التى منها أشاب الصغير البيت ومن جملة أبياتها :

فملتنا أننا المسلمون — على دين صديقنا والنبى

كذا أورده المبرد فى الكامل وعزى القصيدة إلى الصلتان العبدى فعلم بذلك حمله على المجاز . ثم إن الفعل له ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والسبب ولم يتعرض للمفعول

للفعول معه والحال ونحوهما لأنه لايسند إليها فاسناده إلى الفاعل والمفعول به إذا كان مبنيا للمفعول حقيقة وهو المراد بقولى غـير ما انتصب أى الذى ارتفع و إسناده إلى غيرهما وهو المفعول المنتصب والبواقى مجاز مثال إسناده إلى المفعول وهو مبنى للفاعل عيشة راضية و إنما هى مرضية وللفاعل وهو مبنى للمفعول سيل مفعم بفتح العين و إنما هو مفعم بكسرها لأنه يفعم الوادى أى يملؤه ومثاله للصدر جد جـدهم وهو أحسن من تمثيل التلخيص بقوله شعر شاعر لأن الشعر هنا بمعنى المفعول ولذلك عدلت عنه ومثاله للزمان ليل سار و إنما هو مسرى فيه ونهاره صائم و إنما هو مصوم فيه ومثاله للمكان نهر جار و إنما الماء جار فيـه ومثاله للسبب بنيت مسجدا إذا كنت السبب فى بنائه والآمر به .

[أقسامه حقيقتان الطرفان   أو فمجازان كذا مختلفان
كأنبت البقل شباب العصر   والأرض أحياها ربيع الدهر]

أقسام المجاز العقلى باعتبار الطرفين أى المسند والمسند إليه أربعة لأنهما إما حقيقتان أومجازان أوالأول حقيقة والثانى مجاز أو بالعكس مثال الأول أنبت الربيع البقل والثانى أحيا الأرض شباب العصر أى الزمان لأن المراد باحيائها نضارتها بأنواع الرياحين والنبات والإحياء فى الحقيقة إعطاء الحياة وهى صفة تقتضى الحس والحركة وكذا المراد بشباب الزمان ازدياد قوته النامية وهو فى الحقيقة عبارة عن كون الحيوان فى زمان كون حرارته الغريزية مشبوبة أى قوية مشتعلة ومثال ماالمسند فيـه حقيقة والآخر مجاز قولى * أنبت البقل شباب العصر * ومثال عكسه قولى أحيا الأرض الربيع فالمثالان فى البيت للمختلفين .

[وشاع فى الانشاء والقرآن   يقول ياهامان مثل ذان]

وقع المجاز العقلى فى القرآن كثيرا وفى الإنشاء فلايختص بالخبر قال تعالى ياهامان ابن لى صرحا فان البناء فعل العملة وهامان سبب آمر ومن وقوعه فى القرآن قوله تعالى ـ و إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، يذبح أبناءهم ، يوما يجعل الولدان شيبا ـ

[وشرطه قرينـة تقال   أو معنوية كما يحال
قيامه فى عادة بالمسـنـد   أوعقل أو يصدر من موحد
كهزم الأمير جنده الغوى   وجاءبى إليك حبك القوى]

لابد للمجاز من قرينة صارفة عن إرادة ظاهره إمالفظية وهو المراد بقولى تقال كما تقدم فى بيت أبى النجم أومعنوية كاستحالة قيام المسند بالمسند إليه عقلا نحو محبتك جاءت بى إليك لظهور استحالة قيام المجىء بالمحبة أو عادة نحو هزم الأمير الجند لاستحالة قيام هزم الجند بالأمير وحده عادة و إن كان ممكنا عقلا أوصدوره من الموحد فى مثل أشاب الصغير البيت وأنبت الربيع البقل .

[وفهم أصلـه يكون واضحا   كربحت تجارة أى ربحا
وذا خفا كسرتنى منظركا   أى سرنى الله لدى رؤيتكا]

الفعل فى المجاز العقلى يجب أن يكون له فاعل أومفعول به إذا أسند إليه يكون حقيقة فمعرفة ذاك قد تـكون ظاهرة كقوله تعالى فما ربحت تجارتهم أى فما ربحوا فى تجارتهم وقد تـكون خفية لاتظهر إلابعد نظر وتأمل نحو سرتنى رؤيتك أى سرنى الله وقت رؤيتك .

طالب كرم الله وجهه وعبر عنه بالسطوة لشدة بأسه على أهل الزيغ و بما بعده لشدة إعراضه عن الدنيا كان رضى الله عنه يقول الدنيا جيفة فمن أراد منهاشيئا فليصبر على مخالطة الكلاب وكان يخاطب الدنيا ويقول يادنيا غرّى غيرى فقد طلقتك ثلاثا عمرك قصير ومجلسك حقير وخطرك كبير آه آه من قلة الزاد و بعد السفر ووحشة الطريق وكان يقول مانلت من دنياك فلا تكثر به فرحا ومافاتك منها فلا تأس عليـه حزنا وليكن همك فيما بعد الموت رضى الله تعالى عنه . قال :

[ثم على بقية الصحابه   ذوى التقى والفضـل والانابه
والجدوالفرصةوالبراعه   والحزم والنجـدة والشجاعه
ماعكف القلب على القرآن   مرتقيا لحضرة العرفان]

أقول : التقى من قولهم وقاه فاتقى والوقاية الحفظ والمتقى من يقى نفسه أى يحفظها عما يضرها فى الآخرة وللتقوى مراتب الأولى التوقى عن العذاب الأبدى وهى حاصلة بعدم الشرك بالله تعالى والثانية التنزه عن كل مأثم فعلا أوتركا والثالثة التنزه عما يشغل السر من الأكوان عن الحق جل جلاله وهذا القسم مطلوب للولى من عبيده بقوله اتقوا الله حق تقاته لأنه تعالى لايقبل على القلب المشترك والفضل الزيادة فى الخير والانابة الرجوع إليه سبحانه وتعالى والمجد الكرم والفرصة من قولهم فرصت الرجل وأفرصته إذا أعطيته فهى بمعنى العطية والبراعة من برع

الرجل بالفتح والضم براعة إذافاق أصحابه فى العلم وغيره والحزم ضبط الأمر بالاتقان وحسن التدبير والنجدة الاعانة بسرعة وتطلق على الشجاعة فعطف ما بعدها على هذا عطف مرادف ومغاير على الأول والشجاعة شدة القلب عند البأس والعكوف

الاقامة والقرآن يطلق على الصفة القديمة وليس مرادا هنا وعلى النظم المعجز الدال على متعلق الصفة القديمة لا عليها نفسها على التحقيق خلافا لظاهر عبارات جمهور المتكلمين وهو المراد هنا و بين على والقرآن مضاف وهو معانى ومعنى الاقامة على المعانى الاقامة على التأمل فيها فان ذلك هو العروة الوثقى فى الوصول إلى حالة يقف دون أولها سليمو العقول وهو ما أشار إليها بقوله مرتقيا الخ وليس مقصوده بما عكف التقييد بل المقصود هنا التأبيد . قال :

[هذا وإن درر البيان وغرر البديع والمعانى تهدى إلى موارد شريفه ونبذ بديعة لطيفه من علم أسرار اللسان العربى ودرك ماخص به من عجب

لأنه كالروح للاعراب وهو لعلم النحو كاللباب]

أقول لفظة هذا خبر لمبتدأ محذوف أى الأمر هذا أو مبتدأ والخبر محذوف أى هذا كما ذكر وهو للانتقال من كلام إلى آخر ويسمى الاقتضاب لعدم الملاءمة بين المنتقل عنه والمنتقل إليه فان كانت مناسبة سمى تخلصا كما يأتى الكلام على ذلك فى فن البديع

[ويوسف أنكر هذا جاعله كناية بأن أراد فاعله
حقيقة ونسبة الانبات له قرينة وقد أباه النقله]

يوسف السكاكى أنكر المجاز العقلى وقال الذى عندى نظمه فى سلك الاستعارة بالكناية بجعل الربيع مثلا فى المثال استعارة عن الفاعل الحقيقى بواسطة المبالغة فى التشبيه وجعل نسبة الانبات إليه الذى هو من لوازم الفاعل الحقيقى قرينة للاستعارة ورده صاحب التلخيص بوجوه لم تسلم له وليس هذا موضع بسطها ومن أحسن مارد به أنه يلزم عليه أن يتوقف أنبت الربيع البقل وشفى الطبيب المريض وسرتنى رؤيتك ونحوه مما يكون الفاعل الحقيقى فيه هو الله تعالى على وروده من الشارع لأن أسماء الله تعالى توقيفية واللازم باطل لأن مثل هذا التركيب صحيح شائع عند القائلين بأن أسماء الله تعالى توقيفية وغيرهم سمع من الشارع أم لا وهذا ردّ لا يمكن الجواب عنه .

أحوال المسند إليه

[فلاجتناب عبث قل حذفه أو لاختبار سامع هل ينبه
أو قدر فهمه وجنح لدليل أقوى هو العقل له قلت عليل
أوصونه عن ذكره أوصونكا أو لتأتى الجحدان تجنح لكا
أو كونه معينا أو ادعا أو المقام ضيق أو سمعا]

هذا باب الأحوال العارضة للمسند إليه وفيه أبحاث : البحث الأول فى حذفه ويكون لنكت . منها الاحتراز عن العبث لدلالة القرينه عليه كقول المستهل: الهلال . ومنها اختبار السامع هل يتنبه أولا ؟ ومنها اختبار مقدار تنبهه هل يتنبه بالقرائن الخفية أم لا ؟ ومنها العدول إلى أقوى الدليلين العقل واللفظ والأقوى هو العقل لأن دلالته قطعية كقوله * قال لى كيف أنت قلت عليل * لم يقل أنا عليل لذلك ومثله الطيبى بقوله تعالى: وما أدراك ماهيه نار حامية . ومنها صونه عن ذكرك له بلسانك تعظيما له كقوله :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
نجوم سماء كلما انقضّ كوكب بدا كوكب تأوى إليه كواكبه

وفى معناه قول يزيد : وإياك واسم العامرية إننى أغار عليها من فم المتكلم

وقول التلخيص إيهام صونه لا حاجة إلى لفظة إيهام لما فيها من الايهام كما قاله ابن السبكى فلذلك حذفتها . ومنها عكسه وهو صون لسانك عن ذكره تحقيرا له كقوله :

قوم إذا أكلوا أخفوا كلامهم واستوثقوا من رتاج الباب والدار

وفى معناه قول القائل: واذ كرتكم غسلت فمى ولقد علمت بأنه نجس

ومنها تأتى الانكار والجحد إذا أوخذ نحو زان سارق أى زيد ليتأتى لك أن تقول ما أردته بل غيره ومنها أن يكون معينا بأن يكون الخبر لا يصلح إلا له إما حقيقة نحو خالق لما يشاء أى الله أو ادعاء نحو يعطى بدرة ووهاب الألوف أى السلطان . ومنها ضيق المقام وهو من زيادتى وذكره فى الايضاح ومثله الطيبى فى التبيان بقوله قلت عليل . ومنها كونه سمع كذلك إذ الأمثال لا تغير وهو من زيادتى أيضا وذكره السكاكى والطيبى ومثله بقولهم. رمية من غير رام .

[وذكره للأصل أو يحتاط إذ تعويله على القرينة انتبذ

أوسامع لبس بذى تذكير　　أو كثرة الايضاح والتقرير
أو قصده تحقيره أو رفعته　　أو بركات شانه أو لذته
أو بسطه الكلام حيث يطلب　　طول المقام كالذى يستعذب]

البحث الثانى فى ذكره فيكون لنكت . منها كونه الأصل ولامقتضى للعدول عنه من قرينة أوغيرها ومنها الاحتياط لضعف التعويل على القرينة إما لضعفها أو ضعف فهم المخاطب . ومنها إيهام غباوة السامع قال الطيبى كقولك لعابد الصنم : الصنم لاتصرّف له . ومنها زيادة الايضاح والتقرير كقوله تعالى ـ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ـ . ومنها قصد تحقيره لكون اسمه ممايقتضى الاهانة نحو السارق اللئيم حاضر . ومنها تعظيمه لكون اسمه ممايدل على التعظيم نحو أمير المؤمنين حاضر . ومنها التبرك باسمه كقولك رسول الله صلى الله عليه وسلم قائل هذا القول . ومنها الاستلذاذ بذكره نحو الحبيب حاضر . ومنها بسط الكلام حيث يطلب طول المقام استعذابا له نحو هى عصاى ولذلك زاد على الجواب بقوله أتوكأ عليها وما بعده وقول التلخيص كغيره حيث الاصغاء مطلوب قال ابن السبكى فيه نظر لأن المطلوب هو الكلام المستدعى من موسى لا الاصغاء و إنما أخذ ذلك الاصغاء من جانبه تعالى فلذلك لايسمى إصغاء ولو سمى فانما المقصود كلام الله تعالى له وأن يصغى هوله وذلك لايحصل ببسط الجواب إلا أن يقال قصد تطويل المكالمة والمراجعة ولذلك عدلت إلى ماعبرت به فى النظم .

[وكونه معرفة فمضمر　　إذ المقام غائب أو حاضر
والأصل فى الخطاب أن يعينا　　مخاطب وفقد ذاك يعتنى
كقوله سبحانه ولو ترى　　لكى يعم كل شخص قديرى]

البحث الثالث فى تعريفه وذلك لنكت تظهر من جهة التعريف لأنه إما بالاضمار وذلك لكون المقام للتكلم أو الخطاب أو الغيبة ويعم الأولين قولى أوحاضر، مثال الأوّل قوله :

نحن التاركون لما سخطنا　　ونحن الآخذون لما رضينا

والثانى قوله :

وأنت الذى أخلفتنى ماوعدتنى　　وأشمت بى من كان فيك يلوم

والثالث قول أبى تمام :

يمين أبى اسحاق طالت بد العلا　　وقامت قناة الدين واشتد كاهله
هو البحر من أى النواحى أتيته　　فلجته المعروف والجود ساحله

والأصل فى الخطاب أن يكون لمعين مفردا أومثنى أوجمعا وقد لايقصد به معين ليعم كل مخاطب على سبيل البدل نحو فلان لئيم إن أكرمته أهانك وإن أحسنت إليه أساء إليك فلا تريد به مخاطبا بعينه بل تريد إن أكرم أوأحسن إليه فتخرجه فى صورة الخطاب ليعم فان معاملته لاتختص بواحد دون آخر ومنه قوله تعالى ولو ترى إذ وقفوا على النار ونحوه من الآيات أخرج فى صورة الخطاب ليعم إذ المراد أن حالهم تناهت فى الظهور بحيث لايختص براء دون آخر فلايختص بالخطاب مخاطب دون مخاطب بل كل من تتأتى منه الرؤية فله مدخل فيه وكذلك حديث «بشر المشائين فى الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة» رواه ابن ماجه ونحوه .

[وعلم لأجل أن يحضر فى　　ذهن بعينه باسمه الوفى

إن شاء الله تعالى والواو فى وإنّ واو الحال ودرر البيان أراد بها مسائل علم البيان المعنىّ به إدراك المسائل على سبيل الاستعارة المصرحة وغرر البديع والمعانى كذلك نظرا للأصل فى معنى الغرة ويحتمل أن يكون المراد بالبيان وتاليبه المسائل فالاضافة من قبيل لجين الماء وسيأتى تحقيق معنى العلم فى أول الفن الأول وتهدى توصل والموارد جمع مورد مرادا به المعنى سمى بذلك لورود الأفكار عليه لتشتفى من ظمأ الجهل كالمورد المحسوس الشافى من حرارة الكبد فالموارد استعارة مصرحة ونبذ جمع نبذة مرادا بها بعض المعنى و بديعة بمعنى حسنة ولطيفة دقيقة ومن علم متعلق بموارد من تبعيضية وعلم اللسان العربى علم اللغة وأسراره دقائقه ودرك بمعنى إدراك معطوف على موارد وما واقعة على المعانى الدقيقة التى خص بها اللسان العربى ومن عجب بيان لها والعجب بمعنى العجيب أى مايتعجب منه للطافته وقوله لأنه أى المذكور من البيان وتاليبه مراده بالاعراب المعرب ولباب كل شىء خالصه ومعنى كون هذه الفنون أى مؤداها كالروح للمعرب من الكلمات أنها موصلة إلى معرفة المزايا الزائدة على معانى الكلمات الأصلية التى هى خواص التراكيب كالمطابقة لمقتضى الحال وهذا هو محط نظر البلغاء فالكلمات المعربة المجردة عن هذه الخواص كالأشباح الخالية عن الأرواح فليست معتبرة بدونها كما

أن الجسم لايعتبر بدون الروح فالخواص للكلمات بمنزلة الأرواح للأشباح فنى كلامه الحكم على الشىء بحكم مؤداه ويحتمل
أن يكون المراد بالاعراب العلم الباحث عنه وهو النحو فيكون الحكم على البيان وما معه لاعلى المؤدى
ويكون المصنف قد جعل له منزلتين الأولى منزلة الروح من الجسم والثانية منزلة اللباب من القشر ومراده بهذه الأبيات مدح هذا الفن المتضمن مدح كتابه وهذا الفن جدير بذلك إذ لاتدرك دقائق التفسير وما اشتمل عليه من الاعتبارات اللطيفة إلا بواسطة مراعاة هذا الفن فهو من أعظم آلات العلوم الشرعية ولذلك كان الاشتغال به فرض كفاية . واعلم أن تعريف كل علم يأتى فى أوله وموضوع كل الكلمات العربية من الحيثيات الآتية والواضع له الشيخ عبد القاهر والاسم يأتى فى آخر المقدمة ومادته من أسرار العربية وتقدم حكمه وستأتى مسائل كل ، وفضيلته إدراك معجزة القرآن به، ونسبته تقدمت فى قوله لأنه كالروح الخ، وفائدته تأتى عندقوله وحافظ الخ . قال : [وقد دعا بعض من الطلاب ●
لرجز يهدى إلى الصواب نجته برجز مفيد * مهذب منقح سديد ملتقطا من درر التلخيص * والتشويق
جواهرا بديعة التخليص سلكت ما أبدى من الترتيب * وما ألوت الجهد فى التهذيب] أقول: دعا بمعنى طلب فاللام فى قوله لرجز

● فى الابتدا كقل هو الله أحد أو لكناية ورفعة وضد]

من طرق التعريف العلمية وذلك لنكت . منها إحضاره بعينه فى ذهن السامع ابتداء باسمه الخاص به فاحترز بعينه أى شخصه عن إحضاره باسم جنسه وباسمه عن إحضاره بضميره أو إشارة أو غيرها مثال ذلك قوله تعالى ـ قل هو الله أحد ـ . ومنها الكناية عن معنى يصلح له العلم نحو أبو لهب فعل كذا كناية عن كونه جهنميا . ومنها تعظيمه أو اهانته لكونه من الأعلام المحمودة أو المذمومة . ومنها التبرك بذكره والاستلذاذ به وهما المذكوران فى أول البيت الآتى .

[أو لتبرك ولذة وما يوصل للتقرير أو إن نخما
أو فقد علم سامع غير الصلة كأن ما أهدى إليك يعمله
أو هجنة التصريح بالاسم كذا تنبيهه على الخطا ونحوذا
أو لإشارة إلى وجه البنا لخبر وقد يكون ذا هنا
ذريعة لرفع شأن المسند أو غيره أو لسواه وزد
ذريعة لأجل تحقيق الخبر وقال فى الايضاح فى هذا نظر]

من طرق التعريف كونه موصولا وذلك لنكت . منها زيادة التقرير نحو ـ وراودته التى هو فى بيتها ـ عدل عن اسمها وهو زليخا أو راعيل زيادة لتقرير المراودة بذكر السبب وهو كونه فى بيتها وقال الفرزدق :

أتحبسنى بين المدينة والتى إليها رقاب الناس يهوى منيبها

أى مكة وعدل زيادة للانكار مشيرا إلى أن هذا المكان لايصلح إلا للانابة والخضوع لا للتجبر والعدوان . ومنها التفخيم نحو فغشيهم من اليم ماغشيهم . ومنها كون المخاطب لايعلم من أحواله شيئا غير الصلة كقولك الذى كان معنا أمس رجل عالم والتى أهداها إليك فلان يعملة وهى الناقة القوية الجمولة . ومنها استهجان ذكر الاسم إذا كان مما يستهجن وله صفة كمال كقولك الذى يعلم الفقه رجل نبيه . ومنها تنبيه المخاطب على خطئه كقوله :

إن الذين ترونهم إخوانكم يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا

ومنها الاشارة إلى وجه بناء المسند على المسند إليه بأن يذكر فى الصلة ما يناسبه نحو ـ إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ـ فان الاستكبار الذى تضمنته الصلة مناسب لإسناد سيدخلون جهنم داخرين أى ذليلين إلى الموصول وربما يكون ذريعة إلى التعريض بتعظيم شأن المسند وهو الخبر نحو :

إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول

فان ذكر الصلة التى هى سمك السماء مشعر بتعظيم المبنى عليه وهو البيت الذى بناه سامك السماء ورافعها أو تعظيم غيره نحو ـ الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين ـ فانه قصد به تعظيم شأن شعيب صلى الله عليه وسلم ونحو الذى يرافقك يستحق الاجلال والرفع فيه تعظيم المخاطب وقولى أو لسواه من زيادتى أى وقد يكون ذريعة لسوى ماذكر كالإهانة نحو الذى يرافقك يستحق الإذلال والصفع وكالتسلية كقول أبى العلاء :

إن الذى الوحشة فى داره تؤنسه الرحمة فى لحده

زائدة والرجز نوع من الشعر أجزاؤه مستفعلن ست مرات ثانى دائرة المشتبه منفكا عن أولها من سبعى مفاعيلن وهذه المنظومة وما أشبهها من مشطور الرجز وفى كونه عروضا أوضربا أقوال تعلم من علم العروض . والصواب كلام طابق حكمه الواقع من غير اعتبار المطابقة من جانب بخصوصه بخلاف الحق فانه ماطابق الواقع باعتبار نسبة الواقع إليه وبخلاف الصدق فانه ماطابق الواقع باعتبار نسبته إلى الواقع ويقابل الأول الخطأ والثانى الباطل والثالث الكذب ورجز مفيد يحتمل أنه مجاز عقلى مما بنى الفعل فيه للفاعل وأسند إلى المفعول كعيشة راضية لأن الرجز مفاد لا مفيد ويحتمل أن يكون من باب الاستعارة بالكناية والتخييلية بأن جعل الانسان المضمر المرموز إليه بمفيد أو التشبيه المضمر فى النفس أو الرجز المدعى أنه من أفراد الانسان المشبه به استعارة بالكناية على المذاهب فيها و إثبات اللازم وهو مفيد استعارة تخييلية ومهذب أى مصفى من شائبة ما لا فائدة فيه ومنقح بعده بمعناه وسديد بمعنى أنه لاخلل فيه وأتى به لدفع توهم خلل فى المعنى ناشىء عن الايجاز الناشىء عن هذه الأوصاف المصرح بها فيما بعد وفيه مدح لتأليفه ليقبل فيحصل به النفع وهذه عادة المصنفين ولا بأس بذلك لصحة الغرض. والتلخيص هو مختصر

والتشويق إلى الخبر كقوله :

والذى حارت البرية فيه   حيوان مستحدث من جماد

وقولى وزد والبيت الذى بعده من زيادتى أيضا وذكر السكاكى والطيبى من نكت الموصولية أن تكون ذريعة إلى تحقيق الخبر كقوله :

إن التى ضربت بيتا مهاجرة   بكوفة الجند غالت ودها غول

قال فى الايضاح : وفيه نظر لأنه لايظهر فرق بين الايماء إلى وجه بناء الخبر وتحقيق الخبر. وأجاب ابن السبكى عنه بأن الفرق واضح فان الايماء إلى وجه بنائه أن يذكر ما يناسبه وتحقيقه أن يذكر ما يحقق وقوعه بأى نوع كان والفرق بين بناء الشىء على غيره وتحقيقه واضح .

[واسم إشارة لكى يميزا   أكمل تمييز كهذا من غزا
كذا التعريض بأن السامع   مستبلد كاليت ذى المجامع
أو لبيان حاله من قرب   أو بعد أو تحقيره بالقرب
أو رفعه بالبعد أو تحقر   أو كونه بالوصف بعده حرى
أو لم يكن بغير ذاك يعرف   قد زاده على المواضى يوسف]

من طرق التعريف كونه اسم إشارة وذلك لنكت : منها أن يقصد تمييزه أكمل تمييز لاحضاره فى ذهن السامع حسا بالاشارة كقول الفرزدق فى زين العابدين رضى الله تعالى عنه :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته   والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم   هذا التقى النقى الطاهر العلم

وكقول ابن الرومى :

هذا أبو الصقر فردا فى محاسنه   من نسل شيبان بين الضال والسلم

ومنها التعريض ببلادة المخاطب وغباوته حتى إنه لايتميز له الشىء إلابالإشارة إليه كقول الفرزدق يخاطب جريرا :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم   إذا جمعتنا يا جرير المجامع

ومنها بيان حال المشار إليه من قرب أو بعد كقولك للقريب هذا زيد وللبعيد ذلك زيد وذكر فى التلخيص وغيره التوسط وتركته لأن المختار عندى تبعا لسيبويه وابن مالك أنه ليس لاسم الاشارة إلامرتبتان و إن مشينا على طريق أهل البيان أمكن دخوله فى العبارة . ومنها قصد تحقيره بقربه كقوله تعالى حكاية عن الكفار ـ أهذا الذى يذكر آلهتكم ـ . ومنها قصد تعظيمه بالبعد نحو ذلك الكتاب . ومنها قصد تحقيره بالبعد نحو ذلك اللعين فعل كذا ومثله الطيبى بقوله تعالى ـ فذلك الذى يدع اليتيم ـ ومنها التنبيه بعد ذكر المشار إليه بأوصاف قبله على أنه جدير بما يرد بعده من أجلها نحو ـ أولئك على هدى ـ الآية فذكر الأوصاف بعد الذين ونبه باسم الإشارة على أن المشار إليه وهو الذين جدير بذلك . ومنها أن لا يكون طريق إلى معرفة المسند إليه إلا باسم الاشارة وهذا من زيادتى وقد ذكره السكاكى فى المفتاح. وبقى من النكت قصد تعظيمه بالقرب نحو ـ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ـ :

[ثم بأل إشارة لما عهد   أو لحقيقة وربما ترد

الخطيب القزوينى للقسم الثالث من المفتاح للسكاكى ودرره مسائله التى يشتمل عليها فالدر أى الجواهر أو استعمالها استعارة تصريحية ومن تبعيضية وجواهر معمول للمتقطا و بديعة التلخيص حسيته . ومعنى البيت أنه لم يأخذ جميع مسائل التلخيص وإعـ... أخذ بعضها وقوله ... سلكت ما أبدى من ... الترتيب . يعنى أنه رتب مؤلفه ترتيبه مثل ترتيب تلخيص المفتاح وقوله وما ألوت الجهد أى ما منعته والجهد بالضم الطاقة والتهذيب التصفية . قال :

[سميته بالجوهر المكنون
في صدف الثلاثة الفنون
والله أرجو أن يكون نافعا
لكل من يقرؤه ورافعا
وأن يكون فاتحا للباب
لجملة الإخوان والأصحاب]

أقول : ضمير سميته يرجع إلى المؤلف المفهوم من السياق وسمى يتعدى لمفعولين تارة بنفسه وتارة للثانى بالباء كما هنا والجوهر إلى آخر البيت هو اسم هذا الكتاب والمكنون المستور والصدف وعاء الجوهر والثلاثة بدل مما قبله والفنون جمع فن وهو النوع من كل شئ والمراد هنا علم المعانى والبيان والبديع والرجاء الأمل وقدم المعمول للاختصاص وقوله يقرؤه أى على غيره أو لغيره ورافعا له على غيره من أقرانه وقوله للباب عجبت أى باب الفهم للكتب المطولة فى هذا العلم ولا يخفى ما فيه من التواضع حيث جعل كتابه وسيلة غير مقصود والإخوان جمع أخ

لواحد لعهده فى الذهن ... نحو ادخل السوق ولا عهد عنى
كالنكر معنى ولأفراد تعم ... حقيقة كعالم الغيب قيلم
ومنه عرفى وعموم المفرد ... أشمل إذ صح وجود مفرد
ورجلين مع قول لا رجال ... فى الدار دون ما إذا فرد يقال
لا تنافى بين الاستغراق ... وبين الافراد بالاتفاق
لأنه يدخل مع قطع النظر ... عن وحدة وبالاضافة استقر]

التعريف بالألف واللام يكون لنكت . منها الإشارة إلى معهود لما لفظا نحو فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة ، كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول أو تقديرا نحو وليس الذكر كالأنثى : أى ليس الذكر الذى طلبت كالأنثى التى وهبت والذكر فى قوله ـ إنى نذرت لك ما فى بطنى محررا لاستلزام التحرر الذكر إذ لم يكونوا ينذرون تحرير الاناث أو حسا وهو مبصر كقولك لمن سدد سهما القرطاس أو علما نحو : إذ هما فى الغار ، بالواد المقدس ، إذ يبايعونك تحت الشجرة . ومنها الاشارة إلى نفس الحقيقة نحو الرجل خير من المرأة : أى حقيقة الرجل من حيث هى وقوله تعالى ـ وجعلنا من الماء كل شئ حى ـ وقول أبى العلاء :

والخل كالماء يبدى لى ضمائره ... مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

وقد يراد بهذا واحد باعتبار عهديته فى الذهن كقولك ادخل السوق حيث لا عهد فان الدخول إنما يكون فى سوق واحد وكذا قولك ابتداء دخلت السوق فى بلد كذا وهذا فى المعنى كالنكرة إذ لم يكن لمعين يعرفه المخاطب فصار شائعا بحسب الظاهر ولهذا يوصف بالجمل قال تعالى ـ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ـ وقال الشاعر :

ولقد أمر على اللئيم يسبنى ... فمضيت ثمت قلت لا يعنينى

ومنها استغراق الأفراد إما حقيقة كعالم الغيب والشهادة : أى كل غيب وكل شهادة أو عرفا نحو جمع الأمير الصاغة : أى صاغة بلده لا كل صاغة ثم الاستغراق فى المفرد أشمل من الجمع ولذلك كان قولك لا رجال فى الدار يصدق إذا كان فيها رجل أو رجلان بخلاف قولك لا رجل فيها . فان قيل إفراد الاسم يدل على الوحدة والاستغراق على التعدد فيتنافيان . فالجواب أن الحرف إنما يدخل عليه عند إرادة الاستغراق مجردا مقطوع النظر عن الوحدة والتعدد . وقولى وبالاضافة استقر متعلق بالأبيات الآتية :

[للاختصار أو لتعظيم المضاف ... إليه أو مضاف هذا أو خلاف
هذين أو إهانة كعبدى ... عبد إمام المسلمين عندى
قلت والاستغراق لكن سكتوا ... عنه ومن أل ذا بهذى أثبت
ويوسف رأى الإشارة إلى ... نوع مجاز وترقى جبلا]

تعريفه بالاضافة لنكت . منها أن تكون أخصر طريق والمقام يقتضى الاختصار كقوله :

هواى مع الركب اليمانين مصعد ... جنيب وجثمانى بمكة موثق

فانه أخصر من قوله الذى أهواه أو الذى قلبى إليه مائل والمقام مقتض لذلك فان جعفر بن علية قاله حين حبس بمكة وحال المحبوسين ضيق ، وبعده :

فى الله لا من النسب وجمعه من النسب إخوة والأصحاب جمع صاحب ومقصوده تعميم النفع وقد أخبرنا شيخنا سيدى عبد الله المغربى القصرى عن أشياخه أن المصنف كان مجاب الدعوة وقد شاهدنا ذلك نفعنا الله به قال :

عجبت لمسراها وأنى تخلصت ... إلى وباب السجن دونى مغلق

ومما يدخل فى الاختصار أن يغنى عن تفصيل كقوله :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل

فانه لو عددهم لطال . ومنها تعظيم المضاف إليه نحو عبدى فعل كذا تعظيما لك بأن لك عبدا أو المضاف نحو – إن عبادى ليس لك عليهم سلطان – ، ومنه قولى عبد إمام المسلمين أو خلاف هذين كقولى عبد إمام المسلمين عندى لتعظيمك بحضور عبد الخليفة عندك . ومنها التحقير كقولك عبد الحجام حضر وهو المراد بقولى أو إهانة ، ومنها الاستغراق ولم يذكروه قال ابن السبكى عجبت من أهل هذا الشأن كيف لم يذكروا إرادة الاستغراق من الاضافة وهى من أدوات العموم كما أن أداة التعريف كذلك بل عموم الاضافة أبلغ ، ومنها الاشارة إلى مجاز لطيف كقوله :

إذا كوكب الخرقاء لاح بسحرة ... سهيل أذاعت غزلها فى القرائب

أضاف الكوكب إلى الخرقاء يعنى أنها تنام إلى طلوعه وقت الصبح فعند ذلك تشعر بالبرد فتفرق غزلها على القرائب ذكره السكاكى ، ومنها الترقق ذكره السكاكى أيضا كقولك محبك على الباب وهذان البيتان من زيادتى كما ميزت بقلت :

[ودونه نكرة لوحدته ... كرجل نوعية أو رفعته
أو ضدها أو كثرة أو قلته ... وقد أتى لرفعة وكثرته
قد كذبت رسل مثال فافهم ... وغيره نكر قصدا لعظم
نحو بحرب ولضد ظنا ... والنوع والافراد حقا عنا
فى دابة من ماء الذى تلى ... أو قصد العموم إن نفيا ولى
أو لتجاهل أو أن لايدركا ... ذو القول والسامع غير ذلكا]

البحث الرابع فى تنكيره ، وذلك لأمور . منها الافراد نحو – وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى – أى رجل واحد . ومنها النوعية بأن يراد به نوع يخالف الأنواع المعهودة نحو – وعلى أبصارهم غشاوة – أى نوع غريب من الغشاوة لايتعارفه الناس بحيث غطى مالايغطيه شئ من الغشاوات . ومنها تعظيمه بمعنى أنه أعظم من أن يعين . ومنها التحقير بمعنى انحطاط شأنه إلى حد لايمكن أن يعرف واجتمعا فى قوله :

له حاجب فى كل أمر يشينه ... وليس له عن طالب العرف حاجب

أى له حاجب عظيم وليس له حاجب حقير فكيف بالعظيم . ومنها التكثير بمعنى أن ذلك الشئ كثير حتى أنه لايحتاج الى تعريف نحو إن له لابلا وإن له لغنما وقوله تعالى – قالوا أئن لنا لأجرا – . ومنها التقليل نحو – ورضوان من الله أكبر – أى رضوان من الله قليل أكبر وقد يجتمع التعظيم والتكثير نحو – فقد كذبت رسل من قبلك – أى رسل عظام ذوو عدد كثير وقد ينكر غير المسند إليه للتعظيم نحو – فأذنوا بحرب من الله – وللتحقير نحو – إن نظن إلا ظنا – وللنوعية والافراد واجتمعا فى قوله تعالى – والله خلق كل دابة من ماء – ولقصد العموم بعد النفى لأن النكرة فى سياق النفى تعم وهذا وما بعده من زيادتى . وللتجاهل وإيهام أنك لاتعرف شخصه كقولك هل لكم فى حيوان على صورة إنسان يقول كذا أو أن لايعرف المتكلم أو السامع من حقيقته غير ذلك :

[المقدمة]

أقول : رتب المصنف كتابه كأصله على مقدمة وثلاثة فنون فجعل الخاتمة داخلة فى فن البديع وهو الوجه بدليل كلام صاحب الأصل فى الايضاح وقال بعض شارحى الأصل بعدم الدخول فوجه الحصر على الأول أن المذكور فى الكتاب إما أن يكون من قبيل المقاصد فى هذا الفن أولا الثانى المقدمة والأول إن كان الغرض منه الاحتراز عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد فهو الفن الأول وإلا فان كان الغرض منه الاحتراز عن التعقيد المعنوى فهو الفن الثانى وإلا فهو الفن الثالث ووجهه على الثانى أن المذكور فى الكتاب إما من قبيل المقاصد أولا فان كان من قبيل المقاصد فان كان الغرض منه الاحتراز عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد فهو الفن الأول وإن كان الغرض منه الاحتراز عن التعقيد المعنوى فهو الفن الثانى وإن كان الغرض منه معرفة وجوه تحسين الكلام فهو الفن الثالث وإن لم يكن من قبيل المقاصد فاما أن يتعلق بها تعلق السابق باللاحق أو تعلق اللاحق بالسابق فالأول هو المقدمة والثانى هو الخاتمة . فان قلت : هذا التقسيم غير شامل

للخطبة والتراجم لظهور عدم دخولها فى شىء من الأقسام مع أنها من جملة ماذكر فى الكتاب . فالجواب أن المراد بالمذكور فى الكتاب المذكور فى التقسيم ماله مدخل وخصوصية بهذا الفن فحينئذ لاتكون الخطبة ونحوها داخلة فى المقسم حتى يلزم عدم شمول الأقسام لها. والمقدمة بالكسر مأخوذة من مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة منه أى منقولة من ذلك لمناسبة بينهما لأن هذه المقدمة تقدم الانسان لمقصوده كما أن مقدمة الجيش تقدمه أى تجسره على التقدم فيكون استعمال لفظ المقدمة فى مقدمة العلم ومقدمة الكتاب حقيقة عرفية ويحتمل أنها مأخوذة منها أى مستعارة فيكون استعمالها مجازا فهى من قدم المتعدى ويحتمل أن تكون من اللازم بمعنى متقدمة وبالفتح من الأول لاغير لأن المؤلف قدمها أمام مقصوده وهى قسمان مقدمة علم ومقدمة كتاب فمقدمة العلم مايتوقف عليه الشروع فى ذلك العلم وهو تصوره بوجه ما إن أريد مجرد الشروع أو تصوره برسمه أوحده وتصور موضوعه وغايته إن أريد الشروع على بصيرة وهذه معان محضة ود كر الالفاظ لتوقف الإنباء عنها عليها لا لانها مقصودة لذاتها حتى أى لو تيسر فهم المعنى من غير ألفاظ لم يحتج إليها أصلا . ومقدمة الكتاب اسم لطائفة من كلامه قدمت أمام المقصود لارتباط له بها

(٢٠)

[ثم من القواعد المشتهره — اذا أتت نكرة مكرره
تغايرا و إن يعرّف ثانى — توافقا كذا المعرفان
شاهدها الذى رويناه مسندا — لن يغلب اليسرين عسر أبدا
ونقض السبكى ذى بأمثله — وقال ذى قاعدة مستشكله]

هذه الأبيات من زوائدى نبهت فيها على قاعدة مهمة تتعلق بالتعريف والتنكير وذكرها ابن السبكى هنا وذلك أن الاسم إذا كرّر مرّتين فان كانا نكرتين فالثانى غير الأوّل أو معرفتين أو الثانى فقط فهو عينه أو الأوّل معرفة والثانى نكرة فقولان فالأوّل والثانى كاليسر والعسر فى قوله تعالى — فانّ مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا — والثالث نحو — فيها مصباح المصباح — رسولا فعصى فرعون الرسول — والرابع كقوله :

عفونا عن بنى ذهل — وقلنا القوم إخوان
عسى الأيام أن يرجعـــن قوما كالذى كانوا

وأصل هذه القاعدة الحديث الذى أشرنا إليه فى النظم فانه جعل العسر الثانى فى الآية هو الأوّل واليسر الثانى غير الأول . وقد روى مرفوعا وموقوفا فالأول ما أخرجه الحاكم فى المستدرك من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن الحسن قال « خرج النبى صلى الله عليه وسلم يوما مسرورا فرحا وهو يضحك وهو يقول لن يغلب عسر يسرين — فان مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا — » وهذا مرسل و إسناده صحيح إلا أن مراسيل الحسن اختلف فيها فبعضهم صححها و بعضهم قال هى شبه الريح لأخذه عن كل أحد لكن يعتضد هذا بشواهد فقد قال الحاكم صحت الرواية بذلك عن عمر بن الخطاب وعن على بن أبى طالب رضى الله عنهما . قلت وأخرج عبد الرزاق فى تفسيره عن جعفر بن سليمان عن ميمون بن أبى حمزة عن إبراهيم النخعى عن ابن مسعود قال « لو كان العسر فى جحر ضب لتبعه اليسر حتى يستخرجه لن يغلب عسر يسرين لن يغلب عسر يسرين » وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه عن أبى شهاب عبد ربه عن نافع عن ميمون الأعور عن إبراهيم عن علقمة والأسود عن ابن مسعود وروى الطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو كان العسر فى جحر ضب لدخل عليه اليسر حتى يخرجه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فان مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا » وفى إسناده أبو مالك النخعى ضعيف وروى فى الأوسط من حديث أنس قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فنظر إلى جحر بحيال وجهه فقال: لو كانت العسرة تجىء حتى تدخل هذا الجحر لجاءت اليسرة حتى تخرجها ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فان مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا » فهذه شواهد يقوى بعضها بعضا قال الشيخ بهاء الدين بن السبكى وقد أكثر الحنفية من التفريع عليها فى كتبهم الفقهية . قلت وتفرع عليها عندنا أيضا فروع . منها إذا قال أنت طالق نصف طلقة وثلث طلقة فالمجزوم به وقوع طلقتين اعتبارا بكل جزء من طلقة ثم يسرى ولو باع بنصف دينار وثلث دينار وسدس دينار لم يلزمه دينار صحيح بل له دفع شىء من كل كما فى شرح المهذب ثم قال الشيخ بهاء الدين الظاهر أن هذه القاعدة غير محررة لانتقاضها بأمثلة كثيرة منها فى المعرفتين قوله تعالى — هل جزاء الاحسان إلا الاحسان — فانهما معرفتان والثانى غير الأول لأن الأول العمل والثانى الثواب — وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس —

واستماع بها فيه فالأولى معان والثانية ألفاظ فبين المقدمتين تباين والمقدمة هنا مقدمة كتاب لا أعلم خلافا لصاحب المتن فى شرحه لأنها طائفة من الكتاب وهى ألفاظ ذكرت أمام المقصود وهو المعانى والبيان والبديع لارتباط كل بما ذكره هنا من معنى الفصاحة والبلاغة وانحصار علم البلاغة فى علمى المعانى والبيان ومايلائم ذلك ولو عبر المصنف بمقدمة بالتنكير كما عبر أصله لكان صوابا إذ لاوجه للتعريف لأن طرقه أربعة العهد الخارجى أو الذهنى أو الجنس أو الاستغراق ولا يصلح المقام لشىء من ذلك بخلاف التعريف فى الفنون الثلاثة فله وجه وهو تقدم العلم بها من قوله وما من التعقيد البيتين فناسب الايراد بالتعريف . قال :

[فصاحة المفرد أن يخلص من تنافر غرابة خلف زكن]

أقول: الفصاحة فى اللغة تنبئ عن الظهور والإبانة ، يقال فصح الأعجمى إذا انطلق لسانه وخلصت لغته من اللكنة وقال تعالى حكاية عن سيدنا موسى - وأخى هرون هو أفصح منى لسانا - أى أبين منى قولا ومعناها اصطلاحا يختلف باختلاف موصوفها وموصوفها الكلمة والكلام والمتكلم يقال كلمة فصيحة وكلام فصيح فى النثر وقصيدة فصيحة فى النظم ومتكلم فصيح. وأما البلاغة فيوصف بها المتكلم والكلام فقط فيقال كلام بليغ ومتكلم بليغ ولا يقال كلمة بليغة وذكر المصنف فصاحة الكلمة وهى مقصودة بالمفرد

أى المقتولة بالقاتلة وكذا قوله تعالى - الحر بالحر - الآية وفى تعريف الثانى قوله تعالى - ومايتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لايغنى - أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير - فإن الثانى فيهما غير الأول . وفى التنكيرين قوله تعالى - يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير - فإن الثانى هو الأول - خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة - الآية . قلت : الظاهر أن هذه الآيات ونحوها لاتخرج عن القاعدة عند التأمل فإن اللام فى الاحسان فيما يظهر للجنس لا للعهد كما قال وحينئذ يكون فى المعنى كالنكرة وكذا آية النفس والحر بخلاف آية العسر فإن أل فيها إما لمعهود ذهنى وهو ماحصل له صلى الله عليه وسلم وللمسلمين من الشدة من الكفار أو للاستغراق كما يفيده الحديث وكذا آية الظن لانسلم فيها أن الثانى غير الأول بل هو عين الأول قطعا ، إذ ليس كل ظن مذموما كيف وأحكام الشريعة ظنية وكذا آية الصلح لامانع من أن يكون المراد منها الصلح المذكور وهو الذى بين الزوجين ، واستحباب الصلح فى سائر الأمور يكون مأخوذا من السنة أو من الآية بطريق القياس بل لا يجوز القول بعموم الآية وأن كل صلح خير لأن ما أحل حراما من الصلح أو حرم حلالا فهو ممنوع وكذا آية القتال ليس الثانى فيها عين الأول بلا شك لأن المراد بالأول المسئول عنه القتال الذى وقع فى سرية ابن الحضرمى سنة اثنتين من الهجرة لأنه سبب نزول الآية والمراد بالثانى جنس القتال لاذاك بعينه فتأمل هذا وخرج عليه ما أشكل عليك .

تنبيه : قال ابن السبكى المراد بذكر الاسم مرتين كونه مذكورا فى كلام واحد أو كلامين بينهما تواصل بأن يكون أحدهما معطوفا على الآخر أوله به تعلق ظاهر وتناسب واضح . قلت وعلى هذا لاترد الآية التى أوردها وهى قوله تعالى - وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به - لأن الكتاب الثانى غير الأول لما يظهر من أن الثانى مستقل بالنسبة إلى الأول وقد يقال إن اللام فى الأول للعهد وهو القرآن وفى الثانى للجنس فيكون فى حكم النكرة معنى .

[ووصفه للكشف والتخصيص أو ... تأكد والمدح والذم رأوا
وكونه أكد للتقرير مع ... توهم المجاز والسهو اندفع
أو عدم الشمول والبيان قر ... لكشفه نحو أبو حفص عمر
والعطف لتفصيل بالايجاز فى ... ذا الباب والمسند أو رد نفى
به الخطا فى جا أبوك لا الأجل ... أوصرف حكم للسوى فى عطف بل
والشك والتشكيك قلت أوسوى ... ذلك مما حرف عطف قد حوى
وبدل الشىء وبعض واشتمال ... لزيد تقرير وإيضاح يقال]

البحث الخامس فى إتباعه . فأما وصفه فلأمور منها كشفه بأن يكون يحتاج إلى كشف معناه كقوله تعالى - هدى للمتقين الذين يؤمنون - الآية وكقولك الجسم الطويل العريض العميق يحتاج إلى فراغ يشغله ، وقول أوس :

الألمعى الذى يظن بك الظن ... ن كأن قد رأى وقد سمعا

ومنها تخصيصه بصفة تميزه نحو زيد التاجر عندك ومنها تأكيده نحو - لاتتخذوا إلهين اثنين - وقولك أمس الدابر كان يوما عظيما . ومنها مدحه نحو : الحمد لله رب العالمين الآيتين ومنها ذمه نحو - فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم - . وأما تأكيده فلارادة التقرير نحو قمت أنت ولدفع توهم المجاز أو السهو نحو جاء السلطان أو الجيش نفسه لئلا يتوهم مجىء طلائعه أو أنك سهوت فى ذلك ودفع توهم عدم

الشمول نحو جاء القوم كلهم . وأما اتباعه بعطف البيان فلكشفه وإيضاحه باسم مختص به نحو
* أقسم بالله أبو حفص عمر * وقدم صديقك خالد . وأما العطف فلتفصيل المسند إليه باختصار نحو
جاء زيد وعمرو أو المسند نحو زيد قائم وقاعد أو رد السامع إلى الصواب في العطف بلا نحو جاء
زيد لا عمرو أو صرف الحكم إلى آخر في العطف ببل نحو جاء زيد بل عمرو أو الشك من المتكلم
أو التشكيك للسامع نحو جاء زيد أو عمرو أو غير ذلك من المعاني التي يقتضيها سائر حروف العطف
كما نبهت عليه من زيادتي وذكرها ابن السبكي كالتخيير والاباحة والتقسيم والفورية والمهلة والغاية
وغيرها . وأما الابدال منه فلزيادة التقرير وفائدته المبالغة نحو اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين
أنعمت عليهم أبدل ليكون شهادة للصراط بالاستقامة على أبلغ وجه لأنه إذا طرق السمع أولا
مبهما ثم عقب بالتفسير تمكن عنده وكذا بدل البعض نحو جاء القوم أكثرهم . والاشتمال نحو
سلب عمرو ثوبه . وأما بدل الغلط فلا يرد هنا لأنه خارج عن الفصاحة ولم يتعرض أهل هذا الفن
لبدل الكل من البعض وكأنه لانكار الجمهور من النحاة له ، وقد أجازه بعضهم مستدلا بقوله :

رحم الله أعظما دفنوها ... بسجستان طلحة الطلحات

فطلحة بدل من أعظما وهي بعضه وهذا الرأي هو المختار عندي وفي القرآن ما يدل له . قال تعالى
ـ فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا جنات عدن ـ جنات أعربت بدلا من الجنة ولا شك أنه
بدل كل من بعض وحينئذ فنكتته البيانية تقرير خلودهم وإقامتهم بكونها عدنا وأنها من موعود
الرحمن الذي لا يخلف وعده ولتقرير أنها جنات كثيرة لا جنة واحدة كما رواه البخاري من حديث
أنس قال «أصيب حارثة يوم بدر ، فقالت أمه يا رسول الله قد علمت منزلة حارثة مني فإن يكن في
الجنة صبرت وإن يكن غير ذلك ترى ما أصنع فقال ليست جنة واحدة إنها جنات كثيرة وإنه في
الفردوس الأعلى» :

[والفصل تخصيصا له بالمسند ... والميز من نعت ولتأكد]

هذا النوع داخل في البحث الخامس وهو فصل المبتدأ وما في معناه بضمير الفصل ويكون لنكت .
منها أن يقصد تخصيص المسند إليه بالمسند نحو ـ وأولئك هم المفلحون ـ أي لا غيرهم ـ إن ربك
هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ـ أي لا غيره فالله هو الولي أي لا غيره ، وعلى
هذا اقتصر في التلخيص وزدت أمرين آخرين . أحدهما الدلالة على أن ما بعده خبر لما قبله لا صفة .
والثاني التأكيد وذكرها في الكشاف مع الأول في قوله تعالى ـ وأولئك هم المفلحون ـ :

[وكونه مؤخرا فلاقتضا ... تقدم المسند أمر مرتضى
وكونه مقدما إذ هو المهم ... لكونه الأصل ومخرج عدم
أو تمكن خبر في الذهن إذ ... في المبتدا تشوق له أخذ
أو سرعة السرور للتفاؤل ... أو لمساءة العدو العاذل
أو كونه يوهم الاستلذاذ به ... أو لازم الخاطر والذي شبه]

البحث السادس في تقديمه وتأخيره . فأما التأخير فلاقتضاء المقام تقديم المسند لأمر من الأمور
الآتية في بابه وقدمت في النظم التأخير على التقديم عكس التلخيص لأمرين : أحدهما أن الكلام
في التقديم يطول ويستتبع أشياء تتعلق به . الثاني قياسا على تقديم الحذف على الذكر لأن كلا

فهذا البيت فذكر أنها عبارة عن خلوصه من ثلاثة أمور الأول التنافر وهو وصف في الكلمة يوجب ثقلها على اللسان وعسر
النطق بها فمنه ما يكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل كالهعخع بضم الهاء والخاء المعجمة وسكون العين
المهملة الأولى من
قول أعرابي وقد سئل
عن ناقته فقال تركتها
ترعى الهعخع والهاء
والعين لا يكادان
يجتمعان من غير فصل
وهو شجر مستحدث
قيل ولا أصل له في
كلامهم وإنما هو
الخعخع بخاءين
معجمتين . ومنه ما دون
ذلك كمستشزرات من
قول امرىء القيس :
غدائره مستشزرات
إلى العلا
تضل العقاص في مثنى
ومرسل
أي ذوائبه جمع غديرة
والضمير للفرع قبله
والفرع الشعر التام
ومستشزرات أي
مرتفعات إن قرىء
بكسر الزاي أو
مرفوعات إن قرىء
بفتحها . وضابط التنافر
كل ما عده الذوق السليم
الصحيح ثقيلا متعسر
النطق سواء كان من
قرب المخارج أو بعدها
أو غير ذلك . الثاني
الغرابة وهي كون
الكلمة وحشية غير
ظاهرة المعنى ولا مألوفة
الاستعمال فتحتاج
معرفتها إلى تفتيش عنها في كتب اللغة المبسوطة كما روي عن بعضهم أنه سقط عن حماره فاجتمع عليه ناس فقال منهما
ما لكم تكأكأتم علي كتكأكئكم على ذي جنة افرنقعوا : أي اجتمعتم تنحوا عني . أو تخريج لها على وجه بعيد نحو

مبنى على خلاف الأصل فلم يحتج فيه إلى نكتة سوى الأصل * وأما التقديم فلكونه المهم * والاهتمام حاصل بأمور منها أن يكون الأصل ولا مقتضى للعدول عنه لأن الأصل في المحكوم عليه التقديم كان الأوجب مقتضى للعدول كالفاعل فإن مرتبة العامل التقدم على المعمول * ومنها أن يتمكن الخبر في ذهن السامع لأن في المبتدإ تشويقا إليه كقول أبي العلاء :

والذي حارت البرية فيه ❊ حيوان مستحدث من جماد

يعني الإنسان من حيث عوده بعد الفناء أو حياته بالروح وموته بمفارقتها * ومنها تعجيل المسرة لكون المسند إليه فيه تفاؤل نحو سعد في دارك أو المساءة لكونه فيه تطير نحو السفاح في دارك ومنها إيهام أنه يستلذ بذكره لكونه محبوبا فلا يقدم غيره عليه أو أنه ملازم للخاطر لا يزول عنه لكونه مطلوبا نحو الله ربي * وليلى سر القلب ذكر صفاتها * وما أشبه ذلك . قال في التبيان كالتعظيم نحو الله نور السموات والأرض . ويكون الكلام فيه كما إذا كان المطلوب اتصافه بالخبر نحو أن يقال كيف الزاهد فتقول : الزاهد يشرب ويطرب ونحو ذلك :

[قيل وللتخصيص بالفعل الخبر ❊ تالي نفي نحو ما أنا أضر
أي بل سواي ولهذا لم يصح ❊ ولا سواي القياس متضح
ولا كما أنا رأيت أحدا ❊ وما أنا ضربت إلا من عدا
وماسوى التالي لتخصيص ورد ❊ على الذي يزعم غيره انفرد
أو شاركوا نحو أنا الذي علا ❊ بنحو لا غيري أكد أولا
ونحو وحدي ثانيا ووردا ❊ تقوية الحكم كذا يولي الندا
ولو نفي الفعل كأنت لا تذم ❊ فذا علا عن لا تذم ولو تضم
أنت إذ التأكيد للمحكوم لا ❊ للحكم والفعل إن المنكر تلا
فهو لجنس أو لفرد حصره ❊ كرجل جا لا رجال أو مره]

هذا القول لعبد القاهر الجرجاني وهو أنه قد يقدم المسند إليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي إن ولى أعني المسند إليه أداة نفي بأن وقع بعدها بلا فصل نحو ما أنا أضر أي بل غيري فالتقديم يفيد نفي الفعل عن المتكلم وثبوته لغيره ولهذا لا يصح أن يقال ولا غيري لمناقضة منطوقه لمفهوم الأول ومثله قوله صلى الله عليه وسلم « ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم » وقول المتنبي :

وما أنا أسقمت جسمي به ❊ ولا أنا أضرمت في القلب نارا

أي بل الجالب له غيري . وكما لا يصح أن يقال ما أنا فعلت كذا ولا غيري لا يصح أن يقال ما أنا رأيت أحدا ولا ما أنا ضربت إلا فلانا لأنه يقتضي أن إنسانا غير المتكلم رأى كل أحد وضرب كل أحد دون فلان لأنه في الأول نفي الرؤية على وجه العموم في المفعول فيجب أن يثبت لغيره على وجه العموم فيه . وفي الثاني نفي الضرب الواقع على سوى زيد فيجب أن يثبت لغيره الضرب على ماسواه وإن لم يل النفي بأن يتأخر حرفه أو يفقد من الكلام أصلا فتارة يكون التقديم للتخصيص والرد على من زعم انفراد غير المسند إليه بالفعل أو مشاركته له نحو أنا سعيت في حاجتك أي لا غيري إن قصد الرد على من زعم انفراد غيره أو وحدي إن رد على من زعم المشاركة وهذا معنى قوله * بنحو لا غيري أكد أولا * ونحو وحدي ثانيا . وتارة يرد لتقوية الحكم وتقريره عند السامع

مسرّجا في قول العجاج * ومقلة وحاجبا مزججا * وفاحما ومرسنا مسرجا * فإنه لم يعرف ما أراد بقوله مسرجا حتى اختلف في تخريجه فقيل هو من قولهم للسيوف سريجية منسوبة إلى قين أي حداد يقال له سريج يريد أنه في الدقة والاستواء كالسيف السريجي وقيل من السراج يريد أنه في البريق واللمعان كالسراج وهذا يقرب من قولهم سرج الله وجهه أي بهجه وحسنه . وفاحما أي شعرا أسود كالفحم معطوف على منصوب قبله والمرسن بفتح الميم مع فتح السين وكسرها الأنف * الثالث المخالفة للقواعد بأن تكون الكلمة على خلاف قانون مفردات الألفاظ الموضوعة كالفك فيما يجب إدغامه وعكسه نحو قول أبي النجم * الحمد لله العلي الأجلل * الواحد الفرد القديم الأول * والقياس الأجل بالإدغام لاجتماع مثلين مع عدم تحريك الثاني . فنحو ماء وآل وعور وقطط فصيح لأنه ثبت عن الواضع كذلك فهو في حكم الاستثناء من القياس . وزاد بعضهم أمرا رابعا وهو الخلوص من الكراهة في السمع بأن تكون الكلمة بحيث يمجها السمع نحو الجرشى أي النفس في قول أبي الطيب * كريم الجرشى شريف النسب * ورد ذلك بأن الكراهة في السمع من قبيل الغرابة فلا زيادة على الثلاثة . وزن علم . قال : [وفي الكلام من تنافر الكلم ❊ وضعف تأليف وتعقيد سلم]

أقول : المراد بالكلام المركب مجازا من باب إطلاق اسم الخاص على العام ومقابلته بالمفرد قرينة لذلك فيشمل المركب الناقص كان قام زيد والتام كزيد قائم فالتعميم فى جانبه أى الكلام ماليس بمفرد وقيل إن المركب الناقص داخل فى المفرد

دون التخصيص نحو هو يعطى الجزيل وذا يولى الجميل يقصد أن يقوى فى ذهن السامع أنه يفعل ذلك لأن غيره لايفعله وسواء فى هذين كان الفعل مثبتا كما مثلنا أو منفيا نحو أنت لاتكذب فهو أبلغ فى نفى الكذب من لاتكذب لما فى الأول من تكرر الاسناد المفقود فى الثانى ومن لاتكذب أنت ، وإن كان فيه تأكيد بلفظ أنت لأنه لتأكيد المحكوم عليه بأنه ضمير المخاطب تحقيقا وليس الاسناد إليه على سبيل التجوز أوالسهو لا لتأكيد الحكم لعدم تكرار الاسناد ، وهذا معنى قولى * فذا علا عن لا تذم ولو تضم * أنت الخ أى ولو ضممت أنت إلى لا تذم وقلت لا تذم أنت هذا المذكور من إفادة التخصيص تارة والتقوى أخرى فيما إذا بنى الفعل على معرفة فان بنى على نكرة ، وهو معنى قولى: والفعل إن المنكر تلا ، فانه يفيد تخصيص الجنس أوالواحد بالفعل نحو رجل جاءنى أى لا أكثر إذا عرف المخاطب أنه خال من جنس الرجال ولم يدر وحدته فيكون لتخصيص الواحد أولا امرأة إذا عرف أنه أتاك آت ولا يدرى جنسه فيكون لتخصيص الجنس فابراز مفهوم المثال فى النظم فيه لف ونشر غير مرتب والضمير فى قولى فهو للتقديم وقولى تالى نفى بالنصب حال من المسند إليه المتقدم أول البحث وقولى ولا كما أنا رأيت معطوف على ولا سواى وقولى لتخصيص ورد بتشديد لدال مصدر وقولى لتقوية الحكم بالنصب مفعول له ونصب المفعول له وجره باللام إذا كان مضافا سيان كما فى التسهيل وأفادنا شيخنا العلامة الكافيجى فى الفرق بين التقوية والتأكيد أن التقوية أعم وأنها ترجع إلى الألفاظ غالبا والتأكيد إلى المعانى .

[وقال يوسف كذا إن قدرا	فاعله معنى فقط مؤخرا
وإن يجز ولم يقدر أو منع	لم يستفد غير التقوى فاستمع
إلا منكر ولو إن أخرا	فاعلا فى اللفظ أيضا قدرا
بجعله من الضمير مبدلا	خشية فقد للخصوص اذ خلا
من سبب سواه فالمنع لزم	من ابتداء لا معرف وسم
بشرط فقد مانع التخصيص لا	شر أهر ذا أذى أما على
جنس فلامتناع أن يراد ما	أهر شر غير خير وأما
على انفراد فهو ليس يجنح	لقصدهم وإذ هم قد صرحوا
تخصيصه إذ أولوا بما أهر	الا فبالتنكير فظع شأن شر
وفى جميع قوله هذا نظر	قال وزيد عالم إذا استتر
فيه ضمير فى التقوى يقرب	من قام لا كشأنه إذ ينسب
لشبه خال صفة ومن هنا	لم يك جملة ولا كهى بنا]

يوسف السكاكى قال كقول الجرجانى لكن خالفه فى شروط وتفاصيل ، فقال إن التقديم يفيد التخصيص بالخبر الفعلى بشرط أن يقدر كونه فى الأصل مؤخرا على أنه فاعل فى المعنى فقط لافى اللفظ نحو أنا قمت فانه يجوز أن يقدر أصله قمت أنا فيكون أنا فاعلا معنى تأكيدا لفظا ثم قدم فخرج عن ذلك صورتان : الأولى أن لا يجوز تقديره فاعلا مؤخرا معنى لا لفظا كزيد قام فانه لو قدر تأخره كان فاعلا لفظا . الثانية أنه يجوز كما فى أنا قمت ولكن لايعتقد ذلك فهاتان الصورتان يفيد التقديم فيهما التقوى دون التخصيص نعم إن كان فى الصورة الأولى نكرة نحو رجل جاءنى أفاد التخصيص

والتعميم فيه أى المفرد ماليس بكلام أى مركب تام وهو مختار السعد فى شرح الأصل والمرجح الأول . قوله من تنافر الخ أى خلوصه من هذه الأمور الثلاثة وترك رابعا ذكر أصله وهو فصاحة كلماته احترازا من نحو زيد أجلل فليس بفصيح فالتنافر أن تكون الكلمات ثقيلة على اللسان وإن كان كل منها فصيحا والثقل يكون متناهيا كما فى قوله :

وقبر حرب بمكان قفر
وليس قرب قبر حرب قبر

وغير متناه كما فى قوله:

كريم متى أمدحه أمدحه والورى
معى وإذا مالمته لمته وحدى

ومنشأ الثقل فى الأول نفس اجتماع الكلمات وفى الثانى حروف منها وهو فى تكرار أمدحه دون مجرد الجمع بين الحاء والهاء لوقوعه فى التنزيل نحو فسبحه فلا يقال إن مثل هذا الثقل مخل بالفصاحة.

وضعف التأليف أن يكون تأليف الكلام على خلاف القانون النحوى كالاضمار قبل الذكر لفظا ومعنى وحكما نحو ضرب غلامه زيدا بخلاف ضرب زيد غلامه وضرب غلامه زيد وهو زيد قائم والتعقيد أن لا يكون الكلام لا على

ظاهر الدلالة على المعنى المراد لخلل واقع إما فى نظم الكلام بسبب تقديم أو تأخير فيه أو حذف أو غير ذلك مما يوجب صعوبة فهم المعنى المراد وإما فى انتقال الذهن من المعنى الأصلى إلى المعنى المقصود فالأول كقول الفرزدق فى خال هشام بن عبد الملك وهو إبراهيم :

وما مثله فى الناس إلا مملكا
أبو أمه حى أبوه يقاربه

أى ليس مثله فى الناس أحد يقاربه أى يشبهه فى الفضائل إلا مملكا أى رجلا أعطى الملك يعنى هشاما أبو أمه أى أبو أم ذلك المملك أبوه أى أبو إبراهيم الممدوح أى لا يماثله أحد إلا ابن أخته وهو هشام ففيه فصل بين المبتدإ والخبر أعنى أبو أمه أبوه بالأجنبى الذى هو حى وفصل بين الموصوف وصفته أعنى حى يقاربه بالأجنبى الذى هو أبوه وتقديم المستثنى أعنى مملكا على المستثنى منه أعنى حى وفصل كثير بين البدل وهو حى والمبدل منه وهو مثله فمثله اسم ما وفى الناس خبره وإلا مملكا منصوب لتقدمه على المستثنى منه والثانى كقول الآخر :

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا
وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

جعل سكب الدموع كناية عما يلزم فراق الأحبة من الكآبة والحزن وأصاب لكنه أخطأ فى جعل جمود العين كناية عما يوجبه التلاقى من الفرح والسرور فان الانتقال من جمود العين إلى بخلها

لا على تقدير كونه لو أخر فاعلا بل على تقدير أنه بدل من الضمير فى جاء على حد : وأسرّوا النجوى الذين ظلموا ، وإنما لم يقدر ذلك فى المعرفة مثل زيد جاء لعدم الموجب لأنه فى النكرة اضطر إلى تقديره متأخرا ليفيد التخصيص ليكون مسوغا للابتداء بالنكرة إذ لا سبب له سواه ولا حاجة إليه فى زيد قام ، وهذا معنى قولى خشية فقد للخصوص الخ وقولى فالمنع لزم من ابتداء من زيادتى ، ثم شرط ذلك فى المنكر أن لا يمنع من التخصيص مانع ، فان منع لم يجز مثاله قولهم شرّ أهرّ ذا ناب إذ لا يمكن أن يكون هنا للتخصيص لأنه إما للجنس أو للفرد كما تقدم ولا جائز أن يكون للجنس لأنه يصير تقديره ما أهر ذا ناب إلا شر لا خير لأن المهرّ لا يكون إلا شرا فلا فائدة فى نفيه عنه إذ لا يصح نفى الشىء عن الشىء حتى يصح اتصافه به ولا أن يكون للواحد لأنه يصير تقديره ما أهر إلا شر واحد لا أكثر وذلك غير مقصود بلا شك لكن الأئمة لما صرحوا بتخصيصه حيث أولوه بما أهر ذا ناب إلا شر فالجمع بين الكلامين أن يفظع شأن الشر بتنكيره ويصير المعنى نوع غريب من أنواع الشر أهر فيصح حينئذ ، هذا تقدير مذهب السكاكى ، قال صاحب التلخيص : وفيما قاله نظر أما أولا فلأن الفاعل اللفظى والمعنوى سواء فى امتناع التقديم ماداما على حالهما لأن كلا من الفاعل والتابع لا يجوز تقديمه فتجويز تقديم المعنوى دون اللفظى تحكم ، وأما قوله فى المنكر لا سبب للتخصيص سوى تقدير التقديم ، وهو المسوغ للابتداء فممنوع أيضا لجواز أن يكون المسوغ التقوية أو ما يفهمه من التهويل والتحقير ونحو ذلك ، وأما قوله لا يقال المهر شر لا خير فممنوع كيف وقد قال الشيخ عبد القاهر قدم شرا لأن المعنى الذى أهره من جنس الشر لا من جنس الخير ، ثم قال السكاكى ويقرب من زيد قام زيد قائم فى إفادة التقوى لتضمنه الضمير كقام وليس مثله لأنه يشبه الخالى من الضمير من جهة أنه لا يتغير بالخطاب والتكلم والغيبة تقول أنت قائم ، وأنا قائم ، وهو قائم فلا يتغير كما تقول أنت رجل وأنا رجل وهو رجل ، فصارت التقوية الحاصلة بالضمير الذى لا يتصرف ضعيفة ولهذا لا يحكم بأنه أى اسم الفاعل مع ضميره جملة ولا أنه عومل معاملتها فى البناء بل قضوا بأنه مفرد ، وهو معرب تقول رجل قائم ورجلا قائما ورجل قائم ، قال ابن الحاجب : ولا خلاف بينهم فى ذلك . قلت ثم استثنى صورتان يكون فيهما جملة نص عليهما جماعة إذا وقع صلة لأل أو مبتدأ وله فاعل يغنى عن الخبر :

[مما يرى تقديمه كاللازم مثلك لا يبخل يا ابن العالم
ومثله غيرك لا يجود أى أنت إذا لم يك تعريض لشى]

من المسند إليه الذى يرى تقديمه على المسند كاللازم لفظ مثل وغير إذا استعمل على سبيل الكناية من غير تعريض بأحد نحو مثلك لا يبخل وغيرك لا يجود أى أنت لا تبخل وأنت تجود ، فليس المراد فيه بلفظ مثل غير إفادة الحكم المضاف إليه كما قال :

[ولم أقل مثلك أعنى به سواك يا فردا بلا مشبه]

وقال المتنبى * غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع * لم يرد أن يعرض بواحد يصفه بأنه ينخدع بل أراد أنه ليس ممن ينخدع ، ثم قال صاحب التلخيص : واستعمال مثل وغير هكذا مركوز فى الطباع والسر فى التقديم أنه يفيد التقوى وهو أعون على إثبات الحكم المقصود بطريق الكناية التى هى أبلغ ، قال الشيخ سعد الدين : وليس معنى كاللازم أنه قد يقدم وقد لا يقدم بل المراد

بالدموع حالة إرادة البكاء وهى حالة الحزن لا إلى ماقصده من السرور الحاصل بالملاقاة وزاد بعضهم الخلوص من كثرة التكرار وتتابع الاضافات فالأول كقوله : * سبوح لهامنها عليها شواهد * والثانى كقوله : * حمامة جرعى حومة الجندل اسجعى

ورد بأن ذلك إن ثقل اللفظ بسببه على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه بالتنافر وإلا فلا يخل بالفصاحة كيف وقد وقع فى القرآن قال الله تعالى والشمس وضحاها الخ فكرر الضمائر وقال ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك وقال واعف عنا واغفرلنا وارحمنا وقال تعالى فى تكرير الاضافات : ذكر رحمة ربك عبده زكريا كدأب آل فرعون فائدة : ذكر بعض الفضلاء أن من خصائص القرآن أنه اجتمع فيه ثمان ميمات متواليات ولم يحصل بسببها ثقل على اللسان أصلا بل ازدادت خفة وذلك فى قوله تعالى وعلى أمم ممن معك فان التنوين فى أمم والنون فى ممن معك يدغمان فى الميم بعدهما فيصيران فى حكم ميم أخرى والميم المشددة فى ممن بميمين وفيه أربع أخر فهذه ثمانية . وقوله سلم أى خاص خبر مبتدأ معلوم من المقام وهو مؤول بمصدر ومن تنافر متعلق به أى والفصاحة فى الكلام خلوصه من تنافر الكلم قال :

[وذى الكلام صفة بها يطيق تأدية المقصود باللفظ الأنيق] أقول : ذى الكلام معطوف على الكلام فى البيت قبله كنعم

أنه كان مقتضى القياس أنه يجوز التأخير لكن لم يرد الاستعمال إلا على التقديم نص عليه فى دلائل الاعجاز :

[وربما قدّم إذ عم ككل لم يأت إذ تأخيره هنا يدل
على انتفا الحكم عن المجموع لا عن كل فرد وهو حكم قبلا
الشيخ إن فى حيز النفى أتت كل بأن أداته تقدمت
كقوله ما كل ما يتمنى أو عمل المنفى فيه عنا
كما أتى الرجال كلهم ولن آخذ كل المال أوذا قدمن
توجه النفى إلى الشمول ثم أثبت للبعض وإلا فليعم
كأصبحت أم الخيار تدعى علىّ ذنبا كله لم أصنع]

قال كثيرون من أهل هذا الفن : قد يكون تقديم المسند إليه لافادة العموم نحو كل إنسان لم يأت فانه يفيد نفى الحكم عن كل واحد بخلاف ما إذا أخر نحو لم يأت كل إنسان فانه يفيد نفى الحكم عن مجموع الأفراد لا عن كل فرد وهو يصدق بنفى فرد واحد وهو حكم واضح يقضى به الذوق واستعمالات العرب ووقع فى التلخيص تعليله على طريقة أهل المنطق ورده فربما توهم الناظر أنه رد القول وليس كذلك كما نبه عليه السبكى فقال عقبه وقال عبد القاهر ليبين أنه إنما رد فيما تقدم الدليل لا المدلول انتهى وقد نبهت على ذلك من زيادتى بقولى وهو حكم قبلا وأسقطنا التعليل ورده لأنا معاشر أهل السنة لا ننجس تصانيفنا بقذر المنطق الذى اتفق أكثر المعتبرين خصوصا المحدثين والفقهاء من كل المذاهب خصوصا الشافعية وأهل المغرب على تحريمه والتغليظ على المشتغلين به وإهانتهم وعقوبتهم وقد جمعت فى ذلك تأليفا نقلت فيه كلام الأئمة فى الحط عليه وهو كتاب مهم وقد نص أئمة الحديث كالسلفى والذهبى وابن رشيد على عدم قبول رواية المشتغل به وقد تركت الأخذ عن جماعة لذلك وبالله التوفيق ، وقولى الشيخ هو عبد القاهر إمام الفن ومخترعه وهو مرفوع بقال مقدرا وهو كلام موافق لما قبله إلا أن فيه زيادة تحرير فقال إذا وقعت كل فى حيز النفى بأن تقدمت عليها أداته فهى لنفى الشمول لا لنفى كل فرد نحو قول المتنبى :

ما كل مايتمنى المرء يدركه تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

وكذا إذا وقعت معمولة للمنفى فعلا كان أو وصفا فهو أعم من قول التلخيص للفعل المنفى نحو ماجاء القوم كلهم وما جاء كل القوم ولم آخذ كل الدراهم وكل الدراهم لم آخذ وهو معنى قولى أوذا قدمن وإذ توجه النفى إلى الشمول أفاد الثبوت لبعض ما أضيف إليه فى الفاعل والتعلق به فى المفعول وإن لم تكن داخلة فى حيز النفى بأن قدمت عليه ولم تقع معمولة للمنفى عم النفى كل فرد كقول أبى النجم :

قد أصبحت أم الخيار تدعى علىّ ذنبا كله لم أصنع

برفع كل أى لم أصنع شيئا مما تدعيه وكذلك حديث الصحيحين لما قال له صلى الله عليه وسلم ذو اليدين أقصرت الصلاة أم نسيت ؟ قال كل ذلك لم يكن أى لم يقع قصر ولا نسيان كما فى الحديث الآخر لم أنس ولم تقصر .

[مسئلة]

[قد يخرج الكلام عما ذكرا من ذلك المضمر عما أظهرا

أى والفصاحة فى ذى الكلام أى صاحبه وهو المتكلم صفة الخ والمراد بالصفة الملكة ومعنى البيت والفصاحة فى المتكلم ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح والملكة هى الكيفية الراسخة فى النفس والكيفية عرض

كنعم عبدا وضمير الشان	ليثبت التاليه فى الأذهان
وعكسه إشارة للاعتنا	بكونه مميزا إذ ضمنا
حكما بديعا وادّعاء الشهرة	أو الندا على كمال الفطنة
لسامع والضد والتهكم	به كمثل ما إذا كان عمى
وغيرها زيادة التمكين قد	مثله بقوله الله الصمد
أو ليقوى داعى المأمور	أو يدخل الروع على الضمير
أو المهابة والاستعطاف	قلت كذا الوصلة للأوصاف
وعظم الأمر وتنبيه على	علته وعود معناه على]

جميع ماتقدّم فى هذا الباب من الحذف والذكر وما بعدهما هو مقتضى الظاهر وقد يخرج الكلام على خلافه لنكتة فمن ذلك وضع المضمر موضع الظاهر كنعم عبدا مكان نعم العبد إذ المقام يقتضى الاظهار لعدم تقدّم المسند إليه فأضمر معادا إلى متعقل فى الذهن والتزم تفسيره بنكرة ليعلم جنس المتعقل وكذا ضمير الشأن والقصة نحو ـ هو الله أحد . و إن هى إلاحياتنا الدنيا ـ والسرّ فى ذلك فى الموضعين قصد أن يتمكن فى ذهن السامع مايتلو الضمير : أى يجىء بعده لأنه بالضمير يتهيأ له و يتشوق فيتمكن بعد وروده فضل تمكن لأن المحصول بعد الطلب أعزّ من المنساق بلاتعب ومنه عكسه وهو وضع الظاهر موضع المضمر فان كان الظاهر اسم إشارة ففائدته كمال العناية بتمييزه لتضمنه حكما بديعا كقول ابن الراوندى :

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه	وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الأوهام حائرة	وصير العالم النحرير زنديقا

فان أصله هو : أى ماتقدّم من إعياء مذاهب العاقل ورزق الجاهل فعدل إلى الاشارة لكمال العناية بتمييزه ليرى السامعين أن هذا المعنى المتميز هو الذى له الحكم العجيب وهو جعل الأوهام حائرة والعالم النحرير زنديقا وقد يكون لادعاء شهرته وأنه كامل الظهور فلا يخفى ومنه من غير باب المسند إليه قوله :

تعاللت كى أشجى ومابك علة	تريدين قتلى قد ظفرت بذلك

والأصل به أوللنداء على كمال فطنة السامع بأن الأشياء عنده كالمحسوسة فيشارله أوضدّ ذلك : أى النداء على كمال بلادته بأنه لايدرك غير المحسوس أو التهكم والاستهزاء بالسامع بأن يكون أعمى أولامشار إليه موجود أصلا فيشار إليه موضع الاضمار تهكما به و إن كان غير إشارة فله نكت : منها زيادة التمكين عند السامع نحو ـ قل هو الله أحد الله الصمد ـ أى الذى يصمد إليه و يقصد فى الحوائج لم يقل هو الصمد لزيادة التمكين . ومنهاتقوية داعى المأمور و إدخال الروع : أى الفزع أوالمهابة : أى الاجلال على قلب السامع كقول الخليفة أمير المؤمنين يأمرك بكذا مكان أنا آمرك ومنها الاستعطاف كقوله :

إلهى عبدك العاصى أتاكا	مقرا بالذنوب وقد دعاكا
فان تغفر فأنت لذاك أهل	و إن تطرد فمن يرجو سواكا

الأصل أنا أتيتك فعدل عنه لما فى لفظ عبدك من التخضع واستحقاق الرحمة وترقب الشفقة . ومنها

لايتوقف صحة تعقله على تعقل غيره ولايقتضى القسمة واللاقسمة اقتضاء أوليا فخرج بالقيد الأوّل الأعراض النسبية وهى الاضافة والملك والفعل والانفعال والأين والمتى والوضع و بالقيد الثانى الكم متصلا كان أو منفصلاوبالثالث النقطة و بالقيد الرابع دخل مثل العلم بالمعلومات المقتضية للقسمة واللاقسمة فان اقتضاء العلم لذلك ثانوى بواسطة المعلوم فعلم أن من تكلم بالفصيح وليس له ملكة غير فصيح ومن له ملكة فصيح تكلم أولا . قال: [وجعلوا بلاغة الكلام طباقه لمقتضى المقام] أقول : بلاغة الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته وأسقط المصنف هذا القيد لضيق النظم واحترز به عن نحو شعره مستشزرا إذا ألقى إلى خالى الذهن و بقيد المطابقة عن نحو إن زيدا قائم إذا ألقى لخالى الذهن والحال هو الأمر الداعى إلى أن يعتبر مع الكلام الذى يؤدى به أصل المراد خصوصية ما وهى أى موصوفها مقتضى الحال مثلا كون المخاطب منكرا للحكم حال يقتضى كلاما مؤكدا وهو كلى وهذا الكلى مقتضى الحال و إن زيداقائم فرد من

أفراد ذلك الكلى مطابق له بمعنى أنه مصدوق لذلك الكلى وفرد من أفراده وهذا عكس مطابقة الكلى لجزئياته إذ هى صدقه على كل واحد منها ولم يتكلم ' المصنف على البلاغة فى المتكلم للعلم بها من الفصاحة فيه فهى ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ فعلم مما ذكر فى حد البلاغة أن كل بليغ كلاما كان أو متكلما فصيح لجعل الفصاحة شرطا للبلاغة وليس كل فصيح بليغا كلاما كان أو متكلما لأن الفصيح قد يعرى عن المطابقة كما تقدّم وللبلاغة الكلام طرفان أعلى وهو ما يقرب من حدّ الاعجاز وهو أن يرتفع الكلام فى بلاغته إلى أن يخرج عن طوق البشر و يعجزهم عن معارضته وخص البشر لأنهم أقوى أصناف المخلوقين على ذلك فاذا عجزوا فغيرهم أولى أو لأنه لم يوجد معاند إلا منهم وأسفل وهو ما إذا غير الكلام عنه إلى مادونه أى إلى مرتبة هى أدنى منه التحق وإن كان صحيح الاعراب عند البلغاء بأصوات الحيوانات وبين الطرفين مراتب كثيرة بعضها أعلى من بعض بحسب تفاوت المقامات ورعاية الاعتبارات و يتبعها وجوه أخر غير المطابقة والفصاحة تورث الكلام حسنا وهى أنواع البديع قال:

[وحافظ تأدية المعانى ... عن خطا يعرف بالمعانى
وآخرها وما من التعقيد فى المعنى يقى ... له البيان عندهم قد انتقى
وما به وجوه تحسين الكلام ... تعرف يدعى بالبديع والسلام]

وهو وما بعده من زيادتى أن يقصد التوصل بالظاهر إلى الوصف نحو : فآمنوا بالله ورسوله النبىّ الأمىّ بعد قوله إنى رسول الله . ومنها تعظيم الأمر نحو : أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير . قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق الخ . ومنها التنبيه على العلية أى كونه علة للحكم المنسوب إليه كقوله تعالى ـ فبدّل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا ـ ثم نبهت من زيادتى على أن وضع الظاهر موضع المضمر إذا كان بمعنى الأول لا بلفظه أحسن كقوله تعالى ـ الحمد لله الذى خلق السموات والأرض ـ ثم قال تعالى ـ ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ـ :

[وقال فى المفتاح كلّ ماذكر ... ليس بمختص بذا الذى قدر
بل غيبة وأخواها قد نقل ... كل لآخر التفات مستقلّ
ورد فالأشهر أنه أخصّ ... لأنه التعبير عن معنى ينص
من الثلاث بعد ذكر بسواه ... منها ليرفل الكلام فى حلاه
لأن نقل القول فى المهايع ... أنشط للاصغاء فى المسامع
وقد يخص كل موضع نكت ... كمثل ما أم الكتاب قد حوت
فالعبد إذ يحمد من يحق له ... ثم يجىء بالسمى المبجله
فكلها محرّك الإقبال ... لمالك الأمور فى المآل
فيوجب الاقبال والخطابا ... بغاية الخضوع والتطلابا
للعون فى كلّ مهم يقصد ... وقس عليه كلّ ماقد يرد
ولم يكن فى جملة كما فى ... عروس الافراح وفى الكشاف]

قال السكاكى : هذا المذكور من نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة ليس مختصا بالمسند إليه ولا بهذا القدر بل كلّ من الغيبة والخطاب والتكلم ينقل الى آخر فى المسند إليه وغيره ويسمى التفاتا والمشهور أن الالتفات التعبير عن معنى بواحد من الثلاثة بعد التعبير عنه بغيره منها وهذا أخص من قول السكاكى لأن قول الخليفة أمير المؤمنين يأمرك بكذا التفات على رأيه لأنه منقول عن أنا لا على الثانى لعدم تقدّم خلافه . ثم أقسام الالتفات ستة كما عرفت : الأول من التكلم إلى الخطاب نحو ـ ومالى لاأعبد الذى فطرنى و إليه ترجعون ـ والأصل و إليه أرجع . الثانى منه إلى الغيبة نحو : إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر . الثالث من الخطاب إلى التكلم نحو :

طحا بك قلب فى الحسان طروب ... بعيد الشباب عصر حان مشيب
تكلفنى ليلى وقد شط وليها ... وعادت عواد بيننا وخطوب

فالتفت فى قوله تكلفنى من قوله بك . الرابع منه إلى الغيبة نحو : حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم والأصل بكم . الخامس من الغيبة إلى الخطاب نحو : مالك يوم الدين إياك نعبد . السادس منها إلى التكلم نحو : الله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه . ثم النكتة فى الالتفات أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى آخر كان أحسن وأشهى للقلب وألذ للسمع وأكثر إصغاء لما فيه من التنقل لما جبلت عليه النفوس من الضجر وربما اختص كل موقع منه بلطائف ونكت كالفاتحة فان العبد إذا ذكر الله تعالى وحمده ثم ذكر صفاته التى كلّ صفة منها تبعث على شدّة الاقبال

أقول : قدعلم مماتقدم أن البلاغة مرجعها أى مايجب حصوله لتحصل أمران: الأول تمييز الكلام الفصيح من غيره و إلا ربما أدى الكلام المطابق لمقتضى الحال غيرفصيح فلا يكون بليغا لوجوب الفصاحة فى البلاغة . الثانى الاحترازعن الخطأ فى تأدية المعنى المراد و إلا لربما أدى المعنى المراد بلفظ فصيح غير مطابق لمقتضى الحال فلا يكون بليغا أما الأول فبعضه يعرف من علم اللغة وهى الغرابة و بعضه من علم التصريف وهو مخالفة القياس و بعضه من علم النحو وهو ضعف التأليف والتعقيد اللفظى و بعضه يدرك بالحس وهو التنافر فاستغنى عن ذكر مايعرف به فى هذا الكتاب وغيره من كتب البلاغة وهذا الذى يعرف من هذه العلوم و يدرك بالحس ماعدا التعقيد المعنوى فلم يبق مماترجع إليه البلاغة إلا الثانى وكذلك مايحترز به عن التعقيد المعنوى على ماتقدم فوضع للثانى أعنى مايحترز به عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد علم المعانى ولما يحترز به عن التعقيد المعنوى علم البيان وللوجوه التابعة للبلاغة علم البديع وأشار إلى الأول بقوله:

وحافظ البيت وليس فى المعانى الأول والثانى الايطاء لاختلاف المعنى لأن الأول جمع والثانى مفرد وللثانى بقوله: ومامن التعقيد البيت فقوله يقى أى يحفظ ومن التعقيد يتعلق به واتقى اختير وللثالث بقوله ومابه البيت ومامبتدأ أو بهمتعلق بيعرف ويدعى

وآخرها مالك يوم الدين المفيد أنه تعالى مالك الأمر كله فى يوم الجزاء فحينئذ يوجب الاقبال عليه والخطاب بغاية الخضوع والاستعانة فى المهمات ثم نبهت من زيادتى على أن الالتفات لا يكون فى جملة بل فى جملتين صرح به الزمخشرى فى الكشاف وابن السبكى فى شرحه المسمى عروس الأفراح قال ولا يلزم عليه أن يكون فى نحو أنت صديق الالتفات وليس كذلك :

[ومن خلاف المقتضى إن جاوبا مخاطبا بغير ماترقبا
بحمله على خلاف قصده لأنه أولى به من ضده
أو سائلا بغير ماقد سأله لأنه الأولى أو المهم له]

من خلاف المقتضى بالفتح أى مقتضى الظاهر مجاوبة المخاطب بغير مايترقب وسماه عبد القاهر المغالطة والسكاكى الأسلوب الحكيم وذلك بحمل كلامه على خلاف قصده تنبيها على أنه أولى بالقصد كقول القبعثرى وقد قال له الحجاج متوعدا لأحملنك على الأدهم مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب أراد الحجاج أن يقيده فتلقاه القبعثرى بغير ماترقبه من فهمه التوعد بألطف وجه مشيرا إلى أن من كان مثله فى السلطنة والسعة إنما يناسبه أن يجود بأن يحمل على الأدهم والأشهب من الخيل لا أن يقيد فقال له الحجاج إنه حديد فقال لأن يكون حديدا خير من أن يكون بليدا .

ومنه إجابة السائل بغير مايتطلب تنبيها على أنه الأولى أو الأهم قالوا كقوله تعالى: يسئلونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج سألوا عن الهلال لم يبدو دقيقا ثم يتزايد حتى يستوى ثم ينقص حتى يعود كما بدا فأى فائدة تحت ذلك ؟ فأجيبوا ببيان حكمة ذلك وهى أنه معرفة المواقيت والحلول والآجال وجازف بعضهم فى العبارة حتى تعدى إلى أن قال لأنهم ليسوا ممن يطلع على دقائق الهيئة بسهولة وهذه قلة أدب منه وجهل بمقدار الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقد كانوا أدق نظرا وأذكى فطنة من ألوف من أضرابه فظن أنه وأمثاله يسهل عليهم إدراك ذلك و يصعب على مثل أولئك أماشعر من السائل عن ذلك هو معاذ بن جبل أعلم الأمة بالحلال والحرام بشهادة النبى صلى الله عليه وسلم وهل ذلك بأدق من دقائق الفقه والفرائض التى اشتهر عنهم بعضها بالتوقيف و بعضها بالاستنباط مما لم يصل المذكور ولا غيره من أهل هذه الفنون إلى فهم عشر معشارها ثم هل اعتقد أن علم الهيئة مما يعتبر أو يلتفت إليه كلا بل هو هذيان بقول لادليل عليه وليس إلى التوصل إلى تصحيحه من سبيل وقد قالوا زعما منهم إن الأرض كرة لاسطح فنزل القرآن بأنها سطح قال تعالى – وإلى الأرض كيف سطحت – وقالوا لاتكسف الشمس إلا فى الثامن والعشرين أو التاسع والعشرين للمقابلة التى يزعمونها قابلهم الله عليها فكسفت يوم موت إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم كما فى الصحيحين وكان عشر ربيع الأول كما رواه الزبير بن بكار وكسفت يوم قتل الحسين رضى الله عنه كما هو مشهور فى التواريخ وغيرها وكان يوم عاشوراء وقد روى مايقتضى أنهم لم يسئلوا عن سبب زيادة الهلال ونقصانه بل عن سبب خلقه فروى أبو جعفر الرازى عن الربيع عن أبى العالية قالوا بلغنا أنهم قالوا يارسول الله لم خلقت الأهلة فأنزل الله تعالى: يسئلونك عن الأهلة الآية وإنما أطنبت فى هذا المقام تنفيرا للناس عن هذا الكلام الشنيع وخوف أن يتلقفه من لم يرسخ فى قلبه تقوى فيتداولوه على ألسنتهم ومن لم يتأدب مع الصحابة وسلف الأمة ويترك شغب أهل الفلسفة لم يلتفت إليه كائنا من كان :

أى يسمى خبرما وقوله والسلام أى على من اتبع الهدى تكميل. ولما كان هذا التأليف فى علم البلاغة وتوابعها انحصر مقصوده فى ثلاثة فنون وكثير من الناس يسمى الجميع علم البيان وبعضهم يسمى الأول علم المعانى ويسمى الأخيرين أى البيان والبديع علم البيان والثلاثة علم البديع . أما تسمية الأول بالمعانى فتعلقه بالمعنى لأن به الاحتراز عن الخطأ فى المعنى وتسمية الثانى بالبيان فلتعلقه بإيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة لأجل بيان المعنى وإيضاحه . وأما تسمية الثالث بالبديع فلبحثه عن المحسنات ولاشك فى بداعتها وظرافتها. وأما تسمية الفنون الثلاثة بالبيان فلأن البيان هو المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير ولاشك فى تعلق الثلاثة به تصحيحا وتحسينا . وأما تسمية الفنين الأخيرين بالبيان فلتغليب حال الفن الثانى على الثالث والأول بالمعانى لما تقدم . وأما تسمية الفنون الثلاثة بالبديع فلأنه لاخفاء فى بداعتها وظرافة لطائفها والله سبحانه وتعالى أعلم .

[الفن الأول علم المعانى] قدمه على علم البيان لكونه منه بمنزلة المفرد من المركب لأن رعاية المطابقة لمقتضى الحال التى هى ثمرة علم المعانى معتبرة فى علم البيان مع شىء آخر وهو إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة كالتعبير عن اتصاف زيد بالكرم بزيد كثير الرماد جبان الكلب مهزول الفصيل. قال :

[ومنه ماض عن مضارع وضع   لكونه محققا نحو فزع
قلت وللاشراف أو إبرازكا   فى معرض الحاصل غير ذلكا
ومنه قلب كعرضت الابلا   على الحياض ثم هل ذا قبلا
ثالثها الأصح إن لم يقتضى   معنى لطيفا لا وإلا فارتضى
كمهمه مغبرة أرجاؤه   كأن لون أرضه سماؤه]

من خلاف المقتضى وضع الماضى موضع المستقبل تنبيها على تحقق وقوعه نحو: ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض والآية الأخرى فصعق ونادى أصحاب الأعراف وهو كثير . وإما للاشراف أى مشارفة وقوعه أى مقاربته نحو: وليخش الذين لو تركوا الآية أى لو شارفوا أن يتركوا ومثله الطيبى بنحو قولك : مت أو لابراز غير الحاصل فى معرض الحاصل لقوة الأسباب الظاهرة كقول المشترى اشتريت حال انعقاد أسبابه ذكره الطيبى وليس منه التعبير بلفظ اسم الفاعل والمفعول عن المضارع نحو : وإن الدين لواقع ذلك يوم مجموع له الناس خلافا لصاحب التلخيص لأنهما صالحان للمستقبل حقيقة . ومنه القلب وهو تقديم المؤخر وعكسه كعرضت الابل على الحوض والأصل عرضت الحوض على الابل وأدخلت القلنسوة فى رأسى والأصل أدخلت رأسى فيها . واختلف فى قبوله على أقوال قيل يقبل والتزم قائله وهو السكاكى أنه يورث الكلام ملاحة ورده غيره مطلقا لأنه عكس المطلوب ونقيض المقصود وهذان القولان مطويان فى النظم والحق كما قال صاحب التلخيص أنه إن تضمن معنى لطيفا قبل وإلا فلا فمن الأول قوله تعالى: ويوم يعرض الذين كفروا على النار وهو من باب عرضت الابل على الحوض والنكتة الاشارة إلى أنهم مقهورون ومجبورون فكأنهم لا اختيار لهم والنار متصرفة فيهم وهم كالمتاع الذى يتصرف فيه من يعرض عليه وكقول الشاعر * ومهمه مغبرة أرجاؤه * البيت والمهمه المفازة والمغبرة المملوءة غبارا والأرجاء النواحى جمع رجا بالقصر والأصل كأن لون سمائه لغبرتها أرضه أى كلونها والنكتة فيها المبالغة فى وصف لون السماء بالغبرة حتى صار بحيث يشبه الأرض فى ذلك مع أن الأرض أصل فيه ونظيره فى القرآن إنما البيع مثل الربا والأصل إنما الربا مثل البيع فقلب مبالغة إلا أن هذا من باب قلب التشبيه وهو متفق عليه إنما الخلاف فى غيره ومن المردود قوله :

فلما أن جرى سمن عليها   كما طينت بالفدن السياعا

يصف ناقته بالسمن والفدن القصر والسياع الطين بالسين المهملة والأصل كما طينت بالسياع الفدن وليس فى هذا القلب اعتبار لطيف .

[ومنه ذكر جمع أو مثنى   أو مفردا عن آخر قدعنا
والانتقال من خطاب بعض ذى   إلى خطاب آخر نوع شذى]

هذان البيتان من زيادتى وفيهما مسئلتان مهمتان لمناسبة بالالتفات وليستا منه . الأولى التعبير بواحد من المفرد والمثنى والمجموع عن آخر منها وهو من أنواع المجاز بخلاف الالتفات والمسئلة الآتية فإنهما حقيقتان مثال المفرد عن المثنى قول الأعشى :

فرجى الخير وانتظرى إيابى   إذا ما القارظ العنزى آبا

وإنما هما القارظان لأن المثل حتى يئوب القارظان. ومنه فى غير المسند إليه والله ورسوله أحق أن يرضوه

[علم به لمقتضى الحال يرى　　لفظ مطابقا وفيه ذكرا
إسناد مسند إليه مسند　　ومتعلقات فعل تورد
قصر و إنشاء وفصل وصل او　　إيجاز إطناب مساواة رأوا]

أقول : العلم يطلق على ملكة يقتدر بها على إدراك المسائل ويطلق على نفس الادراك ويطلق على نفس المسائل والأنسب بما هنا المعنى الثالث فقوله علم إلى قوله مطابقا تعريف لعلم المعانى وقوله يرى أى يعلم وبه يتعلق به ولفظ نائب فاعل يرى وهو المفعول الأول ومطابقا مفعول ثان وهنا مضاف محذوف أى هو أحوال أى علم يعلم به أحوال اللفظ التى بها يطابق مقتضى الحال ومقصوده أنه علم يعلم به أحوال اللفظ التى بها يطابق مقتضى الحال فعلم جنس ويعلم به أحوال اللفظ مخرج لما يعلم به أحوال غير اللفظ كالحساب فان به يعلم أحوال العدد جمعا وتفريقا وقوله التى بها يطابق مقتضى الحال أى من حيث إن اللفظ يطابق بها لا من حيث ذاتها كالتقديم والتأخير والتعريف والتنكير مخرج للأحوال التى ليست بهذه الصفة كالرفع والنصب ولعلم البيان لأن البحث فيه عن أحوال اللفظ لا من الحيثية المذكورة وكذلك المحسنات البديعية كالتجنيس ونحوه مما يعتبر بعد رعاية المطابقة والتحقيق فى مقتضى الحال أنه ذو الأحوال وقوله وفيه ذكرا الخ أشار به إلى أن هذا العلم بجملته منحصر فى ثمانية أبواب انحصار

يرضوه أى يرضوها ومثال المفرد عن الجمع * وذبيان قد زلت بأقدامها النعل * أى النعال وقال تعالى ــ والملائكة بعد ذلك ظهير. إن الانسان خلق هلوعا ــ أى الأناسى بدليل إلا المصلين ومثال المثنى عن المفرد ألقيا فى جهنم أى ألق قفا نبك أى قف وعن الجمع لبيك وحنانيك وقوله تعالى ــ ثم ارجع البصر كرتين ــ إذ المراد التكثير لا مرتان ومثال الجمع عن المفرد. رب ارجعون أى ارجعنى وشابت مفارقه وليس له غير مفرق وعن المثنى فقد صغت قلوبكما والأصل قلبا كما. الثانية الانتقال من خطاب واحد من الثلاثة إلى آخر منها. مثاله من خطاب الواحد إلى الاثنين لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء وإلى الجمع : ياأيها النبى إذا طلقتم النساء. ومثاله من الاثنين إلى الواحد : فمن ربكما ياموسى وإلى الجمع : أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة. ومثاله من الجمع إلى الواحد: وأقيموا الصلاة و بشر المؤمنين و إلى الاثنين يامعشر الجن والإنس إلى قوله: فبأى آلاء ربكما تكذبان والنكتة فى هذه المسألة كالنكتة فى الالتفات.

أحوال المسند

[فتركه لما مضى و يحتمل　　كليهما صبر جميل قد نقل
وشرطه قرينة كذكر　　سؤال او تقديره لخبر
قد يجى من أول أو آخر　　وصالحا الذين عند السابر
وخبر المبتدا أو إن أو　　كان على قبح وفعلا بعد لو]

هذا باب الأحوال العارضة للمسند وفيه أبحاث : الأول فى حذفه فيكون للنكت الماضية فى حذف المسند إليه مثاله لاجتناب العبث خرجت فاذا زيد أى حاضر ولضيق المقام قول أبى الطيب :

قالت وقد رأت اصفرارى من به　　وتنهدت فأجبتها المتنهد

أى المتنهد هو المطالب به ويأتى أيضا لقصد الاختصار والعدول إلى أقوى الدليلين واختبار تنبه السامع ومقدار تنبهه وقوله تعالى ــ فصبر جميل ــ يحتمل أن يكون من حذف المسند إليه أى أمرى صبر جميل وأن يكون من حذف المسند أى فصبر جميل أجمل قال الشيخ سعد الدين فى الحذف تكثير الفائدة بامكان حمل الكلام على كل من المعنيين بخلاف ما لو ذكر فانه يكون نصا فى أحدهما. قلت : الظاهر أن الحذف هنا لضيق المقام والضجر وشرط الحذف قرينة دالة عليه وهى إما سؤال مذكور نحو ــ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ــ أى خلقنا الله أو مقدر للعلم به وهو معنى قولى لخبر وهو بضم الخاء وسكون الباء كقوله :

ليبك يزيد ضارع لخصومة　　ومختبط مما تطيح الطوائح

فيبك بالبناء للمفعول ورفع يزيد وكأنه قيل من يبكيه قال ضارع أى يبكيه ضارع لأنه كان ملجأ للأذلاء وعونا للضعفاء ثم الحذف تارة يكون من الأول لدلالة الآخر عليه كقوله :

نحن بما عندنا وأنت بما　　عندك راض والرأى مختلف

أى نحن راضون أو بالعكس نحو * فانى وقيار بها لغريب * أى وقيار كذلك وصالحا للأمرين كقولك زيد وعمرو قائم وتارة يكون المحذوف خبر المبتدا كالمثال الأول أولان كقوله : * إن محلا و إن مرتحلا * أى إن لنا فى الدنيا محلا و إن لنا عنها مرتحلا أو لكان على قبح عند النحاة هو من زيادتى نحو إن خير فخير برفعهما أى إن كان فى عمله خير فجزاؤه خير وتارة يكون

الكل فى أجزائه ووجه الانحصار أن الكلام إماخبر أو إنشاء الأول لابد له من إسناد ومسند إليه ومسند فهذه ثلاثة أبواب والمسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلا أومافى معناه وهو الباب الرابع وكل من التعلق والاسناد قد يكون بقصر وقد لا يكون وهو الباب الخامس والثانى هو الباب السادس والجملة إن قرنت بأخرى فالثانية إما معطوفة على الأولى أولا وهما الفصل والوصل وهو الباب السابع والكلام البليغ إما ناقص عن أصل المراد أو زائد أومساو والأول الايجاز والثانى الاطناب والثالث المساواة وهو الباب الثامن وأماوجه إفراد كل واحد من هذه بباب ففى المطول على الأصل الكلام إما خبر وهو ما احتمل الصدق والكذب لذاته كزيد قائم وإما إنشاء وهو بخلافه كاعلم واعمل ولا ثالث لهما خلافا لبعض النحاة القائل بأن الطلب قسم ثالث لدخوله فى الانشاء قال :

[الباب الأول أحوال الاسناد الخبرى]

أقول : الاسناد ضم كلمة أومايجرى مجراها إلى أخرى بحيث يفيد الحكم بأن مفهوم إحداها ثابت لمفهوم الأخرى أو منفى عنها فقولنا أومايجرى مجراها لادخال نحو زيد قام أبوه وبحيث يفيد الحكم الخ والترك لاخراج الاسناد الانشائى والمراد بالمفهوم مايفهم من الكلمة فلايرد أن المعتبر من جانب الموضوع الذات ومن جانب المحمول المفهوم

فعلا بعد لونحو : قل لوأنتم تملكون خزائن رحمة ربى : أى لوتملكون تملكون إذ لاتدخل لو على اسم والتصريح بهذه الأحكام فى البيتين من زيادتى واقتصر فى التلخيص على الأمثلة :

[وذكره لما مضى أوحتم مجيئه بالفعل أو بالاسم
قلت وللتعجب فى المفتاح قد زادوفى الايضاح ردّ وانفرد]

البحث الثانى : فى ذكره وذلك للنكت الماضية أيضا فى المسند إليه ومن أمثلته للاحتياط : ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ خلقهن العزيز العليم ويزاد هنا أن يتعين كونه فعلا ليفيد التجدد أو اسما ليفيد الثبوت ولا يدرى لوحذف هل هو اسم أو فعل أو يراد به التعجب كما ذكره السكاكى والطيبى وألحقته من زيادتى نحو زيد يقاوم الأسد وقال فى الايضاح فيه نظر لأنه يحصل بالحذف مع القرينة وقولى وانفرد متعلق بالأبيات الآتية :

[لكونه لاسببيا مع عدم إفادة القوّة للحكم المتم
والسببى ماجرى لغير ما يسبقه كهند عبدها انتمى
وكونه فعلا لأن يقيدا بوقتـــه ويفهم التجددا
واسما لفقد قيده ماذكرا قلت وقال بعض من تأخرا
إفادة الثبوت للاسم فقد إن كان مايتلوه فعلا وانتقد]

البحث الثالث : فى أفراده وذلك لكونه غير سببى مع عدم إفادة تقوى الحكم نحو زيد قائم فقائم ليس سببيا ولايفيد التقوى كقام بل يقرب منه كما تقدم فان أريد التقوية أوكان سببيا أتى به جملة كما سيأتى . والمراد بالسببى ماجرى على غير من هو له بأن يكون إثبات المسند للمسند إليه لمتعلقه لا لنفسه نحو زيد أبوه منطلق وهند عبدها قائم والتصريح بتفسيره من زيادتى واقتصر فى التلخيص على التمثيل بالمفرد ثم المفرد قد يكون فعلا ، وقد يكون اسما فالأول للتقييد بأحد الأزمنة الثلاثة الماضى والحال والاستقبال على أخصر وجه إذ لايتأتى ذلك فى الاسم إلا بقيد أمس أوالآن أو غد أولافادة التجدد والحدوث بمعنى أن من شأنه أن يتكرر ويقع مرة بعد أخرى كقوله تعالى : فريقا كذبتم وفريقا تقتلون : أى فريقا فرغتم من تكذيبهم وفريقا فرغتم من قتلهم وها أنتم تسعون فى قتل محمد صلى الله عليه وسلم . والثانى لعدم إفادة ماذكر من التقييد والتجدد أى لافادة الدوام والثبوت كقوله :

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا لكن يمرّ عليها وهو منطلق

يعنى أن الانطلاق من الصرّة ثابت للدرهم دائما ثم نبهت من زيادتى على أن بعض المتأخرين وهو الكاشى فى شرح المفتاح قال لاتكون الجملة الاسمية للثبوت إلا إن كان فى حيزها اسم فان كان فعل فلا لئلايقع التناقض فى مثل زيد قام فانها تقتضى الثبوت من حيث صدرها والتجدد من حيث عجزها قال ابن السبكى وفيما قاله نظر بل ماقالوه على عمومه ولاتناقض لأن قولك زيد قام دلّ على ثبوت نسبة القيام المتجدد فالقيام متجدد وحصوله لزيد ووصفه به ثابت مستقرّ قال ولابدع فى ذلك فربما كان الفعل المتجدد لشدة لزومه ودوامه أوشرفه فى نفسه يجعل لفاعله صفة ثابتة مستقرة :

[وكونه مقيدا بقيد لنحو مفعول لزيد القيد
ونحو كنت قائما كان الذى قيدت المنصوب لا العكس احتذى

لأن الذات أيضا مما يفهم من اللفظ وقدم بحث الخبر على بحث الانشاء لعظم شأنه ولتفرع الانشاء عليه فى نحو زيد فى الدار وازيد فيها وقدم أحوال الاسناد على أحوال المسند إليه والمسند مع تأخير النسبة عن الطرفين لأن البحث إنما هو عن أحوال اللفظ الموصوف بكونه مسندا إليه أو مسندا وهذا الوصف إنما يتحقق بعد تحقق الاسناد والمتقدم على النسبة ذات الطرفين ولا بحث لهم عنها والخبرى نسبة للخبر وتقدم أنه ما احتمل الصدق والكذب . وفى حدّ الصدق والكذب أقوال أربعة : الأول وهو أصحها أن الصدق مطابقة حكم الخبر للواقع والكذب عدم مطابقته له ولو كان الاعتقاد بخلاف ذلك فى الحالين . الثانى وهو للنظام أن الصدق المطابقة لاعتقاد المخبر ولو خطأ والكذب عدم مطابقته للاعتقاد ولو صوابا وما لا اعتقاد معه على هذا القول داخل فى الكذب لا واسطة . الثالث وهو للجاحظ أن الصدق المطابقة للخارج مع اعتقاد المخبر المطابقة والكذب عدم المطابقة للواقع مع اعتقاد عدمها وما عدا ذلك ليس بصدق ولا كذب أى واسطة بينهما وهو أربع صور : المطابق ولا اعتقاد لشىء والمطابق مع اعتقاد عدم المطابقة وغير المطابق مع اعتقاد المطابقة وغيره ولا اعتقاد . القول الرابع للراغب وهو مثل قول

● والترك للمانع كانتهاز لفرصة تغنم والايجاز]

البحث الرابع : فى تقييد المسند سواء كان فعلا أو اسما يعمل عمله ولذا عدلت عن قول التلخيص . وأما تقييد الفعل بقيد من مفعول مطلق أو به أو له أو فيه أو معه أو حال أو تمييز أو استثناء وذلك لزيادة الفائدة فان بالتقييدات يزداد الحكم غرابة وكلما ازداد غرابة ازداد إفادة . ومن مسائل التقييد الغريبة نحو كنت قائما فربما توهم أن التقييد حصل لكان بالخبر لأنه بمنزلة المفعول واسمها بمنزلة الفاعل وقد يكمل الاسناد بها وليس كذلك بل الاسناد دائر بين الاسم والخبر ودخلت كان تقييدا للخبر فالقيام مقيد بكان لا كان مقيدة بالقيام وترك التقييد لمانع من ذلك و بينت من زيادتى أن المانع كانتهاز الفرصة والاختصار ومنه عدم العلم بالمقيدات و إرادة أن لا يطلع عليها الحاضرون ونحو ذلك :

[وكونه قيد بالشرط لأن ... يفيد معنى الأدوات كيف عن
وكلها مبسوطة فى النحو ... وابحث هنا فى إن إذا ولو
فغير لو للشرط فى الاستقبال ... لكنّ إن تختصّ بالمحال
لكونها فى الأصل للذى عدم ... جزما وعكسها إذا من ثمّ عمّ
الماضى فيها والجزم إن ترد ... تجاهلا أو لمخاطب فقد
جزما وللتو بيخ والذى يرى ... كجاهل إذ ما على العلم جرى
كذا لتغليب الذى لم يتصف ... به على الموصوف ثمّ ذا عرف
فى غير ما فنّ كمثل العمرين ... القانتين الخافقين القمرين
قلت : ومن يشرط أن يغلبا ... أدنى أو الأعلى فلن يصوبا]

تقييد المسند بالشرط لا يكون لافادة معنى الأداة المقيد بها فيختلف باختلاف معانى الأدوات وذلك مقرّر فى علم النحو ولابدّ من البحث هنا فى إن و إذا ولو لاختصاصها بلطائف ودقائق لم يتعرّض لها أئمة فان و إذا للشرط فى الاستقبال سواء كان مدخولهما مضارعا أو ماضى اللفظ . والأصل فى إن عدم الجزم بوقوع الشرط وفى إذا الجزم ولهذا تدخل إن على النادر والمحال دون إذا وغلب فى إذا لفظ الماضى لدلالته على الوقوع قطعا إذ المستقبل المقصود إن تحقق وقوعه يؤتى فيه بلفظ الماضى قال تعالى ـ فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه و إن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ـ أتى فى الحسنة باذا ولفظ الماضى لأن وقوعها مجزوم به لأن المراد بها النعم ونعم الله تعالى لا تنفك عن الخلق وفى السيئة بان والمضارع إشارة إلى ندورها ، وهى ما يسوء الانسان ولهذا نكرت إشارة إلى التقليل بخلاف الحسنة ، وقد تخرج إن عن أصلها فتستعمل فى المجزوم به لنكت : منها التجاهل كقول العبد لمن يطلب سيده إن كان فى الدار أخبرتك يوهمه أنه غير جازم وهو عالم بكونه فيها . ومنها كون المخاطب غير جازم كقولك لمن يكذبك إن صدقت فماذا تفعل مع علمك بأنك صادق . ومنها التو بيخ لكون المقام يشتمل على ما يقلع الشرط من أصله بحيث لا يصلح إلا على سبيل الفرض نحو ـ أفنضرب عنكم الذكر صفحا إن كنتم قوما مسرفين ـ فى قراءة من كسر إن . ومنها تنزيل العالم منزلة الجاهل لعدم جريه على مقتضى العلم كقولك لمن يؤذى أباه إن كان أباك فلا تؤذه . ومنها تغليب الذى لم يتصف بالجزم على الجازم به بأن يسند الفعل إلى جماعة بعضهم جازم و بعضهم

الجاحظ عبر أنه وصف الأربع صور بالصدق والكذب باعتبارين فالصدق باعتبار المطابقة للخارج أو للاعتقاد والكذب من حيث انتفاء المطابقة للخارج أو للاعتقاد واستدل النظام بقوله تعالى ـ إنّ المنافقين لكاذبون ـ أى

فى قولهم إنك لرسول الله لعدم مطابقته لاعتقادهم ورد استدلاله بأن المراد لكاذبون فى الشهادة : أى فى ادّعائهم مواطأة القلب للسان لتضمن قولهم إنك الخ شهادتنا من صميم القلب وهذا كذب واستدل الجاحظ بقوله تعالى ـ أفترى على الله كذبا أم به جنة ـ لأن الاخبار حال الجنة غير الكذب لأنه قسيمه وغير الصدق لأنهم يعتقدون عدم صدقه فثبتت الواسطة ورد بأن المعنى أم لم يفتر فعبر عن عدم الافتراء بالجنة من جهة أن المجنون لا افتراء له لأن الافتراء الكذب عن عمد فهذا حصر للخبر الكاذب بزعمهم فى نوعيه أى الكذب عن عمد ولا عن عمد . قال :

[الحكم بالسلب أو الايجاب
إسنادهم وقصد ذى الخطاب
إفادة السامع نفس الحكم
أو كون مخبر به ذا علم
فأول فائدة والثانى ☆ لازمها عند ذوى الأذهان] أقول : إسنادهم أى الخبرى بدليل

ما فى الترجمة معرف والحكم بالسلب أو الايجاب تعريف والمراد الحكم بأن النسبة واقعة كزيد قائم أو ليست بواقعة كزيد ليس

شاك فيغلب على غيره نحو ـ يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث ـ ثم استطرد إلى أن التغليب باب واسع يجرى فى فنون كثيرة كقولهم العمران لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما غلب الأخف وقوله تعالى ـ وكانت من القانتين ـ غلب المذكر على المؤنث وقولهم الخافقان للمشرق والمغرب وهو حقيقة فى الثانى والقمران للشمس والقمر غلب المذكر وقوله صلى الله عليه وسلم «إذا التقى الختانان» والختان خاص بالذكور وللأناث الخفض كما هو ظاهر كلام الصحاح وقوله تعالى ـ بل أنتم قوم تجهلون ـ غلب المخاطب على غيره وشرط ابن الحاجب فى التغليب أن يغلب الأدنى على الأعلى لأن القمر دون الشمس وأبا بكر أفضل من عمر وأورد عليه البحران للملح والعذب والملح أعظم وعكس الطيبى فشرط تغليب الأعلى والذى نختاره خلاف قوليهما بل قد يكون للأفضل وللأخف وللتذكير ولغير ذلك وقد نبهت على هذه المسئلة من زيادتى :

[واختصتا بالجملة الفعلية مستقبلا وتركه لنكتة
كمثل إبراز الذى لم يحصل فى صورة الحاصل والتفاؤل
والقصد للرغبة فى وقوعه وقيل والتعريض من فروعه
نحو لئن أشركت والتعريض سم بمنصف الكلام ممن قدحكم
ومنه مالى تلوه لا أعبد وحسنه إسماع من قد يقصد
خطابه الحق على وجه منع غضبه إذ لم يكن فيما صنع
نسبته للذمّ والاعانه على قبوله لما أبانه
من نصحه إذ لم يرد له سوى مراده لنفسه كما نوى]

تختص إن وإذا بالجملة الفعلية الاستقبالية لكون كل منهما لتعليق أمر بغيره فى الاستقبال ولا يخالف ذلك إلا لنكت : منها أن يجعل غير الحاصل كالحاصل . ومثل بقوله تعالى ـ وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا ـ . ومنها أن يقصد المتكلم التفاؤل بوقوعه فيعبر عنه بلفظ الماضى وإظهار رغبته فى وقوعه نحو إن ظفرت بحسن العاقبة إن أردن تحصنا . قال السكاكى : وقد يؤتى بالماضى لارادة التعريض وهو أن يخاطب واحد ويراد غيره نحو قوله تعالى ـ لئن أشركت ـ خوطب النبى صلى الله عليه وسلم وأريد غيره لاستحالة الشرك عليه شرعا فجعل خارجا عن الأصل تنزيلا للاستحالة الشرعية منزلة العقلية ويسمى هذا الباب الكلام المنصف لأنه يوجب أن ينصف المخاطب إذا رجع إلى نفسه ويسمى أيضا استدراجا لاستدراجه الخصم إلى الاذعان والتسليم ونظيره قوله تعالى ـ ومالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون ـ أى ومالكم لا تعبدون ووجه حسن التعريض إسماع من يقصد خطابه الحق على وجه يمنع غضبه إذ لم يصرح بنسبته للباطل والاعانة على قبوله إذ لم يرد له إلا ما أراده لنفسه .

[ولو لشرط الماض وانتفائه لا لانتفا المشروط أو بقائه
فذاك باللازم هكذا ذكر جماعة وشيخنا له نصر]

اختلفت عبارات النحاة فى معنى لو وقد استوفينا أقوالهم فيها فى كتابنا جمع الجوامع وعبارة الجمهور فيها أنها حرف امتناع لامتناع وفسرها الأكثر بأن المراد امتناع الثانى لامتناع الأوّل فقولك لو جاء زيد أكرمتك يفهم امتناع الاكرام لامتناع مجىء زيد وأورد على هذه العبارة أشياء : منها قوله تعالى

تعالى ـ ولو أن مافى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده ـ الآية فانه يستلزم عليها أن يكون النفاد موجودا عند عدم كون ما فى الأرض من شجرة أقلاما والبحر مدادا وحديث « نعم العبد صهيب لولم يخف الله لم يعصه » فانه يستلزم أنه إذا خاف عصى ولا شك أن ذلك غير مراد والذى اختاره جماعة منهم صاحب التلخيص وشيخنا أن لو للشرط فى الزمن الماضى وأنها تفيد انتفاء الشرط بالوضع وانتفاء المشروط باللازم والعقل ولا دلالة لها وضعية على انتفائه ولا ثبوته ويقرب من ذلك قول ابن مالك هى حرف شرط يقتضى امتناع مايليه واستلزامه لتاليه من غير تعرّض لنفى التالى قال فقيام زيد من قولك لوقام زيد قام عمرو محكوم بانتفائه وكونه مستلزما ثبوته لثبوت قيام من عمرو وهل لعمرو قيام آخر غير اللازم من قيام زيد أوليس له لاتعرّض لذلك . قال المرادى : ولكن الأكثر كون الأوّل والثانى غير واقعين وأحسن منه قول الشيخ جمال الدين بن هشام إن ناسب الثانى الأوّل ولم يخلفه غيره انتفى أيضا نحو: لوكان فيهما آلهة إلاالله لفسدتا لاإن خلفه نحو لوكان إنسانا لكان حيوانا وإن لم يناف الأوّل وناسبه إما بالأولى أو المساوى أوالأدون ثبت.مثال الأولى لولم يخف الله لم يعصه والمساوى حديث الصحيحين « لولم تكن ربيبتى فى حجرى ماحلت لى إنها لابنة أخى من الرضاعة » والأدون قولك لو انتفت أخوّة الرضاع ماحلت للنسب .

فائدة : كثر سؤال الناس عن حديث « لو لم يخف الله لم يعصه » وقد قال الشيخ بهاء الدين فى عروس الأفراح فى هذه المسئلة قد نسب الخطيبى هذا الكلام إلى النبى صلى الله عليه وسلم ونسبه ابن مالك فى شرح الكافية وغيره إلى عمر رضى الله تعالى عنه ولم أرهذا الكلام فى شىء من كتب الحديث لامرفوعا ولا موقوفا لا عن عمر ولا عن غيره مع شدّة الفحص عنه ، ونقله عنه البدر الدمامينى فى شرح المغنى والشيخ جلال الدين المحلى فى شرح جمع الجوامع واقتصر عليه ، ورأيت فى ذلك فتوى قدمت للحافظ أبى الفضل العراقى وكتب عليها أنه وقع فى شرح الترمذى لابن العربى وأنه لم يقف له على إسناد . قلت ما زال فى نفسى منه حتى رأيته فسررت به سرورا لم يعدله شىء لكنه فى سالم لافى صهيب ، فأخرجه أبو نعيم فى الحلية عن محمد بن على بن حبيش عن أحمد بن حماد ابن سفيان عن زكريا بن يحيى بن أبان عن أبى صالح كاتب الليث عن أبى لهيعة عن عبادة بن نسى عن عبد الرحمن بن غنم عن عبد الله بن الأرقم عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن سالما شديد الحب لله لو لم يخف الله عزّ وجلّ ماعصاه » وأخرجه الديلمى فى مسند الفردوس من طريق الحافظ أبى بكر بن مردويه عن عبدالله بن اسحق بن إبراهيم عن عبيد بن محمد بن يحيى بن فضاء عن سليمان بن داود الشاذ كونى عن يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق عن الجراح بن المنهال عن خبيب بن نجيح عن عبدالرحمن بن غنم عن عبدالله بن الأرقم عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن معاذ بن جبل إمام العلماء يوم القيامة لايحجبه من الله إلا المرساون ، وإن سالما مولى أبى حذيفة شديد الحبّ لله لولا يخف الله ماعصاه » .

[من ثم غالبا تلى الفعليه ... وفعل جزأيها الزمن مضيه

ولانحتام ... كون ذاك واقعا ... وقصد الاستمرار جا مضارعا

وقصد الاستحضار مثل ما أتى ... فى غير ذا وقد تقضى ضدنا]

بقائم ولامخالفة بين هذا التعريف وماتقدّم لمراعاة المعنى هنا واللفظ هناك لأن الخبر يكون معقولا وملفوظا فالتعريفان بالاعتبارين وقوله وتصد إلى آخر البيت . الثانى المراد بذى الخطاب المخبر : أى الذى هو بصدد الاخبار والاعلام لا كل مخبر إذ قد يكون مقصود المخبر إظهار الضعف نحو : رب إنى وهن العظم منى أو التحزن والتحسر نحو: رب إنى وضعتها أنثى إذ المولى سبحانه عالم بالفائدة ولازمها فى الخبرين أى قصد المخبر بخبره أحد أمرين إما الحكم أى النسبة بين الطرفين المحكوم بها كقولك زيد قائم لمن لم يعلم قيامه أو كونه عالما به كقولك ذلك للعالم به قاصدا إعلامه بأنك عالم بذلك ويسمى الأوّل فائدة الخبر لأن من شأنه أن يستفاد من الخبر وإن استفيد من غيره والثانى لازمها لأنه كلما أفاد الحكم أفاد أنه عالم به وليس كلما أفاد أنه عالم بالحكم أفاد نفس الحكم لجواز أن يكون الحكم معلوما قبل الاخبار كما تقدم. قال: [وربما أجرى مجرى الجاهل

مخاطب إن كان غير عامل

كقولنا لعالم ذى غفلة ... الذكر مفتاح لباب الحضرة] أقول : قد ينزل المخاطب العالم بفائدة الخبر ولازمها أو بأحدهما منزلة الجاهل كقولك لتارك الصلاة وهو يعتقد وجوبها الصلاة واجبة لعدم جريه على موجب العلم لأن من لم يعمل بعلمه هو والجاهل سواء وكقولنا للعالم

الغافل عن ذكر الله تعالى مع علمه بأنه وسيلة إلى حضرة المذكور الذكر مفتاح لباب الحضرة : أى الإلهية والمراد بالحضرة ويعبر عنها بحضرة القدس وهى

الحالة التى إذا وصل إليها السالك سمى عارفا وواصلا أن يكون فى حالة لايرى فيها إلا المولى سبحانه وتعالى فانيا عن الأكوان متوجها بقلبه إلى الرحمن متلقفا مايلقيه المولى سبحانه وتعالى فى قلبه من لطائف العرفان ولاشك أن الوسيلة إلى هذه الحالة ذكر المولى سبحانه وتعالى قال المصنف فى شرحه والغرض من المثال المذكور فى البيت ترغيب طالب العلم فى الدخول فى حضرة المنقطعين إلى الله تعالى الذين تلذذوا بعبادة ربهم وهم فى الدنيا متنعمون بما يرد على قلوبهم من المعارف وما يتجلى لهم من صفات الجلال والجمال وفى الآخرة أسعد وأفضل وتحذيره من الغفلة التى قطعت ظهور كثير من طلبة العلم وطمست بصائرهم حتى توهموا أن العلم مقصود بالذات وماهو مطلوب إلا للعمل إذ لا يصح إلا به فليحذر طالب العلم من الغفلة وليأخذ نصيبه من الأوراد من بدايته إلى نهايته بقدر مالا يشغله عن العلم فان الله سبحانه وتعالى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا فمن زعم أن الأوراد و إن قلت تشغله فذلك من تسويل الشيطان ومن علامات الطرد والخذلان اه . قال :

فى

أى من أجل لو تدلّ على التعليق لزم منه عدم الثبوت وامتنع إيلاؤها الجملة الاسمية فلا تكون جملة شرطها وجوابها إلا فعلية وماورد بخلافه فهو نادر أو مؤوّل على إضمار فعل يفسره ما بعده كقوله تعالى ـ لو أنتم تملكون ـ وقولهم لو ذات سوار لطمتنى ، وقول الشاعر :

أخلاى لو غير الحمام أصابكم عتبت ولكن ماعلى الدهر معتب

ويلزم كون فعليها : أى الشرط والجواب ماضيين لفظا ومعنى لما تقدم من أنها للتعليق فى الماضى وقد يجىء مضارعا لنكت: منها تحقق وقوعه نحو : ولو ترى إذ وقفوا عبر فيه وهو مستقبل قطعا بلو و إذ وهما للمضى لتحقق وقوعه كذا قرّره فالتجوز حينئذ فى لولا فى الفعل وقرّره الشيخ بهاء الدين بأن المعنى لو رأيت فى الماضى و إنما أخبر عنه ماضيا و إن كان مستقبلا لأن من خبره لايخاف يجعل المخبر به كالذى وقع فلذلك أتى برأيت ثم عبر بترى رعاية للأصل . ومنها قصد استمرار عدم وقوع الفعل المعلق عليه فيما مضى وقتا بعد وقت نحو : لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم : يعنى أن عدم طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم مستمر فى الأزمنة الماضية فان المضارع المثبت يفيد استمرار الثبوت فكذا المنفى والداخل عليه لو يفيد استمرار النفى والامتناع ومنها قصد استحضار الصورة فى قوله: ولو ترى قصد استحضار صورة رؤية الكافرين موقوفين على النار لأن المضارع مما يدلّ على الحال الحاضر الذى من شأنه أن يشاهد لأنه يستحضر بلفظ المضارع تلك الصورة فيشاهدها السامعون ولا يفعل ذلك إلا بأمر يهتم بمشاهدته لغرابته أو فظاعته كما فى قوله تعالى ـ أرسل الرياح فتثير سحابا ـ أتى بالمضارع بعد الماضى لقصد استحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة وهذا معنى قولى: مثل ماأتى فى غيرذا : أى فى غير باب لو ومن استعمال المضارع فى غير باب لو للاستمرار قوله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صدّيقا » أى ليعتاد ذلك ويستمر عليه وقد تقدم ضدّ ذلك وهو وقوع الماضى موقع المضارع وعكسه فى آخر باب المسند إليه :

[قلت وأما نفيه فالأحرف ستّ لمعنى كلّ حرف يؤلف
فما و إن كليس نفى الحال ولا ولن لنفى الاستقبال
وافترقا من أنّ للتأكيد لن ونفى ما كان حصوله يظنّ
قيل وللتأبيد لكن تركا وخصه لا ابن خطيب زملكا
قال ولن لنفى ماقد قربا والارتشاف فيه هذا قد أبى
ولم ولما نفى ماض وانفرد لما بالاستغراق مع مدخول قد]

هذه الأبيات من زيادتى وفيها تقييد المسند بحرف النفى ولم يذكره فى التلخيص ولابدّ منه لبيان مابين الأحرف من الفرق وما يختص به من اللطائف وقد تعرّض الكمال ابن الزملكانى فى كتابه التبيان لذلك فأحرف النفى ستة : ما و إن ولا وهى تنفى الاسم والفعل ، ولن ولم ولما وهى تختص بالفعل فالأولان لنفى الحال كليس ولا ولن لنفى الاستقبال ، ولم ولما لنفى الماضى ، ونفى إن أبلغ من نفى ما ، وأما لا ولن فالفرق بينهما من وجوه : منها أن لن آكد فى النفى من لا على المختار الذى جزم به الزمخشرى فى مفصله وكشافه خلافا للنحاة فان ذلك أمر يدرك بالذوق ، وقد وافقه عليه كثير حتى قال بعضهم إن منعه مكابرة قال فى الكشاف فقولك لن أقيم مؤكد بخلاف لا أقيم كما فى إنى مقيم وأنا مقيم . ومنها أن لن لنفى المظنون حصوله ولا لنفى المشكوك فيه ذكره ابن الزملكانى

[فينبغى اقتصار ذى الاخبار   على المفيد خشية الاكثار   فيخبر الخالى بلا توكيد   ما لم يكن فى الحكم ذا ترديد
فحسن ومنكر الاخبار   حتم له بحسب الانكار   كقوله إنا إليكم مرسلون   فزاد بعد مااقتضاه المنكرون
للفظ الابتداء ثم الطلب   ثمت الانكار الثلاثة انسب]

أقول : الفاء تفريعية أى إن كان قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب فينبغى له أن يقتصر فى التركيب على قدر الحاجــة فان كان المخاطب خالى الذهن من الحكم والتردد فيه أى غير عالم بوقوع النسبة أو لاوقوعها ولامترددا فى أنها واقعة أو غير واقعة يلقى له الخبر غـير مؤكد فيقول له زيد قائم مثـلا ولا يزيد على ذلك لئلا يكون مكثرا عليـه بلافائدة و إن كان مترددا فى الخبر طالبا له حسن الاتيان بمؤكد واحـد نحو لزيد قائم و إن كان منكرا وجب توكيده بحسب الانكار أى بقدره قوة وضعفا فكلما زاد الانكار زاد فى التوكيد كقوله تعالى حكاية عن رسـل عيسى إذ كذبوا فى المرة الأولى: إنا إليكم مرسلون فأكد بان واسمية الجملة وفى المرة الثانية: ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون فأكد بالقسم المشار إليه بربنا يعلم وإن واللام واسمية الجملة لمبالغة المخاطبين فى الانكار حيث قالوا : ماأنتم إلا بشر مثلنا وماأنزل الرحمن من شىء إن أنتم إلا تكذبون و يسمى الضرب الأول ابتدائيا والثانى طلبيا والثالث

فى التبيان . ومنها أنّ لن لتأبيد النفى ذكره فى الكشاف أيضا نحو : لن يخلقوا ذبابا. لن يخلف الله وعده و بنى عليه مذهبه الفاسد فى لن ترانى وهو مردود وإنما استفيد تأبيد النفى فى هاتين الآيتين ونحوهما من خارج وعكس ذلك ابن الزملكانى فجعل لن لنفى ماقرب وعدم امتداد النفى وجعل لايمتدّ معها النفى قال وسرّ ذلك أن الألفاظ مشاكلة للمعانى ولا آخرها الألف والألف يمكن امتداد الصوت بها بخلاف النون فطابق كلّ لفظ معناه قال ولذلك أتى بلن حيث لم يرد به النفى مطلقا بل فى الدنيا حيث قال لن ترانى و بلا فى قوله : لا تدركه الأبصار حيث أريد نفى الإدراك على الاطلاق وهو مغاير للرؤية وقد نقل أبو حيان فى الارتشاف عن بعض البيانيين أن لن لنفى ماقرب ولم يرتضه وقولى وخصه لا أى خص لا به وابن خطيب زملكا هو أبو المكارم عبد الواحد ابن عبد الكريم بن خلف الزملكانى جد الشيخ كمال الدين محمد بن على بن عبد الواحد الفقيه المشهور كان متميزا فى علوم عدّة خبيرا بالمعانى والبيان والأدب مات بدمشق فى المحرم سنة إحدى وخمسين وستمائة وله فى هذا الفنّ التبيان كتاب جليل وزملكا بفتح الزاى واللام وسكون الميم والقصر قرية بدمشق ، وأما الفرق بين لم ولما فمن أوجه : منها أن لما لاستغراق النفى أى اتصاله بالحال دائما أو غالبا كقوله :

فان كنت مأكولا فكن خير آكل   وإلا فأدركنى ولما أمزق

بخلاف لم فان منفيها يحتمل الاتصال نحو : ولم أكن بدعائك ربّ شقيا والانقطاع نحو : لم يكن شيئا مذكورا ولهذا جاز لم يكن ثم كان ولم يجز لما يكن ثم كان بل يقال لما يكن وقد يكون . ومنها أن لم لنفى فعل ولما لنفى قد فعل فهى لتأكيد النفى ونشأ عن ذلك أن منفيها لا يكون إلا قريبا من الحال فلا يقال لمايجىء زيد فى العام الماضى بخلاف لم وأنه متوقع ثبوته نحو : لما يذوقوا عذاب أى لم يذوقوه إلى الآن وذوقهم له متوقع بخلاف لم ولهذا أجازوا لم يقض ما لايكون :

[وكون ما أسند ذا تنكر   لقصد أن لاعهد أو لم يحصر
كذاك للتفخيم أو للضعف   وكونه مخصصا بالوصف
أو باضافة لكونها أتمّ   فائدة وتركه للفقد عمّ]

البحث الخامس : فى تنكير المسند وتخصيصه وتعريفه . فأما تنكيره فلارادة عدم العهد وعدم الحصر الدالّ عليهما التعريف نحو قولك زيد كاتب وعمرو شاعر . وللتفخيم نحو : هدى للمتقين على أنه خبر محذوف . وللتحقير وهو معنى قولى للضعف نحو مازيد شيئا وأما تخصيصه بالوصف أو الاضافة فلكون الفائدة أتمّ نحو زيد كاتب مجيد وزيد غلام رجل وأماترك ذلك فلفقد الأسباب المقتضية للتخصيص :

[وكونه معرّفا ليفهما   مخاطب حكما على ماعلما
ببعض ماعرف بالذى جهل   أولازما كذا أخى أوالأجل
عهدا أوالجنس أرد كعكس   ذين وقد يفيد قصر الجنس
ذواللام تحقيقا على شىء كذا   مبالغا كهو الأمير والأذى
ومن يقل معين للابتدا   اسم وللاخبار وصف فارددا]

تعريف المسند يكون لافادة المخاطب حكما أولازم حكم على شىء معلوم له بأحد طرق التعريف بأمر

إنكاريا وهذا معنى قوله للفظ الابتداء ثم الطلب البيت ويسمى إخراج الكلام على هذه الوجوه أي الخلو عن التوكيد في الأول والتقوية بمؤكد استحسانا في الثاني ووجوب التوكيد بحسب الانكار في الثالث إخراجا على مقتضى الظاهر وهو أخصّ مطلقا من مقتضى الحال قال :

[واستحسن التوكيد إن لوحت له
بخبر كسائل في المنزله
وألحقوا أمارة الانكار به
كعكسه لنكتة لم تشتبه]

أقول : تقدم أن إخراج الكلام على الوجوه المتقدمة إخراج على مقتضى الظاهر وقد يخرّج الكلام على خلافه فيؤتى بمؤكد استحسانا لخالي الذهن إذا قدم إليه مايلوح بالخبر فيستشرف له استشراف المتردد الطالب نحو : ولا تخاطبني في الذين ظلموا أي لا تدعني يانوح في شأن قومك فهذا الكلام يلوح بالخبر ويشعر بأنه قد حقّ عليهم العذاب لأن النهي مشوف للنفس عادة إلى طلب السبب فصار المقام مقام أن يتردد المخاطب في أنهم هل صاروا محكوما عليهم بالاغراق أم لا فقيل إنهم مغرقون بالتأكيد وهذا معنى قوله واستحسن البيت والضمير في له للمخاطب وقوله كسائل أي كطالب في المنزلة أي منزلا له منزلة الطالب للخبر ويجعل المقرّ كالمنكر إذا ظهر عليه شيء من أمارات الانكار فيؤكد له الكلام تأكيد المنكر نحو :

آخر مثله أي إذا كان السامع يعلم للمحكوم عليه إحدى صفتين وأردت أن تفيده الأخرى فاجعل المعلوم له مبتدأ وغيره خبرا كما إذا كان يعرف زيدا باسمه ووصفه ويجهل كونه أخاه فتقول زيد أخوك وكذا من علم ذلك وأنه وقع انطلاق من شخص تقول له عمرو المنطلق وعكس هذين المثالين وهو أخوك زيد والمنطلق عمرو لمن علم أن له أخا ولايعلم كونه زيدا أو أنه وقع انطلاق ولايعلم أنه من عمرو وسواء كانت اللام عهدية كما ذكر أم جنسية كما إذا عرف السامع إنسانا بعينه ووصفه وهو يعلم جنس المنطلق وأردت أن تعرفه اتصاف عمرو به فتقول عمرو المنطلق وإن أردت أن تعين عنده جنس المنطلق قلت المنطلق عمرو فالباء في قولي ببعض متعلق بعلم وفي بالذي متعلق بيفهم وعرف مشدّد مبني للفاعل ولازما معطوف على حكما أي إذا كان السامع غير جاهل بهما ولكن قصد إعلامه بأنه يعرف أحدهما وحكم به على الآخر نحو الذي أثنى عليّ أنت لمن يعلم أنّ الثناء نقل إليك ولا يدري هل تعلم أنه المثني أولا تقديره علمت أن المثني أنت وتقول في عكسه أنت المثني عليّ وقد يفيد ذو اللام قصر الجنس على شيء مسندا كان أو مسندا إليه تحقيقا أو مبالغة لكماله فيه فالأول زيد الأمير إذا لم يكن أمير سواه والثاني عمرو الشجاع وزيد الأذى أي الكامل فيهما لأنه لااعتداد بشجاعة غيره وأذاه لقصورها عن رتبة الكمال والاتيان بقد إشارة إلى أنه قد لايفيده كقول الخنساء :

إذا قبح البكاء على قتيل ... رأيت بكاءك الحسن الجميلا

ثم نبهت على أن بعضهم قال في نحو عمرو المنطلق والمنطلق عمرو أن الاسم متعين للابتدائية تقدّم أو تأخر لدلالته على الذات والصفة متعينة للخبرية كذلك لدلالتها على أمر نسبي وعليه الإمام الرازي وهو مردود بأن المنطلق لا يجعل مبتدأ إلا بمعنى الشخص الذي له الانطلاق وهو بهذا المعنى لايكون خبرا لأنه دال على الذات وعمرو لايجعل خبرا إلا بمعنى صاحب اسم عمرو وهو بهذا المعنى لايحسن مبتدأ لدلالته على أمر نسبي :

[وجملة تجيء للتقوية ... أو سببيا كان كالاسمية
فعلية شرطية لما مضى ... ظرفية تقديرها الفعل رضا
فلاختصارها وفي تأخيره ... لنكتة اهتمام شأن غيره
وعكسه لكونه بالمسند ... إليه مخصوصا كما فيها عدى
من ثم في لاريب فيه أخرا ... كي لا يفيد الريب فيما غبرا
أو فهم الاخبار به من أول ... أو لتشوق أو التفاؤل]

البحث السادس : في كونه جملة وذلك لتقوى الحكم بنفس التركيب أي لابالتكرير والأداة نحو أنا قمت أو لكون المسند سببيا كما تقدم في مثل زيد أبوه قائم واسميتها وفعليتها وشرطيتها لما مضى من أن الاسمية للدوام والثبوت والفعلية للتجدد والحدوث والدلالة على أحد هذه الأزمنة باختصار والشرطية للاعتبارات المختلفة الحاصلة من أداة الشرط وظرفيتها لاختصار الفعلية إذ الظرف مقدر بالفعل وهو كان أو استقر على الأصح لأن الفعل هو الأصل في العمل ، وقيل باسم الفاعل لأن الأصل في الخبر أن يكون مفردا وبسط الكلام على ذلك في كتب النحو .

البحث السابع : في تأخيره وتقديمه فالأول هو الأصل ويبقى إذا كان ذكر المسند إليه أهم والثاني وهو

التقديم إما لتخصيصه بالمسند إليه نحو: لافيها غول أى بخلاف خمر الدنيا ولذلك لم يقدم فى قوله تعالى: لاريب فيه بأن يقال لافيه ريب لئلا يفيد ثبوت الريب فى سائر كتب الله تعالى ، أو لافادة أنه خبر من أول وهلة لانعت نحو : ✲ له همم لامنتهى لكبارها ✲ إذلوقال همم له توهم أنه نعت أو للتشوق إلى المسند إليه بأن يكون فى المسند المتقدم طول تشوق النفس إلى ذكره ليكون له وقع نحو :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها ⁂ شمس الضحى وأبو اسحق والقمر

أو للتفاؤل نحو :

سعدت بغرة وجهك الأيام ⁂ وتزينت ببقائك الأعوام

[قلت وللمفعول إنما بنى ⁂ لكونه فى الذكر نصب الأعين
أو السياق دل أو لايصدر ⁂ عن غيره أو كونه يحقر
كذاك للجهل والاختصار ⁂ والسجع والروى والايثار]

هذه الأبيات من زيادتى نبهت فيها على حذف الفاعل و بناء المسند إذا كان فعلا للمفعول وهو فى التبيان دون التلخيص وذلك لنكت : منها العلم به وله صور منها كونه نصب عين المتكلم نحو: ولما سقط فى أيديهم أى سقط الندم فى قلوبهم . ومنها دلالة السياق عليه . ومنها كون الفعل لايصدر عن غير الفاعل نحو: وقيل ياأرض ابلعى ماءك ، ومن النكت تحقيره والجهل به نحو قطع اللص وسرق ثوب فلان . والاختصار وتقارب السجع نحو كثر النضال وقل الرجال . وموافقة الروى نحو. ✲ ولابد يوما أن ترد الودائع ✲ لأن القافية مرفوعة . ومنها إيثار غرض المخاطب نحو شتم فلان وخلع على فلان .

[تنبيه]

[غالب هذا الباب والذى خلا ⁂ يجىء فى سواهما تأملا]

أى ماذكر فى باب المسند إليه والمسند من الذكر والحذف والتقديم والتأخير وغير ذلك من الأبحاث لايختص بهما بل يأتى فى غيرهما من الفاعيل والملحق بها وغير ذلك وقولنا غالب لأن منه مايختص بالبابين كضمير الفصل فانه مختص بباب المسند إليه والمسند وككون المسند المفرد فعلا فانه مختص بالمسند إذ كل فعل مسند دائما .

أحوال متعلقات الفعل ومايعمل عمله

[الفعل أو بقية العوامل ⁂ مع اسمها المنصوب مثل الفاعل
فى ذكره ليفهم التعلقا ⁂ دون إفادة الوقوع مطلقا
فحذفه إن أطلق الاثبات له ⁂ أو نفيه للاسم أعنى فاعله
لكونه نزل كاللازم لا ⁂ مقدر فيه فأما جعلا
الفعل كانيا عن الفعل يخص ⁂ معموله دل عليه نوع نص
كشجو حسادك أن يرى بصر ⁂ أى أن يكون مبصرا المناظر
أو لايكون مثل مالونا ⁂ هل يستوى الذين يعلمونا
أما الذى يحذف وهو مارفض ⁂ فلائقا قدر وفى هذا الغرض

جاء شقيق عارضا رمحه ✲ إن بنى عمك فيهم رماح فشقيق لاينكر أن فى بنى عمه رماحا لكن مجيئه واضع الرمح على العرض من غير التفات وتهيؤ أمارة أنه يعتقد أن لارمح فيهم بل كلهم عزل أى لاسلاح معهم فنزل منزلة المنكر وأكد له الخطاب وهذا معنى قوله : وألحقوا أمارة الانكار به أى بالانكار أى ألحقوا عدم الانكار المصاحب لأمارة الانكار بالانكار وقوله كعكسه أى جعل المنكر كالمقر إذا كان معه دلائل وشواهد لو تأملها ارتدع عن انكاره فلا يؤكد له وهو المراد بقوله : لنكتة لم تشتبه كقولك لمنكر الاسلام الاسلام حق بلاتأكيد لأن مع المنكر دلائل ودالة على حقية الاسلام وأما تمثيل الأصل بقوله تعالى : لاريب فيه فليس من هذا القبيل بل تنظير لمسئلة بتنزيل وجود الشىء منزلة عدمه بناء على وجود مايزيله فانه نزل ريب المرتابين منزلة عدمه تعويلا على مايزيله حتى صح نفى الريب على سبيل الاستغراق كما نزل الانكار منزلة عدمه لذلك حتى صح ترك التأكيد . قال : [بقسم قد إن لام الابتدا ونونى التوكيد واسم أكدا. والنفى كالاثبات فى ذا الباب ✲ يجرى على الثلاثة الألقاب بان وكان لام أو باء يمين ✲ كما جليس الفاسقين بالأمين] أقول : بين بعض مايؤكد به الخبر فالقسم نحو والله زيد قائم وقد نحو قد قام زيد وإن نحو إن

زيدا قائم ولام الابتداء نحو لزيد قائم ونونى التوكيد نحو ليقومنّ زيد بتشديد النون وتخفيفها والاسم أى اسمية الجملة نحو زيد عالم فقوله بقسم متعلق بأ كذا آخر البيت وألفه للاطلاق أو مبدلة من نون التوكيد الخفيفة أى

من بعد الابهام البيان مثل شا	مالم يك التباسه مستوحشا
أو دفع أن يبتدر الذهن إلى	غير المراد واعتناء كملا
بذكر الايقاع له بعد على	صريحه أو أدب مع العلا
أو اختصار مع دليل قام له	أوهجنة أو أن تراعى الفاصله
كذا إفادة العموم بالكلام	كقوله يدعو إلى دار السلام]

هذا باب أحوال متعلقات الفعل وما يعمل عمله من اسم الفاعل ونحوه والتنبيه عليه من زيادتى لاشك أن الفعل مع المفعول كالفعل مع الفاعل من أن الغرض من كل منهما إفادة التلبس به لا إفادة وجوده فقط فعمل الرفع فى الفاعل ليفيد وقوعه منه والنصب فى المفعول ليفيد وقوعه عليه فالمتكلم تارة يريد الاخبار عن الفعل أى الحدث من غير تلبس بفاعل ولا مفعول فيقول وقع ضرب ونحوه فليس فى هذا التركيب شئ من متعلقات الضرب وتارة يريد فاعله فيأتى بالفعل الصناعى ثم إن كان متعديا فتارة يقصد الاخبار بالحدث فى المفعول دون الفاعل فيبنى للمفعول وتارة يقصد الاخبار بالفاعل ولايذكر مفعوله وهو ضربان : أحدهما أن يقصد إثبات المعنى للفاعل أو نفيه عنه على الاطلاق من غير اعتبار عموم ولا خصوص ولا تعلق بمن وقع عليه فالمتعدى حينئذ كاللازم فلا يذكر مفعوله لئلا يتوهم السامع أن الغرض الاخبار بتعلقه بالمفعول ولايقدر حينئذ لأن المقدّر كالمذكور ثم هذا ضربان لأنه إما أن يجعل إطلاق الفعل كناية عن الفعل متعلقا بمفعول مخصوص دلت عليه القرينة أولا الأول كقول البحترى يمدح المعتز بالله :

شجو حساده وغيظ عداه ... أن يرى مبصر ويسمع واعى

أى ليس فى الوجود ما يرى وما يسمع إلا آثاره المحمودة فاذا أبصر مبصر لايرى إلا محاسنه وإذا سمع سامع كذلك فغيظ عداه أن يقع إبصار أوسمع فانه كيف وقع لايقع إلا على محاسنه بخلاف مالو قال أن يرى مبصر محاسنه فانه ليس فيه حينئذ مايقتضى أنه ليس فى الوجود مايبصر غير محاسنه . والثانى كقوله تعالى: هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون أى من له صفة العلم ومن ليست له وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا وأنه هو أغنى وأقنى أى هو الذى منه الاضحاك والإبكاء والامانة والاحياء والاغناء والإقناء .

الضرب الثانى أن لايقطع النظر عن المفعول بل يقصد ولايذكر لفظا ويقدر بحسب القرائن والغرض فى ذلك الحذف أمور : منها قصد البيان بعد الابهام كما فى فعل المشيئة نحو : فلوشاء لهداكم أى هدايتكم فانه إذا سمع السامع فلوشاء تعلقت نفسه بشىء انبهم عليه لايدرى ماهو فلما ذكر الجواب استبان المبهم إلا أن يكون تعلقه به غريبا فلا بد من ذكره كقوله :

ولو شئت أن أبكى دما لبكيته ... عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

ومنها دفع ابتدار الذهن إلى غير المراد كقوله :

وكم ذدت عنى من تحامل حادث ... وسورة أيام حززن إلى العظم

فانه لم يفهم أن المحزوز اللحم حتى علم أن الحز وصل إلى العظم فلو قال حززن اللحم توهم أولا أن المقصود الاخبار بحز اللحم من غير نظر إلى انتهائه إلى العظم . ومنها إرادة ذكره ثانيا على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظه إظهارا لكمال العناية بوقوعه عليه كقوله :

أكدن بقسم وقد الخ المعطوفات بحرف العطف المحذوف وقوله والنفى البيت يعنى أن الخبر المنفى كالخبر المثبت فى وجوهه الثلاثة المتقدمة من التجريد عن المؤكدات فى الابتداء وتقويته بمؤكد استحسانا فى الطلبى ووجوب التأكيد بحسب الانكار فى الانكارى وفى الاخراج على خلاف مقتضى الظاهر تقول لخالى الذهن مازيد قائما وللطالب مازيد بقائم وللمنكر والله مازيد بقائم ومن هذه تعلم أمثلة الخروج عن مقتضى الظاهر فى النفى والألقاب الأنواع وقوله بان وكان البيت إشارة إلى بعض مؤكدات الخبر فى النفى وهى إن الزائدة نحو ما إن زيد قائم وكان نحو ما كان زيد قائما ولام الجحود نحو ما كان زيد ليقوم والباء نحو مازيد بقائم ومنه مثال الكتاب وهو ماجليس الفاسقين بالأمين أى على الشريعة لأن من تخلق بحالة لايخلو حاضره منها واليمين نحو والله مازيد قائما . قال:

[فصل فى الاسناد العقلى]

قد [والحقيقة مجاز وردا * للعقل منسوبين أما المبتدا

إسناد فعل أو مضاهيه إلى ☆ صاحبه كفاز من تبتلا   أقسامه من حيث الاعتقاد   وواقع أربعة تفاد]

أقول : الفصل معناه لغة القطع ، واصطلاحا جملة من الكلام ويعبر عنها تارة بالكتاب وتارة بالباب فان جمع بين الثلاثة كان الأول والثالث مندرجين تحت الثانى والأول مندرجا تحت الثالث وهذا الفصل معقود لبيان أن الاسناد مطلقا ينقسم إلى الحقيقة العقلية والمجاز العقلى وأقسام كل فالحقيقة العقلية إسناد الفعل أو مافى معناه كالمصدر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل والظرف إلى ماهوله عند المتكلم فى الظاهر كالفاعل فيما بنى له نحو ضرب زيد عمرا والمفعول فيما بنى له نحو ضرب عمرو فان الضاربية لزيد والمضروبية لعمرو بخلاف نحو نهاره صائم فعند المتكلم مدخل لما يطابق الاعتقاد دون الواقع وفى الظاهر مدخل لما لايطابق الاعتقاد وكل منهما متعلق بله ومعنى كونه له أن معناه قائم به وحقه أن يسند إليه سواء كان صادرا عنه باختياره أو بغير اختياره نحو ضرب زيد ومات عمرو على مافيه ومنه مثال الكتاب وبمقتضى هذا التعريف تكون أقسام الحقيقة العقلية من جهة الواقع والاعتقاد أربعة : الأول ماطابق الواقع والاعتقاد كقولنا معاشر المؤمنين

قد طلبنا فلم نجد لك فى السو   دد والمجد والمكارم مثلا

أراد إيقاع نفى الوجدان على المثل صريحا بخلاف مالو قال قد طلبنا لك مثلا فلم نجد . ومنها التأدب مع المخاطب فى مثل هذا البيت بأن لايصرح له بأنه طلب له مثلا . وما أحسن قولى فى شيخنا الامام تقى الدين الشيخ الشمنى رحمه الله تعالى من جملة قصيدة أمدحه بها آخذا معنى هذا البيت على طريق أبلغ منه :   ماطلبنا لعلمنا أنه ما   لك فى المجد والمكارم مثلا

ومنها الاختصار مع قيام قرينة دالة على قصده نحو أصغيت إليه أى أذنى وبنى على امرأته أى قبة ومنه أرنى أنظر إليك أى ذاتك . ومنها تجنب الهجنة فى ذكره كقول عائشة رضى الله تعالى عنها: مارأيت منه ولارأى منى، أى العورة. ومنها مراعاة الفاصلة نحو ـ ماودعك ربك وما قلى ـ أى وماقلاك . ومنها إفادة العموم كقوله تعالى ـ والله يدعوا إلى دار السلام ـ أى كل أحد وقولى ونحو ذا فى أول الأبيات الآتية نحوف ذكره وتأتى الانكار عند الحاجة وغير ذلك .

[ونحو ذا وكونه مقدما   لرد تعيين الخطا من ثم ما
يقال ما أبو البقاء لمته   ولا سواه لا ولكن عبته
أما فى الاشتغال فالتأكيد إن   قدر مافسر قبله يعن
وبعد تخصيص وهذا يغلب   فيه كيار بى إليك أرغب
وقد يفيد فى الجميع الاهتمام   به ومن ثم الصواب فى المقام
تقدير ماعلق بسم الله به   مؤخرا فان يرد بسببه ☆
تقديمه فى سورة اقرأ فهنا   كان القراءة الأهم المعتنى
قلت وشرط الاختصاص منع أن   يستوجب التقديم أوبالوضع عن
أو كان مصلحا لأن يركبا   وبعضهم للاختصاص قد أبى
ويرفع الخلاف قول السبكى   ليس رديف الحصر غير شك]

تقديم المفعول على الفعل يكون لرد الخطأ فى التعيين بأن يكون المخاطب يظن وقوعه على مفعول معين وهو واقع على غيره كقولك زيدا عرفت لمن اعتقد أنك عرفت إنسانا غيره ويؤكد هذا قولك لاغيره ولذلك لايقال مازيدا ضربت ولاغيره لأن التقديم يدل على وقوع الضرب على غير زيد تحقيقا لمعنى الاختصاص وقولك ولا غيره ينفى ذلك فيتناقضان وكذا لايقال مازيدا ضربته ولكن أكرمته لأن مبنى الكلام ليس على أن الخطأ واقع فى الفعل بأنه الضرب حتى ترده إلى الصواب بأنه الاكرام وإنما الخطأ فى تعيين المضروب ، فالصواب ولكن عمرا . أما فى باب الاشتغال نحو زيدا عرفته فان قدر الفعل المفسر قبل المنصوب فليس مما نحن فيه لأن المفعول حينئذ غير مقدم فلا يكون فيه إلا تأكيد باعادة الجملة أو بعده قبل المفسر فهو مما نحن فيه فيكون للتخصيص ما لم يصرف عنه صارف والتخصيص لازم للتقديم غالبا فى سائر المفعولات نحو ـ إياك نعبد وإياك نستعين ـ أى نخصك بالعبادة والاستعانة ونحو: لإلى الله تحشرون. أى لا إلى غيره وقد يفيد وراء التخصيص شيئا آخر وهو الاهتمام بالمعمول المقدم ولذلك كان الأولى عند الجمهور تقدير العامل فى بسم الله متأخرا فيقدر مثلا إقرأ . فان قيل : قد ذكر مقدما فى قوله تعالى ـ إقرأ باسم ربك ـ أجيب : بأن الأهم ثم ذكر القراءة لأنها أول سورة نزلت ثم نبهت من زيادتى على أن شرط إفادة التقديم الاختصاص أن لايستوجب المعمول التقديم رتبة كأسماء الاستفهام وأن لا يكون سمع مقدما وهو

أنبت الله البقل . الثانى ماطابق الاعتقاد فقط كقول الجاهل أى الكافر أنبت الربيع البقل . الثالث ماطابق الواقع فقط كقول المعتزلى لمن لايعرف حاله وهو يخفيها عنه خلق الله الأفعال كلها . الرابع مالايطابق واحدا منهما كقولك جاء زيد وأنت تعلم أنه لم يجئ * دون المخاطب قوله ولحقيقة ، الظاهر أنه متعلق باثنين محذوفا ومجاز معطوف بعاطف محذوف ومنسو بين حال من ضمير ورد البارز وللعقل متعلق به أى فيقال حقيقة عقلية ومجاز عقلى ويصح تعليقه بورد العائد ضميره للاسناد وألفه للاطلاق ومنسو بين صفة لهما وللعقل متعلق به أى ورد الاسناد إلى حقيقة و إلى مجاز منسو بين للعقل وقوله أما المبتدأ أى الحقيقة العقلية وقوله أو مضاهيه أى مشابهه فى الدلالة على الحدث وفاز من تبتلا أى أفلح من انقطع إلى مولاه والتبتل قسمان تبتل البداية وهو الانقطاع عن الخلق بالعزلة وهو وصف المريدين وتبتل النهاية وهو خلو القلب وانقطاعه عن السوى وهو وصف الواصلين وقوله أقسامه الضمير للمبتدإ ولو نظر للمراد به وهو الحقيقة لأنث الضمير كما هو ببعض النسخ ولم يأت المصنف بأداة حصر ليفيد أن بعض الاسناد ليس لم بحقيقة ولا مجاز نحو الانسان حيوان لعدم كون المسند فعلا أو مافى معناه . واعلم أن الحقيقة والمجاز يتصف بهما الاسناد أولا

معنى قولى أو بالوضع عن ، وأن لا يكون سببا لاصلاح التركيب مثل ـ وأما ثمود فهديناهم ـ على أن بعضهم كابن الحاجب أبى أن يكون التقديم يفيد الاختصاص ووهم من ظن ذلك واستدل بقوله تعالى ـ فاعبد الله مخلصا له الدين ـ وبقوله تعالى ـ بل الله فاعبد ـ وتابعه أبو حيان وكذا صاحب الفلك الدائر واستدل بقوله تعالى ـ كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ـ والذى أوقعهم فى ذلك ظن أن الاختصاص هو الحصر وفى ذلك بحث والذى رجحه الشيخ تقى الدين السبكى فى تأليف له فى المسئلة تغايرهما فقال الحصر نفى غير المذكور وإثبات المذكور والاختصاص قصر الخاص من جهة خصوصه فيقدم للاهتمام به من غير تعرض لنفى غيره قال و إنما جاء النفى فى إياك نعبد للعلم بأن قائليه لايعبدون غير الله ولذا لم يطرد ذلك فى بقية الآيات فان قوله ـ أفغير دين الله يبغون ـ لو جعل فى معنى مايبغون إلا غير دين الله وهمزة الانكار داخلة عليه لزم أن يكون المنكر الحصر لا مجرد بغيهم غير دين الله وليس المراد ، وكذلك آلهة دون الله تريدون المنكر إرادتهم آلهة دون الله من غير حصر انتهى .

[و بعض معمولاته يقدم على السوى إذ أصله التقدم
والاقتضا لمعدل كأول أعطى وكالفاعل أو الخلل
يحصل بالتأخير فى معناه أو تناسب والاختصاص قد حكوا]

يجوز تقديم بعض معمولات الفعل على بعض لأن أصل ذلك المعمول التقديم على غيره ولا مقتضى للعدول عنه كالفاعل فان أصله التقدم على المفعول لأنه عمدة والمفعول الأول فى باب أعطى لأنه فاعل فى المعنى إذ هو آخذ أو لأن تأخيره يورث خللا فى المعنى نحو ـ قال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ـ إذ لو أخر قوله من آل فرعون لتوهم أنه متعلق بيكتم فلم يفهم أنه منهم أو لتناسب كرعاية الفاصلة نحو ـ فأوجس فى نفسه خيفة موسى ـ بتقديم المجرور والمفعول على الفاعل أو للاختصاص وهو من زيادتى نحو ـ إن إلينا إيابهم ـ ذكره الشيخ بهاء الدين .

[وقد يجى عن مصدر سواه لنكتة تدرك من فحواه
ونكتة التمييز حين حولا فخامة تدرك حين يجتلى]

هذان البيتان من زيادتى وذلك أن متعلقات الفعل تشمل المفعول والمصدر الظرف والحال والتمييز وتقدم الكلام على المفعول ولم يذكر فى التلخيص غيره وأشار إلى الباقى فى التقديم فقط والحال ذكره فى تذنيب عقب الوصل والفصل وذكره ابن الزملكانى هنا وذكر معه التمييز وذكر الطيبى المصدر . فأما المصدر فنتكلم فيه هنا من جهة النيابة عنه إما بمصدر آخر أو نحوه ولذلك نكت تدرك فى محالها فمن ذلك قوله تعالى ـ والله أنبتكم من الأرض نباتا ـ والأصل إنباتا وفائدته التنبيه على تحتم القدرة وسرعة نفاذ حكمها كأن إنبات الله تعالى نفس النبات وقوله :

وإن هى أعطتك الليان فانها لغيرك من خلانها ستلين

أى غرتك باللين ومنحتك المحبة منحا بالغا وأما التمييز ففائدته البيان قال ابن الزملكانى وله من الفخامة فى الجمل مالايدفع ومن محاسنه قوله تعالى ـ واشتعل الرأس شيبا ـ أسند الفعل فيه إلى الرأس وهو لشيبه فحصل فيه من الفوائد مالا يحصل فى قولك اشتعل شيب الرأس أو الشيب فى الرأس من إفادة لمعان الشيب فى الرأس المشمول به وأنه قد شاع فيه واستولى عليه وأخذه من نواحيه وجوانبه حتى

و بالذات واللفظ ثانيا و بالعرض و بذلك ناسب ذكرهما في فن المعاني الباحث عن أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال وقد تبع الأصل في إيرادهما هنا وفيه نظر يعلم من المطول وأن الحقيقة تنقسم

أربعة أقسام باعتبار الطرفين لأنهما إما مستعملان في حقيقتهما اللغوية أو مجازهما أو المسند إليه في حقيقته والمسند في مجازه أو عكسه فالأول نحو خلق الله زيدا والثاني نحو أحيا البحر زيدا تريد أعطى الكريم زيدا والثالث نحو أحيا الإله البقل والرابع نحو جاء زيد وأنت تريد غلامه. قال: [والثاني أن يسند للملابس ليس له يبنى كثوب لابس أقسامه بحسب النوعين في جزءيه أربع بلا تكلف] أقول: مراده بالثاني المجاز العقلي وهو إسناد الفعل أو شبهه إلى ملابس بالفتح له غير ماهو له بتأويل أي غير الملابس الذي ذلك الفعل أو معناه مبني له أي غير الفاعل في المبني للفاعل وغير المفعول به في المبني للمفعول به ومعنى التأويل نصب قرينة صارفة عن كون الاسناد إلى ماهو له فخرج قول الكافر أنبت الربيع البقل لأنه معتقده وكذا الأقوال الكاذبة وهذا معنى قوله والثاني أن يسند أي الفعل الخ وللفعل ملابسات شتى واقتصر الأصل عليه وإن كان ما في معناه كاسم الفاعل كذلك لأنه الأصل. يلابس الفاعل

لم يبق من السواد شيء وإن بقي شيء لا يعتد به ووزانه اشتعل البيت نارا فإنه يفيد إستيلاء النار عليه وشمولها له بخلاف قولك اشتعلت النار في البيت فإنه لا يفيد أكثر من وقوعها فيه ومثله: وفجرنا الأرض عيونا أفاد أن الأرض صارت عيونا كلها وأن الماء يفور من كل مكان.

الباب الخامس القصر

إما حقيقي وإما غير ذا ... فالقصر للموصوف والوصف اللذا
أعم معنى أول الحقيقي ... كأنما محمد صديق
أي ماله وصف سواه يورد ... وهو عزيز لا يكاد يوجد
والثاني منه غالب كليس في ... ذا الدار إلا ذا وربما يفي
مبالغا إذ غيره ما اعتدّ به ... وأول المجاز خذ لا يشتبه
تخصيص أمر صفة دون صفه ... أو وضعت عنها وثاني ذي الصفه
تخصيصه الوصف بأمر دون ما ... سواه أو مكان ذاك فهما
ضربان فالخطاب بالأول من ... ضربيهما لمن لشركة يظن
فقصر إفراد لقطع الشركة ... والثاني من يعتقد العكس التي
فقصر قلب أو تساويا لدى ... مخاطب فقصر تعيين بدا]

هذا هو الباب الخامس، والقصر تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص وهو حقيقي ومجازي وكل منهما قصر الموصوف على الصفة بأن لا يتجاوزها إلى صفة أخرى ويجوز أن تكون تلك الصفة لموصوف آخر وقصر الصفة على الموصوف بأن لا تتجاوزه إلى موصوف آخر ويجوز أن يكون لذلك الموصوف صفات أخر والمراد بالصفة المعنوية وهي أعم من النعت النحو فالأول من الحقيقي أي قصر الموصوف على الصفة نحو ما زيد إلا كاتب أي لا صفة له غيرها وهو عزيز لا يكاد يوجد لتعذر الإحاطة بصفات الشيء حتى يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداها بالكلية. والثاني من الحقيقي وهو قصر الصفة على الموصوف كثير نحو ما في الدار إلا زيد وربما يقصد به المبالغة لعدم الاعتداد بغير المذكور حتى كأنه كالعدم والأول من المجازي وهو قصر الموصوف على الصفة تخصيص أمر بصفة دون صفة أخرى أو مكانها وعكسه تخصيص صفة بأمر دون آخر أو مكانه فعلم أن كلا من قصر الموصوف على الصفة وعكسه ضربان: الأول التخصيص بشيء دون شيء. والثاني التخصيص بشيء مكان شيء، والمخاطب بالأول وهو التخصيص بشيء دون شيء من ضربي قصر الموصوف وقصر الصفة من يعتقد الشركة أي شركة صفتين في موصوف واحد في قصر الموصوف وشركة موصوفين في صفة واحدة في قصر الصفة فالمخاطب بقولنا ما زيد إلا كاتب من يعتقد اتصافه بالشعر والكتابة وبقولنا ما كاتب إلا زيد من يعتقد اشتراك زيد وعمرو في الكتابة ويسمى هذا قصر إفراد لقطع الشركة التي اعتقدها المخاطب والمخاطب بالثاني وهو التخصيص بشيء مكان شيء من ضربي كل منهما من يعتقد عكس الحكم الذي أثبته المتكلم فالمخاطب بقولنا ما زيد إلا قائم من يعتقد اتصافه بالقعود دون القيام وبقولنا ما شاعر إلا زيد من اعتقد أن الشاعر عمرو لا زيد ويسمى هذا قصر قلب لقلبه ما عند المتكلم وإن تساوى الأمران عند المخاطب بمعنى أنه غير حاكم على أحدهما بعينه

لوقوعه منه والمعقول به لوقوعه عليه والمصدر لأنه جزء معناه والزمان والمكان لوقوعه فيهما والسبب لأنه يحصل به فاسناده إلى الفاعل أو المفعول إذا كان مبنيا له حقيقة كما مرّ و إلى غيرهما أى غير الفاعل فى المبنى للفاعل وغير المفعول به فى المبنى للمفعول لجامع بينهما وهو ملابسة كل منهما للفعل مجازا كقولهم عيشة راضية فيما بنى للفاعل وأسند للمفعول به إذ العيشة مرضية وحقيقة الكلام رضى المرء عيشته ثم أسند الفعل إلى المفعول من غير أن يبنى له فبقى رضية العيشة وهو معنى كونه مجازا ثم سبك من الفعل المبنى للفاعل اسم فاعل وأسند إلى ضمير العيشة فآل الأمر إلى أن صار المفعول فاعلا ومنه مثال الكتاب وهو ثوب لابس والأصل لبس زيد ثوبا ثم أسند الفعل إلى المفعول فى التقدير من غير أن يبنى له فصار لبس ثوب ثم سبك من الفعل اسم فاعل وقيل ثوب لابس وسيل مفعم فيما بنى للمفعول وأسند إلى الفاعل وحقيقة الكلام أفعم السيل الوادى أى ملأه فأسند الفعل إلى المفعول فى التقدير من غير أن يبنى له فصار الكلام هكذا أفعم الوادى السيل ثم حذف الفاعل وأقيم المفعول مقامه وبنى الفعل له فصار أفعم السيل وهو معنى كونه مجازا نظرا إلى التركيب الأول ثم سبك منه اسم مفعول وقيل سيل مفعم

ولا بإحدى الصفتين بعينها فانه يسمى قصر تعيين لتعيينه ماهو غير معين عند المخاطب فالمخاطب بقولنا مازيد إلا قائم من يعتقد أنه إما قاعد و إما قائم من غير علم بالتعيين و بقولنا ماشاعر إلا زيد من يعتقد أن الشاعر زيد أو عمرو من غير أن يعلمه على التعيين :

[والشرط فى الموصوف إذ مايفرد | أن لاتنافى فى الصفات يوجد
والقلب أن يوجد والتعيين عم | وطرق القصر كثيرة تضم
كالعطف زيد قائم لا قاعد | وليس عمرو شاعرا بل حامد
والنفى مع إلا كما محمد | إلا رسول ما الحمى إلا اليد
و إنما وما أصاب الجاحد | كأنما الله إله واحد
كذا إذا قدمته نحو بنا | مرّ وفى الوصف تميمى أنا
قلت وقيل أن بالفتح وما | كأنما يوحى إلىّ أنما
وذكر مسند إليه وكذا | تعريفه ومسند وغير ذا]

شروط قصر الموصوف على الصفة إفرادا عدم تنافى الوصفين ليصح اعتقاد المخاطب اجتماعهما فى الموصوف حتى تكون الصفة المنفية فى قولنا ماز يد إلا شاعر كونه كاتبا أومنجما لا كونه مفحما أى عاجزا عن الشعر لأن ذلك ينفيه قولنا هو شاعر بلا قصر والسامع لايمكن أن يتخيل اجتماعهما فى ذهنه بخلاف مالاينافى الشعر وشرط قصره قلبا أن يوجد تنافى الوصفين حتى يكون المنفى فى قولنا ماز يد إلا قائم كونه قاعدا أومضطجعا ونحو ذلك لا كونه أبيض أوأسود وقصر التعيين أعم من أن يكون الوصفان فيه متنافيان أولا فكل مايصلح مثالا لقصر الافراد أوالقلب يصلح لقصر التعيين من غير عكس فقولى فى النظم والتعيين عم إما أن يكون أفعل تفضيل حذف منه الهمزة أى أعم كقوله : * وحب شئ إلى الانسان مامنعا * أوفعلا ماضيا أى عم الأمرين على حدّ قول ابن مالك والقول عم ثم القصر له طرق : منها العطف بلا و بل مثال قصر الموصوف إفرادا ز يد كاتب لاشاعر وماز يد كاتبا بل شاعر وقلبا ز يد قائم لا قاعد وماز يد قائما بل قاعد وقصرها إفرادا ز يد شاعر لاعمرو وقلبا ماعمرو شاعر بل حامد فجئت فى النظم بمثالين : أحدهما لقصر الموصوف بلا والثانى لقصر الصفة ببل . ومنها النفى والاستثناء بإلا نحو ماز يد إلا شاعر وماز يد إلا قائم وما محمد إلا رسول فى الموصوف وماشاعر إلا ز يد فى الصفة ومنها إنما وأنكر قوم كونها للحصر واستدلّ المثبتون بقوله تعالى : إنما حرّم عليكم الميتة بالنصب إذ معناه ماحرّم عليكم إلا الميتة وهو المطابق لقراءة الرفع فانها للقصر فكذا قراءة النصب والأصل استواء القراءتين كقوله تعالى : إنما الله إله واحد . ومنها تقديم ماحقه التأخير كتقديم الخبر على المبتدإ أو المعمولات على الفعل مثاله فى الموصوف أنا كفيت مهمك وفى الوصف تميمى أنا أى لاقيسى ثم نبهت من ز يادتى على طرق مختلف فيها منها أنما بالفتح قال الزمخشرى والبيضاوى فى قوله تعالى : إنما يوحى إلىّ أنما إلهكم إله واحد انما لقصر الحكم على شئ أولقصر الشئ على حكم كقولك إنما ز يد قائم و إنما يقوم ز يد وقد اجتمع المثالان فى هذه الآية لأن إنما يوحى إلىّ مع فاعله بمنزلة إنما يقوم ز يد و إنما إلهكم بمنزلة إنما ز يد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على أن الوحى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله تعالى بالوحدانية

بالوحدانية وصرح التنوخى فى الأقصى القريب بكونها للحصر فقال كل ما أوجب أن إنما بالكسر للحصر أوجب أن أنما بالفتح للحصر ورد أبو حيان على الزمخشرى ما زعمه بأنه يلزمه انحصار الوحى فى الوحدانية . وأجيب بأنه حصر مجازى باعتبار المقام . ومنها ذكر المسند إليه كما تقدم نقله عن السكاكى . ومنها تعريف الجزءين المسند إليه والمسند نحو زيد المنطلق . قال الامام فى نهاية الايجاز إذا قلت زيد المنطلق فاللام تفيد انحصار المخبر به فى المخبر عنه . ومنها غير ذلك فقد قيل إن من أدوات الحصر جاء زيد نفسه وأن زيدا لقائم ولم يقم أحد غير زيد وقلب بعض حروف الكلمة نقله فى الكشاف فى قوله تعالى — والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها — فانه فعلوت كملكوت ورحموت من الطغيان قلب بتقديم اللام فوزنه فلعوت للاختصاص إذ لا يطلق على غير الشيطان :

[واختلفت من أوجه فالوضع قل — للكل لا التقديم فالفحوى يدل
والأصل ذكر مثبت والمنفى — فى أول نعنى به فى العطف
وربما لكره الاطناب سقط — وفى البواق ذكر مثبت فقط
والنفى لا يجامع الثانى فلا — لا تنف إن نفى بغيرها خلا
وللأخيرين وقد تجامع — كأنما أنا الندى لا اللامع
وقيل شرط جمعه مع إنما — أن لا يخص الوصف بالذى انتمى
وقيل شرط الحسن وهو أقرب — وأصل ثان جهل من يخاطب
وجحده لما له يستعمل — ويجعل المعلوم كالذ يجهل
فخذ له الثانى لأمر ناسبا — واستعملنه مفردا أو قالبا
كمثل ما محمد إلا رسول — إذ أعظموا مماته مثل الجهول
أى هو مقصور عليها ما عدا — إلى التبرى من هلاك وردى
وقوله : إن أنتم إلا بشر — لزاعم الرسل سواه وأصر
مخاطب على ادعا الرساله — وقولهم إن نحن مثل القاله
من المجاراة لخصم كى عثر — إرادة التبكيت لا للنفى قر
وإنما بعكسه كأنما — هذا أخوك أى فرق وارحما
وربما ينزل المجهول فى — دعوى الظهور كسواه فتفى
ثم على العطف لها مزيه — إذ يعلم الحكمان بالمعيه
ومثلها التقديم فى التعريض — وخير ما تورد فى التعريض

طرق القصر تختلف من وجوه . أحدها أن التقديم يفيد بالفحوى يعنى بمفهوم الكلام بمعنى أنه إذا تأمل الذوق السليم فيه فهم القصر وإن لم يعرف اصطلاح البلغاء فى ذلك والبواقى تفيده بالوضع لأن الواضع وضعها لمعان تفيد الحصر . الثانى أن الأصل فى الأول من طرق القصر يعنى العطف كما بينته فى النظم من زيادتى ذكر المثبت والمنفى كما تقدم فلا يترك إلا لكراهة الاطناب كما إذا قيل زيد يعلم النحو والتصريف والعروض أو زيد يعلم النحو وعمرو وبكر فتقول زيد يعلم النحو لا غير أى لا غير النحو أو لا غير زيد ونحو ذلك . وأما الثلاثة البواقى فالأصل فيها النص على المثبت فقط دون المنفى . الثالث أن المنفى بلا لا يجامع الثانى أعنى النفى والاستثناء

بفتح العين فأسند اسم المفعول إلى ضمير المفعول الذى كان فى الأصل فاعلا وجد جده فى المصدر حقيقته جد الرجل فى جده فحذف الفاعل وأسند الفعل المبنى له إلى المصدر مبالغة فصار جد جده مجازا لأن الجاد هو صاحب الجد أى من قام به الجد لا نفس الجد ونهاره صائم فى الزمان ، حقيقته صام المرء نهاره أى فى نهاره ثم حذف الفاعل وأسند الفعل المبنى له إلى الزمان فصار صام نهاره وهذا معنى كونه مجازا ثم سبك من الفعل اسم فاعل وأخبر به عن النهار فقيل نهاره صائم فاسناد الصوم إلى ضمير النهار مجاز لأن الصائم هو الشخص ونهر جار فى المكان وحقيقته جرى ماء النهر أى فى النهر فحذف الفاعل وأسند فعله إلى المكان . وقيل جرى النهر وهذا معنى كونه مجازا ثم سبك من الفعل اسم فاعل وأسند إلى ضمير النهر إسنادا مجازيا لأن الجارى الماء فى النهر لا النهر وبنى الأمير المدينة فى السبب . وحقيقته بنت الفعلة المدينة بسبب أمر الأمير فحذف الفاعل وأسند فعله إلى الأمير ، فقيل بنى الأمير المدينة وهذا معنى كونه مجازا والمجاز العقلى يجرى أيضا فى النسبة الاضافية نحو أعجبنى إنبات الربيع البقل وفى الايقاعية نحو: ولا تطيعوا أمر المسرفين فيكون معنى قوله أن يسند الخ مطلق النسبة إسنادية كانت أو إضافية أو إيقاعية ولا يضرنا اقتصاره على التمثيل

بالنسبة الاسنادية لاتيانه بالكاف التى لاتفيد الحصر . وقوله أقسامه الخ يعنى أن المجاز ينقسم إلى أربعة أقسام باعتبار طرفيه

لأنهما إما حقيقتان لغويتان أومجازان أوالمسند اليه حقيقة والمسند مجاز أوعكسه. مثال الأول أنبت الربيع البقل ومثال الثانى أحيا الأرض شباب الزمان لأن المراد باحيائها نضارتها بأنواع الرياحين والنبات والاحياء فى الحقيقة إعطاء الحياة وهو صفة تقتضى الحس والحركة وكذلك المراد بشباب الزمان زمان ازدياد قواها النامية وهو فى الحقيقة عبارة عن كون الحيوان فى زمان كون حرارته الغريزية مشبوبة أى قوية مشتعلة .ومثال الثالث أحيا الأرض الربيع ومثال الرابع أنبت البقل شباب الزمان ومراد المصنف بالنوعين الحقيقة والمجاز وبالجزءين المسندإليه والمسند . واختلف فى المجاز العقلى وفى المفرد هل وقعا فى القرآن أم لا فذهب قوم إلى الأول وآخرون إلى الثانى والصحيح الأول وهو مختار الأصل قال تعالى – وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، يذبح أبناءهم، يوما يجعل الولدان شيبا ويكون فى الإنشاء كقوله تعالى – ياهامان ابن لى صرحا – ولينبت الربيع ماشاء وليصم نهارك ونحوذلك قال :

[ووجبت قرينة لفظيه * أو معنوية وإن عادية] أقول المجاز العقلى لابد له من قرينة . وهى مادل على المراد لا بالوضع وهى

فلا يصح ما زيد إلا قائم لا قاعد لأن شرط المنفى بلا العاطفة أن لا يكون منفيا قبلها بغيرها من أدوات النفى لأنها وضعت لنفى ما أوجب للمتبوع لا لاعادة النفى فى شىء نفيته وهو مفقود فى النفى والاستثناء لأن قولك ما زيد إلا قائم فيه نفى كلّ صفة وقع فيها التنازع فيه حتى كأنك قلت ليس هو بقاعد ولا نائم ونحو ذلك . فاذا قلت : لاقاعد فقد نفيت بلا شيئا هو منفى قبلها بما . وأما الأخيران وهما إنما والتقديم فقد يجامعهما النفى بلا ، فيقال : إنما أنا تميمى لا قيسى وهو يأتينى لاعمرو لأن النفى فى الأخيرين غير مصرّح به بخلافه فى الثانى . وقيل شرط مجامعته لانما أن لا يكون الوصف مختصا بالموصوف فتحصل الفائدة نحو : إنما يستجيب الذين يسمعون فانه يمتنع أن يقال لاالذين لايسمعون فان كل أحد يعلم أن الذى لايسمع لايستجيب كذا قاله السكاكى والشيخ عبد القاهر جعل ذلك شرطا فى حسن العطف لافى جوازه . قال القزوينى : وهو أقرب إلى الصواب إذ لا دليل على الامتناع عند قصد التحقيق والتأكيد . الرابع أن أصل الثانى وهو النفى والاستثناء أن يكون المخاطب يجهل ما استعمل له وهو إثبات الحكم المذكور إن كان قصر إفراد أو نفيه إن كان قصر قلب وينكره بخلاف الثالث وهو إنما فان أصله أن يكون الحكم مما يعلمه المخاطب ولا ينكره مثاله : وما من إله إلا الله . وقد يخرج عن ذلك فينزل المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب فيستعمل له القصر بما و إلا إفرادا وقلبا . مثال الافراد وما محمد إلا رسول أى هو مقصور على الرسالة لايتعدّاها إلى التبرى من الهلاك فانه خطاب للصحابة وهم عالمون بأنه غير جامع للرسالة والتبرى من الهلاك لكنهم لما استعظموا مماته نزل منزلة إنكارهم إياه فاستعمل له النفى و إلا . ومثال القلب : إن أنتم إلا بشر مثلنا فالمخاطبون وهم الرسل لم يكونوا جاهلين بأنهم بشر ولا منكرين لكنهم نزلوا منزلة المنكرين لاعتقاد القائلين وهم الكفار إن الرسول لا يكون بشرا مع إصرار المخاطبين على ادّعاء الرسالة فنزلهم القائلون منزلة المنكرين للبشرية لما اعتقدوه من التنافى بين الرسالة والبشرية فقلبوا الحكم وقالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا : أى مقصورون على البشرية ليس لكم وصف الرسالة التى تدّعونها . فان قيل قد اعترف المخاطبون بكونهم مقصورين على البشرية حيث قالوا إن نحن إلا بشر مثلكم فكأنهم سلموا انتفاء الرسالة عنهم . فجوابه أن قولهم ذلك من باب مجاراة الخصم بتسليم بعض مقدماته ليعثر حيث يراد تبكيته و إلزامه لا لتسليم انتفاء الرسالة فكأنهم قالوا ما ادّعيتم من كوننا بشرا حق لاننكره ولكن هذا لاينافى أن يمنّ الله تعالى علينا بالرسالة . وأما إنما فالأصل فيها أن تستعمل فيما لا ينكره المخاطب كما أفصحت به فى النظم كقولك إنما زيد أخوك لمن يعلم ذلك ويقرّبه ترقيقا عليه وقد ينزل المجهول منزلة المعلوم لادّعاء ظهوره فيستعمل له إنما نحو : إنما نحن مصلحون ادّعوا أن ذلك أمر ظاهر من شأنه أن لايجهله المخاطب ولاينكره ولذلك جاء رده مؤكدا بأن والجملة الاسمية وتعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل وتصدير الكلام بحرف التنبيه الدال على أن مضمون الكلام مما له خطر فى قوله ألا إنهم هم المفسدون . ثم عقب بما يدل على التقريع والتوبيخ وهو قوله ولكن لايشعرون . ثم نبهت على أن إنما لها مزية على العطف لأنه يعلم منها الحكمان أى الاثبات للمذكور والنفى عن غيره معا بخلاف العطف فانه يعلم فيه أوّلا الاثبات ثم النفى أو عكسه ويشاركه إنما فى ذلك التقديم كما بينته من زيادتى وأحسن مواقعها التعريض نحو إنما يتذكر أولوا الألباب فانه تعريض بذمّ الكفار وأنهم فى حكم البهائم

الذين

إما لفظية كقولك شيب رأسى توالى الهموم والأحزان ولكن الله يفعل مايشاء و إما معنوية وهى أنواع كاستحالة قيام المسند بالمسند إليه عقلا نحو محبتك جاءت بى إليك لظهور استحالة قيام المجىء بالمحبة لأن العرض لايقوم بالعرض أوعادة نحو هزم الأمير الجند لاستحالة قيام هزم الجند بالأمير وحده عادة و إن كان ممكنا عقلا أو صدوره من الموحد فى مثل أنبت الربيع البقل ثم الفعل فى المجاز العقلى يجب أن يكون له فاعل أومفعول به إذا أسند إليه يكون حقيقة فمعرفة ذلك قد تكون ظاهرة كقوله تعالى – فما ربحت تجارتهم – أى فما ربحوا فى تجارتهم وقد تكون خفية لا تظهر إلا بعد نظر وتأمل نحو سرتنى رؤيتك أى سرنى الله وقت رؤيتك وهذا مذهب الأصل . وقال الشيخ عبد القاهر لايجب فى المجاز العقلى أن يكون الفعل له فاعل إذا أسند إليه يكون الإسناد حقيقة فانه ليس لسرتنى ونحوه فاعل يكون الإسناد إليه حقيقة وبيان مراده مذكور فى المطولات . وأنكر السكاكى المجاز العقلى وقال الذى عندى نظمه فى سلك الاستعارة بالكناية بجعل الربيع مثلا فى المثال استعارة عن الفاعل الحقيقى بواسطة المبالغة فى التشبيه وجعل نسبة

الذين (١) لايتذكرون وقوله * و إنما يعذر العشاق من عشقا * عرض أن الواشى لوابتلى ببلوى العاشق لعذره .

[يجىء بين مبتدا وخبر — والفعل مع تعلق لا المصدر
وأخرن ما عليه قد قصر — مستثنيا مع الأداة وندر
تقديم هذين لئلا يلزما — قصر الصفات قبل أن تتمما
وأخرن فى إنما لئلا — يعرض لبس غير مثل إلا
فى القصر والمنع من الجمع للا — و إنما جا القصر فى الذى خلا
لأن نفى فارغ الاستثنا — موجه إلى الذى يستثنى
منه مقدر وعاما ناسبا — تاليه جنسا فاذا ما أوجبا
شىء بالا منه جاء قطعا — ووضع ذى هنا أتم صنعا]

القصر بين المبتدإ والخبر كما تقدم والفعل والفاعل نحو ماقام إلا زيد والفاعل والمفعول نحو ماضرب زيد إلا عمرا أوماضرب عمرا إلا زيد والمفعولين نحو ماأعطيت زيدا إلا درهما وسائر المتعلقات كالحال والظروف . قال تعالى – وأرسلناك للناس رسولا – قدم المجرور واللام للاستغراق مريدا به قصر قلب ردا لزعم اليهود اختصاص بعثه بالعرب فلا يحمل على العهد لئلا يختص بهم ولا الجنس لئلا يخرج الجن . ثم لايقع بين الفعل والمصدر المؤكد بالاجماع ذكره السبكى وزدته فى النظم فلا يقال ماضربت إلا ضربا . وأما قوله تعالى – إن نظن إلا ظنا – فتقديره ظنا ضعيفا ثم إن المقصور عليه يؤخر مع كلمة الاستثناء عن المقصور فاعلا كان أو مفعولا أم غيرهما كما تقدم وكقول لبيد :

لوخير المنبر فى شأنه — ما اختار إلا منكم فارسا

إذ لوأخر منكم صار الاختصاص فى فارس وليس المراد وندر تقديم المقصور عليه والأداة على المقصور نحو :

فلم يدر إلا الله ماهيجت لنا — عشية لاقينا جذاما وحميرا

و إنما كان ذلك نادرا لاستلزامه قصر الصفة قبل تمامها كالضرب الصادر من زيد فى ماضرب زيد إلا عمرا والواقع على عمرو فى ماضرب عمرا إلا زيد وأما إنما فلا يجوز فى القصر بها تقديم المقصور عليه على غيره أصلا لقصد الالباس كما إذا قلنا فى إنما ضرب زيد عمرا إنما ضرب عمرا زيد بخلاف النفى والاستثناء فانه لاالباس فيه فما يندر هناك لايجوز هنا أصلا ثم نبهت على أن غير كإلا فى إفادة القصر الافرادى والقلبى والتعيينى صفة وموصوفا وامتناع مجامعة لا لأنها حرف استثناء فلايعطف عليها بلا فلايقال مازيد غيرشاعر ولا كاتب ولاماشاعر غير زيد ولا عمرو وقولى : إنما جاء القصر إلى آخره : أى وجه الحصر فى النفى والاستثناء بأن الاستثناء المفرغ لابد أن يتوجه النفى فيه إلى مقدر وهو مستثنى منه لأن الاستثناء إخراج فيحتاج إلى مخرج منه والمراد التقدير المعنوى لاالصناعى ولابد أن يكون عاما لأن الإخراج لا يكون إلامن عام ولابد أن يكون مناسبا للمستثنى فى جنسه مثل ماقام إلا زيد : أى أحد وما أكلت إلا تمرا : أى مأكولا ولابد أن يوافقه فى صفته أى إعرابه وحينئذ يجب القصر إذا أوجب منه شىء بالا ضرورة ببقاء ماعداه على صفة الانتفاء وهذا الكلام وقع فى التلخيص بين تأخير المقصور عليه فى إلا وتأخيره فى إنما ولامحل له كما نبه عليه السبكى ولذا توهم بعض شارحيه أنه علة للتأخير لما رآه فاصلا بين بعض الكلام وبعض قال السبكى

(١) قوله : الذين الخ كذا بالأصل ولعل المناسب التى لاتتذكر كما لايخفى اه مصححه .

أى بيان أحوال المسند إليه أى الأمور العارضة له من حيث إنه مسند إليه كالحذف والذكر والتعريف والتنكير وغير ذلك وقدمه على المسند لأنه كالموصوف والمسند كالصفة والموصوف أجدر بالتقديم لأنه الموضوع والصفة هى المحمول والأول أشرف من الثانى ولأنه الركن الأعظم فى الكلام قال :

[يحذف للعلم والاختبار
مستمع وصحة الانكار
ستر وضيق فرصة إجلال
وعكسه ونظم استعمال
كذا طريقة الصوفية
تهدى إلى المرتبة العليه]

أقول : قدم حذف المسند إليه على سائر أحواله لكون الحذف عبارة عن عدم الإتيان به وعدم الحادث سابق على وجوده . وفى المسند إليه باعتبار أحواله أبحاث : البحث الأول فى حذفه وحذفه يتوقف على أمرين أحدهما قابلية المقام له بأن يكون السامع عارفا به بقرينة ثانيهما مايقتضى رجحان الحذف على الذكر والأول معلوم من النحو وأشار إلى تفصيل الثانى بقوله يحذف الخ فمن مرجحات

لكن هذا لايظهر علة لذلك بل يظهر أنه علة لحصول القصر ولذا أخرته فى النظم ونبهت عليه بقولى :
* ووضع ذى هنا أتم صنعا *

الباب السادس وهو الانشاء

[وإنما المقصود منه الطلبى ... طالب ما يفقد وقت الطلب
أنواعه منها التمنى ووضع ... ليت له ولو محالا فاستمع
كمثل ياليت الشباب عائد ... وقد يجى بهل كهل من عاضد
لفقده علما وهكذا بلو ... ويوسف كأن منهما حذوا
هلا وألا بانقلاب الهاء مع ... لولا ولوما بمزيد ما وقع
إذ أشربا معنى التمنى ليفى ... فى الماض تنديم كذا التحضيض فى
مستقبل هلا أتيت هلا ... تجى وخذ تمنيا بعلا
فانصب جوابها كليت والخبر ... تضمينه لفظ التمنى مستطر]

هذا هو الباب السادس وهو الانشاء وقد تقدم حده وهو ينقسم إلى طلب وغيره كذا قالوه قال الشيخ بهاء الدين والأحسن أن يقال طلبى وقد مثلوا غيره بأفعال التعجب والمدح والذم ورب وكم ونحو ذلك والمقصود هنا الطلبى ، وهو مايستدعى مطلوبا غير حاصل وقت الطلب لامتناع طلب الحاصل وأنواعه كثيرة : منها التمنى وهو طلب حصول شىء على سبيل المحبة واللفظ الموضوع له ليت ولايشترط إمكان التمنى بخلاف الترجى نحو : ليت الشباب عائد كذا قالوه .

وهنا فوائد : الأولى نوزع فى تسمية تمنى المحال طلبا بأن مالايتوقع كيف يطلب قال الشيخ بهاء الدين فالأصوب ماذكره الإمام وأتباعه من أن التمنى والترجى والقسم والنداء ليس فيها طلب بل هو تنبيه ولابدع فى تسميته إنشاء .

الثانية : قال التقى السبكى عود الشباب ممكن عقلا ممتنع عادة وعبارة السكاكى تقول ليت زيداجاءنى فتطلب غير الواقع فى الماضى واقعا فيه مع حكم العقل بامتناعه وليت الشباب يعود مع جزمك بأنه لايعود وليت زيدا يأتينى فيحدثنى فى حال لاتتوقعها ولامطمع لك فيها قال فهذه العبارات أحسن والقدر المشترك بين الثلاثة عدم التوقع قال ابنه وهو سؤال حسن لكن يمكن أن يقال عود الشباب مستحيل عقلا إن فسر بالسن الذى لم يتجاوز الثلاثين وكونه لم يتجاوز ذلك بعد أن جاوزه جمع بين النقيضين فهو مستحيل عقلا وإن فسر بعود تلك القوة والنشاط الحاصل قبل الشيخوخة جاء ماذكره الوالد انتهى .

الثالثة : فرق بعضهم بين التمنى والترجى بأن الأول فى البعيد والثانى فى القريب وأن الأول فى المعشوق للنفس والثانى فى غيره وأن الثانى فى المتوقع والأول فى غيره . قال شيخنا العلامة الكافيجى : والفرق بين التمنى والعرض هو الفرق بينه وبين الترجى وقد يتمنى بهل حيث يعلم فقده نحو : فهل لنا من شفعاء يشفعوا لنا ؟ وقد علم أن لاشافع لهم وبلوا إذا نصب جوابها نحو : فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين . وقال السكاكى كأن هلا وألا حرفى التحضيض والتنديم مأخوذتان من هل وكذلك لوما ولولا زيدت على بعضها لاوعلى بعضها ماو إلا قلبت فيها الهاء همزة لتضمن هل ولو معنى التمنى

الحذف العلم بالمسند إليه بالقرينة كقولك عابد فى جواب من قال لك ماحرفة زيد . ومنها اختبار تنبه السامع عند القرينة هل يتنبه أملا . ومنها اختبار مقدار تنبهه هل يتنبه بالقرائن الخفية أملا . ومنها

صحة الانكار عند الحاجة نحو

التمنى وركبت ليتولد منها فى الماضى التنديم نحو هلا أكرمت زيدا وفى المستقبل التحضيض نحو هلا تقوم وقد يتمنى بلعل فى البعيد فتعطى حينئذ حكم ليت فى نصب الجواب نحو: لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع ونبهت من زيادتى على أن التمنى قد يتضمن معنى الخبر قال فى الكشاف فى قوله تعالى – ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب – يجوز أن يكون ولا نكذب معطوفا على نرد أو حالا قال ولا يدفعه قوله تعالى – وإنهم لكاذبون – لأنه تمنٍ قد تضمن معنى العدة فتعلق به التكذيب :

[ومنها الاستفهام بالهمز وهل ... مامن وأىّ كم وكيف أين دلّ
أنى متى أيان فالهمز اذكر ... لطلب التصديق والتصور
نحو أزيد قائم أذاك خلّ ... أم عسل قات وذو التصديق حل
تاليه أم منقطعا والثانى ... متصلا ولم يقبح بانى
نحو أزيد قام الجهولا ... عرفت ثم أولها المسئولا
بها كفاعل ومفعول بما ... مضى وفعل فى أخات المنتمى
قلت وذا الحكم لغيرها استقرّ ... كذاك فى العروس والطيبى ذكر]

من أنواع الانشاء الاستفهام وهو طلب الفهم وله ألفاظ وهى الهمزة وهل وما ومن وأى وكم وكيف وأين وأنى ومتى وأيان بفتح الهمزة فى الأفصح والاستفهام قد يكون لطلب التصوّر وقد يكون لطلب التصديق فقط وقد يكون لطلب أيهما كان وهذا الحكم يختصّ بالهمزة لكونها الأصل وباقى الأدوات نائبة عنها كما صرّح به ابن مالك فى المصباح وضابط الاستفهام عن التصور والتصديق كما صرّح به فى المصباح أيضا واقتصرت عليه فى النظم من زيادتى أن الأول يصلح أن يأتى بعده أم المتصلة دون المنقطعة والثانى عكسه وأن الأول يكون عند التردد فى تعيين أحد شيئين أحاط العلم بأحدهما لابعينه والثانى يكون عن نسبة تردد الذهن بين ثبوتها ونفيها ذكره الشيخ بهاء الدين مثال التصوّر فى المسند إليه أهذا زيد أم عمرو وأخلّ فى الاناء أم عسل وفى المسند أفى الخابية دبس أم عسل وفى متعلقه أزيدا أم عمرا ضربت ومثال التصديق أزيد قائم حيث كان التقدير أم لم يقم فان كان المراد أم عمرو أو أم قعد فليس له نبه عليه الشيخ بهاء الدين وقولى ولم يقبح الخ أشرت به إلى أنه لايصح أن يقال أزيد قام أزيدا ضربت الجهول عرفت وإن قبح ذلك فى هل لأن تلك للتصديق والهمزة تكون للتصوّر أيضا وهذه الأبنية إنما تقبح على التصديق لأن التقديم يستدعى حصول التصديق بنفس الفعل فتكون هل لطلب حصول الحاصل وقولى ثم أولها المسئولا بها الخ أى المسئول عنه بالهمزة وهو مايليها كالفاعل فى أأنت ضربت والمفعول فى أزيدا ضربت والفعل فى أضربت زيدا أخات زيدا قائما والمسند فى أقائم أم قاعد زيد والمسند إليه فى أزيد أم عمرو قائم قال الشيخ بهاء الدين وذكر صاحب التلخيص لهذه المسئلة فى هذا المحلّ وقطعه النظير عن النظير دون ذكره لذلك فى أول الكلام أو آخره يقتضى أن غيرها من أدوات الاستفهام لايطلب بها ما يليها وليس كذلك بل غيرها يشاركها فى ذلك ، وقد ذكرها الطيبى فى التبيان وقد نبهت على ذلك من زيادتى :

[وهل لتصديق فقط كهل أتى ... زيد وهل عمرو أبو هذا الفتى

فاجر فاسق عند قدام القرينة على إرادة زيد ليتأتى أن تقول ماأردت زيدا بل غيره ومنها قصد ستره وإخفائه على غير المخاطب من الحاضرين نحو جاء تريد زيدا لمن عرفه معك . ومنها ضيق الفرصة وهى المبادرة أى ضيق زمانها كقول الصياد غزال أى هذا غزال ومنها إجلاله وتعظيمه بصونه عن لسانك ومنها تحقيره بصون لسانك عنه . ومنها ضرورة النظم من جهة الوزن أو القافية وفى معناه ضرورة السجع ومنها اتباع استعمال العرب كقولهم رمية من غير رام أى هذه رمية وهو مثل يضرب لمن يقع منه الفعل وهو غير أهله ومن ذلك المواضع التى يجب فيها حذف المبتدإ وذكر المصنف منها موضعا وهو ما إذا كان الخبر مخصوص نعم نحو نعم الرجل زيد فزيد خبر مبتدإ محذوف وجوبا فى بعض الأوجه ومنه طريقة فى قوله * حبذا طريقة الصوفية *. فانه خبر لمبتدإ محذوف وجوبا وإنما كانت طريقة الصوفية محمودة لأنها توصل إلى المرتبة

العلية وهو مقام الاحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه لأن طريقتهم عبارة عن صفاء الباطن والوقوف عند الأمر والنهى فينبغى لكل طالب علم أن يسلكها فانه وإن لم يصل إلى غايتها العظمى وهى معرفة الله جل جلاله فلا أقل من الدخول فى دائرة الورع ورقة القلب والتخلق بالأخلاق المحمودة والسلامة من حظوظ النفس والتهاون بالحقوق الشرعية قال المصنف فى شرحه وكلّ من أعرض عن هذا العلم جملة لايخلو من الفسق وضيعة العمر والرغبة فى الدنيا ومن لاقدم له فى علم التصوف يخشى عليه من سوء الخاتمة اه .قال :

[واذكره للأصل والاحتياط
غباوة إيضاح انبساط
تلذذ تبرك إعظام
إهانة تشوق نظام
تعبد تعجب تهويل
تقرير او إشهاد او تسجيل]

أقول : البحث الثانى فى ذكره وله مرجحات منها أن ذكره الأصل ولامقتضى للعدول عنه من قرينة أوغيرها . ومنها الاحتياط لضعف التأويل على القرينة بسبب ضعفها أوضعف فهم المخاطب . ومنها غباوة السامع كقولك لعابد الصنم الصنم لايضرّ ولا ينفع . ومنها الإيضاح كقولك زيد عندى لمن قال أين زيد . ومنها الانبساط أى بسط الكلام فى مقام يكون إصغاء السامع مطلوبا للمتكلم لعظمته وشرفه فى نحو هى عصاى . ومنها التلذذ نحو

من ثم لايعطف بعدها بأم ... ونحو هل زيدا ضربت القبح أم
إذ أفهم التقديم تصديقا حصل ... بالفعل نفسه خلاف ما اشتغل
وقال فى المفتاح هل عبد عرف ... قبح له ولازم عما وصف
جواز هل زيد و بعض عللا ... قبحهما بأن هل تأصلا
رديف قد والهمز قبل حذفا ... لكثرة الوقوع قلت اختلفا
فى كونها تفيد ذاك فضلا ... عن كونها لذاك وضعا أصلا
وإنما الزمخشرى قاله ... وكم إمام رد ذى المقاله]

هل لطلب التصديق فقط كهل قام زيد وهل زيد قائم ولأجل ذلك امتنع العطف بعدها بأم المتصلة فلا يقال هل زيد قام أم عمرو لأن أم المتصلة إنما تستعمل عند طلب التصور و إرادة التعيين بعد العلم بالنسبة والتصديق طلب النسبة فيلزم طلبها وكونها حاصلة وهما متنافيان بخلاف المنقطعة فيجوز تقول هل قام زيد أم قعد عمرو وقال الشاعر :

ألا ليت شعرى هل تغيرت الرحى ... رحى الحرب أم أضحت بفلج كما هيا

ولأجل ذلك قبح هل زيدا ضربت لأن التقديم يستدعى حصول التصديق بنفس الفعل المستفهم عنه لابد أن يكون غير حاصل وقت الطلب فقولك هل زيدا ضربت لا يكون استفهاما عن التصديق لأنه تحصيل للحاصل ولا عن التصور لأن هل لم توضع له و إنما لم يمتنع لاحتمال أن يكون زيدا مفعول فعل محذوف أو يكون التقديم لا للتخصيص بخلاف باب الاشتغال نحو هل زيدا ضربته فلا يقبح لأن القبح فى الأول لتحقق التقديم المقتضى للاختصاص المقتضى لحصول التصديق المنافى للاستفهام ، وأما الثانية فيجوز أن يكون العامل فى زيدا مقدما عليه والتقدير هل ضربت زيدا ضربته فلا يكون فيه تقديم فلا اختصاص فلا مقتضى للتصديق فصحّ الاستفهام بهل عن التصديق قال صاحب المفتاح ولأجل التقديم المذكور قبح هل رجل عرف لأن الأصل عنده كما تقدم هل عرف رجل على أن رجل بدل من الضمير فيه قدم للتخصيص وهو معنى قولى قبح له أى لما ذكر . قال صاحب التلخيص يلزم على ذلك جواز هل زيد عرف لأن تقديم المظهر المعرفة ليس للتخصيص عنده كما تقدم مع أنه قبيح باجماع و بعضهم علل قبح القسمين النكرة والمعرفة بأن هل فى الأصل بمعنى قد قال تعالى - هل أتى على الانسان حين - فاذا استعملت بمعنى الاستفهام فعلى تقدير الهمزة قبلها حذفت لكثرة الوقوع فكما قبح قد زيد عرف يقبح هل زيد عرف ورد هذا كما زدته فى النظم بالمنع بل اختلف فى إفادتها معنى قد على سبيل المجاز فضلا عن كونها موضوعة له والذى أوقع قائل هذا القول فى ذلك قول الزمخشرى فى المفصل وعند سيبويه أن هل بمعنى قد إلا أنهم تركوا الألف قبلها لأنها لاتقع إلا فى استفهام وقد جاء دخولها عليه فى قوله :

سائل فوارس يربوع بشدّتنا ... أهل رأونا بسفح القاع ذى الأكم

والذى أوقع الزمخشرى فى ذلك قول سيبويه وكذلك هل إنما هى بمنزلة قد إلا أنهم تركوا الألف قبلها إذ كانت لاتقع إلا فى استفهام وقد أول السيرافى كلام سيبويه على أن المراد أن هل يستقبل بها الاستفهام كما أن قد يستقبل بها الخبر قال والرواية فى البيت أم هل رأونا وقال ابن مالك إنّ هل يتعين مرادفتها لقد مع الهمزة ورده أبو حيان بأنها لا تقع مرادفة لها أصلا وخرّج البيت على

الزيادة

الحبيب راض . ومنها التبرك نحو محمد صلى الله عليه وسلم وسيلتنا إلى ربنا . ومنها التعظيم نحو محمد شفيعنا . ومنها الاهانة نحو العاصى ذليل . ومنها التشوق إلى مسماه نحو محمد أفلح من رآه . ومنها ضرورة النظم إلى وزن أو قافية وفى معناه ضرورة السجع . ومنها التعبد بذكره كالله أكبر فى التحرو نحوه . ومنها التعجب نحو زيد يقاوم الأسد . ومنها التهويل والتخويف كقولك لمن تعظه الله ربنا أمر بهذا . ومنها التقرير أى التمكن فى نفس السامع نحو أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ففى تكرير اسم الاشارة تنبيه على أنه كما خصصهم بالهدى فى الدنيا خصصهم بالفلاح فى الآخرة . ومنها الاشهاد فى قضية نحو زيد تسلف منى أو التسجيل أى الضبط على السامع فى وثيقة حتى لا يكون له سبيل إلى الانكار كقول الموثقين باع فلان وأجر فلان ونحوه هذا حاصل ما فى هذه الأبيات والنظام فى كلامه جمع نظم وغباوة وما بعده معطوف بحرف العطف المحذوف إلا الأخيرين . قال : [وكونه معرّفا بمضمر بحسب المقام فى النحو درى

الزيادة و بالجملة فأكثر النحاة متفقون على أنها عند إرادة الاستفهام ليست بمعنى قد :

[وخصصت مضارعا بما يجى   فلا تقل هل تطردين المرتجى
كما يجى فى همزة لأجل   ذين لها تخصص بالفعل
من ثم أنتم شاكرون بعد هل   من تشكروا لطالب الشكر أدل
لأن إبراز الذى جدد فى   معرض ثابت أدل إذ يفى
على كمال الاعتنا بأن حصل   ومن أأنتم وعلى الثبوت دل
لأن هل للفعل أدعى منها   فتركه معها أدل كنها
من ثم لا يحسن هل مليحى   منطلق إلا من الفصيح]

لما كانت هل فرعا عن الهمزة تقاصرت عنها فاختص المضارع بعدها بالاستقبال فلا يجوز أن تقول هل تضرب زيدا وهو أخوك لأنه استفهام توبيخ والتوبيخ إنما يكون على الحال أو الماضى ويصح أن تقول أتضرب زيدا وهو أخوك توبيخا على ضرب واقع والمراد بالحال هنا حال الضرب لا الحال الصناعية ولأجل هذين أى كونها للتصديق وتخصيص المضارع بالاستقبال كان لها مزيد اختصاص بالفعل وهذه العبارة أوضح من قول التلخيص بما كونه زمانيا أظهر كالفعل لأن مقتضى الكاف أن لناشيئا آخر غير الفعل أظهر فى الدلالة على الزمان من غيره قال السبكى و يحتاج إلى مثال فان دلالة الفعل على الزمان أظهر من دلالة الاسم وليست دلالة الاسم أظهر من غيرها وغيرهما لا يدل عليه بالكلية أما اقتضاء المضارع تخصيصها بذلك فظاهر لأنها إذا خصصته بالاستقبال صار لها فيه تأثير يوجب اختصاصها به و إذا كان لها تأثير بالمضارع وهو أخص من الفعل صار لها تأثير فى مطلق الفعل ضرورة وأما اقتضاء كونها لطلب التصديق لذلك ولم يعرج عليه فى التبيان فلأن التصديق هو الحكم بالثبوت أو الانتفاء والنفى والاثبات إنما يتوجهان إلى المعانى والأحداث التى هى مدلولات الأفعال لا إلى الذوات التى هى مدلولات الأسماء ولأجل مزيد اختصاصها بالفعل كان فهل أنتم شاكرون أدل على الطلب من فهل تشكرون ومن فهل أنتم تشكرون لأن إبراز ما يتجدد وهو الفعل فى قالب الثابت المستقر بحيث تكون الجملة الاسمية والمبتدأ والخبر فيها اسما أدل على كمال العناية بحصوله من إبقائه على أصله من الاثبات بالفعل ومن أفأنتم شاكرون و إن كان للثبوت أيضا لأن ترك الفعل من أصله أدل على كمال العناية لتحويله عن أصله بخلاف الهمزة إذ هل أدعى له منها ولذلك لا يحسن هل زيد منطلق إلا من البليغ لأنه الذى يقصد به الدلالة على الثبوت و إبراز ما يتجدد فى معرض الثابت بخلاف غيره :

[وهل بسيط للوجود يطلب   وما وجوده لشئ مركب
فأول كهل سكونه وجد   والثان هل سكونه دوم عهد]

هل قسمان : بسيطة وهى التى يطلب بها مطلق وجود الشئ كقولنا هل الحركة موجودة ، ومركبة وهى التى يطلب بها وجود شئ لشئ كقولنا هل الحركة دائمة .

[تنبيه]

[مستفهم التصديق يوسف وفى   للحكم بالثبوت أو بالانتفا
ومن نفى مستفهم النفى بهل   كصاحب المصباح والمغنى وهل]

والأصل فى المخاطب التعيين * والترك للشمول مستبين] أقول : البحث الثانى فى تعريفه أى إيراده معرفة وهو ما وضع ليستعمل فى شئ بعينه وقدم المصنف هنا التعريف وفى المسند التنكير لأن الأصل فى المسند إليه التعريف وفى المسند التنكير

والانيان بالمسند إليه معرفة لافادة المخاطب أتم فائدة لأن النكرة و إن أمكن أن تخصص بالوصف بحيث لايشاركها فيه غيرها كقولك أعبد إلها خالق السماء والأرض لا يكون فى قوة تخصيص المعرفة لأنه وضعى بخلاف تخصيص النكرة. والتعريف يكون على وجوه متفاوتة تتعلق بها أغراض مختلفة : أما تعريفه بالاضمار فلكون المقام مقام تكلم نحو أنا ضربت أو خطاب نحو أنت ضربت أو غيبة نحو هو ضرب لتقدم ذكره إما لفظا تحقيقا نحو جاء زيد وهو راكب أو تقديرا نحو جاء وهو راكب زيد ، وإما معنى لدلالة لفظ عليه نحو اعدلوا هو أقرب للتقوى فضمير هو راجع للعدل المفهوم من اعدلوا أو قرينة حال نحو حتى توارت بالحجاب فسياق الكلام الدال على فوات وقت الصلاة مع قرينة ذكر العشى والتوارى بالحجاب يدل على أن الضمير راجع للشمس وإما حكما نحو ضمير الشأن وضمير رب نحو قل هو الله أحد وربه رجلا وأصل الخطاب أن يكون لمعين واحدا كان أو أكثر لأن وضع المعارف على أن تستعمل لمعين وقد لايقصد به معين ليعم كل مخاطب على سبيل البدل نحو فلان لئيم إن أكرمته أهانك وإن أحسنت إليه أساء إليك لاتريد به مخاطبا بعينه بل تريد إن أكرم أو أحسن إليه ومنه قوله تعالى : ولو ترى

متى

هذان البيتان من زيادتى نبهت فيهما على مسئلة مهمة وذلك أن بدر الدين بن مالك وهم فقال فى المصباح الاستفهام طلب مافى الخارج أن يحصل فى الذهن من تصور أو تصديق موجب قيل أو منفى فحكى قولين فى أن استفهام التصديق يستفهم به عن النفى أوّلا وأشار إلى تضعيف الأول وقال ابن هشام فى المغنى هل لطلب التصديق الايجابى لاللتصور ولاللتصديق السلبى وكذا قال الشيخ تاج الدين السبكى فى جمع الجوامع قال الشيخ جلال الدين فى شرحه التقييد بالايجابى ونفى السلبى على منواله أخذا من ابن هشام فى المغنى وهم سرى من أن هل لاتدخل على منفى فهى لطلب التصديق أى الحكم بالثبوت أو الانتفاء كماقاله السكاكى وغيره فيقال فى جواب هل قام زيد مثلا نعم أولا :

[بالباقيات يطلب التصور فما لشرح الاسم قبل تذكر
أو لحقيقة المسمى وهل بسيطة رتبتها الأولى تلى
ومن بها يطلب أن يعينا مشخص يعلم نحو من هنا
وقيل ماللجنس والوصف نعم فى جواب مالديك الثوب أم
وفى جواب ما أخوك المرتضى ومن لجنس عالم وما ارتضى]

بقية ألفاظ الاستفهام يطلب بها التصور فقط وتختلف من جهة أن المطلوب بكل منها تصور آخر فما يطلب بها أحد الأمرين إما شرح الاسم أى شرح مدلوله لغة كقولك ما العنقاء طالبا شرح هذا الاسم ويبين مدلوله فتجاب بإيراد لفظ أشهر أو حقيقة المسمى التى هو بها هو وعبر عنها فى التلخيص بالماهية وهى بمعناها كقولك ما الانسان طالبا شرح حقيقته الانسانية وأول هذين القسمين وهو السؤال عن الاسم يكون متقدما فى الزمان على هل البسيطة لأن شرح الاسم سابق عليها لأن الاستفهام عن ثبوت شىء فرع عن معرفة معنى اسم ذلك الشىء فتقول أولا ما العنقاء ثم تقول هل هى موجودة والثانى متقدم على هل المركبة لأن طلب وجود شىء لشىء مسبوق بالعلم بحقيقة ذلك الشىء تقول ماهى وما حقيقتها فاذا عرفت مدلولها لغة تقول هل هى موجودة فاذا عرفت أنها موجودة تقول ماهى وما حقيقتها فاذا عرفتها تقول هل هى دائمة فهذا ترتيب الأقسام الأربعة من قسمى ما وقسمى هل ومن يطلب بها تعيين الشخص العالم كقولك من هنا فيقال زيد ونحوه مما يفيد تشخيصه وقال السكاكى يسئل بما عن الجنس والوصف تقول ماعندك أى أىّ أجناس الأشياء فيقال ثوب ونحوه ومازيد أى ماصفته فيقال الكريم ونحوه ويسئل بمن عن الجنس من ذوى العلم تقول من جبريل أى أبشر أم ملك أم جنى كما قال فرعون فمن ربكما ياموسى أى من أى جنس هو قال فى التلخيص وفيه نظر وهو معنى قولى وما ارتضى أى لأنه لايسلم أنه للسؤال عن الجنس وأنه يصح فى جواب من جبريل ملك بل جوابه ملك يأتى بالوحى وكذا مما يفيد تشخيصه فأما السؤال بها عن الوصف فلم يذكره فى التلخيص وقال بعض الشارحين إنه يسئل بها عن الوصف كما يسئل بما إذ لافرق بينهما إلا أن ما لما لايعقل قال الشيخ بهاء الدين وهذا الفرق يلجىء إلى أنه لايسئل بها عن الوصف لأن الوصف ليس بعاقل فلا يسئل عنه بمن التى هى للعاقل وهذا معنى قولى أول الأبيات الآتية لزيادتى لاوصفه :

[لاوصفه واسأل بأى عما يميز الشركة فيما عما
واسأل بكم عن عدد وكيف عن حال وأين للمكان والزمن

إذ وقفوا على النار ونحوه أخرج على صورة الخطاب ليعم إذ المراد أن حالهم تناهت فى الظهور بحيث لاتختص براء دون آخر فلا يختص بالخطاب مخاطب دون مخاطب بل كل من تتأتى منه الرؤية فله مدخل فيه . فان قلت : إن هذا مشكل من جهة أنه يزيل اختصاص الضمير ويجعله شائعا فيكون نكرة والضمير لا يكون إلا معرفة . فالجواب أنه جمع بين الحقيقة والمجاز فخوطب الجميع ليكون الخطاب لواحد حقيقة ولغيره مجازا ولا يضرنا عدم التعين فى الخارج لأن التعين مطلق . وقوله التعين والترك أى ترك التعيين مستبين أى ظاهر لأجل الشمول قال :

[وكونه بعلم ليحصلا بذهن سامع بشخص أولا
تبرك تلذذ عنايه إجلال او إهانة كنايه]

أقول : من مرجحات كون المسند إليه علما أى شخصيا إحضاره بعينه فى ذهن السامع ابتداء باسمه الخاص به فاحترز بعينه أى شخصه عن إحضاره باسم جنسه نحو رجل عابد زارنى و بابتداء أى أول مرة عن نحو جاءنى زيد وهو راكب فانه و إن حصل فيه الاحضار فى ذهن السامع بواسطة العلم أيضا لكن لا ابتداء بل ثانيا و باسمه الخاص به عن إحضاره بضميره أو إشارته أو غير ذلك نحو قوله تعالى : قل هو الله أحد ومنها التبرك نحو: محمد رسول الله. ومنها التلذذ بذكره نحو محمد يجب على كل أحد محبته. ومنها الاعتناء بشأنه إما لترغيب أو تحذير

متى وأيان لدى استقبال قيل وللتفخيم فى الأهوال
أنى ككيف تارة كأنى شئتم ومن أين كثيرا عنا]

يسئل بأى عما يميز أحد المتشاركين فى أمر يعمهما نحو: أى الفريقين خير مقاما أى أنحن أم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فالمؤمنون والكفار قد اشتركا فى الفريقية وسألوا عما يميز أحدهما عن الآخر والأمر الذى يقع به التمييز هو الخبرية والجواب بالتعيين ويسئل بكم عن العدد نحو: كم لبثتم أى كم سنة أو شهرا أو يوما أو ساعة ويسئل بكيف عن الحال نحو: كيف زيد أى صحيح أم سقيم ويسئل بأين عن المكان كأين زيد وجوابه فى البيت أو نحوه وبمتى عن الزمان ماضيا كان أو مستقبلا نحو متى تحضر وجوابه اليوم أو غدا ومتى حضرت وجوابه أمس أو أول أمس و بأيان عن الزمان المستقبل نحو: يسألونك عن الساعة أيان مرساها قيل وتستعمل فى مواضع التفخيم دون غيره نقله فى الايضاح عن على بن عيسى الربعى والمشهور عند النحاة أنها كمتى فتستعمل فيه وفى غيره وأنى تستعمل تارة بمعنى كيف ولا يليها إلا الفعل نحو: أنى يحيى هذه الله بعد موتها. فأتوا حرثكم أنى شئتم أى كيف شئتم وعلى أى حال ومن أى شق وتارة بمعنى من أين نحو : أنى لك هذا أى من أين لك هذا الرزق الآتى كل يوم قال الشيخ بهاء الدين والفرق بين أين ومن أين أن أين سؤال عن المكان الذى حل فيه الشىء ومن أين سؤال عن المكان الذى برز منه الشىء قيل وتستعمل بمعنى متى ومثل له بقوله تعالى - أنى شئتم -

تنبيه : يمكن استعمال لفظ أى فى جميع ألفاظ التصور تقول فى أزيد أم عمرو قام أى الرجلين قام وفى أقائم أم قاعد زيد أى الأمرين فعل وفى ما اسم أبيك أى شىء اسمه وهكذا فى الباقى :

[وربما تستعمل الأداة فى سواه كاستبطائه وإن نفى
تعجب كمثل مالى لا أرى كذا لتنبيه الضلال قد عرى
وللوعيد كألم أؤدب زيدا لمن يرى مسىء الأدب
كذا لتقرير بهمز قد سبق مقررا به وللانكار حق
وذا لتكذيب وتوبيخ يرد ولتهكم وتهويل وضد
كذا للاستبعاد قلت ألفا فيها كتاب قد محا عنها الخفا
وزيد للتشويق والترغيب مع تسوية والعرض والأنس وقع
والأمر والنهى وقد يجتمعا مثل تعجب وتوبيخ معا
وهل ترى المعنى الأصيل يسبر مع هذه أو زال فيه نظر]

قد تستعمل كلمات الاستفهام فى غيره مجازا عن ذلك الاستبطاء نحو كم أدعوك لمن أكثرت دعاءه ونهم الطيبى أن ذلك خاص بكم وليس كذلك فقد مثله فى الايضاح بقوله تعالى: متى نصر الله وفى التبيان بقولك للغلام هل أنت منطلق أى الناس قد انطلقوا فما وقوفك ثم قال الشيخ بهاء الدين الأحسن أن يجعل الفعل مضارعا لأنه أدل على بقاء الطلب والاستبطاء بخلاف قول التلخيص كم دعوتك لأنه قد يصدر من موبخ قد انقطع غرضه من إجابة دعائه أو بعد تعذر الاجابة ومنه التعجب ويشارك الاستفهام فى أن كلا يكون عما خفى سببه نحو مالى لا أرى الهدهد لأنه لم يكن يغيب عنه إلا باذنه فلما لم يبصره تعجب من حال نفسه فى عدم إبصاره إياه إذ لا معنى لاستفهام العاقل عن

أو تنبيه وهو المراد بقوله عناية، مثال الأول زيد صديقك فلا تهمله، ومثال الثانى زيد مخادع فلاتركن إليه ، ومثال الثالث زيد

لا ينبغى الاجتماع عليه ومن ذلك التفاؤل نحو سعد فى دارك والتطير أى التشاؤم نحو السفاح فى دارك

أوالتسجيل على السامع وغيره كما تقدم . ومنها التعظيم نحو محمد سيد الأنام . ومنها الاهانة نحو مسيلمة كذاب . ومنها الكناية عن معنى يصلح له العلم نحو أبو لهب فعل كذا كناية عن كونه جهنميا بالنظر إلى الوضع الأول الاضافى لاالثانى العلمى لأن معناه ملازم النار وملابسها ويلزمه أنه جهنمى فيكون انتقالا من الملزوم إلى اللازم وهذا القدر كاف فى الكناية وليس المراد أن واضع هذه الكنية لحظ من المكنى بها ذلك المعنى لغة لأن الظاهر خلافه إذ قيل إنما سمى بذلك لأن لونه كان ملتهبا والمراد بأبى لهب فى المثال الشخص المعلوم ومن فهم خلاف ما تلوته عليك فيكفيه ردما السعد عليه فى شرح الأصل . قال :

[وكونه بالوصل للتفخيم تقرير او هجنة أو توهيم
إيماء او توجه السامع له * أوفقد علم سامع غير الصله] اقول : من مرجحات كون المسند إليه اسما موصولا التفخيم وقدمه على اسم الاشارة مع أن اسم الاشارة أعرف منه لمعرفة السامع مدلوله بالقلب والبصر معه بخلاف

حال نفسه ومثله فى التبيان بقوله تعالى: مالهذا الرسول يأكل الطعام ومنه التنبيه على ضلال المخاطب نحو : فأين تذهبون. ومنه الوعيد كقولك لمن يسىء الأدب ألم أؤدب فلانا إذا كان عالما بذلك ومنه التقرير أى حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه وإلجاؤه إليه بشرط أن تسبق الهمزة المقرربه، ويذكر بعدها فان أردت التقرير بالجملة قلت أفعلت أو بالمفعول قلت أزيدا ضربت أو الفاعل قلت أنت فعلت ومنه الانكار بالشرط المذكور فان كان المنكر الفعل وليها نحو * أيقتلنى والمشرفى مضاجعى * أو الفاعل أو المفعول فكذلك نحو أهم يقسمون رحمت ربك أغير الله تدعون ثم الانكار يرد إما للتكذيب فى الماضى أو فى المستقبل بمعنى لم يكن أو لا يكون نحو : أفأصفاكم ربكم بالبنين أى لم يفعل ذلك أنلزمكموها وأنتم لها كارهون لا يكون هذا الالزام أو للتوبيخ فيهما بمعنى ما كان ينبغى أن يكون أو لا ينبغى أن يكون أعصيت ربك أتعصى ربك وقد أسبغ نعمه عليك ومنه التهكم نحو: أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا ومنه التهويل أى التعظيم وضده وهو التحقير نحو من هذا وماهذا وما أدراك ماهيه وفى حديث أم زرع زوجى أبو زرع وما أبو زرع ويحتمل الأمرين قراءة ابن عباس من العذاب المهين من فرعون بفتح الميم ورفع فرعون وجعل الشيخ شمس الدين بن الصائغ التهويل وضده وهو التسهيل والتخفيف قسمين غير التعظيم والتحقير ومثل التهويل بقوله تعالى: الحاقة ما الحاقة وضده بقوله تعالى : وماذا عليهم لو آمنوا بالله الآية : والتعظيم بقوله تعالى: من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه * ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها * والتحقير بقوله تعالى - أهذا الذى بعث الله رسولا - وبقول الشاعر:

ومن أنتم إنا نسينا من أنتم ... وريحكم من أى ريح الأعاصر

ومنه الاستبعاد نحو - أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون - وقد ألف العلامة شمس الدين بن الصائغ فى أقسام الاستفهام تأليفا حسنا سماه روض الأفهام فى أقسام الاستفهام ذكر فيه ثمانية وعشرين معنى لكن منها ما لا يسلم وأرجو أن ألخصه فى كراسة مع زيادة وتحرير ومما زاده على ماتقدم التشويق والترغيب كقوله تعالى : من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، والتسوية نحو سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم وهذا المعنى نبه عليه الشيخ بهاء الدين وذكر أنه مختص بالهمزة والعرض وقد ذكره ابن مالك فى المصباح والشيخ بهاء الدين نحو ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم ألا تحبون أن يغفر الله لكم والاستئناس نحو وما تلك بيمينك ياموسى ، والأمر وزاده فى الايضاح نحو أأسلمتم أى أسلموا فهل أنتم منتهون أى انتهوا وعبر عنه الطيبى فى هذه الآية بالاستقصار ، والتعيير والنهى نحو: أتخشونهم فالله أحق أى لا تخشوهم ماغرك بربك الكريم أى لا تغتر وربما اجتمع الأمران كالتعجب والتوبيخ معا ذكره فى الايضاح نحو كيف تكفرون بالله وهل يقال لأن معنى الاستفهام فى هذه الأشياء موجود وانضم إليه معنى آخر أو تجرد عن الاستفهام بالكلية قال الشيخ بهاء الدين محل نظر والذى يظهر الأول قال ويساعده قول التنوخى فى الأقصى القريب أن لعل تكون للاستفهام مع بقاء الترجى ومما يرجح الأول أن الاستبطاء فى قولك كم أدعوك معناه أن الدعاء وصل إلى حد لا أعلم عدده فانا أطلب أن أعلم عدده والعادة تقضى بأن الشخص إنما يستفهم عن عدد ما صدر منه إذا كثر فلم يعلمه وفى طلب فهم عدده ما يشعر بالاستبطاء وأما التعجب فالاستفهام

معه مستمرّ لأن من تعجب من شيء فهو بلسان الحال سائل عن سببه وكأنه يقول أىّ شىء عرض لى حال رؤية الهدهد وقد صرح فى الكشاف ببقاء الاستفهام فى هذه الآية . وأما التنبيه على الضلال فالاستفهام فيه حقيق لأن معنى أين تذهب أخبرنى إلى أىّ مكان تذهب فانى لا أعرف ذلك وغاية الضلال لا يشعر بها إلى أين تنتهى . وأما التقرير فان قلنا المراد به الحكم بثبوته فهو خبر بأن المذكور عقب الأداة وقع أو طلب إقرار المخاطب به مع كون السائل يعلم فهو استفهام يقرر المخاطب أى يطلب منه أن يكون مقرّا به ، وفى كلام أهل الفنّ مايقتضى الاحتمالين . والثانى أظهر ، وفى الايضاح تصريح به ولا بدع فى صدور الاستفهام ممن يعلم المستفهم عنه لأنه طلب الفهم . أما طلب فهم المستفهم أو وقوع فهم لمن يفهم كائنا من كان وبهذا تنحلّ إشكالات كثيرة فى مواضع الاستفهام ويظهر بالتأمل بقاء معنى الاستفهام مع كل أمر من الأمور المذكورة انتهى ملخصا .

[فصل]

[والأمر من أنواعه ثم الأصح ‏ ‏ ‏ صيغته باللام أولا قد وضح
لطلب الفعل مع استعلاء ‏ ‏ ‏ وقد يجى للعال كالدعاء
وللمساوى فالتماس وترد ‏ ‏ ‏ إباحة كذا لتهديد قصد
* ولاهانة وللتسخير ‏ ‏ ‏ والخبر والتعجيز والتخيير
وللتمنى وامتنان والعجب ‏ ‏ ‏ تسوية والاحتقار والأدب]

من أنواع الانشاء الأمر ، والأصح أن صيغته من المقترنة باللام وغيرها موضوعة لطلب الفعل إيجابا أو ندبا استعلاء أى على طريق طلب العلو وعدّ الآمر نفسه عاليا سواء كان كذلك فى نفس الأمر أم لا لتبادر الفهم عند سماع صيغته إلى ذلك والتبادر علامة الحقيقة ، هذا هو الأصح عند علماء الفنّ وهو المختار . وقيل يشترط العلوّ فى نفس الأمر وعليه المعتزلة ، وقيل لا يشترط علوّ ولا استعلاء وعليه الامام الرازى وأتباعه وهو الأصح عند علماء الأصول مستدلين بقوله تعالى حكاية عن فرعون فماذا تأمرون . وأجيب بأنه من الأمر بمعنى المشورة والفعل وبأن فرعون إذ ذاك كان مستقلا لهم وشملت الصيغة لفظ الأمر عند النحاة كأكرم واسم الفعل كنزال والمضارع باللام نحو ليحضر وقد ترد صيغة الأمر بلا استعلاء كالدعاء من السافل للعالى نحو رب اغفر لى ، والالتماس من المساوى كقولك لمن يساويك رتبة اسقنى ماء ، والاباحة نحو جالس الحسن أو ابن سيرين ، والتهديد نحو اعملوا ما شئتم إذ ليس المراد الأمر بكل عمل شاءوه والاهانة ومثله فى الايضاح بقوله تعالى ـ ذق إنك أنت العزيز الكريم ، والتسخير أى التذليل نحو كونوا قردة عبر به عن نقلهم من حالة إلى حالة إذلالهم فهو أخص مما قبله ، والتعجيز نحو : فأتوا بسورة من مثله إذ ليس المراد طلب ذلك منهم بل إظهار عجزهم ، والتخيير نحو أنكح هندا أو أختها فيمتنع الجمع بخلاف الاباحة ، والتمنى نحو : * ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى * فان الليل لا يقبل أن يطلب منه الانجلاء وإنما ذلك كناية عن تمنيه ، والامتنان نحو : كلوا من ثمره إذا أثمر ، وللتعجب نحو : أنظر كيف ضربوا لك الأمثال ، والتسوية نحو : فاصبروا أو لا تصبروا ، والخبر نحو قوله صلى الله عليه وسلم « إن مما أدرك الناس من كلام النبوّة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت » رواه البخارى أى الواقع أن من لا يستحى يفعل ما يشاء ، وقيل إذا كان الشىء مما لا يستحيا منه فاصنعه فتكون إباحة والاحتقار نحو : ألقوا ما أنتم ملقون ، والأدب

الوصول عملا بقوله فى الخطبة * سلكت ما أبدى من الترتيب * فهو تابع ولا لوم على التابع نحو ـ فغشيهم من اليمّ ما غشيهم أى موج عظيم لا يكتنه كنهه ولا يمكن وصفه فان فى هذا الابهام من التفخيم ما لا يخفى فلو قيل فغشيهم الغرق لم يفد هذا التفخيم ومنها تقرير الغرض المسوق له الكلام أى زيادة التقرير والتقوية وقيل تقرير المسند . وقيل المسند إليه نحو وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه فان الغرض المسوق له الكلام هو نزاهة يوسف عليه الصلاة والسلام فلو قيل راودته امرأة العزيز أو زليخا لم يفد ما أفاده الموصول باعتبار صلته فهو أدل على الغرض المسوق له وهو النزاهة لأنه إذا كان فى بيتها وتمكن من نيل المراد منها ومع ذلك عف عنها ولم يفعل كان ذلك غاية فى النزاهة عن الفحشاء وقيل معناه زيادة تقرير المسند أعنى المراودة لما فيه من فرط الاختلاط والألفة فلو قال زليخا أو امرأة العزيز لم يفد ما أفاده الموصول من ذكر السبب الذى هو قرينة فى تقرير المراودة باعتبار كونه فى بيتها وقيل هو تقرير المسند إليه لامكان وقوع الابهام والاشتراك فى امرأة العزيز أو زليخا لو ذكر أحدهما ولا يتأتى ذلك فى التى هو فى بيتها لأنها واحدة معينة مشخصة . ومنها الهجنة أى استقباح ذكر المسند إليه نحو جاء الذى لقيك أمس تريد رجلا اسمه الكلب . ومنها التوهيم

أى إظهار وهم المخاطب أى غلطه وخطئه فى اعتقاده نحو: إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا ومنه قول الشاعر:
إن الذين ترونهم إخوانكم * يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا ومنها الايماء إلى وجه بناء الخبر أى الاشارة
إلى أن بناء المسند عليه من أى طريق من ثواب أو عقاب أو مدح أو ذم أو غير ذلك نحو: إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين فان الاستكبار الذى تضمنته الصلة مناسب لاسناد سيدخلون جهنم داخرين أى ذليلين إلى الموصول وربما جعل ذريعة إلى التعريض بتعظيم شأن المسند نحو: إن الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول فان ذكر الصلة التى هى سمك السماء مشعرة بتعظيم المبنى عليه وهو البيت الذى بناه سامك السماء ورافعها أو بتعظيم غيره نحو الذى يوافقك يستحق الاجلال وقد يكون ذريعة للاهانة نحو الذى يخالفك يستحق الاذلال ومنها توجه ذهن السامع واستفراغه لما يرد
بعده فيقع منه موقعا ما إذا ورد نحو: والذى حارت البرية فيه * حيوان مستحدث من جماد والاختصاص
ومنها عدم علم السامع بالأحوال المختصة به سوى الصلة نحو الذى أطعمناه أمس جاءنا اليوم وفى معناه عدم علم المتكلم وحده

نحو كل مما يليك ، وغالب هذه الأمور من زيادتى على التلخيص والذى فيه الاباحة والتهديد والإهانة والتسخير والتعجيز والتسوية والتمنى :

[وقال فى المفتاح للفور اقتضى   قلت أعم منه فى القول الرضى]

اختلف فى صيغة الأمر عند تجردها من القرائن هل تقتضى الاتيان على الفور أو التراخى أو لا ؟ ولا بل هى لأعم من ذلك فالجمهور على الأخير ، وقيل للفور وعليه السكاكى لأنه الظاهر من الطلب كقولك عند العطش: اسقنى ماء ورد بأن ذلك لقرينة ، وقيل للتراخى وعليه طائفة من الرافضة ومحل الكلام على هذه الأقوال علم أصول الفقه :

[والنهى قاعده من الانشاء   وحرفه لا وهو ذو استعلاء
وقد يجى طالب غير الكف   والترك كالتهديد للتشفى
قلت : وللتقليل وامتنان   وللدعاء الارشاد والبيان]

من أنواع الانشاء النهى ، وهو طلب الكف عن الفعل تحريما أو كراهة على جهة الاستعلاء على حد ما سبق فى الأمر وحرفه لا الجازمة ، وقد يستعمل فى غير طلب الكف والترك مجازا كالتهديد كقولك لمن لا يمتثل أمرك: لا تمتثل أمرى ، وللتقليل نحو : ولا تمدن عينيك الآية أى فهو قليل حقير والامتنان ذكره الشيخ بهاء الدين و بيض لمثاله ، والدعاء نحو : ربنا لا تزغ قلوبنا ، والارشاد نحو : لا تسئلوا عن أشياء الآية ، والبيان للعاقبة نحو ـ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله ـ الآية أى عاقبة الجهاد الحياة لا الموت :

[وهذه الأنواع قد يقدر   شرط يليها جازما لا يذكر
كليت لى مالا أصدق أى إن   أرزقه زرنى أشف أى إن زرتنى
وولد العرض من استفهام   فقل ألا تنزل تعد السامى
ولدليل جاز أن يقدرا   فى غيرها فالله هو لمن قرا]

هذه الأنواع الأربعة التمنى والاستفهام والأمر والنهى يجوز أن يجزم بعدها المضارع بتقدير شرط بعدها نحو ليت لى مالا أنفقه أى إن أرزقه أنفقه أين بيتك أزرك أى إن تعرفنيه قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة أسلم تسلم أى إن تسلم لا تشتم يكن خيرا لك . ومن مشكله قوله تعالى: فهب لى من لدنك وليا يرثنى أى إن تهب لى يرثنى . وقد مات يحيى قبل أبيه عليهما السلام فيلزم عدم استجابة دعائه وهو ابن موصوف بالارث . وأجاب الطيبى بأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام و إن كانوا مستجابى الدعوة لكن ليس كل ما دعوه أستجيب ألا ترى إلى سيدهم صلى الله عليه وسلم كيف قال سألت الله ثلاثا فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة وهى أن لا يذيق بعض أمتى بأس بعض . وأجاب الشيخ بهاء الدين بأن المراد إرث النبوة والعلم وقد حصل فى حياته ، وأما العرض فقد تقدم أنه متولد من الاستفهام فيجوز أيضا تقدير الشرط وجزم الفعل بعده نحو ألا تنزل تصب خيرا أى إن تنزل ويجوز ذلك فى غير هذه المواضع لدليل يدل عليه كقوله تعالى: فالله هو الولى أى إن أرادوا أولياء بحق فالله هو الولى والقرينة الفاء ـ إذا لذهب كل إله بما خلق ـ والقرينة إذا :

[ثم الندا منها وربما ترد   صيغته لغير ماله قصد
كمثل الاغراء كيا مظلوم   لمن شكا الظلم و يا محروم

أومع المخاطب نحو الذى حولنا من الجن لا أعرفهم أو لا نعرفهم. قال: [وباشارة لكشف الحال من قرب او بعد أو استجهال
أو غاية التميز والتعظيم والحط والتنبيه والتفخيم] أقول: من مرجحات كون المسند إليه اسم إشارة بيان حال المشار إليه من قرب نحو هذا زيد أو بعد نحو ذاك زيد أو ذلك زيد فلاسم الاشارة مرتبتان عند المصنف تبعا لسيبويه وابن مالك والأصل جعل المراتب ثلاثا فيكون اسم الاشارة للمتوسط ذاك وللبعيد ذلك ، ومنها استجهال المخاطب أى تجهيله والتعريض بغباوته حتى إنه لا يتميز له الشىء إلا بالاشارة إليه كقول الفرزدق يخاطب جريرا :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم ... إذا جمعتنا يا جرير المجامع

ومنها تمييزه غاية التميز لإحضاره فى ذهن السامع حسا بالاشارة كقول ابن الرومى :

هذا أبو الصقر فردا فى محاسنه ... من نسل شيبان بين الضال والسلم

ومنها التعظيم أى قصد تعظيمه بالقرب نحو إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم، أو البعد نحو ذلك الكتاب نزل بعد درجته ورفعة قدره منزلة بعد المسافة ومنه تلك آيات الله وتلك آيات الكتاب وغير ذلك ، ومنها الحط أى التحقير بالقرب نحو وما هذه الحياة الدنيا إلا لعب ولهو نزلت دناءتها وخسة قدرها منزلة

والاختصاص أنا أيها الرجل ... أفعله أى متخصصا فقل

قلت والاستغاثة تعجب ... تحسر كيا ديار العرب]

من أنواع الانشاء النداء وهو طلب الاقبال بحرف نائب مناب أدعو لفظا أو تقديرا وقد تستعمل صيغته فى غير معناه كالاغراء كقولك لمن يتظلم يامظلوم فانه ليس بنداء حقيقة لأن الغرض أن المخاطب أقبل يتظلم ولكنه ترغيب له فى شكوى الظلم وحث عليه والاختصاص نحو أنا أفعل كذا أيها الرجل أى متخصصا به دون الرجال ، والاستغاثة نحو يالله للمسلمين ، وللتعجب نحو :
* يا للكهول والشبان للعجب * والتحسر والتوجع كما فى نداء الأطلال والمنازل والمطايا وما أشبه ذلك وهذه الثلاثة من زيادتى كما ترى :

[وأصل يا لدى النداء للبعيد ... وقد تجى لغيره مثل البليد

والحرص فى وقوعه والاعتنا ... أو شأنه عظمه أو هوّنا]

هذان البيتان من زيادتى نبهت فيهما على أن أصل يا من أدوات النداء أى ينادى بها البعيد بخلاف الهمزة وأى وقد تخرج عن ذلك لنكت ، منها كون المدعو بليدا كقول الفرزدق :

فانعق بضأنك يا جرير فإنما ... منتك نفسك فى الخلاء ضلالا

ومنها إظهار الحرص فى وقوعه على إقبال المدعو نحو يا موسى أقبل أو كون المتلوّ معتنى به نحو : ياأيها الناس اعبدوا ربكم ، أو قصد تعظيم شأن المدعو نحو يارب وقد قال تعالى – إنى قريب – وفى الصحيح أنت أعلم أى رب أو قصد انحطاطه نحو قولك : ياهذا إن البغاث بأرضنا يستنسر وقول فرعون : إنى لأظنك ياموسى مسحورا وهذه القطعة منبه عليها فى التبيان :

[ثم الترجى بلعلّ أهملا ... وقد يجى توقعا تعللا

كذا لشكّ وللاستفهام ... وطلب الاعطاف بالأقسام]

هذان البيتان أيضا من زيادتى نبهت فيهما على نوع أهمله فى التلخيص من الانشاء وهو الترجى وحرفه لعل نحو لعل الله يأتينا بخير قال الشيخ بهاء الدين ولا عذر له فى تركه ونقل القرافى الاجماع على أنه إنشاء ، وقد يخرج عن معناه فيرد لتوقع محذور ويسمى إشفاقا نحو لعلّ الساعة قريب وللتعليل عند السكاكى والأخفش وللاستفهام عند الكوفيين ، وللشكّ عند الفراء والطوال قال التنوخى فى الأقصى القريب ، وقد تجىء لعل للاشفاق والتعليل والاستفهام مع بقاء الترجى . وأما القسم فلم يذكره لأنه ليس طلبا وإن كان إنشاء وإنما هو لتأكيد الخبر نعم يرد للطلب على سبيل الاستعطاف مثل بحياتك أخبرنى فنبهت على ذلك تكملة للفائدة .

[تنبيه]

[وقد يجى الاخبار موضع الطلب ... تحرزا عن صورة الأمر أدب

ولتفاؤل وقصد الحرص فى ... وقوعه واحتملا إذا يفى

من البليغ صيغة الماضى دعا ... أو حمله عليه من قد سمعا

قلت وقد يعكس ذا لنكت ... تدرك فى محلها بالفطنة

ثمت الانشاء كمثل الخبر ... فى غالب الذى مضى فاعتبر]

قد تقع صيغة الخبر ويراد بها الانشاء ، وذلك إما تأدبا لتحرز عن صورة الأمر كقول العبد للمولى

قرب المسافة وبالبعد نحو ذلك الفاسق فعل كذا. ومنها التنبيه عند ذكر أوصاف بعد المشار إليه على أن المشار إليه حقيق بما ير
بعد اسم الاشارة بسبب تلك الأوصاف نحو : أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون فأتى ب
المشار إليه وهو الذين يؤمنون بأوصاف متعددة من الايمان بالغيب وإقام الصلاة وغير ذلك ثم عرف المسند إليه بالاشارة إليه تنبيها على أن المشار إليهم أحقاء بما يرد بعد أولئك وهو كونهم على الهدى عاجلا والفوز بالفلاح آجلا من أجل اتصافهم بالأوصاف المذكورة ومنها التفخيم ولم يذكره الأصل اكتفاء بالتعظيم وزاده المصنف لأن فيه زيادة التعظيم نحو هذا زيد الذى تسمع به قال :

[وكونه باللام فى النحو علم
لكن الاستغراق فيه ينقسم
إلى حقيقى وعرفى وفى
فرد من الجمع أعم فاقتفى]

أقول : من مرجحات كون المسند إليه معرفا باللام الاشارة بها إلى معهود أوحقيقة فالأول ثلاثة أقسام : الأول معهود فى الذكر صريحا أوكناية نحو – وليس الذكر كالأنثى – فالأنثى تقدم ذكرها صريحا فى قوله إنى وضعتها أنثى والذكر تقدم فى قوله ما فى بطنى محررا لأن ما كناية عنه لأن التحرير إنما كان للذكور . الثانى معهود فى الذهن نحو: إذ هما فى

إذا حوّل وجهه ينظر المولى إلىّ ساعة فانه أكثر أدبا من قوله انظر إلىّ ، أو تفاؤلا نحو غفر الله لك فانه أبلغ من رب اغفر له حيث أتى بصيغة الماضى حتى كأنه وقع أو إظهارا للحرص فى وقوعه نحو أحيا الله السنة ، والدعاء بصيغة الماضى إذا صدر من البليغ يحتمله ويحتمل التفاؤل أوحملا للسامع على المطلوب بأن يكون يرغب فى تصديق الطلب كقولك أنت تحسن إلىّ غدا مكان أحسن إلى ومن ذلك قوله تعالى – والوالدات يرضعن، والمطلقات يتربصن، لايمسه إلا المطهرون – ثم نبهت من زيادتى على أن لفظ الطلب قديقع مرادا به الخبر ولذلك فى كل محل نكت ولطائف تدرك بالفطنة وذكر منها فى التبيان أمثلة منها قوله تعالى – قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم – الآية لم يقل و إقامة وجوهكم تأكيدا لمكان العناية بالصلاة وقوله تعالى حكاية عن هود – إنى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون – لم يقل وأشهدكم حذرا من أن يوازى شهادتهم بشهادة الله تعالى تهاونا بهم وأورد منه استغفر لهم أو لاتستغفر لهم وقول كثير :

أسيئى بنا أو أحسنى لاملومة ... لدينا ولا مقلية إن تقلت

أو ذلك للتسوية كما تقدم فى الأمر ثم الانشاء كالخبر فى كثير مما تقدم فى الأبواب الخمسة فليعتبر الناظر ذلك .

الوصل والفصل

[تعاطف الجمل يدعى الوصلا ... وتركه الفصل فأما الأولى
فان يكن لها محل وقصد ... تشريك تاليها لها فما وجد
فاعطف وشرط كونه مقبولا ... تناسب للفقد جئ مفصولا
أو لا محل وارتباط يحتذى ... بعاطف لا الواو فاعطفها بذا
كراح زيد ثم جاء أو نجا ... عمرو بمهلة وفور نهجا
أولا ولم يعط الذى للأولى ... لها ففصل وكذا إن يولى
مع كمال الاتصال أو سواه ... من غير إيهام كلاهما حواه
أو شبه هذين وإلا فصل ... أما كمال الانقطاع المكمل
فلا اختلاف بين إنشا وخبر ... لفظا ومعنى أو بمعنى مستقر
كمات زيد غفر الرحمن له ... أو فقد جامع هناك شمله]

هذا هو الباب السابع وهو أعظم أبواب هذا العلم خطرا وأصعبه مسلكا وأدقه مأخذا حتى قصر أبو على الفارسى البلاغة على معرفة الوصل والفصل نقله غير واحد والمراد بالوصل عطف الجمل بعضها على بعض و بالفصل ترك التعاطف فاذا أتت جملة بعد جملة فالأولى إما أن يكون لها محل من الاعراب أولا فان كان وقصد تشريك الثانية لها فى حكم الاعراب الذى لها مثل الخبرية والحالية والوصفية عطفت عليها كما يعطف المفرد إذا قصد تشريكه لمفرد قبله فى حكم إعرابه وشرط كون عطف الثانية على الأولى مقبولا فى فن البلاغة أن يكون بينهما تناسب بجهة جامعة نحو زيد يكتب و يشعر ويعطى ويمنع لما بين الكتابة والشعر من التناسب الظاهر والإعطاء والمنع من التضاد بخلاف زيد يكتب ويمنع أو يعطى ويشعر ولهذا عيب على أبى تمام قوله :

لا والذى هو عالم أن النوى ... مر وأن أبا الحسين كريم

إذ لامناسبة بين كرم أبى الحسين ومرارة النوى و إن فقد قصد التشريك المذكور ترك العطف نحو: و إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم لم يعطف الله يستهزئ بهم على إنا معكم لأنه ليس من مقولهم فلو عطف لفهم تشريكه له فى المفعولية فيلزم كونه مقول قول المنافقين وليس كذلك و إن لم يكن لها محل فان قصد ربط الثانية بها على معنى حرف عاطف غير الواو كالتعقيب المستفاد من الفاء والتراخى المستفاد من ثم وجب عطفها بذلك الحرف نحو دخل زيد فخرج أوثم خرج عمرو و إن لم يقصد الربط المذكور فان كان للأولى حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية وجب الفصل نحو: و إذا خلوا الآية لأنه لم يعطف الله يستهزئ بهم على قالوا لئلا يشاركه فى الاختصاص بالظرف لما تقدم من أن تقديم المفعول ونحوه يفيده فيلزم أن يكون استهزاء الله بهم مختصا بحال خلوهم إلى شياطينهم وليس كذلك و إن لم يكن للأولى حكم لا يقصد إعطاؤه للثانية بأن لم يكن لها حكم زائد على مفهوم الجملة أو كان ولكن قصد إعطاؤه للثانية أيضا فان كان بين الجملتين كمال الانقطاع بدون إيهام خلاف المقصود أو كمال الاتصال أو شبه كمال الانقطاع أو شبه كمال الاتصال وجب الفصل أيضا و إلا بأن كان بينهما كمال الانقطاع مع الابهام أو التوسط بين الكمالين فالوصل فهذه أحوال ستة الحال الأول كمال الانقطاع بأن تختلف الجملتان خبرا و إنشاء لفظا ومعنى أومعنى فقط أو يفقد الجامع قال الشاعر * وقال رائدهم أرسوا نزاولها * فصل نزاولها عن أرسوا لأنه خبر لفظا ومعنى وأرسوا إنشاء لفظا ومعنى وقال اليزيدى :

ملكته حبلى ولكنه ... ألقاه من زهد على غاربى
وقال إنى فى الهوى كاذب ... انتقم الله من الكاذب

فصل انتقم لأنه إنشاء معنى إذ هو دعاء، و إن كان لفظه خبرا إذ لفظ الفعل الخالى عن لفظ الطلب خبر ومثله مات فلان رحمه الله أى يرحمه الله تعالى فهو إنشاء معنى فلا يصح عطفه على مات فلان لأنه خبر لفظاومعنى، وسيأتى بيان الجامع ومثال الفصل لفقده :

[ثم كمال الاتصال مثل أن ... يكون توكيدا للاولى فادفعن
توهم المجاز والسهو كلا ... ريب فلما بنهاية العلا
بولغ فى وصف الكتاب اذ جعل ... المبتدا ذلك واللام دخل
فى خبر جاز توهم المجاز ... قبل تأمل فدفعه بحاز
فهو وزان نفسه مؤكدا ... زيدا كذاك قوله بعد هدى
فان معناه بلوغه إلى ... درجة نحو الهدى لن توصلا
حتى كأنه هدى محض وذا ... من ذلك الكتاب قطعا أخذا
لأن معناه الكتاب الكامل ... أى فى الهدى إذ لاسواه حامل
فهو وزان زيد الثانى إذا ... كررته فقس عليه وخذا
أو بدلا من تلك غير وافيه ... بما اراد أو كغير الوافيه
ويقتضى المقام الاعتناء ... بشأنه لنكتة تراءى
ككونه فى نفسه مطلوبا ... فظيعا او لطيفا او عجيبا
كقوله جل أمدكم بما ... ثم أمدكم وعد الأنعما

الفاء . الثالث معهود فى الحضور نحو: اليوم أكملت لكم دينكم ومنه الواقعة بعد اسم الاشارة وأى فى النداء . والثانى ثلاثة أقسام أيضا . الأول الاشارة إلى الحقيقة من حيث هى نحو الرجل خير من المرأة ومنه أل الداخلة على المعرف بفتح الراء نحو الانسان حيوان ناطق إذ التعريف إنما هو للماهية لا للأفراد الثانى الإشارة إلى الحقيقة باعتبار وجودها فى بعض الأفراد غير معين كقولك ادخل السوق حيث لاعهد فى الخارج ومنه قوله تعالى ـ وأخاف أن يأكله الذئب ـ وهذا المعرف فى المعنى كالنكرة ولذا عومل معاملتها فى الوصل بالجملة نحو:

ولقد أمر على اللئيم يسبنى

و إن كان فى اللفظ يجرى عليه أحكام المعارف من وقوعه مبتدأ وذا حال ووصفا للمعرفة وموصوفا بها ونحو ذلك و إنما قيل كالنكرة لما بينهما من تفاوت ما وهو أن النكرة معناه بعض غير معين من جملة الحقيقة وهذا معناه نفس الحقيقة و إنما تستفاد البعضية من القرينة كالدخول والأكل فيما مر فالمجرد وذو اللام بالنظر إلى القرينة سواء و بالنظر إلى أنفسهما مختلفان . الثالث الاشارة إلى الحقيقة باعتبار وجودها فى كل فرد من الأفراد فتفيد الاستغراق نحو: إن الانسان لفى خسر بدليل صحة الاستثناء الذى شرطه دخول المستثنى فى المستثنى منه لو سكت عن ذكره

وهو ضربان حقيقى وهو أن يراد كل فرد مما يتناوله اللفظ بحسب متفاهم اللغة نحو – عالم الغيب والشهادة – أى كل غيب وكل شهاد
وعرفى وهو أن يراد كل فرد مما يتناوله اللفظ بحسب متفاهم العرف نحو جمع الأمير الصاغة أى صا
بلده لا كل الصاغة واستغراق المفرد أشمل من الجمع فقولك لارجال فى الدار يصدق إذا كان فيها رجل أو رجلان بخلاف قولك لارجل فيها وهذا فى النكرة المنفية مسلم وأما المعرف باللام فلا بل الجمع المعرف بلام الاستغراق يتناول كل واحد من الأفراد على ماذكره جمهور الأصوليين ودل عليه الاستغراق فى نحو – والله يحب المحسنين – أى كل محسن. فان قيل إفراد الاسم يدل على الوحدة والاستغراق يدل على التعدد فيتنافيان . فالجواب أن الحرف إنما يدخل عليه عند إرادة الاستغراق مجردا عن الوحدة والتعدد وقوله فى النحو علم أشار به إلى الأقسام المتقدمة و إلى الخلاف فى كون المعرف أل بتمامها وهمزتها همزة قطع أو وصل أو اللام وحدها وهو مذهب علماء المعانى ولذا يقولون وأما تعريفه باللام كالمصنف فى قوله باللام أوالهمزة واللام للفرق بينها و بين همزة الاستفهام
و إلى مايتفرع على ذلك وقوله فاقتنى تكملة . قال:

فالقصد ذكر نعم والثانى　　أوفى به إذ فصل المعانى
ولم يحل فهو وزان الوجه فى　　أعجب زيد وجهه البدر الوفى
كذلك ارحل لاتقيمن عندنا　　فقصده إظهار كره واعتنا
ولا تقم أوفى به إذ دلا　　مطابقا وأكد الحلا
فهو وزان الحسن فى أعجبنا　　وجه حبيب حسنه حين رنا
أو كونها عطف بيان للخفا　　مع اقتضا إزالة له وفى
كوسوس الذى تلاه قال يا　　آدم فهو قد أبان الخافيا
فهو وزان عمر فيمن شعر　　أقسم بالله أبو حفص عمر

الحال الثانى كمال الاتصال بأن تكون الثانية مؤكدة للأولى أو بدلا منها أو عطف بيان وإنما وجب الفصل فيها لكونها توابع والتوابع عين المتبوع والعطف يقتضى المغايرة والموجب للتأكيد دفع توهم السهو أو المجاز ثم تارة تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد المعنوى من متبوعه فى إفادة التقرير مع الاختلاف فى معنى الجملتين وتارة منزلة التأكيد اللفظى فى اتحاد المعنى فالأول كقوله تعالى: ذلك الكتاب لاريب فيه فانه لما بولغ فى وصف الكتاب ببلوغه الدرجة القصوى فى الكمال حيث جعل المبتدأ ذلك الدالّ على كمال العناية بتمييزه والتوسل ببعده إلى التعظيم وعلوّ الدرجة وتعريف الخبر باللام الدالة على الانحصار فمعنى ذلك الكتاب أنه الكتاب الكامل الذى يستحق أن يسمى كتابا حتى كأنّ ماعداه من الكتب فى مقابلته ناقص بل ليس بكتاب جاز أن يتوهم السامع قبل التأمل أن فى ذلك مجازا أى بسبب المبالغة فأتبع بقوله لاريب فيه دفعا لهذا التوهم فهو وزان نفسه فى قولك جاء زيد نفسه . والثانى كقوله تعالى هدى للمتقين فان معناه أنه فى الهداية بالغ درجة لايدرك كنهها لما فى تنكير هدى من الابهام والتفخيم وللإتيان به دون هاد حتى كأنه هداية محضة وهذا معنى ذلك الكتاب لأن معناه الكتاب الكامل أى فى الهداية إذ هى المقصود من الانزال فهو وزان زيد الثانى فى قولك جاء زيد زيد ، وأما البدل أى كون الثانية بدلا من الأولى وذلك لكونها غير وافية بتمام المراد أو كغير الوافية به والمقام يقتضى الاعتناء بشأن المراد لنكتة ككونه مطلوبا فى نفسه أو نظيفا أو لطيفا أو عجيبا فتنزل الثانية من الأولى منزلة بدل البعض أو الاشتمال فالأول كقوله تعالى: أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين الخ فان المراد التنبيه على نعم الله تعالى والمقام يقتضى الاعتناء بشأنه لكونه مطلوبا فى نفسه وقوله أمدّكم بأنعام الخ أوفى بتأديته لدلالته عليهما بالتفصيل من غير إحالة على علم المخاطبين المعاندين فهو وزان وجهه فى أعجبنى زيد وجهه لدخول الثانى فى الأول لأن بما تعلمون يشمل الأنعام وغيرها . والثانى كقول الشاعر:
* أقول له ارحل لاتقيمن عندنا * فان المراد كمال إظهار كراهة الاقامة وقوله لاتقيمنّ عندنا أوفى بتأديته لدلالته عليه بالمطابقة مع التأكيد بالنون بخلاف ارحل فان دلالته عليه بالتضمن فهو وزان حسنها فى أعجبنى الدار حسنها لأن عدم الاقامة مغاير للارتحال فلا يكون تأكيدا وغير داخل فيه فلا يكون بدل بعض مع ما بينهما من الملابسة فيكون بدل اشتمال وأما بدل الكل فلا يتأتى هنا استغناء بعطف البيان لأنه قريب منه وقال فى الايضاح لأنه تأكيد فى المعنى ولأنه مقصود دون متبوعه والمقصود فى البيان ونحوه الأول والثانى توضيح له ومن أمثلة ذلك من القرآن اتبعوا المرسلين اتبعوا الآية

[وباضافة لحصر واختصار * تشريف أول وثان واحتقار

فان

تكافؤ سآمة إخفاء * وحث او مجاز استهزاء] أقول : من مرجحات كون المسند إليه مضافا لما بعده الحصر حيث لا تنضبط أفراد المسند إليه إلا بالاضافة نحو أهل الله سا كنون تحت مجارى الأقدار ومنها الاختصار نحو :

فان المراد حمل المخاطبين على اتباع الرسل وقوله اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون أوفى بتأديته وهو مشتمل عليه وقولنا فى الموضعين أوفى بصيغة افعل المقتضية لكون الأولى وافية أيضا مع ما تقدم من أنها غير وافية لأنّ الأولى وافية مع ضرب من القصور باعتبار الاجمال وعدم مطابقة الدلالة فصارت كغير الوافية . وأما البيان أى كونها عطف بيان للأولى لخفائها مع اقتضاء المقام إزالته فكقوله تعالى فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم الآية فصل قال عن وسوس لأن فيها تفسيرا لها و بيانا لها وكذا وماهم بمؤمنين يخادعون الله ماهذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم فانه إذا خرج من جنس البشر فقد دخل فى جنس آخر فاحتاج إلى بيان تعيينه . وقال أبو العلاء فى سيف :

مقيم النصل فى طرفى نقيض يكون تباين منه اشتكالا
تبين فوقه ضحضاح ماء وتبصر فيه للنار اشتعالا

أخفى فى البيت الأوّل الماء والنار المشبه بهما طرائف السيف التى هى فى متنه وعرائقه بقوله فى طرفى نقيض و بالغ فيه حيث جعل التباين فيه تشابها وتشا كلا ثم أوضحه بالبيت الثانى وذلك وزان عمر فى قوله * أقسم بالله أبو حفص عمر * روى الحرث بن أبى أسامة فى مسنده قال حدّثنا أشهل بن حاتم قال حدثنا ابن عون بن محمد قال سأل عمر رجلا عن إبله فذكر عجفاء ودبراء فقال عمر إنى لأحسبها ضخاما سمانا قال فمضى فمرّ عليه عمر وهو فى إبله يحدوها وهو يقول :

أقسم بالله أبو حفص عمر ما إن بها من نقب ولا دبر فاغفر له اللهم إن كان فجر

وقال عمر ماهذا ؟ قال أمير المؤمنين سألنى عن إبلى فأخبرته عنها فزعم أنه يحسبها سمانا ضخاما وهى كما ترى قال فانى أمير المؤمنين اثنى فى مكان كذا وكذا فأتاه فأمر بها فقبضت فأعطاه مكانها من إبل الصدقة .

[وشبه الانقطاع كون عطف ذى يوهمه على سواها وخذ
تظنّ سلمى أننى البيت مثل وسم بالقطع الذى لذا انفصل]

الحال الثالث شبه الانقطاع بأن يكون عطف الثانية على الأولى موهما لعطفها على غيرها وشبه بكمال الانقطاع باعتبار اشتماله على مانع من العطف إلا أنه لما كان خارجيا يمكن رفعه بنصب قرينة لم يكن من كمال الانقطاع و يسمى الفصل لذلك قطعا وهو أخص من الاصطلاح السابق بقصر القطع الذى هو ترك العطف على تركه فى هذا القسم مثاله :

وتظنّ سلمى أننى أبغى بها بدلا أراها فى الضلال تهيم

فصل أراها لأنه لو عطف لظنّ أنه معطوف على أبغى وليس مرادا بل يفسد المعنى :

[وشبه الاتصال كونها جواب سؤال الاولى اقتضته والصواب
تنزيلها منزلة فتفصل فصل جوابه وقيل يجعل
مقدّرا لنكتة كالاغتنا عنه وترك السمع منه يعتنى
وسمها وفصلها استئنافا وهو ثلاث أضرب قد وافى
إذ السؤال قد يكون عن سبب حكم عموما أو خصوصا ينتخب
أو غير ذين ثم منه ماأتى باسم الذى استؤنف عنه كالفتى
أحسن إليه الفتى به حرى أو وصفه وهو أشدّ فاذكر
نحو صديقك القديم قد أهل وصدر الاستئناف ربما خزل

هواى مع الركب اليمانين مصعد
جنيب وجثمانى بمكة موثق

فهو أخصر من الذى أهواه وأولى لضيق المقام بسبب كونه فى السجن وحبيبه على الرحيل ومنها تشريف المضاف نحو أمة محمد صلى الله عليه وسلم مرحومة أو المضاف نحو نبينا محمد أفضل الأنام . ومنها تحقير المضاف نحو ولد الحجام حاضر أو المضاف إليه نحو أخوك اللئيم حاضر فقوله واحتقار أى احتقار كل من الأوّل . والثانى أى المضاف والمضاف إليه . ومنها التكافؤ أى التماثل فى الرتبة بحيث لا مرجح للبداءة بأحد أفراد المسند إليه نحو: علماء البلد حضروا . ومنها سآمة المتكلم أو السامع من ذكر أفراد المسند إليه لكثرتها نحو: أهل البلد حضروا . ومنها إخفاء المسند إليه وستره عن غير المخاطب من السامعين نحو: صاحبك تغير حاله . ومنها حث السامع وتحريضه على إكرام أو إذلال فالأول نحو: صديقك أتى إليك والثانى نحو عدوّك يريد أن يظهر عليك . ومنها تضمن الاضافة مجازا لطيفا نحو ولنعم دار المتقين أضيفت الدار للمتقين مع أنها

دار المتقين وغيرهم لاختصاصهم بنعيمها . ومنها الاستهزاء كقولك لمن يعتقد صلاح ذى بدعة صاحبك تارك الصلاة . ومنها غير ذلك كالاستغراق نحو فعل الله جميل أى كل فرد من أفراد فعله لايسئل عما يفعل وبهذا الحال تمت أنواع المعرفة . قال :

[ونكروا إفرادا او تكثيرا
تنويعا او تعظيما او تحقيرا
لجهل او تجاهل تهويل
تهوين او تلبيس او تقليل]

أقول : البحث الرابع فى تنكيره فمن مرجحاته القصد إلى فرد مما يصدق عليه اسم الجنس نحو وجاء رجل من أقصى المدينة أى رجل واحد . ومنها التكثير بمعنى أن ذلك الشىء لكثرته لايحتاج إلى تعريف نحو إن له لابلا . ومنها التنويع بأن يراد بالمسند إليه نوع مخالف للأنواع المعهودة نحو وعلى أبصارهم غشاوة أى نوع غريب من الغشاوة وهو مايتعامى به عن الحق . ومنها التعظيم نحو وجاءهم رسول كريم . ومنها التحقير نحو قولك عند ملاقاة حجام لقينى رجل وقد اجتمعا فى قوله :

له حاجب عن كل أمر يشينه * وليس له عن طالب العرف حاجب

فتنكير حاجب الأول للتعظيم والثانى للتحقير . ومنها الجهل به كقولهم نحو جاءنى رجل إذا كنت لاتعرفه . ومنها التجاهل كقولك ذلك وأنت تعرفه . ومنها التهويل كقولك لمن أردت تفزيعه وتخويفه

فكله مع قائم مقامه ... أو دونه ودافع إيهامه
بوصله كمثل قول الداعى لا ... وأيد الله حماك بالعلا]

الحال الرابع شبه الاتصال بأن تكون الثانية جوابا عن سؤال اقتضته الأولى فتنزل الأولى منزلة السؤال فتفصل منها الثانية كما يفصل الجواب عن السؤال وقال السكاكى ينزل السؤال المفهوم منزلة السؤال الواقع لنكتة كاغناء السامع عن أن يسأل أو قصد أن لايسمع منه لاحتقاره أو كراهة كلامه أو نحو ذلك . قال فى الايضاح كقصد أن لاينقطع كلامك لكلامه أو تكثير المعنى بقليل اللفظ بطى السؤال والعاطف ويسمى الفصل بذلك استئنافا وكذا الجملة الثانية تسمى استئنافا ومستأنفة . والاستئناف ثلاثة أضرب لأن السؤال الذى تضمنته الأولى والمقدر على رأى السكاكى إما عن سبب عام أو خاص أولا عن سبب فالعام كقوله :

قال لى كيف أنت قلت عليل ... سهر دائم وحزن طويل

كأن المخاطب لما سمع عليل قال ماسبب علتك قال سهر الخ وإنما كان عاما إذ العادة إذا قيل فلان مريض أن يسئل عن مرضه وسببه لا أن يقال هل سبب علته كذا وكذا حتى يكون السؤال عن سبب خاص . والخاص نحو : وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء كأنه قيل هل النفس أمارة بالسوء بقرينة التأكيد وهذا الضرب يستحسن له التأكيد كما سبق . الثالث نحو قالوا سلاما قال سلام أى فماذا قال قال الشيخ عبد القاهر فى الدلائل وكل مافى القرآن من قال بلا عاطف فتقديره على هذا . قال الشيخ بهاء الدين : يعنى على الاستئناف ، ومنه :

زعم العواذل أننى فى غمرة ... صدقوا ولكن غمرتى لاتنجلى

كأنه قيل هل صدقوا ثم من الاستئناف مايأتى باعادة اسم من استؤنف عنه مثل أحسن إلى زيد زيد حقيق بالاحسان باعادة اسم زيد ، وقول أبى تمام :

سلبنا غطاء الحسن عن حر أوجه ... تظل للب السالبيها سوالبا
وجوه لوان الأرض فيها كواكب ... توقد للسارين كانت كواكبا

ومنه مايبنى على صفة وهو أبلغ لأن فيه ذكر السبب بخلاف الأول نحو أحسن إلى زيد صديقك القديم أهل لذلك والسؤال المقدر فى القسمين لماذا أحسن إليه وهل هو حقيق بالاحسان ، ومن هذا القسم قول أبى العلاء :

وقد عرضت عن الدنيا فهل زمنى ... معط حياتى لغرى بعد ماعرضا
جربت دهرى وأهليه فما تركت ... لى التجارب فى ود امرىء غرضا

فانه حين أبدى شكاية الزمن حمل السامع على سؤال ماذا تشكو منه ولماذا استحق الشكاية ، فقال إنى جربت دهرى وأهليه ومارستهم فلم يبق لى فيهم غرض وقد يحذف صدر الاستئناف فعلا كان أو اسما نحو ـ يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال كأنه قيل من يسبح فقال يسبحه رجال أو المسبح رجال وقد يحذف الاستئناف كله إما مع قيام شىء مقامه يدل على المحذوف كقوله :

زعمتم أن إخوتكم قريش ... لهم إلف وليس لكم إلاف

كأنه قيل صدقنا أم كذبنا فقال مقدرا كذبتم . ثم استدل عليه بقوله لهم إلف الخ أولا ، نحو ـ فنعم الماهدون ـ أى نحن . الحال الخامس الوصل لدفع الايهام ، وهو معنى قولى ودافع إيهامه بوصله

وراءك حساب . ومنها التهوين بالنون كقولك لمن عليه بقية دين بقى شىء أى قليل.ومنها التلبيس أى الاخفاء على السامع نحو قال لى قائل إنك خائن.ومنها التقليل كقولك للظمآن هناشئ من الماء . ومماله مناسبة بالتعريف والتنكير

كقولهم لاوأيدك الله وصلت و إن كان بينهما كمال الانقطاع لأن الأولى خبر والثانية إنشاء لئلا يتوهم أن لا داخلة على جملة وأيدك الله فتكون دعاء عليه . وفى ربيع الأبرار أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه مرّ برجل يقال له أبولفانة فى يده ثوب فقال له الصديق رضى الله تعالى عنه أتبيع هذا الثوب ؟ فقال لارحمك الله فقال له الصديق قد قومت ألسنتكم لو تستقيمون لاتقل هكذا قل لا ورحمك الله وحكاها صاحب المغرب بلفظ قل وعافاك الله . وسأل المأمون اليزيدى عن شئ فقال لا وجعلنى الله فداءك فقال المأمون لله درّك ما وضعت الواو موضعا قط أحسن منها هنا وقد وجدت لهذا النوع مثالا من الحديث وهو ما أخرجه أحمد فى مسنده عن أبى هريرة قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد فجاءه أعرابى فقال أعطنى يامحمد فقال لا وأستغفر الله قال وكانت يمينه أن يقول لا وأستغفر الله وربما يقصد الشاعر الموارية فيترك الوصل . قال شيخ الإسلام أبوالفضل بن حجر :

الدوادار قال لى سوف أقضى مآربك
ابذل المال قلت لا حفظ الله جانبك

[وصل إذا توسط بينهما يكون فيهما كأن تلفيهما
توافقا إنشاء أو خبرا فى لفظ اومعنى بجامع يرى]

الحال السادس : الوصل لتوسط الجملتين بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع بأن تتفق الجملتان فى الخبرية أو الإنشائية لفظا ومعنى أومعنى فقط وتحت ذلك ثمانية أقسام أن تكونا خبريتين لفظا ومعنى إنشائيتين كذلك إنشائيتين معنى والأوّل خبر لفظا إنشائيتين معنى والأول إنشاء خبريتين معنى والأوّل إنشاء خبريتين معنى والأول خبر إنشائيتين معنى وهما خبران لفظا خبريتين معنى إنشائيتين لفظا ولابدّ من تحقيق جامع بينهما على ماسيأتى مثاله ـ إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم ـ من القسم الأول والجامع التضادّ ـ وكلوا واشربوا ولاتسرفوا ـ من الثانى ـ لاتعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا ـ أى لا تعبدوا وأحسنوا من الثالث أو يقدر وتحسنون بمعنى أحسنوا فيكون من السابع :

[وهو يكون باعتبار المسند إليهما والمسندين فقد]

الجامع بين الجملتين يجب أن يكون باعتبار المسند إليهما والمسندين جميعا : أى المسند إليه فى الأولى والمسند إليه فى الثانية وكذلك المسند فى الأولى والمسند فى الثانية نحو يشعر زيد ويكتب للمناسبة بين الشعر والكتابة ويعطى ويمنع لتضادّ الاعطاء والمنع وزيد شاعر وعمرو كاتب وزيد طويل وعمرو قصير لمناسبة بينهما من أخوّة أوصداقة أوعداوة أونحو ذلك من الملابسات بخلاف ما إذا لم تكن كذلك وإن اتحدّ المسندان نحو خفى ضيق وخاتمى ضيق أو كانت ولامناسبة نحو زيد شاعر وعمرو طويل وإن كان بين زيد وعمرو مناسبة لعدم تناسب الشعر وطول القامة :

[فمنه عقلى بأن يكون فى تصور بينهما إذا بنى
تماثل أو اتحاد أو يرى تضايف كأصغر وأكبرا
وإن يكن بين تصوريهما شبه تماثل فالوهم انتمى
كلونى البياض والصفرة إذ يبرزها كالمثل وهم ما انتبذ
كذا تضاد كالبياض والسواد أو كالسما والأرض مشبه التضاد

قاعدة وهى أن الاسم إذا كرّر مرّتين فان كانا نكرتين فالثانى غير الأول أومعرفتين أوالثانى فقط فهو عينه أوالأول معرفة والثانى نكرة فقولان فالأول والثانى كالعسر واليسر فى قوله تعالى ـ فان مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا ـ والثالث نحو فيها مصباح المصباح والرابع كقوله :

صفحنا عن بنى ذهل وقلنا القوم إخوان
عسى الأيام أن يرجعـ ـن قوما كالذى كانوا

وهذه القاعدة أغلبية كما يعلم من المطوّلات

قال :

[ووصفه لكشف او تخصيص
ذم ثنا توكيد أو تنصيص]

أقول : البحث الخامس فى إتباعه أما وصفه فلأمور منها كشف معناه نحو الجسم الطويل العريض العميق يحتاج إلى فراغ يشغله فكلّ من هذه الأوصاف الثلاثة يبين الجسم بوجه ما والمجموع وصف كاشف بالغ مرتبة الحد على مذهب المعتزلة وأما على مذهب أهل السنة فهو الجوهر القابل للقسمة فان لم يقبلها فهو الجوهر الفرد ، ومنها تخصيصه بتقليل الاشتراك أورفع الاحتمال فالأول نحو زيد العابد عندنا إذا كان هناك مشارك له فى العبادة

والثانى نحو زيد العالم عندنا إذا لم يكن عالم غيره.ومنها الذم نحو زيد الجاهل فى السوق.ومنها الثناء : أى المدح نحو زيد العابد فى المسجد إذا كان الموصوف معينا بدون الوصف فيهما.ومنها التوكيد نحو أمس الدابر كان يوما عظما

ومنها التنصيص أى البسط والبيان لكون دلالة المنطوق أقوى نحو جاءنى رجل واحد واعلم أن المسند إليه إذا كان ضميرا لا يصح وصفه كما هو مقرر فى محله . قال :

[وأ كدوا تقريرا او قصد الخلوص
من ظن سهو أو مجاز أو خصوص]

أقول : أما توكيده فلأمور . منها التقرير أى تقرير المسند إليه وتحقيق مفهومه بحيث لا يظن به غيره نحو جاء زيد زيد . ومنها دفع توهم السهو إذا خاف المتكلم أن السامع ظن به السهو فأسند الحكم إلى غير من هو له نحو المثال المتقدم ومنها دفع توهم المجاز نحو جاء الأمير نفسه دفعا لتوهم أن إسناد المجيء إلى الأمير مجاز و إنما الجائى بعض خدمه . ومنها دفع توهم التخصيص وعدم الشمول نحو جاء القوم كلهم دفعا لتوهم أن الجائى البعض وعبر عنه باللفظ الدال على الكل. قال :[وعطفوا عليه بالبيان باسم به يختص للبيان] عليها

أقول : وأما تعقيب المسند إليه بعطف البيان فلإيضاحه باسم مختص به نحو قدم صديقك خالد ولا يلزم أن يكون الثانى أوضح

وإن يكن يسبق فى الخيال تقارن فجامع خيالى
واختلفت أسبابه فاختلفت صوره فوضحت أو خفت]

الجامع بين الشيئين عقلى أو وهمى أو خيالى ، فالعقلى علاقة تجمع الشيئين فى القوة المفكرة بأن يكون بينهما اتحاد فى التصور مثاله فى الطرفين قام زيد أمس وقام زيد أمس مريدا بذلك قياما واحدا للتأكيد ومنه ـ كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ـ وحديث «إن بنى هشام بن المغيرة استأذنونى أن ينكحوا ابنتهم علىّ بن أبى طالب فلا آذن ثم لا آذن » وفى المسند فقط زيد يكتب وأخوه يكتب وفى المسند إليه فقط نحو زيد يكتب و يشعر أو تماثل فيهما مثاله زيد يعطى وأخوه يعطى وفى المسند زيد يعطى وهو يعطى إذا قصد غير الإعطاء الأوّل وفى المسند إليه زيد يعطى وأخوه يمنع ، أو تضايف بأن يكون كلّ من الشيئين لا يمكن تعقله إلا بالقياس إلى تعقل الآخر كالأصغر والأكبر والأقل والأكثر والأعلى والأسفل ، والوهمى بأن يكون بين تصوريهما شبه تماثل كلونى البياض والصفرة فإن الوهم يبرزهما فى معرض المثلين لتقاربهما فيسبق إليه أنهما نوع واحد زيد فى أحدهما عارض بخلاف العقل فانه يعرف أنهما نوعان متباينان أو يكون بين تصوّريهما تضادّ كالسواد والبياض والإيمان والكفر وما يتصف بهما الأبيض والأسود والمؤمن والكافر أو شبه التضادّ كالسماء والأرض لأن الأوّل فى غاية الارتفاع والثانى فى غاية الانحطاط وليستا من المتضادّات لأنهما لم يتعاقبا على محل واحد كالأول والثانى لأن الأول هو السابق والثانى هو المسبوق بواحد فقط والوهم ينزل التضادّ وشبهه منزلة التضايف فى أنه لا يحضره أحد المتضادّين أوشبهه إلا ويحضره الآخر ولذلك تجد الضدّ أقرب خطورا بالبال مع الضدّ من سواه من المغايرات والخيال بأن يكون بين تصوريهما تقارن فى الخيال سابق على العطف لأسباب مؤدية إلى ذلك وهى مختلفة فلذلك اختلفت الصور الثابتة فى الخيالات ترتبا ووضوحا وربّ شيئين يجتمعان فى خيال زيد دون خيال عمرو للابسة لهما دون غيره ونحو ذلك وربما كان بين الأمرين جامع خيالى عند قوم دون قوم كقوله تعالى ـ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ـ الآية فان هذه الأمور مجتمعة فى خيال أهل البوادى فإن أكثر انتفاعهم بالإبل وانتفاعهم بها بالمرعى الناشئ عن المطر النازل من السماء المقتضى تقلب وجوههم إليها ولا بدّ لهم من مأوى وحصن فكثر نظرهم إلى الجبال ولابدّ لهم من التنقل من أرض إلى أرض فذكرت الأرض فصور هذه الأمور حاضرة فى ذهنهم على الترتيب المذكور بخلاف الحاضر :

[وحسن الوصل تناسب وجد فى اسمية وفى مضيها وضدّ
قلت وفى الشرطية الظرفية والحصر والتأكيد للمزية]

من محسنات الوصل بعد وجود المصحح تناسب الجملتين فى الاسمية والفعلية وتناسب الفعليتين فى المضى والمضارعة مالم يكن مانع من إرادة التجدّد فى إحداهما والثبوت فى الأخرى نحو قام زيد وعمرو قاعد.ومنه ـ سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون ـ أى أحدثتم الدعوة أم استمر عليكم صمتكم عن دعائهم أو المضى فى إحداهما والمضارعة فى الأخرى أو فى إحداهما الإطلاق وفى الأخرى التقييد بالشرط نحو ـ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ـ قاله الشيخ بهاء الدين نقلا . ومن التناسب أيضا أن تكون الجملتان سواء فى الشرطية والظرفية : أى إذا كان المعطوف

الجواز أن يحصل الايضاح من اجتماعهما ، والفرق بين النعت وعطف البيان أن الأوّل يدل على معنى فى متبوعه والثانى يكشف حقيقته ، وقد يكون عطف البيان للمدح لا للايضاح نحو: جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس. فالبيت الحرام جىء به للمدح لا للايضاح والبيان الأوّل فى البيت المراد به التابع المخصوص والثانى اسم مصدر بين فلا إيطاء فى البيت. قال:

[وأبدلوا تقريرا أو تحصيلا
وعطفوا بنسق تفصيلا
لأحد الجزءين أو رد إلى حق وصرف الحكم للذى تلا
والشك والتشكيك والإبهام
وغير ذلك من الأحكام]

أقول : وأما البدل من المسند اليه فلتقرير الحكم بسبب تقديم التوطئة لذكر البدل فتتشوّف النفس إليه فيتقرر الحكم ويثبت وذلك فى بدل الكل نحو جاء أخوك زيد أو لتحصيل الحقيقة وذلك فى بدل البعض نحو مات العلماء أكثرهم والاشتمال نحو سلب الناس عقولهم وأما بدل الغلط فلا دخل له هنا لأنه لا يقع فى فصيح الكلام وأما العطف أى جعل الشىء معطوفا على المسند إليه بحرف فلأمور : منها تفصيل المسند إليه مع الاختصار نحو جاء زيد وعمرو فان فيه تفصيلا للفاعل بأنه زيد وعمرو من غير دلالة على تفصيل الفعل

عليها شرطية أو ذات ظرف فلتكن الثانية كذلك . قال : و ينبغى أن يدخل فى هذا القسم ما إذا كان فى إحداهما أداة حصر أو تأكيد بانّ واللام ونحو ذلك .

تذنيب

[الأصل فى الحال المفيد نقلة   خلوّها فان أتاك جملة
تحتج لما يربطها فان خلت   عن مضمر فهى بواو قرنت]

لما كانت الحال الواقعة جملة تارة تدخلها الواو وتارة لا تدخلها صار لها فى الصورة حالتا وصل وفصل فناسب ذكر ذلك فى بابه وجعل كالذنابة لما قبله ثم الحال إما مؤكدة ولا تدخلها الواو أبدا لأنها فى معنى ماقبلها ، أو منتقلة وهو الأكثر ، والأصل فيها مفردة كانت أو جملة خلوّها عن الواو لأنها فى المعنى حكم على صاحبها كالخبر ووصف له كالنعت وكل منهما لا يصلح عطفه فكذا الحال لكن الجملة منه تحتاج لما يربطها بصاحبها لاستقلالها بالافادة كالواقعة صلة وخبرا وصفة وكل من الضمير والواو صالح للربط والأصل هو الضمير بدليل الاقتصار عليه فى الحال المفردة والخبر والنعت الصلة و إنما يعدل عنه إذا تعذر :

[وكل جملة ترى عن مضمر   ماصح عنه نصبها حالا عرى
يصح أن تكون حالا عنه   بالواو أما إن تكن حوته
فما على حصول وصف ما ثبت   مقارن لماله قد قيدت
دلّ فضاهى المفرد المؤصلا   فامنع بها الواو وما ليس فلا
فأوّل مضارع قد أثبتا   فالاقتران إذ مضارعا أتى
وبالثبوت فالصفات تحصل   وما حواها شذ أو مؤوّل
وإن نفى تجوّزا لكونه   دلّ على القران لا حصوله
كمثبت الماضى فالحصول لا   للاقتران ولذا قد دخلا
مقربا وبعضهم لم يشترط   وقال من أوجبها فقد غلط
وما نفى فلا حصول إذ نفى   ولكن اقترانه حقا يفى
لأن لما نفيها يستغرق   وغيرها نفى لما قد يسبق
والأصل الاستمرار فيه فاذا   أطلقته فالاقتران يحتذى
خلاف مثبت فان الفعلا   بوضعه على الحدوث دلا
وإن تكن اسمية فالمرتضى   جواز تركها بعكس مامضى
فى مثبت الماضى ولكن رجحا   دخولها إذ الثبوت ما انمحى
مع كون الاستئناف فيها قد بدا   وقيل الزم إذ يكون المبتدا
ضمير ذى الحال وإن يسبق خبر   ظرف فحسن تركها قد استقر
كذا بحرف داخل فى المبتدا   أو تلت الجملة حالا مفردا
قلت وذات الشرط واوا تلزم   إذ فقدت ما لامتناع يحتم]

كل جملة خلت عن ضمير ماصح نصبها عنه حالا تصح أن تقع حالا عنه بالواو وأما الحاوية للضمير فان كانت فعلية وصدرها مضارع مثبت امتنع دخول الواو نحو : ولا تمنن تستكثر لأن الأصل

بأن الجيئين كانا معا أو مرتبين مع مهلة أو بلا مهلة . ومنها تفصيل المسند كذلك نحو جاءنى زيد فعمرو أو ثم عمرو أو جاء القوم حتى خالد

فالثلاثة تشترك فى تفصيل المسند إلا أن الفاء تدل على التعقيب من غير تراخ وثم على التراخى وحتى على أن أجزاء ماقبلها مرتبة فى الذهن من الأضعف إلى الأقوى أو بالعكس فمعنى تفصيل المسند فيها أى حتى أن يعتبر تعلقه بالمتبوع أولا وبالتابع ثانيا من حيث إنه أقوى أجزاء المتبوع أو أضعفها ولا يشترط فيها الترتيب الخارجى لجواز أن يكون ملابسة الفعل لما بعدها قبل ملابسته للأجزاء الأخر التى قبلها نحو مات كل أب لى حتى آدم وهذا معنى قوله تفصيلا لأحد الجزءين أى المسند إليه أو المسند . ومنها رد السامع عن الخطأ فى الحكم إلى الصواب نحو جاءنى زيد لا عمرو لمن اعتقد أن عمرا جاءك دون زيد أو أنهما جاآك جميعا فيكون على الأول قصر قلب وعلى الثانى قصر إفراد ومراده بالحق الصواب. ومنها صرف الحكم عن محكوم عليه إلى محكوم عليه آخر نحو جاء زيد بل عمرو وما جاء زيد بل عمرو فان بل للاضراب عن المتبوع وصرف الحكم إلى التابع ومعنى الاضراب عن المتبوع أن يجعل فى حكم المسكوت عنه لا أن ينفى عنه الحكم قطعا . ومنها الشك من المتكلم فى المسند إليه نحو جاء زيد أو عمرو

فى الحال المفردة وهى تدل على حصول صفة غير ثابتة مقارن لما جعلت الحال قيدا له وهو العامل والمضارع المثبت كذلك أما دلالته على حصول صفة فلكونه مثبتا ، وأما كون الصفة غير ثابتة أى منتقلة فلكونه فعلا وهو يدل على التجدد وعدم الثبوت ، وأما المقارنة فلكونه مضارعا وهو يصلح للحال وما ورد من قول الشاعر * نجوت وأرهنهم مالكا * فشاذ أو مؤول على حذف المبتدإ أى وأنا أرهنهم ، وإن كان مضارعا منفيا جاز الأمران الاتيان بالواو وتركها على السواء نحو : ومالنا لانؤمن فاستقيما ولا تتبعان على قراءة ابن ذكوان بتخفيف النون لأن المانع من الواو مجموع كون الفعل دالا على الحصول والمقارنة فزال الحصول بالنفى و بقى المقارنة للمضارعة و بزوال جزء العلة يزول الامتناع فيجوز الاتيان بالواو وتركها اكتفاء بالضمير وكذا الماضى لفظا إذا كان مثبتا أو معنى وهو المضارع المنفى بلم ، أو لما نحو : أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر أو جاءوكم حصرت صدورهم أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم ، أما جواز الأمرين فى المثبت فلأنه دال على الحصول للاثبات دون المقارنة لكونه ماضيا فلايقارن الحال ولذلك شرط أن يكون مع قد ظاهرة أو مقدرة كما فى حصرت لأنها تقرب الماضى من الحال هذا رأى جمهور النحاة والذى اختاره أبو حيان وجماعة آخرهم شيخنا العلامة الكافيجى منع الاشتراط قالوا وقد غلط من أوجبها ظانا أن حال الزمان والحال المبينة للهيئة واحدة وليس كذلك كما لايخفى ولفظ قد إنما يقرب الماضى من الحال التى هى زمان التكلم ، وأما جواز الأمرين فى المنفى فلدلالته على المقارنة دون الحصول ، أما الثانى فلكونه منفيا ، وأما الأول فلأن لما من حروف النفى للاستغراق أى لامتداد النفى من حين الانتفاء إلى زمن التكلم وسائر الحروف مثل لم ولا لانتفاء متقدم على زمان التكلم مع أن الأصل استمراره حتى تظهر قرينة على الانقطاع فيحصل بذلك الدلالة على المقارنة عند الاطلاق بخلاف المثبت فان وضع الفعل على إرادة التجدد من غير أن يكون الأصل استمراره وإن كانت اسمية فالمشهور جواز تركها بعكس ماتقدم فى الماضى المثبت لدلالتها على المقارنة لكونها مستمرة لا على حصول صفة غير ثابتة لدلالتها على الدوام والثبات نحو كلمته فوه إلى فى والمشهور أيضا أن دخولها أولى من تركها لعدم دلالتها على عدم الثبوت مع ظهور الاستئناف فيها فحسن زيادة رابطة نحو : فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ، وقيل إن كان المبتدأ فيها ضمير صاحب الحال وجبت سواء كان خبره فعلا أم إسما نحو جاء زيد وهو يسرع أو وهو مسرع لأن الفائدة كانت حاصلة بدون الضمير فالاتيان به يشعر بقصد الاستئناف المنافى للاتصال فلايصلح أن يستقل بالربط فتجب الواو وإن كان الخبر ظرفا مقدما كثر ترك الواو نحو جاء زيد على كتفه سيف وقوله :

* خرجت مع البازى على سواد * ويحسن ترك الواو فى الجملة الاسمية أيضا لعارض كدخول حرف غير الواو على المبتدأ لحصول نوع من الارتباط به كقوله :

فقلت عسى أن تبصرينى كأنما ... بنى حوالى الأسود الحوارد

فدخول كأنما على بنى حسن ترك الواو منها لئلا يتوارد على الجملة حرفان وكذا إذا وقعت الجملة بعد حال مفردة كقوله :

والله يبقيك لنا سالما ... برداك تبجيل وتعظيم

قال

إذا علم بمجيء أحدهما لابعينه . ومنها التشكيك أى إيقاع المتكلم السامع فى الشك بأن يكون المتكلم عالما لكنه يريد تشكيك المخاطب كالمثال المتقدم . ومنها الابهام وهو أن يكون المتكلم عالما بالنسبة ولكنه أبهم على المخاطب لنكتة نحو : وإنا أو إيا كم لعلى هدى أوفى ضلال مبين والنكتة فى الآية أن لايزيد انكار المخاطبين ولجاجهم وقوله وغير ذلك من الأحكام كالتخيير والاباحة والمثال ظاهر والفرق بينهما مثله . قال :

[وفصله يفيد قصر المسند

عليه كالصوفى هو المهتدى]

أقول : من أحوال المسند إليه فصله أى تعقيبه بضمير فصل ويكون لنكت : منها تخصيصه بالمسند وعليها اقتصر المصنف كأصله نحو زيد هو العالم أى لاغيره ولذا يمتنع أن تقول وغيره ومنه مثال المصنف باعتبار الكمال فى الاهتداء . ومنها الدلالة على أن مابعده خبر لما قبله لاصفة . ومنها التأكيد وذكرها فى الكشاف مع الأول فى قوله تعالى : وأولئك هم المفلحون . قال :

[وقدموا للأصل أو تشويف * لخبر تلذذ تشريف وحط اهتمام أو تنظيم * تفاؤل تخصيص أو تعميم أن صاحب المسند حرف السلب * إذ ذاك يقتضى عموم السلب] أقول : البحث السادس فى تقديمه للاهتمام وله مرجحات

قال فى الايضاح : هذا كله إذا لم يكن صاحب الحال نكرة مقدمة فان كان نحو جاءنى رجل وعلى كتفه سيف وجبت الواو لئلا يشتبه الحال بالنعت هذا تقرير هذا الفصل على نمط ماوقع فى التلخيص من التفسير وفيه عسر وغموض . وأما النظم فانى سبرته سبرا حسنا حيث أصلت أن الجملة الحاوية للضمير مادل منها على حصول الوصف الغير الثابت المقارن لماقيدته يمتنع منها ومالا فلا يمتنع بل يجوز دخولها وتركها ثم بينت أن الأول المضارع المثبت وعلته ثم ذكرت أنه إن نفى جاز الأمران وأن مثله مثبت الماضى ومنفيه وعللت كل قسم تلوه ثم ختمت بالاسمية وفروعها وقولى وإن يسبق خبر ظرف فيه تصريح بضابط المسئلة واقتصر فى التلخيص على التمثيل ، ثم نبهت من زيادتى على أن جملة الحال إذا وقعت شرطية تلزمها الواو نحو جاء زيد وإن يسأل يعط إذلاحصول فيها ولامقارنة فبعدت عن المفردة بزوال كل من خاصيتها وقد جزم أبو حيان فى الارتشاف بجواز وقوع الشرطية حالا وكذا أعرب الزمخشرى قوله تعالى ـ إن تحمل عليه يلهث ـ حالا .

المساواة والاطناب والايجاز

[المفهم المراد مما يقبل | إن لفظه ساواه فهو الأول
أو زاد مع فائدة فالثان أو | وفى بنقص فهو الايجاز رأوا
مخرج التطويل والحشو كمع | فائدة وبالوفا الاخلال دع
ومن نفى حدها أو ادعى | فقد المساواة فلن يتبعا]

هذا هو الباب الثامن وهو باب عظيم حتى نقل صاحب سر الفصاحة عن بعضهم أن البلاغة هى الايجاز والاطناب ، وقد اختلف فى حقيقتهما فقال السكاكى ومن تبعه كالطيبى أنهما لكونهما من الأمور النسبية لايتيسر الكلام فيهما إلا بترك التحقيق والرجوع إلى أمر عرفى وهو متعارف كلام الأوساط الذين ليسوا فى مرتبة البلاغة فالايجاز أداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف والاطناب أداؤه بأكثر منها ، وتارة يرجع فيه إلى كون المقام خليقا بأبسط مماذكر قال صاحب التلخيص وفيه نظر لأن كون الشيء نسبيا لايقتضى تعسر تحقق معناه والبناء على المتعارف والبسط الموصوف رد إلى الجهالة وإلى ذلك أشرت بقولى ومن نفى حدها ، وقال ابن الأثير وغيره الايجاز التعبير عن المراد بلفظ غير زائد والاطناب بلفظ زائد فلا واسطة عنده والمساواة داخلة فى الايجاز والسكاكى براها واسطة لكن يجعلها أبدا غير مقبولة بل بها يعتبر الايجاز والاطناب المقبولان وإلى ذلك أشرت بقولى أوادعى فقد المساواة والتصريح به من زيادتى . وقال صاحب التلخيص : الأقرب أن يقال إن المقبول من طرق التعبير عن المراد تأدية أصله إما بلفظ مساوله أى للأصل المراد أوناقص عنه واف أوزائد عليه لفائدة والأول المساواة ، والثانى الايجاز ، والثالث الاطناب ، واحترز بواف عن الاخلال بأن يقصر اللفظ عن أداء الكلام على وجه يطابق مقتضى الحال كقوله :

والعيش خير فى ظلا | ل النوك ممن عاش كدا

فان المراد العيش الناعم فى ظلال الجهل خير من العيش الشاق فى ظلال العقل واللفظ غير واف بذلك . قلت لكن المقام يدل عليه ، وهو من باب الاحتباك الآتى واحترز بفائدة عن التطويل وهو زيادة لفظ غير متعين لا لفائدة كقوله * وألفى قولها كذبا ومينا * فان الكذب والمين

منها أن تقديمه الأصل لأنه المحكوم عليه ولابد من تحققه قبل الحكم فقصدوا أن يكون فى الذكر أيضا مقدما ولا مقتضى للعدول عنه إذ لو كان أمر يقتضى العدول

عنه فلا يقدم كما فى الفاعل فان مرتبة العامل التقدم على المعمول . ومنها تمكن الخبر فى ذهن السامع لأن فى المبتدا تشوقا إليه كقوله : والذى حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد أى الانسان من حيث عوده بعد الفناء يعنى تحيرت الخلائق فى المعاد كالجسمانى وليس المراد آدم ولا غيره مما قيل ومنها التلذذ بذكره نحو محمد حبيبنا . ومنها التشريف أى التعظيم نحو محمد نبينا . ومنها الحط أى التحقير نحو مسيلمة كذاب . ومنها الاهتمام وهو أعم الجهات أى جهات التقديم وكلها من أفراده فكان ينبغى له أن يسلك ما سلكه الأصل من جعله الاهتمام سببا فى التقديم وجعل هذه الجهات من أفراده ومنها التنظيم أى النظم أى ضرورته من وزن أو قافية وفى معناه السجع . ومنها تعجيل المسرة بسبب التفاؤل نحو سعد فى دارك ومثله تعجيل المساءة بسبب التطير والتشاؤم نحو السفاح فى دار صديقك . ومنها التخصيص أى تخصيص المسند إليه بالمسند الفعلى أى جعل المسند الفعلى مقصورا على المسند إليه إن تقدم على المسند إليه حرف النفى نحو ما أنا قلت هذا أى لم أقله مع أنه مقول لغيرى إذ لا يقال ذلك

واحد والزائد أحدهما غير متعين ، وعن الحشو وهى زيادة متعينة لا لفائدة مفسدا كان كالندى فى قوله :

ولا فضل فيها للشجاعة والندى ... وصبر الفتى لولا لقاء شعوب

مفهومه أنه لا فضل للشجاعة والندى لولا الموت وهو مستقيم فى الشجاعة لأن المقدام إذا تيقن الموت ثم أقدم عليه حمد دون البذل لأن من تيقن الموت وتخليف المال لم يحمد على البذل وإنما يحمد عليه من يرجو الحياة والحاجة ، أو غير مفسد كقوله * وأعلم علم اليوم والأمس قبله * فقوله قبله حشو لكنه غير مفسد :

[بلا يحيق المكر مثل أولا ... ضربان للإيجاز قصر قد خلا
من حذف شئ آية القصاص ... فقد حوت فوائد اختصاص
على الذى أوجز مافيه شهر ... القتل أنفى بعد للقتل ذكر
بقلة الحروف والنص على ... مطلوبه والنكر تعظيما جلا
وبالطباق وعن التقدير ... غنى وإن خلا عن التكرير]

أما المساواة فكقوله تعالى - ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله - ، واعترض على هذا المثال بأن فيه إيجازا بحذف المستثنى منه واطنابا بقوله السيء إذ المكر لا يكون إلا سيئا . وأجاب الشيخ سعد الدين عن الأول : بأن هذا الحذف رعاية لأمر لفظى لا يفتقر إليه تأدية أصل المراد حتى لو صرح به لكان إطنابا بل تطويلا ومثل فى الايضاح بقوله تعالى - وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا - قيل وفيه حذف موصوف الذين ويجاب بما تقدم . وأما الايجاز فضربان : إيجاز القصر ، وهو ما ليس فيه حذف وإيجاز الحذف فالأول كقوله تعالى - ولكم فى القصاص حياة - فان معناه كثير ولفظه يسير لأن معناه أن الانسان إذا علم أنه متى قتل قتل كان ذلك داعيا إلى أن لا يقدم على القتل فارتفع بالقتل الذى هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض وكان ارتفاع القتل حياة لهم وليس فيه حذف شئ وفضلت هذه الجملة على أوجز ما كان عند العرب فى هذا المعنى وهو قولهم القتل أنفى للقتل بقلة حروف ما يقابله منه وهو القصاص حياة فانها عشرة وتلك أربعة عشرة حرفا ، وبالنص على المطلوب الذى هو الحياة فيكون أزجر عن القتل العدوان وبما يفيده تنكير حياة من التعظيم وبالمطابقة وهى الجمع بين متقابلين فى الجملة كالقصاص والحياة وباستغنائه عن تقدير محذوف بخلاف قولهم فان تقديره القتل أنفى للقتل من تركه وبخلوه عن التكرير ولا شك أن الخالى عنه أفضل من المشتمل عليه ، وإن لم يكن مخلا بالفصاحة ولهذا قيل فى قول الشاعر :

وكأن العذار فى صفحة الخد ... د على حسن خدك المنعوت
صولجان من الزبرجد معطو ... ف على أكرة من الياقوت

إنه أحسن ما وصف به العذار لولا ما فيه من تكرير الخد ولفضله أيضا بالاطراد إذ القصاص مطلقا سبب الحياة بخلاف القتل فانه قد يكون أنفى للقتل وقد يكون أدعى له كالقتل ظلما ، وبأمور أخر أوصلها الشيخ بهاء الدين إلى عشرين هذه محاسنها :

[قلت لقد قسم فى التبيان ذا ... إلى ثلاث كل قسم يحتذى
أن يقصر اللفظ على معناه ... قصرا يرى فقد الذى ساواه

وزائد

إلا فى شىء ثبت فى الجملة لغير المسند إليه فالتقديم يفيد نفى الفعل عن المتكلم وثبوته لغيره على الوجه الذى نفى عنه من العموم والخصوص ولهذا لا يصح ما أنا قلت هذا ولا غيرى لأن مفهوم ما أنا قلت يناقض منطوق لا غيرى ولا ما أنا رأيت كل أحد لاقتضائه أن غيره رأى كل أحد لقصر سلب الرؤية على وجه العموم وهو يقتضى ثبوتها للغير كذلك ولا ما أنا ضربت إلا زيدا لأنه يقتضى أن إنسانا غيره قد ضرب كل أحد سوى زيد فهذه ثلاث صور ممتنعة للجهة المذكورة فان لم يل المسند إليه حرف النفى بأن يتقدم الكلام أصلا أو يتأخر عنه فتارة يكون التقديم للتخصيص والرد على من زعم انفراد غير المسند إليه بالفعل أو مشاركته له نحو أنا سعيت فى حاجتك لا غيرى إن قصد الرد على من زعم انفراد غيره أو وحدى إن قصد الرد على من زعم المشاركة ، وتارة يرد لتقوية الحكم وتقريره عند السامع دون التخصيص نحو هو يعطى الجزيل بقصد أن يقرر فى ذهن السامع أنه يفعل ذلك لأن غيره لا يفعله وكذلك إذا كان الفعل منفيا نحو أنت لا تكذب فانه أبلغ فى نفى التكذيب من لا تكذب لما فى الأول من تكرير الاسناد المفقود فى الثانى ومن لا تكذب أنت وإن كان فيه تأكيد بلفظ أنت لأنه لتأكيد المحكوم عليه بأنه

وزائد المعنى على المنطوق	إيجاز تقدير مع التضييق
والجامع اللفظ حوى المعانى	كآية العدل مع الاحسان]

قسم الطيبى فى التبيان الايجاز الخالى من الحذف إلى ثلاثة أقسام : إيجاز قصر ، وهو أن يقصر اللفظ على معناه كقوله تعالى: إنه من سليمان إلى قوله تعالى وأتونى مسلمين جمع فى أحرف العنوان الكتاب والحاجة فى وصف بليغ كانت ألفاظه قوالب معناه . قلت : وهذا رأى من يدخل المساواة فى الايجاز . الثانى إيجاز التقدير ، وهو أن يقدر معنى زائد على المنطوق ويسمى بالتضييق أيضا ، وبه سماه فى المصباح لأنه نقص من الكلام ماصار لفظه أضيق من معناه نحو ـ فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف أى خطاياه غفرت فهى له لا عليه هدى للمتقين أى للضالين الصائرين بعد الضلال إلى التقوى . وقال بعضهم فى رجل بلغه عنه كلام قبيح : الحمد لله الذى أحوجه إلى الكذب علىّ وتزهى عن قول الحق فيه أى جعلنى محسودا له فكذب علىّ ومع هذا تزهى أن أقول مافيه . الثالث الايجاز الجامع ، وهو أن يحتوى اللفظ على معان متعددة نحو إنّ الله يأمر بالعدل والاحسان الآية فان العدل هو الصراط المستقيم المتوسط بين طرفى الافراط والتفريط المومى به إلى جميع الواجبات فى الاعتقاد والأخلاق والعبودية ، والاحسان هو الاخلاص فى واجبات العبودية لتفسيره فى الحديث بقوله « أن تعبد الله كأنك تراه » أى تعبده مخلصا فى نيتك واقفا فى الخضوع آخذا أهبة الحذر إلى مالا يحصى . وإيتاء ذى القربى هو الزيادة على الواجب من النوافل هذا فى الأوامر ، وأما النواهى فبالفحشاء الاشارة إلى القوة الشهوانية وبالمنكر الافراط الحاصل من آثار الغضبية أو كل محرم شرعا ، وبالبغى إلى الاستعلاء الفائض عن الوهمية . قلت ولهذا روى الحاكم فى المستدرك عن ابن مسعود قال «مافى القرآن آية أجمع للخير والشر من هذه الآية» وروى البيهقى فى شعب الايمان عن الحسن أنه قرأ يوما هذه الآية ثم وقف فقال : إن الله تعالى جمع لكم الخير كله والشر كله فى آية واحدة فوالله ماترك العدل والاحسان من طاعة الله شيئا إلا جمعه ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغى من معصية الله شيئا إلا جمعه ، وروى أيضا عن ابن شهاب فى معنى حديث الشيخين « بعثت بجوامع الكلم » قال بلغنى أن جوامع الكلم أن الله تعالى يجمع له الأمور الكثيرة التى كانت تكتب فى الكتب قبله فى الامر الواحد والأمرين ونحو ذلك ، ومن ذلك قوله تعالى ـ خذ العفو وأمر بالعرف ـ الآية فانها جامعة لمكارم الأخلاق لأن فى أخذ العفو التساهل والتسامح فى الحقوق واللين والرفق فى الدعاء إلى الوالدين ، وفى الأمر بالعرف كف الأذى وغض البصر وماشاكلهما من المحرّمات ، وفى الاعراض الصبر والحلم والتودد والآيات والأحاديث مشحونة بذلك

[والثان ذو الحذف فما قد حذفا	مضاف او موصوف او ماوصفا
أو شرط او جوابه خصر عنى	أو يذهب السامع كل ممكن
قلت وموصول ووصل وكذا	جزآ إضافة وثانيها خذا
وذو تعلق مع المجرور	والعطف والمعطوف والتفسير
والحال والمبدل والمستثنى	وجزء كلمة وحرف معنى
أو جملة مسببا أو سببا	كقوله فانفجرت أى ضربا
أو فوقها فأرسلون يوسف	ومنه مالا نوب عما يحذف

ضمير المخاطب تحقيقا لالتأكيدالحكم لعدم تكرار الاسناد ، وهذا المذكور من التخصيص والتقوى إذابنى الفعل على معرف فان بنى على منكر فانه يفيد تخصيص الجنس أو الواحد به نحو رجل جاءنى لا امرأة إن أريد الأول ولا أكثر إن أريد الثانى ومن أرادزيادة على ذلك فعليه بالأصل وشرحه . ومنها عموم السلب وهو مراده بالتعميم وذلك إذا كان لفظ كل مضافا إلى المسند إليـه واقترن بالمسند حرف السلب نحو كل إنسان لم يقم أى لم يقع قيام من فرد من أفراده فهو من عموم السلب ومنـه الحـديث كل ذلك لم يكن أى لم يقع قصر ولانسيان كما فى الحديث الآخر لم أنس ولم تقصر وأما إذا تقدم حرف السلب على كل فانها لسلب العموم نحو : ما كل ما يتمنى المرء يدركه

تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

وسلب العموم مقتض لثبوت الحكم للبعض ومن أراد زيادة فى هذا المقام فعليه بالأصل وشرحه . قال

وقد يناب ثم عقل قد يدل   عليه والتعيين مقصـود يحل
أو عادة أو اقتران أو شروع   فى الفعل بسم الله مثل فى الفروع]

الضرب الثانى إيجاز الحذف . قال الشيخ بهاء الدين : لايقال إيجاز القصر فيه أيضا حذف لكلام كثير لأن إيجاز القصر يؤتى فيه بلفظ قليل يؤدّى معنى لفظ كثير و إيجاز الحذف يترك فيه شىء من ألفاظ التركيب الواحد مع إبقاء غيره بحاله والمحذوف إما جزء كلمة أوجزء جملة أوجملة أو أكثر والأول إمامضاف نحو : واسأل القرية أى أهل القرية ، ولـكنّ البرّ من اتقى : أى ذا البرّ أو برّ من اتقى أومضاف إليه كما رويته فى قوله وثانيها خذانحو : كل فى فلك . لله الأمر من قبل ومن بعدأوالمضاف والمضاف إليه معا نحو : من أثر الرسول : أى أثرحافرفرس الرسول وهومعنى قولى من زيادتى جزآ إضافة أوموصوف نحو : وآتينا ثمود الناقة مبصرة أى آية مبصرة * أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * أى ابن رجل جلا أوصفة نحو : يأخذ كل سفينة غصبا : أى صالحة أوشرط كما تقدم فى آخر الانشاء تقديره أوجوابه إما لمجرّد الاختصار نحو و إذاقيل لهم اتقوا الآية : أى أعرضوا و إما القصدأن يذهب السامع كل مذهب ممكن فلايتصوّر مطلوبا أومكروها إلاو يجوز أن يكون الأمر أعظم منه بخلاف مالواقتصر على ذكر شىء نحو: ولوترى إذ وقفوا على النار أوموصول وهو ومابعده من زيادتى ومثله الطيبي والشيخ بهاء الدين بقوله تعالى – ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار – أى ومن هو سارب . قلت وخرجوا عليه قول هرقل هـذا يملك هذه الأمة قد ظهر أى الذى يملك أوصلته قال السكاكى والطيبي كقولهم جاء بعـد اللتيا والتى أى بعد الشدائد التى بلغت فظاعتها مبلغا يبهت السامع فلايدرى مايقول أومتعلق قال الطيبي نحو أى الفريقين خير مقاما أى أىّ الفريقين أبلغ فى خير مقامه من الآخر فى شره أقيم المتعلق مقام متعلقه أو جار ومجرور . قال الطيبي نحو خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا أى صالحا بسىء وآخر سيئا بصالح . قلت وهذا هوالنوع المسمى بالاحتباك وسيأتى فى البديع أوحرف العطف مع المعطوف نحو بيده الخير أى والشرّ تقيكم الحر أى والبرد أوتمييز وهو المراد بقولى والتفسير نحو كم سرت أى ميلا أوحالا نحو والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام أى قائلين أو المبدل منه نحو ولاتقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب أو المستثنى نحو قبضت عشرة ليس إلا أو ليس غير وتقدم حذف المسند إليه والمسند والفعل والمفعول وقد يكون المحذوف جزء كلمة كالنون فى لم يك والياء فى والليل إذايسر . وسأل المؤرخ السدوسى الأخفش عن هذه الآية فقال لاأجيبك حتى تنام على بابى ليلة ففعل فقال إن عادة العرب أنها إذا عدلت بالشىء عن معناه نقصت حروفه والليل لما كان لايسرى و إنما كان يسرى فيه نقص منه حرف كما قال تعالى – وما كانت أمك بغيا – الأصل باغية فلماحول عن فاعل نقص منه حرف وأشار إلى ذلك الطيبي وقد يكون حرفا من حروف المعانى كهمزة الاستفهام وواو العطف وربّ ونحوذلك وهوكثير ، والجملة إماسبب لمذكور نحو أن اضرب بعصاك الحجر فانفجرت أى فضربه بها فانفجرت أو مسبب عن مذكور نحو ليحق الحقّ الآية أى فعل مافعل ليحقّ ومثال أكثر من جملة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف أى فأرسلون إلى يوسف لأستعبره الرؤيا ففعلوا وأتاه فقال له يايوسف ، ثم قدلايقام شىء مقام المحذوف وقد يقام ثم قد يدلّ العقل على المحذوف والمقصود الأظهر على التعيين نحو حرمت عليكم الميتة والدم الآية فالعقل دلّ على أن هنا حذفا إذ الأحكام الشرعية إنما تتعلق بالأفعال

[فصل فى الخروج عن مقتضى الظاهر]

[وخرجوا عن مقتضى الظواهر   كوضع مضمر مكان الظاهر
لنكتة كبعث أو كمال   تميز او سخرية إجهال
أو عكس اودعوى الظهور والمدد   لنكتة التمكين كالله الصمد
وقصد الاستعطاف والارهاب   نحو الأمير واقف بالباب]

أقول: جميع ماتقدم من المقامات المذكورة من الحذف والذكر وغير ذلك مقتضى ظاهر الحال وذكر فى هذا الفصل الخروج عن مقتضى ظاهر الحال إلى مقتضى الحال وهو المشار إليه بنكتة ومن المعلوم أن مقتضى ظاهر الحال أخص من مقتضاه وصور الخروج عن مقتضى ظاهر الحال كثيرة ذكر المصنف بعضها فمنها وضع المضمر موضع المظهر نحو: كل من عليها فان يعنى الأرض ومنه هو زيد عالم لبعث الاضمار على توجه نفس السامع إلى الخبر. ومنها وضع المظهر موضع المضمر فان كان المظهر اسم إشارة فالنكتة كمال العناية بتمييز المسند إليه لاختصاصه بحكم بديع كقول ابن الراوندى:

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه
وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الأوهام حائرة
وصير العالم النحرير زنديقا

والأصل هو أى ماتقدم من إعياء مذاهب العاقل ورزق الجاهل فعدل إلى الاشارة لكمال العناية بتمييزه ليرى السامعين أن هذا المعين المتميز هو الذى له الحكم العجيب وهو جعل الأوهام حائرة والعالم النحرير زنديقا، أو السخرية والتهكم كما إذا كان السامع أعمى فقال من قام فقلت له هذا مشيرا إلى مجهول أو مفقود تهكما به أو إجهال السامع أى نسبته إلى الجهل والبلادة حتى إنه لا يدرك إلا المحسوس كقول الفرزدق:

بالأفعال دون الأعيان والمقصود الأظهر من هذه الأشياء تناولها الشامل للأكل وشرب الألبان فدل على تعيين المحذوف، وقد يدل على التعيين العقل أيضا نحو: وجاء ربك أى أمره أوعذابه أو العادة نحو: فذلكن الذى لمتننى فيه يحتمل أن يقدر لمتننى فى حبه لقوله قد شغفها حبا وفى مراودته لقوله تراود فتاها عن نفسه والعادة دلت على الثانى لأن الحب المفرط لا يلام صاحبه عليه لأنه ليس اختياريا أو الاقتران كقولهم للعرس بالرفاء والبنين أى أعرست بالملايمة والاتفاق أو الشروع فى الفعل نحو بسم الله فيقدر ماجعلت مبدأ له ففى القراءة أقرأ وفى السفر أرتحل ونحو ذلك والدليل على اعتبار ذلك التصريح به فى حديث الصحيحين فى الذكر عند النوم باسمك ربى وضعت جنبى:

[ويرد الاطناب بالايضاح ... من بعد إبهام لقصد ضاحى
مثل التلذاذ كامل للعلم به ... أومكنة فى النفس بعد طلبه]

الاطناب يكون بأمور: منها الايضاح بعد الابهام أى إذا أردت أن تبهم ثم توضح فانك تطنب وفائدته إما تكثير لذة العلم به لأن الشئ إذا عرف من وجه ما تشوقت النفس للعلم به من باقى وجوهه وتألمت فاذا حصل العلم من بقية الوجوه كانت لذته أشد من علمه من جميع وجوهه دفعة واحدة وإما ليتمكن المعنى فى النفس تمكنا زائدا لوقوعه بعد الطلب ومن أمثلة ذلك رب اشرح لى صدرى فان اشرح يفيد طلب شرح شئ ما له وصدرى يفسره ومثله ويسر لى أمرى والمقام يقتضى التأكيد للارسال المؤذن بتلقى الشدائد وكذا ألم نشرح لك صدرك والمقام مقام الامتنان والتفخيم.

[ومنه توشيع بآخر ترد ... تثنية مضمونها بعد فرد]

من الايضاح بعد الابهام التوشيع وهو لغة لف القطن المندوف واصطلاحا أن يؤتى فى آخر الكلام بمثنى مفسر باسمين ثانيهما معطوف على الأول وقال فى الصباح هو مأخوذ من الوشيعة وهى الطريقة فى البرد كقوله صلى الله عليه وسلم: يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنتان الحرص وطول الأمل رواه البخارى من حديث أنس وقوله: عليكم بالشفاءين العسل والقرآن رواه ابن ماجه عن ابن مسعود وقوله: اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر رواه الترمذى عن حذيفة وقوله: للمرأة ستران القبر والزوج رواه الطبرانى عن ابن عباس وقوله: لكل أحد حرفة وحرفتى شيئان الجهاد والفقر وقوله: احذروا الشهرتين الصوف والخز رواهما الديلمى فى مسند الفردوس وقوله: أخرجوا حق الضعيفين المرأة واليتيم رواه ابن حبان فى الثواب وقوله: أكثروا من ذكر القرينتين سبحان الله وبحمده رواه الديلمى وقوله أكثر مايدخل الناس النار الأجوفان الفم والفرج وقوله: اقتلوا الأسودين الحية والعقرب رواهما الترمذى وغيره وقوله الخمر من هاتين الشجرتين النخلة والعنب رواه مسلم وقوله عشيتكم السكرتان حب العيش وحب الجاه رواه فى الحلية وقول أبى بكر أهلكهن الأحمران الذهب والزعفران رواه مسدد فى مسنده وقول الشاعر:

أمسى وأصبح من تذكاركم وصبا ... يرثى لى المشفقان الأهل والولد
قد خدد الدمع خدى من تذكركم ... واعتادنى المضنيان الوجد والكمد
وغاب عن مقلتى نومى لغيبتكم ... وخاننى المسعدان الصبر والجلد
لاغرو للدمع أن تجرى غواربه ... وتحته المظلمان القلب والكبد
كأنما مهجتى شلو بمسبعة ... ينتابها الضاريان الذئب والأسد

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم ٭ إذا جمعتنا ياجرير المجامع ومقتضى الظاهر هم أوعكس ذلك وهو التعريض بفطانة السامع وذكائه
حتى إن غيرالمحسوس عنده بمنزلة المحسوس كقولك مشيرا إلى معين معقول هذا مرادى أو ادعاء كمال ظهور
المسند إليه حتى كأنه محسوس كالمثال المتقدم باعتبار ادعاء كمال الظهور وإن كان غير اسم الاشارة فالنكتة المدأى الزيادة بنكتة هى التمكن أى زيادة تمكن المسند إليه وتقريره فى نفس السامع نحوجاء زيدزيد فاضل ومنه مثال المتن والصمد هو الذى يصمد إليه ويقصد فى الحوائج أوالاستعطاف أى طلب العطف والرحمة كقول الداعى إلهى عبدك العاصى دعاك معترفا بذنبه فتب عليه توبة تمحو الأغيار من قلبه ومقتضى الظاهر أنا العاصى أوالارهاب أى التخويف نحو : إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها لم يقل أنا آمركم لأن فى إظهار الاسم ترهيبا ومنه مثال المتن لم يقل أناواقف ترهيبا باظهار لفظ الأمير ومنه بعث السامع وتقوية داعيته إلى الامتثال نحو : فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ومقتضى الظاهر إنه يحب المتوكلين قال .

لتستوعب

[ومن خلاف المقتضى صرف مراد ٭ ذى نطق اوسؤل لغيرما أراد لكونه أولى به وأجدرا ٭ كقصة الحجاج والقبعثرى]

لم يبق غير خفى الروح فى جسدى ... فذلك الباقيان الروح والجسد

قال عبد الباقى اليمنى وقد يجىء فى آخر العجز والصدر معا كقوله :

فما زلت فى ليلين شعر وظلمة ... وشمسين من خمر ووجه حبيب

قال وقد يجىء بدل المثنى بمعطوفين بعدهما معطوفان كقوله :

لله ليلتنا إذ صاحباى بها ... بدر وبدر سماوى وأرضى

قال وقد يفسر المثنى بمفرد مضاف كقول البحترى :

ومتى تساهمنا الوصال ودوننا ... يومان يوم نوى ويوم صدود

ولم أر من ذكر هذه الفروع غيره وبقى فرع لم أر من نبه عليه وهو أن يأتى بمثنين ومثنيين ثم بأربع مفردات اثنين للأولين واثنين للآخرين كحديث: تعوذوا بالله من عذابين وفتنتين عذاب جهنم وعذاب القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات وحديث: أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال رواه الحاكم :

[وذكر خاص بعد ذى عموم ... منبها بفضله المعلوم
كعطف جبريل وميكال على ... ملائك قلت وعكسه جلا
ومنه تكرير لأجل نكتة ... مثل تأكد ونفى التهمة
أو طول او تنويه او تلذذ ... أو الجزاء نفس شرطه احتذى
أوقصد الاستيعاب والترديد حق ... علق تكرير بغير ماسبق
ومثله تعطف لكن حذا ... فى فقرتين ثم ترجيع شذا]

من أسباب الاطناب ذكر الخاص بعد العام وذلك للتنبيه على فضل الخاص حتى كأنه ليس من جنس العام تنزيلا للتغاير فى الوصف منزلة التغاير فى الذات نحو: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى، من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال، ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف . ومنها عكسه أى ذكر العام بعد الخاص كما زدته نحو رب اغفرلى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات . ومنها التكرير لنكتة وقد بينت نكتته من زيادتى وذلك كالتأكيد للانذار فى قوله تعالى : كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون أو لغيره كقوله تعالى : وما أدراك مايوم الدين ثم ماأدراك مايوم الدين ، ولزيادة التنبيه على ماينفى التهمة ليكمل تلقى الكلام بالقبول نحو وقال الذى آمن ياقوم الآيات كرر فيه النداء لذلك أولطول الكلام لئلا يجىء مبتورا ليس له طلاوة نحو: ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم ، أو تنويه بشأن المذكور كحديث إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم وقول أبى الطيب :

العارض الهتن ابن العارض الهتن ابن العارض الهتن ابن العارض الهتن

أوتلذذ بذكره كقوله : سقى الله نجدا والسلام على نجد ... ويا حبذا نجد على النأى والبعد

أو إيقاع الجزاء نفس الشرط نحو قولهم من أدرك الصميماء فقد أدرك أى أدرك مرعى ليس بعده مرعى ومنه . وإن لم تفعل فما بلغت أى فقد ارتكبت أمرا عظيما وحديث: فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله الحديث أو بقصد الاستيعاب قال ابن الحاجب العرب تكرر الشىء مرتين

أقول : من خلاف مقتضى الظاهر مجاوبة المتكلم بغير ما يترقب وسماها عبد القاهر المغالطة والسكاكي الأسلوب الحكيم وذلك
بحمل كلامه على خلاف قصده تنبيها على أنه أولى بالقصد . من ذلك ما يحكى أن الحجاج توعد شاعرا يقال
له القبعثرى بأن قال له لأحملنك على الأدهم يعنى القيد فقال له القبعثرى : مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب فحمل وعيده على الوعد فقال له الحجاج إنه حديد فقال القبعثرى لأن يكون حديدا خير من أن يكون بليدا . ومنها إجابة السائل بغير ما سأل عنه تنبيها على أنه اللائق بسؤاله كقوله تعالى – يسئلونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج – سألوا عن الهلال لم يبدو دقيقا ثم يتزايد حتى يستوى ثم ينقص حتى يعود كما بدا فأجيبوا ببيان حكمة ذلك وهى معرفة المواقيت والحلول والآجال ومعالم الحج يعرف بها وقته للتنبيه على أن اللائق السؤال عن الحكمة قال السعد لأنهم ليسوا ممن يطلعون بسهولة على دقائق علم الهيئة . قال السيوطى فى شرح عقود الجمان : وهذه قلة أدب منه وجهل
بمقدار الصحابة رضى الله عنهم وشنع عليه بكلام يراجعه من أراد الوقوف عليه وذكر أنه ورد ما يدل على أن المسئول عنه
هو الحكمة فى خلق الأهلة لا سبب الزيادة والنقصان

المتوعب تفصيل جميع جنسه باعتبار المعنى الذى دل عليه اللفظ المذكور كقوله بينت له الكتاب كله كلة أى منصلا باعتبار كلماته وقوله تعالى : ثم ارجع البصر كرتين : أى مرة بعد مرة ثم نبهت من زيادتى أيضا على أنواع خاصة من التكرير : أحدها يسمى الترديد وهو أن يعلق المكرر ثانيا بغير ما يعلق به الأول كقوله تعالى : الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى . وقع فيها الترديد أربع مرات وحديث الترمذى « السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة » وجعل منه قوله تعالى : فبأى آلاء ربكما تكذبان فانها وإن تعددت فكل واحدة تتعلق بما قبلها ولذلك زادت على ثلاثة ولو كانت عائدة لواحد لم ترد كما هو شأن التوكيد كما ذكره الشيخ عزالدين بن عبد السلام وغيره وإن كان بعضها ليس بنعمة فذكر النعمة للتحذير نعمة . وقد سئل أى نعمة فى قوله تعالى : كل من عليها فان . وأجيب بأجوبة أحسنها النقل من دار الهموم إلى دار السرور وراحة المؤمن والناس من الفاجر كما وردت به الأحاديث . ثانيها التعطف وهو مثل الترديد إلا أنه يشترط فى إعادة اللفظ أن يكون فى فقرة أخرى أو مصراع آخر كقوله :

يساق إليه المدح غير مكرر وسقت إليه المدح غير مذمم

ثالثها الترجيع . قال الطيبى : وهو أن يكون المعنى مهتما بشأنه فاذا شرع فى نوع من الكلام نظر إلى ما يتخاص إليه فاذا تمكن من إيراده كر إليه كقوله تعالى : ولا تعجبك أموالهم الآية . قال الزمخشرى فى تجديد النزول له شأن فى تقرير ما نزل له وتأكيده وإرادة أن يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه لقوته فأشبه الشىء الذى أهم صاحبه فهو يرجع إليه فى أثناء حديثه ويتخاص إليه :

[ومنه إيغال كلام قد ختم بما يفيد ما بدونه يتم
ثم الأصح أنه ليس يخص بالشعر فالقرآن فيه جاء نص]

من أسباب الإطناب الايغال وهو الامعان وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها كزيادة المبالغة فى قول الخنساء :

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

شبهته بالعلم الذى هو الجبل وزادت بأن جعلت فى رأسه نارا مبالغة فى الاهتداء به وتحقيق التشبيه فى قول امرىء القيس :

كأن عيون الوحش بين خيامنا وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

زاد قوله لم يثقب تحقيقا للتشبيه لأنه حينئذ أشبه بالعين والأصح أنه لا يختص بالشعر فقد جاء فى القرآن قال تعالى : اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون . فقوله وهم مهتدون يتم المعنى بدونه لأن الرسول مهتد لامحالة إلا أن فيه زيادة حث على الاتباع وترغيب فى الرسل ومن قال بتخصيصه به قال فى حده ختم البيت :

[ومنه تذييل بجملة حوت مؤكدا معنى التى قبل خلت
فمنه ما كمثل ومنه لا وأكد المنطوق والضد جلا
ومنه تكميل وربما سمى بالاحتراس أن يجى فى موهم
خلاف مقصود بما يدفعه فان لغير موهم أتبعه

ونص السؤال يارسول الله لم خلقت الأهلة ؟ فعلى هذا لاتكون المسئلة من خلاف مقتضى الظاهر وقوله سؤل على وزن فعل لغة فى السؤال . قال :

[والوجه الاستجلاب للخطاب ونكتة تخص بعض الباب]

أقول : من خلاف مقتضى الظاهر الالتفات وهو عند الجمهور التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة أعنى التكلم والخطاب والغيبة بعد التعبير عنه بغيره منها ولا يشترط التعبير عنه بالغير على مذهب السكاكى فهو عنده أعم منه عند الجمهور فقول الخليفة أمير المؤمنين يأمرك بكذا التفات على مذهبه لأنه منقول عن أنا لا على مذهب الجمهور لعدم تقدم خلافه فأقسامه ستة حاصلة من ضرب اثنين فى ثلاثة لأن كل قسم من الثلاثة ينقل إلى قسميه : الأول من التكلم إلى الخطاب نحو ـ ومالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون ـ الأصل وإليه أرجع . الثانى منه إلى الغيبة نحو ـ إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ـ الأصل فصل لنا . الثالث من الخطاب إلى التكلم نحو قوله :

طحا بك قلب فى الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

يكلفنى ليلى وقد شط وليها وعادت عواد بيننا وخطوب

خلاف

[والالتفات وهو الانتقال من بعض الأساليب إلى بعض فمن

بفضلة لنكتة فيها تراض فذاك تميم ومنه الاعتراض]

من أسباب الاطناب التذييل والتكميل والتتميم . فالأول أن يأتى بجملة عقب جملة والثانية تشتمل على معنى الأولى للتأكيد ، وهو ضربان : ماخرج مخرج المثل بأن يقصد حكم كلى منفصل عما قبله جار مجرى الأمثال نحو : ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور : أى هل يعاقب على أن المراد أعم من الجزاء الأول : وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا . وقال الصفى :

لله لذة عيش بالحبيب مضت فلم تدم لى وغير الله لم يدم

وماليس كذلك بأن لم يستقل بافادة المراد بل توقف على ماقبله كالآية الأولى إذا جعل التقدير وهل يجازى ذلك الجزاء المخصوص واجتمعا فى قوله تعالى : وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفائن مت فهم الخالدون من الثانى ـ كل نفس ذائقة الموت ـ من الأول ، ومنه ما كان لتأكيد منطوق كالآية السابقة فان زهوق الباطل منطوق فى وزهق الباطل ، وما لتأكيد مفهوم كقول النابغة :

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أى الرجال المهذب

فان صدر البيت دل بمفهومه على نفى الكمال من الرجال فأكد ذلك بقوله : أى الرجال المهذب . والثانى أن يؤتى فى كلام يوهم خلاف المقصود بما يرفع ذلك الوهم ، فمنه مايقع بين المسند إليه والمسند كقوله :

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمى

لما كان المطر قد يؤدى إلى خراب الديار وفسادها أتى بقوله غير مفسدها لذلك ولهذا عيب على القائل * ولا زال منهلا بجرعائك القطر * حيث لم يأت بهذا القيد ومنه مايقع فى آخره نحو : أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين فانه لو اقتصر على أذلة لتوهم أنه لضعفهم فدفعه بقوله تعالى أعزة . والثالث أن يؤتى فى كلام لا يوهم غير المراد بفضلة لنكتة كالمبالغة فى قوله تعالى : ويطعمون الطعام على حبه : أى مع حبه أى الطعام أى اشتهائه فان الاطعام حينئذ أبلغ وأكثر أجرا ، ومن أمثلته قوله صلى الله عليه وسلم « مامن عبد مسلم يصلى لله كل يوم اثنتى عشرة ركعة من غير الفريضة إلا ابتنى الله له بيتا فى الجنة » رواه مسلم فقوله من غير الفريضة تميم وقولى ومنه الاعتراض يأتى شرحه مع مابعده :

لطيفة : تسمية هذه الأنواع أنواع البديع أمور اصطلاحية لامشاحة فيها وقد يذكر فيها معان ليست بلازمة قال الشيخ بهاء الدين ليت شعرى أى فرق فى اللغة بين التكميل والتتميم وهما شئ واحد ثم قال ويمكن أن يفرق بأن التكميل استيعاب الأجزاء التى لاتوجد الماهية إلا بها والتتميم لما وراء الأجزاء من زيادات يتأكد بها ذلك الشئ الكامل ويستأنس لذلك بقوله تعالى : تلك عشرة كاملة : أى لم تنقص أجزاؤها وقوله تعالى : وأتموا الحج والعمرة لله . روى إتمامهما أن يحرم بهما من دويرة أهله وهو وصف فيه زيادة على الأجزاء فان ماهيتى الحج والعمرة توجدان بدونه وقد جمع تعالى بينهما بقوله : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى لما كانت أركان الدين وجد منها الجزء الأخير إذ ذاك استعمل فيه الكمال ولما كانت نعم الله تعالى حاصلة للمؤمنين قبل ذلك اليوم غير ناقصة استعمل فيها الاتمام لأنه زيادة على نعم الله التى كانت قبل كاملة قال فان تم هذا ظهر وجه تسمية الأول بالتكميل لأنه يدفع إيهام غير المراد وذلك كالجزء من المراد إذ الكلام إذا أوهم

خلاف المراد كان كالذى دلالته ناقصة بخلاف التتميم .

تنبيه : ربما يسمى التكميل احتراسا وقوم منهم أصحاب البديعيات فرقوا بينهما . قال ابن حجة : التكميل يأتى لنقص المعنى والوزن معا والاحتراس لدخل يتطرق المعنى و إن كان كلاما تاما ووزن الشعر صحيحا . قلت وهذا فرق غير واضح ، وقال عبدالباقى اليمنى لايكاد البديعيون يحررون ثلاثة أشياء التتميم والتكميل والاحتراس لتداخلها ثم قسم التتميم إلى أنواع . الأول تتميم المعنى للمبالغة كالآية السابقة . الثانى تتميمه للصيانة عن الخطأ كقوله غير مفسدها . الثالث تتميم اللفظ بمايقوم به الوزن فمنه حشو لطيف وهو حشو اللوزينج كقوله * يرى كلّ من فيها وحاشاك زائلا * ومنها مالا يعدّ بديعا وفسر الاحتراس بأن يؤتى بمدح أو غيره بكلام للانتقاد فيه مجال فيحترس من ذلك بكلام آخر كما فى حديث أم زرع المس مس أرنب والريح ريح زرنب وأغلبه والناس يغلب لواقتصرت على قولها وأغلبه لتوجه عليها أن يقال إن رجلا تغلبه امرأة لضعيف فاحترست بقولها والناس يغلب وقول الخنساء :

ولولا كثرة الباكين حولى على إخوانهم لقتلت نفسى

كأنها فطنت أن يقال لها لقد ساويت أخاك بالهالكين فاحترست بقولها :

ومايبكون مثل أخى ولكن أعزى النفس عنه بالتأسى

وفسر التكميل بأن يؤتى بكلام ناقص من جهة مفهومه فيكمله بجملة ترفع عنه النقص كقوله * وما مات منا سيد فى فراشه * لو اقتصر عليه لكان وصفا لقومه بالصبر على القتل دون الانتصار فكمله بقوله * ولا طلّ منا حيث كان قتيل * قلت لا يكاد يتبين لى الفرق بين الاحتراس والتكميل :

[بجملة أو فوق مالها محلّ بين كلام أو كلامين اتصل

لنكتة تقصد كالتنزيه لادفع الايهام وكالتنبيه

وكالدعاء فى قوله بلغتها بعد الثمانين وما أشبهها

و بعضهم جوّزه فى الطرف وقال قوم غير جملة يفى]

من أسباب الاطناب الاعتراض ، وهو الاتيان بجملة أو أكثر لامحلّ لها من الاعراب فى أثناء كلام أو كلامين اتصلا معنى لنكتة غير دفع الايهام كالتنزيه فى قوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون فقوله سبحانه اعتراض لتنزيه الله تعالى عن البنات والتنبيه فى قوله :

واعلم فعلم المرء ينفعه أن سوف يأتى كلّ ماقدرا

فقوله فعلم المرء ينفعه اعتراض ، والدعاء فى قول عوف بن محلم الشيبانى :

إن الثمانين وبلغتها قدأحوجت سمعى إلى ترجمان

فقوله و بلغتها اعتراض فى أثناء الكلام لقصد الدعاء ، وما أشبه ذلك كالتسلى فى قول جرير .

ولقد أرانى والجديد إلى بلى فى موكب طرف الحديث كرام

فقوله والجديد إلى بلى اعتراض للتعزى عما مضى من لذة عشرة الأحباب ، والاستعطاف فى قول المتنبي :

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه ياجنتى لرأيت فيه جهنما

وقال كثير : لو أنّ الباخلين وأنت منهم رأوك تعلموا منك المطالا

الشاهد فى بك ويكافنى بالياء التحتية والأصل يكافك . الرابع منه إلى الغيبة نحو حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم الأصل بكم . الخامس من الغيبة إلى الخطاب نحو: مالك يوم الدين إياك نعبد الأصل إياه نعبد . السادس منها إلى التكلم نحو والله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الأصل فساقه ووجه الالتفات ونكتته استجلاب نفس السامع للخطاب أى الكلام المخاطب به لأن النفس مجبولة على حبّ المتجدّد فاذا تجدّد الكلام إلى أسلوب كان أدعى للاصغاء إليه وهذه النكتة عامة فى جميع أقسام الالتفات وربما اختص كل موضع منه بلطائف ونكت كالفاتحة فان العبد إذا ذكر الله وحده ثم ذكر صفاته التى كل صفة منها تبعث على شدّة الاقبال وآخرها مالك يوم الدين المفيد أنه مالك الأمر كله فى يوم الجزاء فحينئذ يوجب الاقبال عليه والخطاب بغاية الخضوع والاستعانة فى المهمات وهو معنى قوله ونكتة الخ .

ومما هو شبيه بالالتفات وليس منه مسئلتان ذكرهما السيوطى فى عقود الجمان . الأولى التعبير بواحد من المفرد والمثنى والمجموع عن آخر منها وهو من أنواع المجاز بخلاف الالتفات والمسئلة الآتية فانهما حقيقتان مثال المفرد عن المثنى قول الأعشى: فرجى الخير وانتظرى إيابى إذا ما القارظ العنزىّ آبا و إنما هما القارظان لأنّ المثل

حتى يثوب القارظان ومثاله على الجمع * وذبيان قدزلت بأقدامها النعل * أى النعال ومثال المثنى عن المفرد ألقيا فى جهنم أى ألق وعن الجمع ثم ارجع البصر كرّتين إذ المراد التكثير لامرتان ومثال الجمع عن المفرد رب ارجعون أى ارجعنى وعن المثنى فقد صغت قلوبكما أى قلباكما . الثانيــة الانتقال من خطاب واحد من الثلاثة إلى آخر منها مثاله من الخطاب الواحـد إلى الاثنين نحو لتلفتنا عما وجدنا عليه آباؤنا وتكون لكما الكبرياء فى الأرض والى الجمع يا أيها النبى إذا طلقتم النساء ومثاله من الاثنين إلى الواحـد فمن ربكما يا موسى ومثاله من الاثنين إلى الجمع أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة ومثاله من الجمع إلى الواحد وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين والى الاثنين يامعشر الجن والانس إن استطعتم إلى قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان والنكتة فى هذه المسئلة كالنكتة فى الالتفات . قال :

[وصيغة الماضى لآت أوردوا
وقلبوا النكتة وأنشدوا
ومهمه مغبرة أرجاؤه
كان لون أرضه سماؤه]

أقول من خلاف مقتضى الظاهر التعبير عن المعنى المستقبل بلفظ الماضى تنبيها على تحقق وقوعه نحو ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض أى يفزع ونحو أتى أمر الله أى يأتى ومنه التعبير باسم

فقوله وأنت منهم اعتراض فى غاية الحسن ، ومن وقوعه بأكثر من جملة قوله تعالى ـ فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث لكم ـ فقوله نساؤكم متصل بقوله فأتوهن لأنه بيان له ومابينهما اعتراض وقوله تعالى وقيل ياأرض ابلعى ماءك إلى قوله وقيل بعدا فيه اعتراض بثلاث جمل وهى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقوله تعالى ـ ولمن خاف مقام ربه جنتان ـ إلى قوله متكئين على فرش فيه اعتراض بسبع جمل إذا أعرب حالا منه وقد يقع اعتراض فى اعتراض نحو فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم . فقوله وإنه لقسم الآية اعتراض وقوله لو تعلمون اعتراض فى الاعتراض . قال الطيبى : ووجهه حسن الاعتراض حسن الافادة مع أن مجيئه مجىء مالا يترقب فيكون ألتّ كالحسنة تأتيك من حيث لا تحتسب . وقال قوم : يجوز وقوع الاعتراض فى آخر الكلام فقد يجامع التكميل والتذييل حيث لا محلّ لهما . وقال قوم : يجوز أن يكون غير جملة لكن فى الأثناء فيجامع من التتميم والتكميل ماوقع فى الأثناء :

[وقد يكون مطنبا بغير ذا   من جمل وأحرف لها شذا]

قد يكون الاطناب بغير ماتقدم كتكسير الجمل قال تعالى إن فى خلق السموات والأرض الآية طوّلها فى سورة البقرة وأطنب فيها أبلغ إطناب ليكون الخطاب مع الثقلين وفى كل عصر وحين للعالم منهم والجاهل والموافق والمنافق . وقال تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم و يؤمنون به . فقوله و يؤمنون به إطناب لأن إيمان حملة العرش معلوم وحسنه إظهار شرف الايمان ترغيبا فيه ـ فويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة . وليس فى المشركين مزكّ والنكتة الحث للمؤمنين على أدائها والتحذير من المنع حيث جعل من أوصاف المشركين ومن ذلك ـ حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا ـ لتناسب القسم والمقسم عليه . ومنه الإتيان بحروف التنبيه والصلات كلا أقسم فبما رحمة ونحو ذلك :

[وبهما كلامهم موصوف   إن كثرت أو قلت الحروف
بنسبة إلى كلام آخر   ساواه فى المعنى إذا مانظرا]

قد يوصف الكلام بالايجاز والاطناب باعتبار كثرة حروفه وقلتها بالنسبة إلى كلام آخر مساوله فى أصل المعنى فيقال للأكثر حروفا إنه مطنب وللأقل إنه موجز كقوله :

* يصدّ عن الدنيا إذا عنّ سودد * فانه بمعنى قوله :

ولست بنظّار إلى جانب الغنى   إذا كانت العلياء فى جانب الفقر

والأول أقل حروفا و يقرب منه قوله تعالى ـ لايسئل عمايفعل وهم يسئلون ـ مع قول الحماسى :

وننكر إن شئنا على الناس قولهم   ولا ينكرون القول حين نقول

فائدة : ذكر قدامة من أنواع البديع الاشارة وفسرها بالاتيان بكلام قليل ذى معان جمة وهذا هو الايجاز بعينه وذكر جماعة منها البسط وفسروه يبسط الكلام وتكثيره بلا حشو وهـذا هو الاطناب لكن ينقدح عندى أنه خاص بنوع واحد منه وهو الاطناب بتكثير الجمل بخلاف الأنواع السابقة وعلى هذا يكون مقابلا لايجاز القصر والاطناب بالأنواع السابقة مقابلا لايجاز الحذف .
خاتمة : قد انتهى القول فى علم المعانى ، ولله الحمد والمنة ، وفيه أمور أوردها جمع فى البـديع منهم الطيبى

الفاعل أو المفعول نحو وإن الدين لواقع ذلك يوم مجموع له الناس لأن الوصفين المذكورين حقيقة فى الحال مجاز فيما سواه ومن خلاف المقتضى القلب وهو أن يجعل أحد جزأى الكلام مكان الآخر نحو عرضت الناقة على الحوض

أى أظهرته عليها لتشرب مكان عرضت الحوض على الناقة لأن القاعدة أن المعروض عليه يكون له ميل إلى المعروض والحوض مما يميل إليه الحيوان فيعرض هو على الحيوان لا الحيوان عليه. واختلف فى قبوله فقيل يقبل مطلقا لانه يورث الكلام ملاحة وقيل لا يقبل مطلقا لأنه عكس المطلوب ونقيض المقصود والحق ماعليه الأصل وهو التفصيل فان تضمن معنى لطيفا قبل وإلا فلا فالأول نحو قوله :

ومهمه مغبرة أرجاؤه
كأن لون أرضه سماؤه

والأصل كأن لون سمائه لغبرته لون أرضه أى كلونها والنكتة فيه المبالغة فى وصف لون السماء بالغبرة حتى صار بحيث يشبه به لون الأرض فى ذلك مع أن الأرض أصل فيه والمهمه المفازة والمغبرة المملوءة غبارا والأرجاء النواحى جمع رجى بالقصر كرحى والثانى

الطيبى فى التبيان وأصحاب البديعيات ، وهى الالتفات والخطاب العام والتغليب والأسلوب الحكيم والايضاح بعد الابهام والتكرار والترديد والتعطف والترجيع وذكر الخاص بعد العام وعكسه والايغال والتذييل والتكميل والاحتراس والتتميم والاشارة والبسط . ويليه علم البيان بحمد الله وإعانته :

الفن الثانى علم البيان

[علم البيان هو ما به عرف ... إيراد معنى واحد بالمختلف
من طرق فى الاتضاح مكمله ... فاللفظ إن دل على الموضوع له
فسمها دلالة وضعية ... أوجزئه أو خارج عقليه
وإنما يختلف الإيراد فى ... عقلية وليس فى تلك يفى
وما به أريد لازم وقد ... قامت قرينة على أن لم يرد
مجاز وإلا فكناية وقد ... يبنى على التشبيه أول ورد]

علم البيان أخص من علم المعانى فلذا تأخر عنه ، وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد المدلول عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال بطرق مختلفة فى إيضاح الدلالة عليه بأن يكون بعض الطرق واضح الدلالة و بعضها أوضح فخرج معرفة إيراده بطرق مختلفة فى اللفظ والعبارة فقط والمراد بالمعنى الواحد كل معنى يدخل تحت قصد المتكلم و إرادته فلو عرف أحد إيراد معنى قولنا زيد جواد بطرق مختلفة لم يكن بمجرد ذلك عالما بالبيان وبالطرق التراكيب ، قال الطيبى مثاله أنا إذا أردنا إيراد معنى قولنا زيد جواد مثلا فى الأصول الثلاثة نقول فى طرق التشبيه زيد كالبحر فى السخاء زيد كالبحر زيد بحر ، وفى طرق الاستعارة رأيت بحرا فى الدار ثم لجة زيد كثرت ثم لجة زيد متلاطم أمواجها ، وفى طرق الكناية زيد مضياف زيد كثير أضيافه زيد كثير رماده ، ثم إن الرماد كثر فى ساحة زيد ثم إن الجود فى قبة ضربت على زيد ثم إنه مصور من الجود فظهر أن مرجع البيان إلى اعتبار المبالغة فى إثبات المعنى للشىء ، ولما لم تكن كل دلالة قابلة للوضوح والخفاء احتيج إلى تقسيمها وتعيين المقصود منها ، فدلالة اللفظ على تمام ماوضع له وضعية كدلالة الانسان على الحيوان الناطق وعلى جزئه كدلالة الانسان على الحيوان فقط أوالناطق فقط وخارج عنه كدلالة الانسان على الضاحك عقلية لأن ذلك من جهة حكم العقل بأن حصول الكل أو الملزوم مستلزم لحصول الجزء أواللازم ، و إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى الوضوح لا يتأتى بالوضعية لأن السامع إذا كان عالما بوضع الألفاظ لذلك المعنى لم يكن بعضها عنده أوضح من بعض و إن لم يكن عالما بذلك لم يكن كل واحد من الألفاظ دالا عليه لتوقف الفهم على العلم بالوضع و يتأتى بالعقلية لجواز أن تختلف مراتب اللزوم فى الوضوح ثم اللفظ المراد به لازم ماوضع له سواء كان جزءا أوخارجا إن قامت قرينة على عدم إرادة ماوضع له فمجاز و إلا فكناية ثم من المجاز ما يبنى على التشبيه فتعين التعرض له فانحصر المقصود من البيان فى هذه الثلاثة وعبر الطيبى بطريقة أخرى فى وجه الحصر فقال : اعتبار المبالغة فى إثبات أصل المعنى للشىء إما على طريقة الالحاق أو الاطلاق والثانى إما إطلاق الملزوم على اللازم أوعكسه وما يبحث فيه عن الأول التشبيه وعن الثانى المجاز وعلى الثالث الكناية فانحصر الكلام فيه

نحو قوله : فلما أن جرى سمن عليها ... كما طينت بالفدن السياعا يصف ناقة بالسمن والفدن القصر والسياع الطين المخلوط بالتبن والأصل كما طينت بالسياع الفدن وليس فى هذا القلب معنى لطيف . قال :

[الباب الثالث المسند] أقول أخره عن المسند إليه لأنه فرع عنه ومسوق لأجله لأن المسند إليه محكوم عليه والمسند حكم والثانى مؤخر عن الأول والمقصود من هذا الباب بيان الأحوال العارضة للمسند من حيث كونه مسندا كالحذف والذكر وغير ذلك قال: [يحذف مسند لما تقدما والتزموا قرينة ليعلما] أقول: يتعلق بالمسند أبحاث. البحث الأول فى حذفه ويكون للنكت الماضية فى حذف المسند إليه فمنها لاحتراز عن العبث أى الإتيان بلا فائدة فيه للعلم به نحو زيد فى جواب من قام وقوله:

ومن يك أمسى بالمدينة رحله … فانى وقيار بها لغريب

الرحل هو المنزل والمأوى وقيار اسم فرس للشاعر وهو ضابئ بن الحرث فالمسند إلى قيار محذوف لدلالة خبر ما قبله عليه ولضيق المقام بسبب التوجع والاختصار ولحفظ الوزن أيضا ومن ذلك قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى. والأصل لو تملكون تملكون فحذف الفعل احترازا عن العبث لوجود المفسر فانفصل الضمير وليس أنتم مبتدأ وما بعده خبر بل فاعل لفعل محذوف كما رأيت لأن لو تدخل على الاسم ويشترط للحذف قرينة تدل على المحذوف كوقوع الكلام جوابا لسؤال محقق أو مقدر فالأول نحو: ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله

وكالنكهة

في الثلاثة. فان قلت مابالك تكلمت على تقسيم الدلالة وذلك من علم المنطق؟. قلت ليس منه بل هو أمر لغوى وهم مصرحون بأنه ليس من علمهم وأنهم إنما يذكرونه فى كتبهم لاحتياجهم إليه.

التشبيه

[هو الدلالة على اشتراك … أمر لآخر بمعنى زاكى

لا كاستعارة بتحقيق ولا … كناية ولا كتجريد خلا

فدخل الذى أداته فقد … كقوله صم ونحو ذا أسد

أركانه أربعة أداته … ووجهه والطرفان ذاته

وههنا ينظر فى هذى وفى … أقسامه وغرض منه وفى

فالطرفان منه حسيان … مختلفان أو فعقليان

كالخد والورد ونور وهدى … والسبع والموت وجهل وردى

فكل ما يدرك إحدى الخمس … إياه أو مادته فالحسى

منه الخيالى كتشبيه الشقيق … بعلم الياقوت والعود الرقيق

بالرمح من زبرجد فى النظم … وغيره العقلى ومنه الوهمى

ماليس مدركا ولو قد أدركا … كان بحس لاسواء مدركا

ومنه ذو الوجدان نحو الألم … ووجهه ذو الاشتراك فاعلم]

التشبيه الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى لا على وجه الاستعارة التحقيقية نحو رأيت أسدا فى الحمام ولا على وجه الاستعارة بالكناية نحو أنشبت المنية أظفارها ولا على وجه التجريد الآتى فى البديع نحو لقيت من زيد أسدا فان فى كل من هذه الثلاثة دلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى ولا يسمى شىء منها تشبيها فدخل فيه ما حذف منه الأداة وهو خبر مبتدإ أو ما فى حكمه إما مع المشبه نحو قوله تعالى — صم بكم عمى — أولا نحو زيد أسد فان المحققين على أنه تشبيه بليغ لا استعارة لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون فى الآية تقديرا: أى المنافقون صم وفى زيد أسد صريحا وإنما تطلق الاستعارة حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لأن يراد به المنقول عنه والمنقول إليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام ومن ثم ترى المفلقين السحرة يتناسون التشبيه ويضربون عنه صفحا وقال الشيخ بهاء الدين الذى يتضح لى أنه الصواب أن ذلك على قسمين: تارة يقصد به التشبيه فتكون أداته مقدرة، وتارة يقصد به الاستعارة فلا يكون الأسد مستعملا فى حقيقته ويكون ذكر زيد والاخبار عنه بما لا يصلح له حقيقة قرينة صارفة إلى الاستعارة دالة عليها فان قامت قرينة على حذف الأداة صرنا إليه وإلا فنحن بين إضمار واستعارة والاستعارة أولى. والنظر هنا فى أركان التشبيه وأقسامه والغرض منه فأركانه أربعة: طرفاه المشبه والمشبه به والوجه والأداة وهو بهذا الاعتبار شبيه بالقياس، فالطرفان إما حسيان أو عقليان أو مختلفان بأن يكون المشبه حسيا والمشبه به عقليا أو عكسه فالأول كالخد والورد فى المبصرات كقوله:

ما الدهر إلا الربيع المستنير إذا … أتى الربيع أتاك النور والنور

فالأرض ياقوتة والجو لؤلؤة … والنبت فيروزج والماء بلور

أى خلقهن الله فحذف المسند بدليل التصريح به فى الآية الأخرى فى قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم فهو فاعل لا مبتدأ والثانى
نحو : ليبك يزيد ضارع لخصومة * ومختبط مما تطيح الطوائح . والمختبط الذى يأتى إليك للمعروف من

وكالنكهة والعنبر فى المشمومات والصوت الضعيف والهمس فى المسموعات والريق والشهد فى المذوقات والجلد الناعم والحرير فى الملبوسات . والثانى كالعلم والحياة لأنهما جهتا إدراك النور والهدى قال :

أخو العلم حىّ خالد بعد موته ... وأوصاله تحت التراب رميم

وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى ... يظن من الأحياء وهو عديم

والثالث كالسبع والموت . والرابع كالعطر والخلق الكريم والجهل والهلاك ، والمراد بالحسى المدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة : البصر والسمع والشم والذوق واللمس ، فدخل فيه بسبب قولنا أو مادته الخيالى وهو المعدوم الذى يفرض مجتمعا من أمور كل واحد منها مما يدرك بالحس كقوله :

وكأن محمر الشقيـــق إذا تصوّب أو تصعد

أعلام ياقوت نشر ... ن على رماح من زبرجد

فان كلا من العلم والياقوت والرمح والزبرجد محسوس لكن المركب الذى هذه الأمور مادته ليس بمحسوس لأنه غير موجود والحس لا يدرك إلا ما هو موجود ، والعقلى ما عدا ذلك فدخل فيه الوهمى وهو ما ليس مدركا بإحدى الحواس ولكنه لو أدرك لكان بها مدركا كما فى قوله :

* ومسنونة زرق كأنياب أغوال * فأنياب الأغوال مما لا يدركه الحس لعدم وجوده كما ثبت فى الصحيح ولا غول مع أنها لو أدركت لم تدرك إلا بحاسة البصر ، والوجدانى وهو ما يدرك بالقوى الباطنية كاللذة والألم والجوع والشبع والهم والفرح ونحو ذلك وقولى ووجهه الخ متعلق بالأبيات الآتية :

[ولو تخيلا كتشبيه النجم ... بسنن بين ابتـداع فى الظلم

ووجهه حصول شىء أزهرا ... أبيض فى جنب ظلام أغبرا

وذاك فى السنة ليس يوجد ... إلا على التخييل فيما يرد

لأن الابتـــداع يجعل الردى ... كالماش فى الظلمة ليس يهتدى

وعكسه السنة فهى والهدى ... كالنور ثم شاع هـذا وغدا

يطرق فى الخيال إن الثانى ... مما له البياض كاللمعان

وأول خــلافه فهو كمن ... تشبيهه بالشيب فى الشباب عن

من ثم وجه النحو فى الكلام ... كالملح إذ يكون فى الطعام

هو الصلاح بالوجود والفساد ... بالفقد لا ما قاله بعض العباد

كون القليل مصلحا ويفسد ... كثرته فالنحو حقا يفقد]

وجه التشبيه ما يشترك فيه أى المعنى الذى قصد اشتراك الطرفين فيه تحقيقا أو تخييلا بأن لا يوجد ذلك المعنى إلا على سبيل التخييل والتأويل كما فى قوله :

وكأن النجوم بين دجاها ... سنن لاح بينهن ابتداع

فان وجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيض فى جوانب شىء مظلم أسود وتلك الهيئة غير موجودة فى المشبه به وهو السنن بين الابتداع إلا على طريق التخييل ، لأنه لما كانت البدعة وكل الجهالات تجعل صاحبها كمن يمشى فى الظلمة ولا يهتدى للطريق ولا يأمن أن ينال مكروها شبهت بها ولزم بطريق العكس أن تشبه السنة وكل ما هو علم بالنور لأن السنة والعلم يقابل

غير وسيلة وتطيح من الإطاحة وهى الاذهاب والإهلاك والطوائح جمع مطيحة على غير قياس فمختبط معطوف على ضارع ومقصود الشاعر أنه ينبغى أن يبكى على يزيد رجلان ذليل لكونه الناصر له وفقير أصابته حوادث الزمان فأهلكت ماله وأذهبته لأنه كان ناصر كل ذليل وجابر فقر كل فقير وهذا على قراءة ليبك بصيغة المبنى للمجهول ولو قرئ بصيغة المبنى للفاعل ويزيد مفعول مقدم وضارع فاعل مؤخر لم يكن مما نحن بصدده . قال :

[وذكره لما مضى أو ليرى ... فعلا أو اسما فيفيد المخبرا]

أقول : البحث الثانى فى ذكره وذلك للنكت الماضية فى ذكر المسند إليه من كون الذكر الأصل مع عدم المقتضى للعدول عنه ومن الاحتياط لضعف التعويل على القرينة

ومن التعريض بغباوة السامع وغير ذلك نحو جاء زيد فى جواب من جاء ويزاد هنا أنه يذكر ليرى أو يعلم أنه فعل فيفيد التجدد والحدوث أو اسم فيفيد الثبوت فيفيد المخبر بفتح الباء أى السامع فائدة زائدة على ما تقدم لأنه إذا حذف لا يدرى

هل هو اسم أو فعل مثال الأول زيد قائم فهذه الجملة تدل على ثبوت القيام لزيد لأن أصل الاسم مشتقا كان أولا الدلالة على الثبوت لعدم دلالته على الاقتران بالزمان ومثال الثانى زيد قام فانها تدل على تجدد القيام وحدوثه لزيد لدلالة الفعل على الاقتران بالزمان فلو كان المسند ظرفا نحو الفوز لمن رضى عنه مولاه احتمل الثبوت والتجدد بحسب المتعلق أى حاصل أوحصل . فان قلت : المشهور أن الجملة الاسمية تدل على الثبوت فكيف جعلتها فى نحو زيد قام دالة على الحدوث . قلت : دلالتها على الحدوث باعتبار أحد جزءيها وهو الفعل أى الدال على الحدوث الفعل. وأما الجملة فهى دالة على ثبوت نسبة المسند المتجدد معناه فالقيام متجدد وحصوله لزيد ووصفه به ثابت مستقر. قال : [وافردوه لانعدام التقويه وسبب كالزهد رأس التزكيه] أقول : البحث الثالث فى إفراده : أى كونه اسما مفردا والمفرد عند النحاة يطلق على معان ففى باب الاعراب ماليس مثنى ولا مجموعا وفى باب العلم ماليس مركبا وفى باب لا والمنادى ماليس مضافا ولاشبيها به وفى باب الخبر ماليس جملة ولا شبيها وهو المراد هنا فيؤتى به اسما مفردا لعدم إفادة تقوية الحكم وكونه غيرسببى نحو زيد قائم ومنه مثال المصنف

البدعة والجهل كما أن النور يقابل الظلمة وشاع ذلك حتى تخيل أن السنة ونحوها مماله بياض وإشراق نحو تركتكم على الحنيفية البيضاء وتخيل أن الأول وهو البدعة ونحوها على خلاف ذلك أى مماله ظلام وسواد كقولك شاهدت سواد الكفر من جبين فلان فصار بسبب ذلك تشبيه النجوم بين الدجى بالسنن بين الابتداع كتشبيهها ببياض الشيب فى سواد الشباب من أجل ذلك أى وجوب اشتراك الطرفين فى وجه التشبيه كأن وجه الشبه فى قولهم النحو فى الكلام كالملح فى الطعام هو الصلاح بوجوده والفساد بعدمه لاماقيل كون القليل مصلحا والكثير مفسدا لأن المشبه وهو النحو لايشترك فى هذا المعنى إذ لايقبل التفاوت بالقلة والكثرة لأن المراد رعاية قواعده واستعمال أحكامه كرفع الفاعل ونصب المفعول وهذه إن وجدت فى الكلام بكمالها صلح و إن لم توجد فسد فقولى أول الأبيات الآتية تفاوتا متعلق بيفقد مفعوله :

[تفاوتا والوجه قسمين اقسمن ... فغير خارج عن الطرفين من
شبه فى نوع وجنس ملحفه ... بمثلها وخارج وهو صفه
* منها الحقيقة كالحسيه ... كيفية تختص بالجسميه
كمدرك الطرف من اللون ومن ... شكل وقدر وتحرك زكن
والسمع من صوت ضعيف أوقوى ... والذوق من طعم كريه أوشهى
والشم من ريح كذاك اللمس من ... حر ومن برد ويبس وخشن
ونحو ذلك وكالعقليه ... كيفية مثل الذكا نفسيه
* ثم الإضافية كالإزالة ... للحجب فى الشمس شبيه الحجة]

ينقسم وجه التشبيه إلى خارج عن حقيقة الطرفين وغير خارج فالثانى كما فى تشبيه ثوب بآخر فى الجنس والنوع كما يقال هذا القميص مثل هذا فى كونهما كتانا وهذا الثوب مثله فى كونه قميصا والأول صفة أى معنى قائم بهما وهما قسمان : حقيقية أى هيئة متمكنة فى الذات وهى نوعان حسية أى تدرك باحدى الحواس كالكيفيات الجسمية أى المختصة بالأجسام مما يدرك بالبصر من الألوان والأشكال والمقادير والحركات والسمع من الأصوات الضعيفة والقوية ومابينهما والذوق من المطعوم والشم من الروائح واللمس من الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة والخشونة والملاسة واللين والصلابة والخفة والثقل ومايتصل بها من البلة والجفاف واللزوجة وغير ذلك . والنوع الثانى عقلية كالكيفيات النفسانية من الذكاء والعلم والغضب والحلم والكرم والبخل والشجاعة والجبن وسائر الغرائز . القسم الثانى إضافية بأن يكون معنى متعلقا بشيئين كإزالة الحجاب فى تشبيه الحجة بالشمس فانها ليست هيئة متقررة فى ذات الحجة ولا فى ذات الحجاب :

[واقسمه واحدا مركبا عدد ... وكلها حسى او عقلى ورد
فى ثالث مختلفا والحس ثم ... طرفاه حسيين والغير أعم
فكل ماشبه بالحسى صح ... بغيره من غير عكس ووضح
مرادهم بالحس ما أفراده ... تدرك بالحس وذا تعداده
الواحد الحسى حمرة خفا ... والطيب واللذة واللين وفا
فى الخد بالورد وصوت قد ضعف ... بالهمس والعنبر نكهة رشف

والجلد

و إنما كان الزهد رأس التزكية أى الخلوص من الكدورات لاستعداد صاحبه للحضرة الالهية، فان أريد التقوية أوكان سببيا أتى به جملة كما سيأتى ، والسببى جملة علقت على مبتدإ بعائد غير مسند إليه فيها فخرج المسند فى نحو زيد منطلق أبوه لأنه مفرد وفى نحو ـ قل هو الله أحد ـ لعدم العائد وفى نحو زيد قام لأن العائد مسند إليه . قال :

[وكونه فعلا فللتقييد بالوقت مع إفادة التجديد وكونه اسما للثبوت والدوام]

أقول : المسند المفرد يكون فعلا ويكون اسما . أما الأول فللتقييد بأحد الأزمنة الثلاثة الماضى والحال والاستقبال على أخصر وجه لدلالة الفعل على الزمان بصيغته ولا يتأتى ذلك فى الاسم إلا بقيد أمس أو الآن أو غدا مع إفادة التجدد والحدوث أى التكرار والوقوع مرة بعد أخرى للزوم ذلك للزمان الذى هو جزء مفهوم الفعل ولازم الجزء لازم الكل إذ الزمان عرض غير قارّ الذات أى لا تجتمع أجزاؤه فى الوجود كقوله :

أو كلما وردت عكاظ قبيلة
بعثوا إلىّ عريفهم يتوسم

أى يصدر عنه تفرس الوجوه وتأملها شيئا فشيئا ولحظة فلحظة . وأما الثانى فلعدم ماذكر من التقييد والتجدد و إرادة الثبوت والدوام لأغراض تتعلق بذلك كقوله :

والجلد بالحرير والشىء بمن ... والواحد العقلى كالعراء عن
فائدة وجرأة والاهتدا ... مع استطاب النفس فيما نقدا
نفعا بمعدوم وعلم بفلق ... والشخص بالسبع وعطر بخلق]

ينقسم وجه التشبيه أيضا إلى ثلاثة أقسام : واحد ومركب من متعدد تركيبا حقيقيا بأن تكون حقيقة ملتئمة من أمور مختلفة أو اعتباريا بأن تكون هيئة انتزعها العقل من عدة أمور و إلى متعدد بأن ينظر إلى عدة أمور و يقصد اشتراك الطرفين فى كل منها ليكون كل منها وجه تشبيه بخلاف المركب فانه لم يقصد اشتراك الطرفين فى كل من تلك الأمور بل فى الهيئة المنتزعة أو فى الحقيقة الملتئمة منها وكل واحد من هذه الثلاثة إما حسى أو عقلى فهذه ستة و يختص الثالث بأن يكون مختلفا بعضه حسى و بعضه عقلى فهى سبعة والحسى طرفاه حسيان لاغير إذ لا يدرك بالحس شىء غير المحسوس والعقلى أعم لجواز أن يدرك بالعقل من المحسوس شىء فكل ماصح فيه التشبيه بالوجه الحسى صح بالوجه العقلى ولا عكس كما صرحت به من زيادتى وهو معنى قول التلخيص ولذلك يقال التشبيه بالوجه العقلى أعم والمراد بكون وجه التشبيه حسيا أن أفراده مدركة بالحس كالحمرة التى تدرك بالبصر جزئياتها الحاصلة فى المرائى فالواحد الحسى كالحمرة والخفاء وطيب الرائحة ولذة الطعم ولين الملمس فى تشبيه الخد بالورد والصوت الضعيف بالهمس والنكهة بالعنبر والشىء بالمنّ والجلد الناعم بالحرير والواحد العقلى كالعراء عن الفائدة والجرأة والهداية واستطابة النفس فى تشبيه العديم النفع بالمعدوم والعلم بالنور والشجاع بالأسد والعطر بخلق كريم ومن الأول وطرفاه حسيان قول ابن سكرة :

الخد ورد والصدغ غالية ... والريق خمر والثغر من برد

ومن الثانى وطرفاه حسيان حديث الترمذى «مثل أهل بيتى مثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق» وحديث ابن ماجه «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» شبهوا بالسفينة والنجوم فى مطلق حصول النجاة والاهتداء ، ومنه وطرفاه عقليان قوله :

أخلاقه نكت فى المجد أيسرها ... لطف يؤلف بين الماء والنار
لو زرته لرأيت الناس فى رجل ... والدهر فى ساعة والأرض فى دار

ومنه وطرفاه عقلى وحسى قوله :

كأن ثباته للقلب قلب ... وهيبته جناح للجناح

وعكسه : وأرض كأخلاق الكريم قطعتها ... وقد كحل الليل السماك فأبصرا

وقوله تعالى : هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهنّ يحتمل أن يكون حسيا بحيث أن الرجل والمرأة فى المعانقة كاللباس المشتمل وعقليا على معنى أن كلا منهما يصون صاحبه من الوقوع فى الفضيحة كاللباس الساتر :

[وذو تركب غدا حسيا ... فى مفرد طرفاه كالثريا
شبه بالعنقود من كرم لما ... حوته من صورته إذ نظما
وحبه أبيض واستدارا ... وقارب الرؤية والمقدارا
وما تركبا كقولى أخذا ... من قول بشار مماثلا لذا
والنقع فوق رءوسنا والأسيف ... ليل تهاوى شهبه وتخطف

بجامع السقوط فى أجرام مشرقة طويـلة الأجسام
تناسقت أقدارها مفرقه فى جنب شئ مظلم متسقه
وما تخالفا كما الشقيق مر والزهر فى ربا بليـل ذى قمر
وحسـنه فى هيئة بها تقع حركة او وصف أو جرّد مع
تحـرك إلى جهات فالأول كالشمس كالمرآة فى كف الأشل
والثان كالبرق إذا بدا ولاح كمصحف القارى انطباقا وانفتاح
وهيئـة السكون ربما تلى يقفى جلوس البدوى المصطلى]

المركب الحسى من وجه التشبيه طرفاه إما مفردان أو مركبان بأن يقصد إلى عـدة أشياء مختلفة فينتزع منها هيئة ويجعلها مشبها ومشبها به أو أحدهما مفرد والآخر مركب فالمركب الذى طرفاه مفردان كقوله : وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحية حين نورا

شبه الثريا بعنقود عنب لما حواه من الهيئة الحاصلة من تقارب الصور البيض المستديرة الصغار المقادير فى المرائى على الكيفية المخصوصة لاشديدة الافتراق ولا الانضمام إلى المقدار المخصوص من الطول والعرض فنظر إلى عدة أشياء وقصد إلى هيئة حاصلة منها والطرفان مفردان وهما الثريا والعنقود والذى طرفاه مركبان كقول بشار :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

لما فيه من الهيئة الحاصلة من سقوط أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة فى جوانب شئ مظلم فهو مركب وكذا الطرفان لأنه لم يقصد تشبيه الليل بالنقع والكواكب بالسيوف بل عمد إلى تشبيه هيئة السيوف وقد سلت من أغمادها وهى تعلو وترسب وتجىء وتذهب وتضطرب اضطرابا شديدا وتتحرك بسرعة إلى جهات مختلفة وعلى أحوال تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة والارتفاع والانخفاض مع التلاقى والتداخل والتصادم والتلاحق وكذا فى جانب المشبه به فان للكواكب فى تهاويها تواقعا وتداخلا واستطالة لأشكالها . ويحكى عن بشار أنه قال لما سمعت قول امرىء القيس كأن قلوب الطير البيت لم يستقرّ لى قرار حسدا له حتى قلت هذا البيت فى صفة الحرب ، والذى طرفاه مختلفان بأن يكون الأول مفردا والثانى مركبا كما مر فى تشبيه الشقيق بأعلام ياقوت نشرت على رماح من زبرجد من الهيئة الحاصلة من نشر أجرام حمر مبسوطة على رءوس أجرام خضر مستطيلة فالمشبه مفرد وهو الشقيق والمشبه به مركب ، وعكسه تشبيه نهار مشمس شابه زهر الربا بليل مقمر فى قوله :

تريا نهارا مشمسا قد شابه زهر الربا فكأنما هو مقمر

ومن بديع المركب الحسى ما يجىء فى الهيئات التى تقع عليها الحركة سواء قرنت بشئ من أوصاف الجسم كالشكل واللون أو جردت حتى لا يراد غيرها ولابدّ حينئذ من اختلاف حركات إلى جهات مختلفة له ليتحقق التركيب ، فالأول كقوله * والشمس كالمرآة فى كف الأشل * لما فيه من الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الاشراق والحركة السريعة المتصلة مع تموج الاشراق حتى يرى الشعاع كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة ثم يبدوله فيرجع إلى الانقباض والثانى كقوله : فكأن البرق مصحف قار فانطباقا مرة وانفتاحا

فى تقييده سواء كان اسما أو فعلا يعمل عمله بواحد من المفاعيل الخمسة أو شبهها كالحال والتمييز والاستثناء وذلك لتتميم الفائدة وتقويتها لأنه كلما ازداد خصوصا زاد بعـدا عن الاحتمال وكلما بعد عن الاحتمال قويت الفائدة فان قولك ضربت زيدا أخص من ضربت وأقوى فائدة وكذا ضربته ضربا شديدا أخص من الفعل وحده لافادة نوع من الضرب وقس بقية المقيدات فقوله كالفعل أى شبه الفعل أى الفعل وشبهه من اسم فاعل أو مفعول أو غير ذلك من كل مايعمل عمله ولم يبين المقيد به للعلم به من علم النحو ويستثنى من شبه المفعول به خبر كان فى نحو كان زيد قائما فان التقييد به ليس لتمام الفائدة لعدمها بدونه لأنه هو المسند فهو ليس قيدا للفعل بل مقيد به فالمعنى تقييد نسبة القيام لزيد بالزمان الماضى المدلول لكان فقط و إن دلت وضعا على الحدث وجه فى كل من الفعل وخبره فائدة مفقودة فى الآخر فان الأول يدل وضعا على حدث مطلق يعينه خبره والثانى يدل عقلا على

زمن مطلق يعينه الفعل . وأما ترك تقييده فلأمور . منها ستر القيد عن زمان الفعل أومكانه أوسببه أونحو ذلك عن المخاطب أوغيره من الحاضرين ، ومنها انتهاز الفرصة أى المبادرة أى انقضاؤها . ومنها الجهل بالقيود . ومنها عدم

الحاجة إليها. قال : [وخصصوا بالوصف والاضافه وتركوا لمقتض خلافه] أقول: قد يكون تقييد المسند بالوصف كقولك أخوك رجل صالح أو الاضافة نحو أخوك غلام زيد لقصد التخصيص وقد ترك تقييده لغرض اقتضى خلاف التخصيص كستر أو انتهاز فرصة ونحو ذلك مما تقدم من مقتضى ترك تقييد الفعل بمفعول ونحو ذلك . قال :

[وكونه معلقا بالشرط فلمعانى أدوات الشرط]

أقول : قد يقيد المسند بالشرط لتحصيل معنى أداته نحو إن تكرمنى أكرمك ففيه تقييد إكرام المتكلم بإكرام المخاطب المفاد بإن لأن الشرط قيد فى الجزاء مع الاشعار بأنه سبب فيه ولما دعت الحاجة إلى معانى أدوات الشرط تكلم عليها أهل المعانى وإن كانت من مباحث علم النحو وأكثر ما وقع بحثهم على

وجه التركيب أن المصحف يتحرك فى حالتى الانطباق والانفتاح إلى جهتين فى كل حالة إلى جهة بخلاف حركة الرحى والسهم مثلا فلا تركيب فيها لاتحادها ، وقد يقع التركيب فى هيئة السكون كقول المتنبى فى صفة الكلب ✽ يقعى جلوس البدوى المصطلى ✽ لما فيه من الهيئة الحاصلة من موقع كل عضو منه فى إقعائه فان لكل موقعا خاصا وللمجموع صورة خاصة مؤلفة من تلك المواقع وكذلك صورة جلوس البدوى عند الاصطلاء بالنار موقدة على الأرض :

[وذو تركب إلى العقل انتسب ... كمثل حرمان انتفاع مع تعب
فى مثل اليهود بالحمار ... والحمل للتوراة والأسفار
وراع فى تعدد ما يحصل ... به إذا أسقط منه خلل]

المركب العقلى من وجه الشبه كحرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب فى استصحابه فى قوله تعالى : مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا وربما ينتزع وجه الشبه من متعدد فيقع الخطأ لوجوب انتزاعه من أكثر كما إذا انتزع من الشطر الأول من قوله :

كما أبرقت قوما عطاشا غمامة ... فلما رأوها أقشعت وتجلت

لوجوب انتزاعه من الجميع فان المراد التشبيه باتصال ابتداء مطمع بانتهاء مؤيس فليراع ما يختل باسقاطه المعنى :

[وذو تعدد من الحسى كمن ... شبه فناقى صفاته بفن
وضده من بالغراب فى الحذر ... شبه طيرا والفساد والنظر
والثالث التشبيه للانسان ... بالشمس فى الحسن ورفع الشان
وربما يؤخذ وجه للتشبيه ... من التضاد لاشتراك الضد فيه
لقصد تمليح أو التهكم ... كوصفه مبخلا بحاتم]

التعدد الحسى كاللون والطعم والرائحة فى تشبيه فاكهة بأخرى وكقوله :

حكت لونا ولينا واعتدالا ... ولحظا قاتلا سمر الرماح

والعقلى كحدة النظر وكمال الحذر وإخفاء السفاد فى تشبيه طائر بالغراب وكقول أبى العلاء :

والخل كالماء يبدى لى ضمائره ... مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

والمختلف كحسن الطلعة ونباهة الشأن فى تشبيه إنسان بالشمس ، وقد ينتزع وجه الشبه من نفس التضاد لاشتراك الضدين فيه ثم ينزل منزلة التناسب بواسطة تمليح أى تحسين أوتهكم أى سخرية واستهزاء فيقال للجبان ما أشبهه بالأسد وللبخيل إنه حاتم .

فصل

[أداته الكاف ومثل وكأن ... والأصل فى الكاف وما أشبه أن
تولى مشبها به وربما ... تولى سواه مثل الدنيا كما
قلت ولا يكون مثل إلا ... فى ذى غرابة وشأن جلا
وربما يذكر فعل ينبى ... عنه فان كان مريد القرب
علمت زيدا أسدا والمبعد ... حسبته قلت وذا منتقد]

معانى إذا وإن ولو وبيان ذلك فى الأصل وشرحه . قال :

[ونكروا إتباعا اوتفخيما ... حطا وفقد عهد او تعميما]

أقول : البحث الخامس فى تنكير المسند وأسباب تنكيره كثيرة . منها إتباع المسند إليه فى التنكير نحو رجل من الكرام

حاضر إذ لا يكون المسندمعرفة مع تنكير المسند إليه إلا فى نحو كم مالك. ومنها التفخيم نحو هدى للمتقين . ومنها الحط أى التحقير نحو ماز يدشيئا . ومنها أن لا يكون معهودا نحو زيد شاعر . ومنها إرادة التعميم بأن لا يكونَ خاصا بالمسند

إليه كهذا المثال. قال:

[وعرّفوا إفادة للعلم بنسبة أولازم للحكم]

أقول: البحث السادس فى تعريفه فيؤتى به معرفة ليستفيد السامع العلم بأن ذلك المسند المعلوم حاصل لذلك المسند إليه المعلوم له إذ لايلزم من العلم بالطرفين العلم بنسبة أحدهما للآخر فاذا كان السامع يعلم زيدا ويعلم أن له أخا ولا يعرف اسمه فقيل له زيد أخوك حصل له العلم بالنسبة التى كان يجهلها ولا يشترط اتحاد طريق تعريفهما بل تغاير المفهومين ولذلك أوّل نحو شعرى شعرى بشعرى الآن مثل شعرى الماضى المشهور بالحسن ويؤتى به معرفة أيضا لافادة السامع العلم بأن المتكلم عالم بلازم الحكم كقولك زيد أخوك لمن يعلم أنه أخوه لتفيده أنك عالم بذلك فلازم معطوف على نسبة. قال :

[وقصروا تحقيقا اومبالغه بعرف جنسه كهند البالغه] أقول : المسند قد يعرف لقصد قصره على المسند إليه تحقيقا كقولك زيد الأمير إذا لم يكن أمير غيره أومبالغة كقولك زيد الفقيه أى الكامل فى الفقه كأنك لم تعتد فقه غيره

أداة التشبيه الكاف ومثل وكأن ونحوها مما يشتق من المماثلة والمشابهة كنحو وشبه ولايستعمل مثل إلا فى حال أوصفة لها شأن وفيها غرابة نبه عليه الطيبى والأصل فى الكاف وماأشبهها كلفظ نحو وشبه ومثل بخلاف تماثل وتشابه وتكافأ أن يليه المشبه به لفظا نحو زيد كالأسد أو تقديرا نحو : أو كصيب من السماء على تقدير أو كمثل ذى صيب ور بما يليه غيره نحو : واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء الآية ليس المراد تشبيه الدنيا بالماء بل تشبيه حالها فى بهجتها ومايعقبها من الهلاك بحال النبات الحاصل من الماء يكون أخضر ثم ييبس فتطيره الرياح ور بما يذكر فعل ينبئ عن التشبيه فيؤتى فى التشبيه القريب بنحو علمت زيدا أسدا الدال على التحقيق وفى البعيد حسبت زيدا أسدا الدال على الظنّ وعدم التحقيق هكذا قال فى التلخيص . واعترض بأن فى مثل كون هذه الأفعال منبئة عن التشبيه نوع خفاء والأظهر أن الفعل ينبئ عن حال التشبيه فى القرب والبعد وأن الأداة محذوفة مقدرة لعدم استقامة المعنى بدونه نحو زيد أسد لا أن علمت منبئ عنه وقد مشى على ذلك الطيبى .

فصل

[غرضه يعود للمشبه فى أكثر الأمر وفى أغلبه
بيان إمكان وحال وكذا قدر وتقرير لها وكل ذا
يقضى بأن الوجه فى المشبه به أتم وهـو أشهر به
وفيه نقد ثم للتشويه وزينة والظرف كالتشبيه
للفحم ذى الجمر ببحر مسك وموجه من ذهب ذى سبك
ووجه ظرف كونه يبرز فى ممتنع أو قل فى الذهن ينى
وبمشبه به الغرض عم إما لابهام بأنه أتم
وذاك فى المقلوب أو للاهتمام كجائع يشبه خبزا بالتمام
إظهار مطلوب وكل ذا إذا إلحاق ناقص بغير يحتذى
وقد يراد الجمع للشيئين فى أمر ولم ينظر لنقص أو وفى
فالأحسن العدول للتشابه وذكره التشبيه من صوابه]

الغرض من التشبيه هو مايقصده المتكلم فى إيراده وهو عائد إلى المشبه غالبا وقد يعود إلى المشبه به فالأول على وجوه : أحدها بيان إمكان وجوده بأن يكون أمرا غريبا يمكن أن يخالف فيه ويدعى امتناعه فيستشهد له بالتشبيه كقول المتنبى :

فان تفق الأنام وأنت منهم فان المسك بعض دم الغزال

فانه لما ادّعى أن الممدوح فاق الناس حتى صار أصلا برأسه وجنسا بنفسه وكان هذا فى الظاهر كالممتنع احتج لهذه الدعوى وبين إمكانها بأن شبه هذه الحال بحال المسك الذى هو من الدماء ثم إنه لايعد من الدماء لما فيه من الأوصاف الشريفة التى لاتوجد فى الدم والتشبيه فيه ضمنى لاصريح . ثانيها بيان حال المشبه بأنه على أىّ وصف من الأوصاف كما فى تشبيه ثوب بآخر فى السواد إذا علم السامع لون المشبه به دون المشبه . ثالثها بيان قدر حال المشبه فى القوّة والضعف والزيادة والنقصان كما فى تشبيه الثوب الأسود بالغراب فى شدّة السواد وكقوله :

فأصبحت

ومنه مثال المصنف .قال: [وجملة لسبب أوتقويه   كالذكر يهدى لطريق التصفيه] أقول : البحث السابع فى كون المسند جملة وذلك إما لكونه سببا أو مشتملا على السبب وهو ضمير المسند إليه

لأنه سبب لربط الجملة به نحو زيدقام أبوه وإما لتقوية الحكم بنفس التركيب أى لابالتكرير والأداة نحو أناقمت ومنه مثال المصنف ولا يشترط فى الجملة أن تكون خبرية وجملة معطوف على معلقا . قال :

[واسمية الجملة والفعليه   وشرطها لنكتة جليه]

أقول : اسمية الجملة وفعليتها وشرطيتها لما مضى من أن الاسمية للدوام والثبوت والفعلية للتجدد والحدوث والشرطية للاعتبارات المختلفة الحاصلة من أدوات الشرط إلى آخر ماتقدم . قال :

[وأخروا أصالة وقدموا   لقصر مابه عليه يحكم
تنبيه اوتفاؤل تشوف   كفاز بالخضرة ذو تصوف]

أقول : البحث الثامن فى تقديمه وتأخيره فتأخيره للأصل وينبغى إذا كان ذكر المسند إليه أهم وتقديمه إما لقصره على المسند إليه نحو لا فيها غول بخلاف خمر الدنيا ولذا لم يقدم فى قوله لاريب فيه بأن يقال لافيه ريب لئلا يفيد ثبوت الريب فى سائر كتب الله تعالى أو للتنبيه على أنه خبر من أول وهلة لانعت نحو * له همم لامنتهى لكبارها * إذ لو قيل همم له توهم أنه نعت لشدة طلب النكرة للنعت أوللتفاؤل نحو :

فأصبحت من ليلى الغداة كقابض   على الماء خانته فروج الأصابع

رابعها تقرير حال المشبه فى نفس السامع وتقوية شأنه كما فى تشبيه من لايحصل من سعيه على طائل بمن يرقم على الماء قال صلى الله عليه وسلم «مثل الذى يتعلم العلم فى صغره كالنقش على الحجر ومثل الذى يتعلم العلم فى كبره كالذى يكتب على الماء» رواه الطبرانى فى الكبير من حديث أبى الدرداء وقال ابن العميد :

ذى ملة يأتيك أثبت عهده   كالخط يرسم فى بسيط الماء

قال صاحب التلخيص وهذه الأغراض الأربعة تقتضى أن يكون وجه التشبيه فى المشبه به أتم وأن يكون المشبه به بوجه الشبه أشهر وأعرف قال الشيخ سعد الدين والتحقيق أن بيان الامكان والحال لا يقتضيان الأشهرية ليصح القياس ويتم الاحتجاج فى الأول ويعلم الحال فى الثانى وكذا بيان المقدار لايقتضى الأتمية بل أن يكون المشبه به على حدّ مقدار المشبه لاأزيد ولاأنقص لتعين مقدار المشبه على ماهو عليه . وأماتقرير الحال فيقتضى الأمرين جميعا لأن النفس إلى الأتم والأشهر أميل فالتشبيه به لزيادة التقرير والتقوية أجدر والى ذلك أشرت بقولى وفيه نقد . خامسهاوسادسها قصد تشويه المشبه أى تقبيحه فى عين السامع وتزيينه ليرغب عنه أوفيه كما فى تشبيه وجه مجدور بسلحة جامدة قد نقرتها الديكة وتشبيه وجه أسود بمقلة الظبى قال ابن الرومى :

تقول هذا مجاج النحل تمدحه   وإن تعب قلت ذا قىء الزنابير

سابعها قصد استظرافه كما فى تشبيه فحم فيه جمر موقد ببحر من المسك موجه الذهب ووجه ظرفه إبرازه فى صورة الممتنع عادة وقد يكون الظرف لكون المشبه به نادر الحضور فى الذهن إمامطلقا كالمذكور أوعند حضور المشبه كقول ابن المعتز فى البنفسج :

ولا زوردية تعلو بزرقتها   بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها   أوائل النار فى أطراف كبريت

فان صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لايندر حضورها فى الذهن ندرة بحر من المسك موجه الذهب لكن يندر حضورها عند حضور البنفسج فيستظرف . ويحكى أن جريرا قال أنشدنى عدىّ * عرف الديار توهما فاعتادها * فلما بلغ قوله * يزجى أغن كأن إبرة روقه * رحمته وقلت قد وقع ماعساه أن يقول فلما بلغ قوله * قلم أصاب من الدواة مدادها * استحالت الرحمة حسدا له لأنه رآه حين افتتح التشبيه بذكر مالايحضر له شبه فى بدء الفكرة فرحمه وحين رآه ظفر بأقرب صفة من أبعد موصوف حسده . وأما القسم الثانى وهو مايعود من الغرض إلى المشبه به فمرجعه إما لايهام أنه أتم من المشبه فى وجه الشبه وذلك فى التشبيه المقلوب بأن يجعل الناقص مشبها به قصدا إلى ادعاء أنه أكمل كقوله :

وبدا الصباح كأن غرّته   وجه الخليفة حين يمتدح

قصد إيهام أن وجهه أتم من الصباح فى الضوء والضياء وقوله :

فى طلعة البدر شىء من محاسنها   وللقضيب نصيب من تثنيها

فان العادة أن تشبه الطلعة بالبدر والقدّ بالقضيب فعكس مفضلا لحسن الطلعة على البدر والقد على القضيب قال المعرى :

* سعدت بغرة وجهك الأيام * أو لتشوق النفس إلى ذكر المسند إليه بأن يكون فى السند طول يقتضى ذلك نحو :
ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحق والقمر . ومنه مثال المتن وتقدم الكلام عليه

ظلمناك فى تشبيه صدغيك بالمسك وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى

وإما للبيان الاهتمام بالمشبه به كتشبيه الجائع وجها بالبدر فى الاشراق والاستدارة بالرغيف ويسمى إظهار المطلوب ولا يحسن إلا فى مقام الطمع كما روى أن الصاحب بن عباد مدح قاضى سجستان بقوله * وعالم يعرف بالسجزى * وأشار إلى الندماء باجازة هذا النصف فلما انتهت النوبة إلى شريف قال * أشهى إلى النفس من الخبز * فأمر باحضار المائدة ثم هذا الذى ذكر من جعل أحد الشيئين مشبها والآخر مشبها به إنما يكون إذا أريد إلحاق الناقص بالزائد حقيقة أو ادعاء ، فان أريد الجمع بين شيئين فى أمر من الأمور من غير قصد إلى كون أحدهما ناقصا والآخر زائدا سواء وجد أم لا فالأحسن ترك التشبيه إلى الحكم بالتشابه ليكون كل من الشيئين مشبها ومشبها به احترازا من ترجيح أحد المتساويين كقوله :

تشابه دمعى إذ جرى ومدامتى فمن مثل ما فى الكأس عينى تسكب
فوالله ما أدرى أبالخمر أسبلت جفونى أم من عبرتى كنت أشرب

لما اعتقد التساوى بين الدمع والخمر ترك التشبيه إلى التشابه ويجوز أيضا التشبيه فى مثل ذلك لسبب من الأسباب كزيادة الاهتمام وكون الكلام فيه .

أقسام التشبيه

[فباعتبار الطرفين مفرد بمفرد كلاهما مقيد
أم لا أم الخلاف فيهما حصل كالشمس كالمرآة فى كف الأشل
وذو تركب به ومفرد وعكسه والطرفين فاعدد
بالمشبهات فابدأن أو لاتحق والأول الملفوف والثانى فرق
كالنشر مسك والوجوه أنجم والريق خمر والبنان عندم
وإن تعدد أولا فالتسويه أو ثانيا تشبيه جمع سميه]

التشبيه له أقسام باعتبارات . فينقسم باعتبار طرفيه إلى أربعة أقسام لأنه إما تشبيه مفرد بمفرد وهما مقيدان كقولهم لمن لا يحصل من سعيه على طائل هو كالراقم على الماء فى المشبه الساعى مفرد مقيد بأن لا يحصل من سعيه على شىء والمشبه به الراقم مقيد بكون رقمه على الماء لأن وجه الشبه هو التسوية بين الفعل وعدمه وهو موقوف على اعتبار هذين القيدين أو غير مقيدين كتشبيه الخد بالورد أو مختلفين نحو * والشمس كالمرآة فى كف الأشل * المشبه به وهو المرآة مقيد بكونه فى كف الأشل بخلاف المشبه وهو الشمس وعكسه نحو المرآة فى كف الأشل كالشمس وإما تشبيه مركب بمركب بأن يكون كل من الطرفين كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا كما تقدم فى قوله كأن مثار النقع البيت وإما تشبيه مركب بمفرد كقوله :

ياصاحبى تقصيا نظريكما تريا وجوه الأرض كيف تصور
تريا نهارا مشمسا قد شابه زهر الربا فكأنما هو مقمر

فالمشبه وهو نهار مشمس شابه زهر الربا مركب والمشبه به مفرد وهو مقمر أو عكسه أى تشبيه مفرد بمركب كما مر من تشبيه الشقيق وهو مفرد بأعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد وهو مركب من عدة أمور . وينقسم باعتبار تعدد الطرفين أيضا إلى أربعة أقسام فان تعدد أو بدىء

قال :

[الباب الرابع فى متعلقات الفعل]

أقول : المتعلقات جمع متعلق بكسر اللام وفتحها المعمولات التى تتعلق بالفعل أى يرتبط معناها به كالمفاعيل وشبهها من حال وتمييز والمقصود من هذا الباب بيان أحوالها من ذكر وحذف وتقديم وتأخير ونحو ذلك ، وحكم أحوال معمولات ما يعمل عمله كاسم فاعل كذلك واقتصروا فى الترجمة على الفعل لأصالته فى العمل . قال :

[والفعل مع مفعوله كالفعل مع فاعله فيما له معه اجتمع والغرض الاشعار بالتلبس بواحد من صاحبيه فائتس]

أقول : الفعل مع المفعول كالفعل مع الفاعل فى أن الغرض من كل منهما إفادة التلبس به لا إفادة وجوده فقط وإلا لقيل وجد الضرب مثلا إلا أن جهة التلبس مختلفة ففى الفاعل من جهة وقوعه منه وفى المفعول من جهة وقوعه عليه والمميز لذلك الرفع فى الأول والنصب فى الثانى فقوله فيما له معه اجتمع أى فى الغرض الذى لأجله اجتمع فى ضمير له عائد على الموصول

بالمشبهات

والللام للتعليل وضميرله معه عائد إلى الفعل أو الفاعل وفاعل اجتمع إما يعود إلى الفعل أو الفاعل على التقديرين أيضا وصاحبيه أى الفعل المراد بهما الفاعل والمفعول . قال : [وغير قاصر كقاصر يعد ✲ مهما يك المقصود نسبة فقد]

أقول : الفعل إما أن يكون قاصرا أى غير متعد أو لا الأول يقتصر على ذكر فاعله معه نحو قام زيد والثانى أى المتعدى إما أن يقصد الإخبار بالحدث فى المفعول دون الفاعل فيبنى للمفعول نحو ضرب عمرو أو يقصد إثباته لفاعله أو نفيه عنه من غير اعتبار تعلقه بمفعول فينزل منزلة القاصر ولا يقدر المفعول لأن المقدر كالموجود نحو قوله تعالى ـ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ـ أى هل يستوى من ثبتت له حقيقة العلم ومن لم تثبت له والاستفهام إنكارى أى لا يستوى وقوله فقد بمعنى حسب قال :

[ويحذف المفعول للتعميم
وهجنة وفاصلة تفهيم
من بعد إبهام والاختصار
كبلغ المولع بالأذكار]

أقول : يحذف المفعول لارادة العموم فى أفراده نحو قد كان منك مايؤلم أى كل أحد ومنه والله يدعو إلى دار السلام أى كل أحد ، ويحذف لاستهجان الذكر كقول عائشة رضى الله عنها مارأيت منه ولا رأى منى أى الفرج ، ويحذف لرعاية الفاصلة كقوله تعالى ـ ماودّعك ربك وماقلى ـ أى وماقلاك حذف لأن فواصل الآى

بالمشبهات أوّلا ثم بالمشبهات بها فملفوف كقوله :

كأنّ قلوب الطير رطبا ويابسا   لدى وكرها العناب والحشف البالى

شبه الرطب واليابس من قلوب الطير بالعناب والحشف البالى ، ومنه فى تشبيه ثلاثة بثلاثة قوله :

ليل وبدر وغصن ✲ شعر ووجه وقد   خمر ودرّ وورد ✲ ريق وثغر وخد

وأربعة بأربعة قول الشاعر :

ثغر وخد ونهد واحمرار يد   كالطلع والورد والرمان والبلح

وخمسة بخمسة قول أبى الفرج الواوا :

قالت متى الظعن ياهذا فقلت لها   إما غدا زعموا أولا فبعد غد
فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت   وردا وعضت على العناب بالبرد

وستة بستة قول ابن جابر :

إن شئت ظبيا أو هلالا أودجى   أو زهر غصن فى الكثيب الأملد
فللحظها ولوجهها ولشعرها   ولخدها والقد والردف اقصد

وسبعة بسبعة قول النجم البارزى :

يقطع بالسكين بطيخة ضحى   على طبق فى مجلس لأصاحبه
كشمس ببرق قد بدا وأهله   لدى هالة فى الأفق بين كواكبه

وثمانية بثمانية قول الآخر :

خدود وأصداغ وقدّ ومقلة   وثغر وأرياق ولحن ومعرب
وورد وسوسان وبان ونرجس   وكأس وجريال وجنك ومطرب

وعشرة بعشرة قوله :

فرع جبين محيا معطف كفل   صدغ فم وجنات ناظر ثغر
ليل هلال صباح بانة كثب   آس إقاح شقيق نرجس در

وإن أتى بمشبه ومشبه به ثم بآخر وآخر فمفروق كقوله :

النشر مسك والوجوه دنا   نير وأطراف الأكف عنم

وإن تعدد الأول فقط أى المشبه دون المشبه به فتشبيه تسوية كقوله :

صدغ الحبيب وحالى   كلاهما كالليالى

أو الثانى : أى المشبه به دون المشبه فتشبيه جمع كقوله :

كأنما يبسم عن لؤلؤ   منضد أو برد أو إقاح

[وباعتبار الوجه تمثيل غدا   منتزعا من عدد وقيدا
بكونه غير الحقيقى يوسف   وغير تمثيل له مخالف
ومجمل ماوجهه لم يذكر   فظاهر وذو خفا بالنظر
فمنه مامن وصف طرفيه عرا   أو مشبه او وصف كل ذكرا
وغيره مفصل والمبتذل   فيه إلى مشبه به انتقل
من غير تدقيق وغيره الغريب   إذ وجهه فى ظاهر غير قريب

على الألف ويحذف للتفهيم أى البيان بعد الابهام كما إذا وقع فعل المشيئة شرطا فان الجواب يدل عليه نحو — ولو شاء لهداكم أجمعين — أى ولو شاء هدايتكم

فانه لما قيل لو شاء علم السامع أن هناك متعلقا للمشيئة مبهما فاذا سمع الجواب تعين عنده وهو أوقع فى النفس من ذكره أولا ويحذف أيضا للاختصار نحو — ربّ أرنى أنظر إليك — أى ذاتك ومنه بلغ المولع بالأذكار أى الدرجة العليا . قال :

[وجاء للتخصيص قبل الفعل
تهمم تبرّك وفصل]

أقول : الأصل فى المفعول التأخير عن الفعل نحو أكرم زيد عمرا وقد يتقدم لأغراض منها التخصيص أى قصر الحكم على مايتعلق به الفعل نحو زيدا عرفت أى لا غيره جوابا لأنك عرفت غير زيد ومنه إياك نعبد أى لا غيرك ولذا لايقال زيدا عرفت وغيره ولا ما زيدا عرفت ولا غيره لاقتضائه فى الأول قصر المعرفة على زيد وسلبها عن غيره والعطف ينافى ذلك وفى الثانى سلبها عن زيد وثبوتها لغيره والعطف ينافى ذلك . ومنها الاهتمام به نحو محمدا اتبعت ولذلك كان الأولى عند الجمهور تقدير العامل فى بسم الله متأخرا . فان قيل : قد ذكر مقدما فى قوله تعالى أو اقرأ باسم ربك . أجيب عن ذلك بأن الأهم ثم القراءة لأنها أول سورة نزلت إلى مالم يعلم. ومنها التبرك كالمثال المتقدم فهو

لكثرة التفصيل أو حضور   مشبه به على ندور
لبعد ماناسب أو وهميا   يأتيك أو مركبا عقليا
كذا خياليا كذاك الحسى   تكراره قلّ كبيت الشمس
وكثرة التفصيل أن ينظر فى   أكثر من وصف وأوجها يفى
أعرفها أخذك بعضا وتدع   بعضا وإن تعتبر الكل ومع
كثرته فهو البليغ والغريب   لبعده وقد يجاء فى القريب
*بنكتة تغربه كذكر   شرط وما محسن ذو حصر]

ينقسم التشبيه باعتبار وجهه إلى تمثيل وغيره فالأول ماكان وجه الشبه فيه وصفا منتزعا من متعدد كما سبق من تشبيه الثريا ومثار النقع وغير ذلك وكقوله :

اصبر على مضض الحسو   د فان صبرك قاتله
كالنار تأكل نفسها   إن لم تجد ماتأكله

شبه الحسود المتروك مقاتلته بالنار التى لاتمد بالحطب فيسرع إليه الفناء وقيده السكاكى بكونه غير حقيقى كما فى تشبيه مثل اليهود بمثل الحمار فان وجه التشبيه هو حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع الكد والتعب فى حمله فهو وصف مركب من متعدد عائد إلى التوهم . والثانى بخلافه وهو مالا يكون وجهه منتزعا من متعدد ويزيد السكاكى ولا يكون وهميا واعتباريا بل حقيقيا فتشبيه الثريا بالعنقود المنور تمثيل عند الجمهور دونه . وينقسم أيضا باعتباره إلى مجمل ومفصل : فالأول مالم يذكر وجهه وهو ظاهر يفهمه كل أحد كزيد أسد : أى فى الشجاعة . وخفىّ لايدركه إلا الخواص بالنظر كقول فاطمة الأنمارية فيما رواه المبرد فى الكامل أنها لما سئلت عن بنيها وهم عمارة وربيع وقيس وأنس أيهم أفضل ؟ فقالت عمارة لابل فلان ثم قالت ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لايدرى أين طرفاها : أى هم متناسبون فى الشرف كما أن الحلقة متناسبة الأجزاء فى الصورة بحيث يمتنع تعيين بعضها طرفا وبعضها وسطا ، ثم من المجمل مالم يذكر فيه وصف المشبه ولا المشبه به أى الوصف المشعر بوجه التشبيه ومنه ماذكر فيه وصفهما ومنه ماذكر فيه وصف المشبه به فقط فالأول نحو زيد أسد والثانى كقوله :

صدفت عنه فلم تصدف مواهبه   عنى وعاوده ظنى فلم يخب
كالغيث إن جئته وافاك ريقه   وإن ترحلت عنه لج فى الطلب

وصف المشبه به وهو الغيث بأنه يصيبك جئته أو ترحلت عنه والمشبه وهو الممدوح بالاعطاء حال الطلب وعدمه والاقبال والاعراض . والثالث كقولها هم كالحلقة المفرغة لايدرى أين طرفاها ، أما المفصل فهو ماذكر وصفه كقوله :

وثغره فى صفاء   وأدمعى كاللآلى

وربما يتسامح بذكر مايستلزمه كقولهم للكلام الفصيح هو كالعسل فى الحلاوة فان الجامع لازمها وهو ميل الطبع . وينقسم أيضا باعتباره إلى قريب مبتذل وبعيد غريب ، فالأول ماينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق نظر لظهور وجهه فى بادئ الرأى لكونه أمرا إجماليا فان الجملة أسبق إلى النفس من التفصيل لأن الشئ يدرك إجمالا أولا ، ثم إن أمعن النظر أدرك تفصيله

صالح له كسابقه ، ومنها رعاية الفاصلة كقوله تعالى: ثم الجحيم صلوه .قال [واحكم لمعمولاته بما ذكر والسر فى الترتيب فيها مشتهر]

أقول : حكم بقية معمولات الفعل كالحال والتمييز كالمفعول نحو راكبا جاء زيد فيفيد ذلك قصر المجىء على حالة الركوب وقس الباقى فاذا اجتمعت المعمولات للفعل قدم الفاعل ثم المفعول الأول من باب أعطى لأنه فاعل فى المعنى ثم الثانى فاذا اجتمعت المفاعيل قدم المفعول به ثم المصدر ثم المفعول له ثم ظرف الزمان ثم ظرف المكان ثم المفعول معه إلى آخر ما هو معلوم فى علم النحو قال :

[الباب الخامس
القصر]

تخصيص أمر مطلقا بأمر
هو الذى يدعونه بالقصر
يكون فى الموصوف والأوصاف
وهو حقيقى كما إضافى
لقلب او تعيين او إفراد
كأنما تر فى بالاستعداد]

أقول : القصر معناه لغة الحبس ومنه حور مقصورات فى الخيام . وفى الاصطلاح تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص كتخصيص زيد بالقيام فى قولنا ما قائم إلا زيد وهو قسمان حقيقى و إضافى . فالأول ما كان التخصيص فيه بحسب الحقيقة بحيث لا يتجاوز المقصور ما قصر عليه إلى غيره والثانى ما كان التخصيص فيه بحسب الاضافة إلى شىء آخر ، مثال الأول إنما

أو لكون التفصيل مع غلبة حضور المشبه به فى الذهن مطلقا لتكراره على الحس كتشبيه الشمس بالمرآة المجلوة فى الاستدارة والاستنارة أو عند حضور المشبه لقرب المناسبة كتشبيه الجرة الصغيرة بالكوز فى المقدار والشكل و إنما كان مبتذلا مع أن فيه تفصيلا لمعارضة التكرار والقرب للتفصيل ، والبعيد ما لا ينتقل فيه إلا بعد فكرة ونظر لخفائه وذلك إما لكثرة التفصيل فيه كقوله : * والشمس كالمرآة فى كف الأشل * كما سبق تقريره أو لندور حضور المشبه به إما عند حضور المشبه لبعد المناسبة كما فى تشبيه البنفسج بنار الكبريت أو مطلقا لكونه وهميا كقوله : * ومسنونة زرق كأنياب أغوال * أو مركبا عقليا كما تقدم فى مثل أو مركبا خياليا كما فى تشبيه الشقيق بأعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد ، أو قليل التكرار على الحس كقوله : * والشمس كالمرآة فى كف الأشل * فربما يقضى الرجل دهره ولا يتفق له أن يرى مرآة فى كف أشل فالغرابة فيه من جهة الندور ومن جهة كثرة التفصيل والمراد بالتفصيل أن ينظر فى أكثر من وصف أى اثنين فصاعدا وله وجوه فاعرفها ومن جهة أن تأخذ بعض الأوصاف وتدع بعضا كقوله فى الرمح :

حملت ردينيا كأن سنانه ... سنا لهب لم يتصل بدخان

فاعتبر فى اللهب الشكل واللون واللمعان وترك الاتصال بالدخان ونفاه وأن تعتبر الجميع كما تقدم فى تشبيه الثريا بالعنقود وكلما كان التركيب من أمور أكثر كان التشبيه أبعد من الذهن وأبلغ لغرابته ولأن نيل الشىء بعد طلبه ألذ كقوله تعالى إنما مثل الحياة الدنيا إلى قوله كأن لم تغن بالأمس فانها عشر جمل وقع التركيب من مجموعها بحيث لو سقط منها شىء اختل التشبيه إذ المقصود تشبيه حال الدنيا فى سرعة تقضيها وانقراض نعيمها واغترار الناس بها بحال ماء نزل من السماء وأنبت أنواع العشب وزين بزخرفها وجه الأرض كالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة حتى إذا طمع أهلها فيها ظنوا أنها مسلمة من الجوائح أتاها بأس الله فجأة فكأنها لم تكن بالأمس وقال ابن المعتز :

كأنا وضوء الصبح يستعجل الدجى ... نطير غرابا ذا قوادم جون

شبه ظلام الليل عند انفجار الصبح بغربان لها قوادم بيض ثم جعل قوة ظهور الضوء ودفعه الظلام بكأنه يستعجله ثم راعى معنى الاستعجال فى قوله نطير غرابا لأن الطائر إذا أزعج كان أسرع منه فى الطيران إذا كان على اختيار منه ، وقد يتصرف فى التشبيه القريب بما يجعله غريبا ويخرجه عن الابتذال كذكر شرط ويسمى التشبيه المشروط كقوله :

عزماته مثل النجوم ثواقبا ... لو لم يكن للثاقبات أفول

فتشبيه العزم بالنجم مبتذل إلا أن اشتراط عدم الأفول أخرجه إلى الغرابة ، ومثله قول الآخر .

يكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا ... لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت ... والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

وقوله : لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا ... إلا بوجه ليس فيه حياء

فتشبيه الوجه بالشمس مبتذل إلا أن حديث الحياء وما فيه من الدقة والخفاء أخرجه إلى الغرابة وقوله :

فوالله ما أدرى أزهر خميلة ... بطرسك أم در يلوح على نحر
فان كان زهرا فهو صنع سحابة ... وإن كان درا فهو من لجة البحر

فان تشبيه الخط الحسن بالزهر والدر مبتذل لكن لما قيد الزهر بقوله خميلة وقوله يلوح على نحر ثم

السعادة للمقبولين ومثال الثانى إنما العالم زيد جوابا لمن قال زيد وعمرو عالمان ، وكل منهما قصره موصوف على صفة بأن لا يتجاوزها إلى صفة أخرى ويجوز أن تكون تلك الصفة لموصوف آخر وقصر صفة على موصوف بأن

ضم إليه التعليل بقوله صنع سحابة ولجة البحر خرج إلى الغرابة والحسن ومثله :

إن كان خطك درا   فليس ذاك نكرا
لأن كفك بحر   والبحر يقذف درا

وقال الآخر : وملتفتات فى النقاب كأنما   هززن سيوفا وانتضين خناجرا
سفرن بدورا وانتقبن أهلة   ومسن غصونا والتفتن جآذرا

فان أخذ مع التشبيه معنى كل قيد من القيود زاد حسنا وكمالا . ومما يخرج إلى الحسن الجمع بين عدة تشبيهات كقوله :

أنا من خده وعينيه والثغـــر   ومن ريقه البعيد المرام
بين ورد ونرجس وتلالى   اقحوان وبابلى المدام

[وباعتبار فى الأداة يختزل   مؤكد وما عداه مرسل]

ينقسم التشبيه باعتبار أداته إلى مؤكد وهو ماحذفت فيه الأداة كقوله تعالى وهى تمر مر السحاب أى مثل مر السحاب وقول الشاعر :

والريح تعبث بالغصون وقدجرى   ذهب الأصيل على لجين الماء

والى مرسل وهو مالم تحذف فيه الأداة :

[وباعتبار غرض فان وفى   إفادة كأن يكون أعرفا
بوجهه فى حالة المشبه به   أو بالغ التمام فى ذى سببه
أو حكمه ليس مخاطب جحد   فذاك مقبول وما عداه رد]

ينقسم التشبيه باعتبار الغرض إلى مقبول ومردود فالأول الوافى بافادة الغرض كأن يكون المشبه به أعرف شيء بوجه التشبيه فى بيان حاله أو أتم شيء فيه فى إلحاق الناقص بالكامل أو مسلم الحكم عند المخاطب فى بيان إمكانه أو مساويا له فى بيان قدره والمردود بخلافه مثاله تشبيه الشيء بالمسك فى الرائحة فانه مقبول لأن المسك أعرف الأشياء فيها ولو شبه به فى السواد لكان مردودا لأنه ليس معروفا من هذه الجهة عرفانه من تلك قال عبد الباقى اليمنى فى كتابه اللهم إلا أن يذكر الغرض مصرحا به كقول القائل :

أشبهك المسك وأشبهته   فى لونه قائمة قاعده
لاشك إذ لونكما واحد   أنكما من طينة واحده

غرضه ذكر اللون لأن محبوبته سوداء وعلل ذلك بكونهما من طينة واحدة .

خاتمة

[أعلاه فى القوة حذف وجهه   وآلة أو ذاك مع مشبه
فحذف وجه أو أداة هكذا   وقد خلا عن قوة خلاف ذا]

تقدم أن أركان التشبيه أربعة فالمشبه به مذكور قطعا والمشبه إما مذكور أو محذوف وعلى التقديرين فوجه الشبه إما مذكور أو محذوف وعلى التقادير فالأداة إما مذكورة أو محذوفة فهى ثمان مراتب وأعلاها فى قوة المبالغة ماحذف فيه وجهه وأداته فقط نحو زيد أسد أو مع حذف المشبه نحو أسد فى مقام الاخبار عن زيد ويليه ما حذف الوجه فقط أو الأداة فقط أو مع حذف المشبه وهو معنى

لاتتجاوزه إلى موصوف آخر ويجوز أن يكون لذلك الموصوف صفات أخر والمراد بالصفة هنا المعنوية وهى أعم من النعت النحوى فالأقسام أربعة . مثال الأول من الحقيقى أى قصر الموصوف على الصفة ما زيد إلا كاتب أى لاصفة له غيرها وهو عزيز لايكاد يوجد لتعذر الاحاطة بصفات الشيء حتى يمكن إثبات شيء منها ونفى ماعداه بالكلية . ومثال الثانى منه أى قصر الصفة على الموصوف ما فى الدار إلا زيد وهو كثير ومثال الأول من الاضافى أى قصر الموصوف على الصفة ما زيد إلا كاتب لمن اعتقد اتصافه بالكتابة والشعر . ومثال الثانى منه أى قصر الصفة على الموصوف ما كاتب إلا زيد لمن اعتقد اشتراط زيد وعمرو فى الكتابة ويسمى هذا قصر إفراد وهو تخصيص أمر بأمر دون آخر جوابا لمن اعتقد اشتراكهما فيه وهذا هو القسم الأول من أقسام الاضافى . الثانى قصر القلب ، وهو تخصيص أمر بأمر مكان آخر اعتقد السامع فيه العكس مثاله فى قصر الموصوف ما زيد إلا عالم لمن اعتقد أنه جاهل ومثاله

قولى

فى قصرها ما العالم إلا زيد لمن اعتقد أن العالم عمرو . والثالث قصر التعيين وهو تخصيص أمر بأمر مكان آخر أشكل على السامع تعيين أحدهما مثاله فى قصر الموصوف مازيد إلا قائم لمن تردد فى قيامه وقعوده ومثاله فى قصرها

ماقائم إلازيد لمن تردد فى أن القائم زيد أو عمرو فقوله لقلب صفة للاضافى يعنى أن القصر الاضافى ينقسم إلى ثلاثة أقسام ومثاله صالح لها . قال :

[وأدوات القصر إلا إنما
عطف وتقديم كما تقدما]

أقول : للقصر طرق منها النفى والاستثناء بالا أو بغيرها نحو إن أنت إلا نذير . ومنها إنما لتضمنها معنى ماقبلها نحو إنما زيد عالم ، ومنها العطف نحو جاء زيد لا عمرو ، ومنها تقديم ماحقه التأخير نحو العالم صحبت ومنها غير ذلك كتعريف الطرفين نحو زيد العالم واقتصر المصنف على هذه الأربعة لشهرتها وطرق الحصر مختلفة فى وجوه منها أن التقديم يفيد بالفحوى أى بمفهوم الكلام بمعنى أن الذوق السليم إذا تأمل فيه فهم القصر وإن لم يعرف اصطلاح البلغاء فى ذلك والبواقى تفيده بالوضع لأن الواضع وضعها لمعان تفيد الحصر ، ومنها غير ذلك مما هو فى المطولات قال :

قولى هكذا نحو زيد كالأسد ونحو كالأسد فى مقام الاخبار عن زيد ونحو زيد أسد فى الشجاعة ونحو أسد فى الشجاعة عند الاخبار عن زيد ولا قوة لخلاف ذلك بأن تذكر الأداة والوجه إما مع المشبه أو بدونه نحو زيد كالأسد فى الشجاعة ونحو كالأسد فى الشجاعة خبرا عن زيد لأن القوة إما لعموم وجه الشبه ظاهرا أو لحمل المشبه به على المشبه بأنه هو هو فما اشتمل على الوجهين جميعا فهو غاية القوة وماخلا عنهما فلا قوة له وما اشتمل على أحدهما فقط فهو متوسط .

فائدة . الحاصل من أنواع التشبيه السابقة : ملفوف ومفروق وتسوية وجمع وتمثيل وتفضيل ومؤكد ومشروط ومقلوب وفى روضة الفصاحة التشبيه سبعة : معلق ومشروط وتفضيل ومؤكد وعكس وإضمار وتسوية وفسر التفضيل بأن تشبه شيئا بشىء ثم تفضله عليه كقوله :

حسبت جماله بدرا منيرا ... وأين البدر من ذاك الجمال

قال الشيخ بهاء الدين وفيه نظر بل فيه رجوع عن التشبيه وسيأتى فى البديع وفسر العكس بأن يشبه كلا من الشيئين بالآخر كقوله :

رق الزجاج وراقت الخمر ... فتشابها وتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح ... وكأنما قدح ولا خمر

وفسر الإضمار بأن يذكر قضية ويذكر بعدها أخرى لارتباط لها بها دون إضمار التشبيه فيكون مضمرا مقصودا كقوله :

وأخصب آمالى بفيض يمينه ... وهل تجدب الآفاق والغيث هطال

الحقيقة والمجاز

[الأول الكلمة المستعمله ... فى الاصطلاح فى الذى توضع له
وغيره مع قرينة على ... وجه يصح وإرادة جلا
عدمها فهو المجاز المفرد ... فالزم علاقة وكل عدد
يعزى لعرف ولشرع ولغه ... والعرف عم أو نخص مبلغه
كدابة الأربع والانسان ... والفعل للفظ والحدثان
كذا الصلاة للسجود والدعا ... وأسد لسبع والشجعا
ومن يزد تحقيقا او تأويلا ... فى الحد زاد فيهما تطويلا]

هذا هو القصد الثانى من علم البيان والمقصود المجاز وذكر الحقيقة لأنها أصله . فالحقيقة الكلمة المستعملة فى معنى وضعت له فى اصطلاح التخاطب ، نخرج بالمستعملة المهملة وبما بعده الغلط والمجاز وبقولنا فى اصطلاح التخاطب المجاز المستعمل فيما وضع له فى اصطلاح آخر غير الذى يقع به التخاطب كالصلاة إذا استعملها المخاطب بعرف الشرع فى الدعاء فانها تكون مجازا لاستعمالها فى غير ماوضع له شرعا وإن وضع له لغة ، والمجاز مفرد ومركب ، فالأول الكلمة المستعملة فى غير ماوضعت له فى اصطلاح التخاطب على وجه تصح معه قرينة عدم إرادته فقولى وغيره بالجر أى والمستعملة فى غير الذى وضعت له فى الاصطلاح الخ نخرج المهملة فليست حقيقة ولامجازا والحقيقة وماله معنى آخر باصطلاح آخر كالصلاة فى العبادة والغلط لأنه ليس على وجه يصح ، والكناية لفقد قرينة عدم

[الباب السادس فى الانشاء]

[مالم يكن محتملا للصدق * والكذب الانشا ككن بالحق] أقول : الانشاء مركب لايحتمل الصدق والكذب كاستقم

فما الواقعة على المركب جنس ولم يكن الخ فصل مخرج للخبر ، وهو مااحتمل الصدق والكذب لذاته كالخبر فى الاستقامة فقوله كن بالحق مثال بعد تمام التعريف والحق اسم من أسمائه تعالى ومعناه الثابت الذى لايعتريه زوال أى كن بمولاك فى جميع حركاتك وسكناتك لعلك تنتظم فى سلك المقبولين . قال :

[والطلب استدعاء مالم يحصل
أقسامه كثيرة ستنجلى
أمر ونهى ودعاء وندا
تمن استفهام أعطيت الهدى]

أقول : قسم الانشاء إلى طلب وإلى غيره فالطلب استدعاء غير حاصل أى طلب حصول غير حاصل وقت الطلب لأن طلب حصول الحاصل محال كالأمر والنهى وغير الطلب إنشاء ليس فيه استدعاء حصول كأفعال المدح والذم نحو نعم و بئس والمقصود هنا الأول وأقسامه كثيرة ذكر المصنف منها ستة . الأول الأمر وهو طلب الفعل نحو أقيموا الصلاة . الثانى النهى وهو طلب الكف عن الفعل نحو ولاتقربوا الزنا . الثالث الدعاء وهو طلب الفعل مع التذلل والخضوع نحو: ربنا اغفرلنا . الرابع النداء وهو طلب الاقبال بحرف نائب مناب أدعو نحو ياغياث المستغيثين . الخامس التمنى وهو طلب المحبوب ولومحالا نحو ليت الشباب يعود . السادس الاستفهام وهوطلب حصول مافى الخارج فى الذهن فيشمل التصور والتصديق وستأتى أدواته واختلاف

الارادة ، وزاد السكاكى فى حد الحقيقة والمجاز لفظ التأويل والتحقيق فقال : الحقيقة الكلمة المستعملة فيما وضعت له من غير تأويل ، والمجاز الكلمة المستعملة فى غير ماوضعت له بالتحقيق وأتى بذلك ليخرج من الأول الاستعارة ويدخلها فى الثانى بناء على أنها مجاز لغوى لأنها مستعملة فيما وضعت له لكن بالتأويل ، وهو ادّعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به بجعل أفراده قسمين متعارفا وغيرمتعارف بالتحقيق وردّ بأن لفظ الوضع إذا أطلق لايتناول الوضع بتأويل فلا حاجة إلى زيادة فى الحد لأنه تطويل والحدود تصان عن التطويلات وهذا معنى قولى ومن يزد تحقيقا الخ وهو مذكور فى التلخيص فى أواخر الباب فى فصل عقده لمناقشات مع السكاكى ولابد للمجاز من العلاقة ليخرج الغلط ، وكل من الحقيقة والمجاز ينقسم إلى لغوى وشرعى وعرفى خاص متعين ناقله كالنحوى والصرفى وعرفى عام . فالأول كالأسد للسبع حقيقة لغوية والشجاع مجازا لغويا . والثانى كالصلاة للعبادة المخصوصة حقيقة شرعية والدعاء مجازا شرعيا . والثالث كالفعل للفظ المخصوص حقيقة عرفية خاصة أى نحوية ومطلق الحدث مجازا نحويا . والرابع حقيقة عرفية عامة والانسان مجازا عرفيا عاما .

[ثم المجاز المرسل العلاقة لا شبه وغيره استعارة
وغالبا يطلق فى استعمال سم مشبه به لمشبه رسم
فالطرفان المستعار منه له والمستعار اللفظ ثم المرسله
كاليد فى القدرة والتسمية بالكل أو بالجزء أو بالآلة
أو سبب مسبب حال محل مجاور آل له عنه انتقل]

المجاز أقسام عقلى وتقدم فى المعانى وتغييرى وسيأتى فى خاتمة هذا الباب وخال عن الفائدة وذكره فى الايضاح والتبيان كاطلاق المقيد على المطلق كاستعمال المرسن فى أنف إنسان مجازا ، وهوموضوع لمعنى الأنف مع قيد أن يكون مرسونا ومرسل واستعارة ، فالمرسل ماعلاقته المصححة له غير المشابهة والاستعارة ماعلاقته المشابهة ، فهى اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلى لعلاقة المشابهة كأسد فى قولنا رأيت أسدا يرمى ، وكثيرا ماتطلق الاستعارة على فعل المتكلم : أى استعمال اسم المشبه به فى المشبه و يكون حينئذ بمعنى المصدر والطرفان حينئذ أى المشبه به والمشبه مستعار منه ومستعار له واللفظ أى لفظ المشبه به مستعار ومثال المرسل كاليد فى النعمة والقدرة وأصلها الجارحة أطلقت عليهما لأن النعمة منها تصدر والقدرة بها تكون ، ومن استعمالها فى النعمة حديث الصحيحين أسرعكن لحوقا بى أطولكن يدا : أى أكثركن عطاء ، ومنه فى القدرة كقوله يدالله فوق أيديهم ، وكاستعمال الجزء فى الكل إذا كان له مزيد اختصاص بالمعنى الذى قصد بالكل كاطلاق العين على الربيئة أى الرقيب وهى جزؤه ومثل له فى الايضاح بقوله تعالى: قم الليل فأطلق القيام وهو جزء الصلاة عليها لأنه أظهر أركانها ، وعكسه أعنى استعمال الكل فى الجزء كالأصابع فى الأنامل من قوله تعالى ـ يجعلون أصابعهم فى آذانهم ـ وكحديث مسلم «قسمت الصلاة بينى و بين عبدى نصفين» أى الفاتحة وتسمية الشئ باسم آلته نحو واجعل لى لسان صدق فى الآخرين أى ثناء حسنا واللسان آلته أو سببه نحو رعينا الغيث أى النبات الذى سببه الغيث أومسببه نحو أمطرت السماء نباتا أوحاله أى مايحل فى ذلك الشئ نحو : وأماالذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله

معانيها وأعطيت الهدى تكملة للبيت قصد بها الدعاء . قال [واستعملوا كليت لو وهل لعل وحرف تحضيض والاستفهام هل

أىّ متى أيان أين من وما وكيف أنى كم وهمزعلما والهمز للتصديق والتصور

وبالذى يليه معناه حر وهل لتصديق بعكس ماغبر ولفظ الاستفهام ربما عبر لأمر استبطاء اوتقرير تعجب تهكم تحقير تنبيه استبعاد اوترهيب إنكار ذى توبيخ او تكذيب] أقول: يستعمل فى التمنى مجازا ألفاظ ، منها لو كقوله تعالى - فلوأن لنا كرة فنكون من المؤمنين - بنصب نكون بأن مضمرة جوابا للو المضمنة معنى التمنى . ومنها هل نحو فهل لنا من شفعاء للجزم بانتفاء الشفعاء والاستفهام يقتضى الجهل بالحلم. ومنها لعل نحو لعلى أسافر فأزور الحبيب بنصب فأزور لما تقدم. ومنها حروف التحضيض نحو هلا أكرمت زيدا على معنى التمنى وقوله والاستفهام هل شروع فى أدوات الاستفهام وما يطلب بها فذكر إحدى عشرة أداة الهمزة وهل حرفان و بقية الأدوات أسماء وهى ثلاثة أقسام : مايطلب

أى فى الجنة التى تحل فيها الرحمة أو محله أى مايحلّ فيه ذلك الشىء نحو: فليدع ناديه أى أهل ناديه الحالّ فيه وهو المجلس أو مجاوره كاطلاق الراوية على المزادة وهى للبعير أو مايئول إليه نحو- إنى أرانى أعصر خمرا- أى عصيرا يئول إلى الخمر أوما كان عليه نحو : وآتوا اليتامى أموالهم أى الذين كانوا يتامى إذ لايتم بعد البلوغ فهذه عشر علاقات وذكرت علاقات أخر ترجع إليها :

[والاستعارة فتحقيقية وهى مجاز لغوىّ أثبتوا
إن حقق المعنى بها فى الحس أو عقلى ومن جعلها عقلا أبوا
من كذب تماز بالتأويل ثم إن لم تشب وصفا فلاتأتى علم
واشرط لها قرينة فواحدا كأسد يرمى ترى فصاعدا
كإن تعافوا العدل والإيمانا فان فى أيماننا نيرانا]

الاستعارة لها أقسام باعتبارات وتقدم على ذلك أن الأصح أنها مجاز لغوى لأنها موضوعة للمشبه به لاللمشبه ولالأعم منهما فأسد فى قولك رأيت أسدا يرمى موضوع للسبع لاللشجاع ولالمعنى أعم منهما كالحيوان الجرىء مثلا ليكون إطلاقه عليهما حقيقة كاطلاق الحيوان عليهما وهذا معلوم بالنقل عن أئمة اللغة قطعا فاطلاقه على الشجاع إطلاق على غير ماوضع له مع قرينة مانعة عن إرادة ماوضع له ، وقيل مجاز عقلى بمعنى أن التصرف فيها فى أمر عقلى لالغوى لأنها لا تطلق على المشبه إلا بعد ادّعاء دخوله فى جنس المشبه به فكان استعمالها فيما وضعت له فتكون حقيقة لغوية ليس فيها غير نقل الاسم وحده وليس نقل الاسم المجرّد استعارة لأنه لابلاغة فيه بدليل الأعلام المنقولة فلم يبق إلا أن تكون مجازا عقليا وردّ بأن هذا الادّعاء لايقتضى كونها مستعملة فيما وضعت له للعلم بأن أسدا فى قولنا رأيت أسدا يرمى مستعمل فى الرجل الشجاع والموضوع له هو السبع فقولى وهى مجاز الخ معترض وقولى إن حقق الخ معترض بينه و بين قولى من جعلها عقلا أبوا . ثم إن الاستعارة قد تقيد بالتحقيقية ، وهى ماتحقق معناها حسا أو عقلا، فالأول كقولك رأيت أسدا يرمى فان أسدا هنا تحقيقية لأن معناه وهو الرجل الشجاع أمر محقق حسى ، والثانى نحو أبديت نورا أى حجة فان الحجة عقلية لاحسية فانها تدرك بالعقل ومنه - اهدنا الصراط المستقيم - أى الدين الحق وهو أمر محقق عقلا وأصله الطريق الجادة فالاستعارة ماتضمن تشبيه معناه بما وضع له وتفارق الكذب بالتأويل ونصب القرينة على إرادة خلاف الظاهر والقرينة إما أمر واحد كقولك رأيت أسدا يرمى أو أكثر كقول بعض العرب :

فان تعافوا العدل والإيمانا فان فى أيماننا نيرانا

أى سيوفا تلمع كشعل النيران فتعلق قوله تعافوا بكل واحد من العدل والأيمان قرينة على أن المراد بالنيران السيوف لدلالته على أن جواب هذا الشرط تحاربون وتلجئون إلى الطاعة بالسيوف وقد يستدل بمعان ملتئمة أى مرتبطة بعضها ببعض يكون الجميع قرينة لا كل واحد وهو معنى قولى فى أول الأبيات الآتية * أو يستدل بمعان تلتئم * كقوله :

وصاعقة من نصله ينكفى بها على أرؤس الأقران خمس سحائب

استعار السحاب لأنامله وجعل القرينة صاعقة من نصل سيفه على رءوس الأقران ثم عدد الأنامل ولا تكون الاستعارة علما لأنها تقتضى إدخال المشبه فى جنس المشبه به بجعل أفراده قسمين

به التصور فقط وهو ماعدا الحرفين نحو مازيد. ومايطلب به التصديق فقط وهو هل نحو هل زيد قائم ولا يجوز هل زيد قائم أم عمرو ومايطلب به التصور والتصديق وهو الهمزة ولذلك كانت أمّ أدوات الاستفهام نحو أدبس فى الاناء أم عسل فى تصور المسند

إليه أو فى الدار زيد أم فى المسجد فى تصور المسند ونحو أقام زيد والمطلوب بها ما يليها كالفعل فى أفهمت العلم والفاعل فى نحو أنت عممات به والمفعول فى نحو أرضاه الله طلبت فقوله و بالذى يليه متعلق بحر : أى معنى الهمز وهو الاستفهام

متعارفا وغير متعارف ولا يمكن ذلك فى العلم لأنه يقتضى التشخيص ومنع الاشتراك وهو ينافى الجنسية لاقتضائها العموم وتناول الأفراد ، فان تضمنت نوع وصفية كحاتم علم يتضمن الوصف بالجود ومادر بالبخل وسحبان بالفصاحة جاز أن يشبه شخص بها فيتأول فيها الوضع للجود والبخل والفصاحة سواء فى ذلك الرجل المعهود أو غيره :

[أو يستدل بمعان تلتئم | وباعتبار الطرفين تنقسم
إلى الوفاقية أن يجتمعا | فى ممكن وذى العناد امتنعا
ومابضد والنقيض استعملا | ذات تهكم وتمليح حلا]

تنقسم الاستعارة باعتبار الطرفين إلى وفاقية بأن يكون اجتماعهما فى شئ ممكنا نحو ـ أومن كان ميتا فأحييناه : أى ضالا فهديناه استعار الإحياء من جعل الشئ حيا للهداية التى هى الدلالة على مايوصل إلى المطلوب والاحياء والهداية مما يمكن اجتماعهما فى شئ وعنادية وهى مالا يمكن اجتماعهما فى شئ كاستعارة اسم المعدوم للموجود لعدم نفعه : أى نفع ذلك الوجود كالمعدوم وعكسه أعنى استعارة الوجود لمن عدم وفقد و بقيت آثاره الجليلة التى تحيى ذكره واجتماع الوجود والعدم فى شئ واحد ممتنع ومن العنادية التهكمية والتمليحية وهما ما استعمل فى ضد أو نقيض نحو : فبشرهم بعذاب أليم أى أنذرهم استعيرت البشارة وهى الإخبار بما يسر للانذار الذى هو ضده بادخال الانذار فى جنس البشارة على سبيل التهكم والاستهزاء وكقولك رأيت أسدا وأنت تريد جبانا على سبيل التمليح والظرافة .

[وباعتبار جامع قسمين | فداخل أو ليس فى الطرفين
وإن خفى غريبة وإن بدا | عامية إلا بتصريف شدا]

تنقسم الاستعارة باعتبار الجامع : أى ماقصد اشتراك الطرفين فيه إلى ماهو داخل فى مفهوم الطرفين كحديث « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله كلما سمع هيعة أو فزعة طار على متن فرسه فالتمس القتل والموت » رواه مسلم من حديث أبى هريرة الهيعة الصياح الذى يفزع منه استعار الطيران للعدو والجامع بين العدو والطيران قطع المسافة بسرعة وهو داخل فيهما إلا أنه فى الطيران قوى وما هو غير داخل كاستعارة الأسد للرجل الشجاع لأن الشجاعة عارض للأسد لا داخل فى مفهومه . وتنقسم أيضا باعتباره إلى عامية مبتذلة وهو مايظهر الجامع فيها نحو رأيت أسدا يرمى وخاصية غريبة ، وهى مالا يظهر إلا بدقة كقوله يصف فرسا بأنه مؤدب :

* وإذا احتبى قربوسه بعنانه * شبه هيئة وقوع العنان فى موقعه من قربوس السرج أى مقدمه ممتدا إلى جانبى فم الفرس بهيئة وقوع الثوب موقعه من ركبة المحتبى ممتدا إلى جانب ظهره ثم استعار الاحتباء وهو أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بثوب لوقوع العنان فى قربوس السرج فجاءت الاستعارة غريبة ، وقد يتصرف فى العامية بما يجعلها غريبة كقوله :

* وسالت بأعناق المطى الأباطح * استعار سيلان السيول الواقعة فى الأباطح لسير الابل سيرا حثيثا فى غاية السرعة المشتمل على لين وسلاسة وأصل تشبيه السير السريع بالسيل معروف ظاهر وإنما حسنه إسناد الفعل إلى الأباطح دون المطى وأعناقها حتى أفاد أن الأباطح امتلأت من الابل .

[وباعتبار ذى الثلاث ستة | أول هذى كلها حسية

حقيق بما يليه الهمز وهو كغيرها من الأدوات وقوله بعكس ماغبر أى بقى . معناه أن ما بقى من الأدوات لطلب التصور فقط عكس هل التى هى لطلب التصديق فقط ثم إن لفظ الاستفهام قد يستعمل فى الأمر نحو قوله تعالى ـ ءأسلمتم ـ أى أسلموا وكذا تقول لمن تأمره بشئ هل امتثلت أى امتثل فقوله وبما عبر أى تجاوز معناه الأصلى إلى الأمر وما عطف عليه وفى الاستبطاء نحو كم دعوتك وفى التقرير أى حمل المخاطب على الاقرار بما استقر عنده ثبوته أو نفيه نحو ءأنت فعلت هذا بآلهتنا وفى التعجب نحو مالى لا أرى الهدهد وفى التهكم نحو أصلاتك تأمرك وفى التحقير نحو من أنت لمن تحقر شأنه وفى التنبيه على الضلال نحو : فأين تذهبون وفى الاستبعاد نحو أنى لهم الذكرى وفى الترهيب أى التخويف نحو : ألم نهلك الاولين ، وفى الانكار التوبيخى وهو الذى يقتضى أن مابعده واقع أو أن فاعله ملوم نحو: أتعبدون ماتنحتون والابطالى وهو ما اقتضى أن مابعده غير واقع وأن مدعيه كاذب نحو أفأصفاكم ربكم

بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا وهو المشار إليه بتكذيب. قال: [وقد يجى أمر ونهى وندا * فى غير معناه لأمر قصدا
وصيغة الإخبار تأتى للطلب * لفأل اوحرص وحمل وأدب] أقول: قد يخرج الأمر والنهى والدعاء عن معانيها الأصلية لنكتة أما الأمر فقد يأتى لمعان كثيرة. منها الاباحة نحو: كلوا مما رزقكم الله وأما النهى فانه يأتى لمعان كثيرة أيضا، منها قصد الامتثال كقولك لمن عصى أمرك لاتعص أمرى أى امتثله. وأما النداء فيأتى لمعان أيضا، منها الاغراء كقولك لمن تظلم إليك يامظلوم تريد إغراءه على زيادة التظلم ثم إن صيغة الخبر قد يقصد منها الطلب لنكتة كالتفاؤل نحو وفقنا الله لما فيه رضاه وإظهار الحرص فى وقوعه كقولك لمن استبطأك أتيتك والتصديق كقولك لمن لايحب تكذيبك تأتينا غدا فتحمله على المجىء باطف لاعتيادك تصديقه إياك والتأدب مع المخاطب بترك صيغة الأمر نحو أمير المؤمنين يقضى حاجتى ثم إن كثيرا من الاعتبارات المذكورة فى الأبواب السابقة تجرى فى الإنشاء كالتقديم والتأخير والقصر فقسها عليها. قال: [الباب السابع الفصل والوصل]

[الفصل ترك عطف جملة أتت * من بعدأخرى عكس وصل قدثبت] أقول: الفصل لغة القطع، وفى الاصطلاح: ترك عطف

أوجامع عقلى أو قد اختلف	أو غير حسى بفرعه الطرف
كمثل عجلا نسلخ المطلعه	شمس ومن مرقدنا للأربعه
فاصدع بما تؤمر لمختلف	كذا طغى الماء بعكسه يفى]

تنقسم الاستعارة باعتبار الثلاثة: المستعار منه وله والجامع ستة أقسام، لأنهما إماحسيان أوعقليان أو المستعار منه حسى والمستعار له عقلى أو بالعكس، فهى أربعة والجامع فى الثلاثة الأخيرة عقلى لاغير لماتقدم فى التشبيه، وفى الأول إماحسى أوعقلى أومختلف، فالأول كقوله تعالى: فأخرج لهم عجلاجسدا له خوار فالمستعارمنه ولد البقرة والمستعارله الحيوان الذى خلقه الله تعالى من حلى القبط والجامع الشكل، فان ذلك الحيوان كان على شكل ولد البقرة والجميع حسى مدرك بالبصر. والثانى كقوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فان المستعار منه معنى السالخ الذى هو كشط الجلد عن الشاة مثلا والمستعار له كشف الضوء عن مكان الليل وهما حسيان والجامع مايعقل من ترتب أمر على آخر وحصوله عقب حصوله كترتب ظهور اللحم على الكشط وظهور الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل والترتب أمر عقلى، وبيان ذلك أن الظلمة هى الأصل والنورطارىء عليها يسترها بضوئه فاذا غربت الشمس فقد سلخ النهار من الليل أى كشط وأزيل عنه كما يكشط الشىء عن الشىء الطارىء عليه الساتر له فجعل ظهور الظلمة بعد ذهاب ضوء النهار بمنزلة ظهور المسلوخ بعد سلخ إهابه عنه. والثالث نحو رأيت شمسا أى إنسانا كالشمس فى حسن الطلعة وهى حسى ونباهة الشأن وهى عقلية فالطرفان حسيان وكذا بعض الجامع وبعضه عقلى. والرابع نحو: من بعثنا من مرقدنا المستعار منه الرقاد أى النوم والمستعار له الموت والجامع عدم ظهور الفعل والكل عقلى. والخامس نحو: فاصدع بما تؤمر المستعار منه كسر الزجاجة وهوحسى والمستعار له التبليغ والجامع التأثير وهما عقليان. والسادس نحو: إنا لما طغى الماء المستعار له كثرة الماء، وهو حسى والمستعار منه التكبر والجامع الاستعلاء وهما عقليان:

[وباعتبار اللفظ فاسم الجنس	أصلية كأسد وحبس
وتبعية سواه فالذى	فى الفعل والمشتق للأصل خذ
وما يكون شبها فى الحرف	فذو تعلق به فقل فى
نطقت الحالة للدلالة	بالنطق أو ناطقة ذى الحالة
والدور فى قرينة المذكور	لفاعل المفعول والمجرور]

تنقسم الاستعارة باعتبار اللفظ إلى أصلية وهى ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس كاستعارة أسد للرجل الشجاع وحبس للمنع من الشىء، وتبعية بأن لا يكون اسم جنس كالفعل والمشتق منه وهو اسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة وغير ذلك والحرف ووجه التسمية أن الاستعارة مبناها على التشبيه وهو وصف والأصل فيما يوصف الحقائق والذوات دون معانى الأفعال والصفات ودون الحروف فاذا وقعت فيها فالتشبيه فى الأفعال والصفات بمعنى المصدر وفى معانى الحروف بمتعلق معناها قال السكاكى والطيبى والمراد بمتعلقات معانى الحروف مايعبر بها عنها عند تفسير معانيها كقولنا من معناها ابتداء الغاية وفى معناها الظرفية فقولك نطقت الحال بكذا أو الحال ناطقة بكذا التشبيه فيه للنطق بجعل دلالة الحال مشبها ونطق الناطق مشبها به ووجه التشبيه إيضاح

جملة على أخرى، والوصل لغة الجمع وفى الاصطلاح عطف بعض الجمل على بعض مثال الأول عمرا أهنته زيدا ضربته ومثال الثانى زيد قائم وعمرو جالس وهذا الباب أغمض أبواب المعانى حتى قيل لبعضهم ما البلاغة ؟ فقال معرفة الفصل والوصل. قال: [فافصل لدى التوكيد والابدال لنكتة ونية السؤال وعدم التشريك فى حكم جرى أواختلاف طلبا أو خبرا وفقد جامع ومع إيهام عطف سوى المقصود فى الكلام] أقول: يجب الفصل فى مواضع: منها أن تنزل الجملة الثانية من الأولى منزلة التوكيد المعنوى فى إفادة التقرير مع اختلاف المعنى أو اللفظى فى إفادة التقرير مع اتحاد المعنى مثال الأول لا ريب فيه بالنسبة إلى ذلك الكتاب إذا جعل كل منهما جملة مستقلة فهى بمنزلة نفسه من جاء زيد نفسه ومثال الثانى جاء زيد هو الصوفى أى الصافى من دنىء الأوصاف فهى بمنزلة زيد الثانى من جاء زيد زيد. ومنها أن تكون الثانية بمنزلة البدل من الأولى لنكتة ككون المراد لطيفا أو مطلوبا فى نفسه فتنزل الثانية منزلة البدل المطابق نحو: فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم ففصل جملة قال لأنها بمنزلة البدل المطابق من وسوس، والنكتة فى الابدال لطافة المراد ودقته أو منزلة بدل البعض نحو أمدكم بما تعلمون

المعنى و إيصاله للذهن ثم استعير للدلالة لفظ النطق ثم اشتق من النطق المستعار الفعل والوصف فالاستعارة فى المصدر أصلية وفيهما تبعية وقوله تعالى: فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا شبه ترتب العداوة والحزن على الالتقاط بترتب علته الغائية عليه ثم استعمل فى المشبه اللام الموضوعة للمشبه به أعنى ترتب علة الالتقاط الغائية عليه فجرت الاستعارة أولا فى العلية والغرضية وتبعيتها فى اللام فصار حكمها حكم الأسد حيث استعيرت لما يشبه العلية وصار متعلق معنى اللام هو العلية والغرضية ومثله: لدوا للموت وابنوا للخراب، شبه ترتب الموت على الولادة والخراب على البناء بترتب علته الغائية عليه على حد ما ذكر، وقرينة التبعية فى الأفعال والصفات تعود تارة إلى الفاعل كما فى نطقت الحال أو الحال ناطقة بكذا لأن النطق الحقيقى لا يسند إلى الحال وتارة إلى المفعول كقول ابن المعتز:

جمع الحق لنا فى إمام ... قتل البخل وأحيا السماحا

أى أزال البخل وأظهر السماح والقتل والإحياء الحقيقيان لا يتعلقان بهما والقرينة جعلهما مفعولين. والثانى كقول كعب:

نقريهم لهذميات نقد بها ... ما كان خاط عليهم كل زرّاد

اللهذميات الطعنات بالأسنة وهو قرينة على أن نقريهم استعارة وهو مفعول ثان والزرّاد ناسج الدروع، أو الأول والثانى معا كقول الحريرى:

واقرى المسامع إما نطقت ... بيانا يقود الحرون الشموسا

وتارة إلى المجرور نحو فبشرهم بعذاب أليم فقوله بعذاب قرينة على أن بشر استعارة وتارة إلى الجميع الفاعل والمفعول الأول والثانى والمجرور بمعنى أن كلا منها قرينة مستقلة كقوله:

تقرى الرياح رياض الحزن مزهرة ... إذا سرى النوم فى الأجفان إيقاظا

فائدة: كثر الاستشهاد فى فنون متعددة بقولهم لدوا للموت وابنوا للخراب وهذا اللفظ رواه البيهقى فى الشعب عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم «إن ملكا بباب السماء ينادى كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب» وروى أيضا عن ابن الزبير مرفوعا «ما من صباح يصبح على العباد إلا وصارخ يصرخ لدوا للموت واجمعوا للفناء وابنوا للخراب» وروى أبو نعيم فى الحلية عن أبى ذر أنه قال «تلدون للموت وتبنون للخراب» وفيها عن مجاهد أوحى الله تعالى إلى آدم لد للفناء وابن للخراب وروى أحمد فى الزهد عن عبد الواحد بن زياد قال قال عيسى ابن مريم «يا بنى آدم لدوا للموت وابنوا للخراب» وروى الثعلبى فى تفسيره عن كعب قال صاح ورشان عند سليمان بن داود فقال أتدرون ما يقول ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول لدوا للموت وابنوا للخراب:

[وباعتبار آخر مطلقة ... إن لم يقارن فرع أو صفة
وإن بما لاءم ماله استعير ... تجريدا ومنه فترشيحا يصير
وربما يجتمعان والأجل ... موشح ثمت مبناه حصل
على تناسى شبه فيدعى ... المنع واستواء طرفيه معا]

تنقسم الاستعارة باعتبار آخر غير طرفين والجامع واللفظ إلى ثلاثة أقسام. مطلقة، وهى ما لم تقرن بصفة ولا تفريع والمراد بالصفة المعنوية لا النعت النحوى الذى هو أحد التوابع نحو عندى أسد

ومجردة

وبجردة ، وهى ماقرن بما يلائم المستعار له كقوله :

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا　　غلقت بضحكته رقاب المال

أى كثير العطاء استعار الرداء له لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء مايلقى عليه ثم وصفه بالغمر الذى يناسب العطاء تجريدا للاستعارة والقرينة مابعده ، ومرشحة وهى ماقرن بما يلائم المستعار منه نحو ـ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم ـ استعير الاشتراء للاستبدال والاختيار ثم فرع عليها مايلائم الاشتراء من الربح والتجارة وقوله صلى الله عليه وسلم «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلايسق ماءه زرع غيره» رواه الترمذى استعير الزرع للحمل وقرن بما يلائمه وهو السقى بالماء ، وقد يجتمع التجريد والترشيح وهو قسم رابع كما نبه عليه الشيخ بهاء الدين كقوله :

لدى أسد شاكى السلاح مقذف　　له لبد أظفاره لم تقلم

فقوله شاكى السلاح تجريد لأنه وصف بمايلائم المستعار له وهو الشجاع ومابعده ترشيح لأنه يلائم المستعار منه وهو الأسد الحقيق والترشيح أبلغ من الاطلاق ومن التجريد ومن جمع التجريد والترشيح كذا قاله الشيخ سعد الدين واقتصر الشيخ بهاء الدين على الثانى لاشتماله على تحقيق المبالغة فى التشبيه لأن الاستعارة مبالغة فيه وترشيحها بما يلائم المستعار منه تحقيق لذلك وتقوية له ومبنى الترشيح على تناسى التشبيه وادعاء أن المستعار له نفس المستعار منه لاشىء يشبه به ولذلك يبنى على علو القدر مايبنى على علو المكان فى قول أبى تمام مدحا :

ويصعد حتى يظن الجهول　　بأن له حاجة فى السماء

استعار الصعود لعلو القدر والارتقاء فى مدارج الكمال ثم بنى عليه مايبنى على علو المكان والارتقاء إلى السماء من ظن الجهول أن له حاجة فى السماء ومثله قول ابن الرومى :

شافهتم البدر بالسؤال عن الـ　　أمر إلى أن بلغتم زحلا

وقول بشار :

أتتنى الشمس زائرة　　ولم تك تبرح الفلكا

وصح التعجب فى قول ابن العميد :

قامت تظللنى من الشمس　　نفس أعز على من نفسى
قامت تظللنى ومن عجب　　شمس تظللنى من الشمس

والنهى عنه فى قول الآخر :

لا تعجبوا من بلى غلالته　　قد زر أزراره على القمر
[أما المركب فما يستعمل　　فيما بمعنى الأصل قد يمثل
مبالغا وسمى التمثيلا　　مطلقا أوسالكا السبيلا
فان فشا كذاك لاستعمال　　فمثل تغييره محال
والمستعار منه فى كليهما　　لدى تحقق وفرض قسما]

المجاز المركب هو اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلى تشبيه تمثيل بأن يكون وجهه منتزعا من متعدد للمبالغة فى التشبيه كأن يقال للمتردد فى أمر إنى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى شبه صورة

فلا تقيمن بدل من ارحل بدل اشتمال والنكتة كالذى قبله وإنما وجب الفصل فى التوكيد والإبدال لأن الوصل يقتضى التغاير، وليس موجودا فيهما. ومنها نيابة السؤال أى تقديره من الجملة السابقة نحو ـ ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا إنهم مغرقون ـ فجملة النهى تقتضى سؤالا من شأن المنهى أن يسأل عنه فيقال لم لا أخاطبك فى شأنهم ووجب الفصل لصيرورة الجملة الثانية كالمقطوعة عماقبلها بسبب كونها جوابا لذلك السؤال المقدر. ومنها عدم اشتراك الثانية مع الأولى فى الحكم نحو ـ وإذا خلوا إلى شياطينهم ـ إلى ـ الله يستهزئ بهم ـ لم تعطف جملة الله يستهزئ بهم على قوله إنا معكم لعدم اشتراكهما فى الحكم إذ ليست الثانية من مقولهم ، ومنها اختلاف الجملتين فى الخبرية والانشائية بأن تكون إحداهما
إنشائية والأخرى خبرية نحو * وقال رائدهم أرسوا نزاولها * وما أجازه النحويون من عطف الإخبار على الإنشاء
وعكسه مستدلين بآيات أجاب عنها البيانيون باتفاقهما معنى . ومنها أن

لا يكون بين الجملتين جامع عقلى أو وهمى أو خيالى فلا تقول زيد عالم وعمرو قائم لعدم الجامع بخلاف زيد عالم وعمرو جاهل
ونعم اليأس من الخلق و بئس الطمع فيهم وسيأتى ذلك . ومنها إيهام العطف خلاف المقصود نحو :

وتظنّ سلمى أننى أبغى بها
بدلا أراها فى الضلال تهيم
لم يعطف أراها على تظنّ مع أن بينهما مناسبة فى المسند والمسند إليه لئلا يتوهم عطفه على أبغى فيكون من مظنونات سلمى وهو خلاف المقصود إذ المقصود أنه يظنها كذلك . قال :
[وصل لذى التشريك فى الاعراب
وقصد رفع اللبس فى الجواب
وفى اتفاق مع الاتصال
فى عقل او فى وهم اوخيال]
أقول : ذكر فى هذين البيتين مقتضيات الوصل . منها أن يكون للأولى محل من الاعراب كأن تكون خبرا و يقصد تشريك الثانية لها فى حكم ذلك الاعراب نحو زيد قام أبوه وقعد أخوه . ومنها القصد لرفع إيهام خلاف المراد من الجواب كما إذا قيل لك هل قام زيد وقلت لا

تردّده فى ذلك الأمر بصورة تردّد من قام ليذهب فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلا وتارة لايريد فيؤخر أخرى فاستعمل فى الصورة الأولى الكلام الدال على الصورة الثانية ووجه التشبيه وهو الإقدام تارة والاحجام أخرى منتزع من عدة أمور ويسمى هذا المجاز التمثيل على سبيل الاستعارة والتمثيل مطلقا بدون قولنا على سبيل الاستعارة ومتى فشا استعمال المجاز المركب على سبيل الاستعارة سمى مثلا ولأجل كون المثل تمثيلا فشا استعماله على سبيل الاستعارة لاتغير الأمثال لأن الاستعارة يجب أن تكون لفظ المشبه به المستعمل فى المشبه فلو غير المثل لما كان لفظ المشبه به فلا يكون استعارة فلا يكون تمثيلا ولهذا لايلتفت فى الأمثال إلى مضاربها تذكيرا وتأنيثا و إفرادا وتثنية وجمعا بل إنما ينظر فى مواردها كما يقال للرجل الصيف ضيعت اللبن بكسر تاء الخطاب لأنه فى الأصل لامرأة ، ثم نبهت من زيادتى على أن المستعار منه فى التمثيل ، والمثل قد يكون محققا واقعا ، وقد يكون مقدرا مفروضا ، فالأول من التمثيل كقوله تعالى : واعتصموا بحبل الله جميعا شبه استظهار العبد بالله تعالى ووثوقه بحمايته والنجاة من المكاره باستمساك الواقع فى مهواة بحبل وثيق مدلى من مكان مرتفع يؤمن انقطاعه ومن المثل كقوله صلى الله عليه وسلم « إن من البيان لسحرا » يضرب فى استحسان المنطق و إيراد الحجة البالغة . والثانى من التمثيل كقوله تعالى : إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض الآية ، مثلت حال التكليف فى صعوبتها وثقل حملها بحال معروضة ومن المثل كقولهم طارت به العنقاء أى طالت غيبته وليس للعنقاء عمل فيه ذكر ذلك الطيبى .

فصل

[قد يضمر التشبيه فى النفس فلا يذكر شىء من أداته خلا
مشبها ثم لهذا يثبت ما اختص بالآخر ذا القرينة
فسم ذا التشبيه بالمكنيه عنها وذا الاثبات تخيليه]

هذا الفصل فى الاستعارة التى ليست بتحقيقية وهى التخييلية والمكنية وهما عند صاحب التلخيص حقيقتان لغويتان غير داخلتين فى قسم المجاز لأنهما لم تستعمل فى المشبه به وذلك أن يضمر التشبيه فى النفس فلا يصرح بشىء من أركانه سوى المشبه ويدل على ذلك التشبيه المضمر فى النفس بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به فيسمى ذلك التشبيه المضمر استعارة بالكناية ومكنيا عنها لأنه لم يصرح به بل دلّ عليه بذكر خواصه ويسمى إثبات ذلك الأمر المختص بالمشبه به للمشبه استعارة تخييلية لأنه قد استعير للمشبه ذلك الأمر المختص بالمشبه به و به يكون كمال المشبه به وقوامه فى وجه الشبه لتخييل أن المشبه من جنس المشبه به كقوله : * وإذا المنية أنشبت أظفارها *
شبه فى نفسه المنية بالسبع فى اغتيال النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار فأثبت لها الأظفار التى لا يكمل ذلك الاغتيال فى السبع بدونها تحقيقا للمبالغة فى التشبيه فتشبيه المنية بالسبع استعارة بالكناية و إثبات الأظفار لها تخييلية وكل من لفظى الأظفار والمنية حقيقة مستعملة فى معناها الموضوع له وليس فى الكلام مجاز لغوى وكقوله :

ولئن نطقت بشكر برّك مفصحا فلسان حالى بالشكاية أنطق

شبه الحال بإنسان متكلم فى الدلالة على المقصود وهو استعارة بالكناية فأثبت لها اللسان الذى به قوام

و ردت أن تدعو للسائل فلا بد من الوصل فتقول لا ورعاك الله إذ لو فصلت لتوهم أنه دعاء على المخاطب بعدم الرعاية ، ولولا هذا الإيهام لوجب الفصل لاختلافهما خبرا و إنشاء . ومنها أن تتفق الجملتان فى الخبرية

والإنشائية مع الاتصال : أى الجامع بينهما من عقل أو وهم أو خيال نحو : إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم ، والجامع بينهما التضاد ، ونحو : كلوا واشربوا ولا تسرفوا والجامع كذلك وهو وهمى والكلام على القوى الباطنية التى أثبتها الحكماء وبيان الجامع العقلى والوهمى والخيالى يرجع إليه فى شرح الأصل لضيق هذا الشرح عن ذلك . قال :

[والوصل مع تناسب فى اسم وفى
فعل وفقد مانع قد اصطفى]

أقول : من محسنات الوصل بعد وجود مصححه تناسب الجملتين فى الاسمية والفعلية وتناسب الفعليتين فى المضى والمضارعة نحو زيد قائم وعمرو قاعد وزيد قام وعمرو قعد لا قاعد أو يقوم فى الأول و يقعد فى الثانى مالم يمنع من تلك المناسبة مانع فيجب تركها و يكون الوصل على الحالة التى اقتضاها الحال كما إذا أريد فى إحداها التجدد وفى الأخرى الثبوت نحو قام زيد وعمرو قاعد والمقصود من البيت أن الوصل مع المناسبة المذكورة أولى منه مع عدمها لا من الفصل كما يوهمه ظاهر المتن مالم يمنع من تلك المناسبة مانع والله أعلم . قال :

قوام الدلالة فى الانسان وهى تخييلية .

فصل

[والاستعارة لدى يوسف أن ... يذكر ما من طرف التشبيه عن
مريدا الآخر بادعاء ... دخول ماشبه باقتفاء
فى جنس مشبه به وقسما ... إلى مصرّح ومكنى فما
ينوى مشبه فقط مصرحه ... وعكسها المكنى قول رجحه
والتبعية إليها ردّا ... وشيخنا يقول عكس أجدى
وفى الحقيقة تمثيل دخل ... لديه والتخييل عكسه جعل]

هذا الفصل فيه مذهب السكاكى فى الاستعارة وأقسامها فعنده أن الاستعارة أن تذكر أحد طرفى التشبيه وتريد به الآخر المتروك مدعيا دخول المشبه به فى جنس المشبه كما تقول فى الحمام أسد وأنت تريد الرجل الشجاع مدعيا أنه من جنس الأسود فتثبت له مايخص المشبه به وهو اسم جنسه وكما تقول أنشبت المنية أظفارها تريد بالمنية السبع بادعاء السبعية لها فتثبت لها مايخص السبع المشبه به وهو الأظفار وتسمى المشبه به مذكورا أو متروكا مستعارا منه واسم المشبه مستعارا والمشبه به مستعارا له ، ثم قسم الاستعارة إلى مصرح بها ومكنى عنها . وفسر الأولى بأن يكون المذكور من طرفى التشبيه هو المشبه به والمحذوف المشبه . والثانية بالعكس بأن يكون المذكور المشبه والمحذوف المشبه به على أن المراد بالمنية فى أنشبت المنية أظفارها هو السبع بادّعاء السبعية بقرينة إضافة الأظفار التى هى من خواصه إليها فقد ذكر المشبه وهو المنية وأراد المشبه به وهو السبع وردّ ذلك بأن لفظ المشبه فيها وهو المنية مستعمل فيما وضع له قطعا وهو الموت و إضافة الأظفار قرينة تشبيهها بالسبع المضمر فى النفس وهو ينافى تفسيره الاستعارة بذكر أحد الطرفين مرادا به الآخر واختار السكاكى ردّ التبعية إلى المكنى عنها : أى جعلها قسما منها بجعل قرينتها مكنيا عنها وجعل التبعية قرينة المكنى عنها فى نطقت الحال جعل القوم نطقت استعارة عن دلت بقرينة الحال وهو حقيقة وهو يجعل الحال استعارة بالكناية عن المتكلم ونسبة النطق إليها قرينة الاستعارة و إنما اختار ذلك إيثارا للضبط وتقليل الأقسام وردّ بأنه إن قدر التبعية حقيقية لم تكن تخييلية لأنها مجاز عنده حيث جعلها من أقسام المصرحة المفسرة بذكر المشبه به و إرادة المشبه وحينئذ لاتكون المكنى عنها مستلزمة للتخييلية وذلك باطل بالاتفاق إذ لاتوجد مكنية بدون تخييلية قطعا و إن قدرها مجازا فتكون استعارة ضرورة ويحتاج إلى القول بها وعدها فى الأقسام وقال شيخنا العلامة الكافيجى لو قيل برجوع الاستعارة بالكناية إلى التبعية كان أولى لكونها أظهر من الكناية . وأما المصرحة فجعل السكاكى منها تحقيقية وتخييلية وفسر التحقيقية بما تقدم من تفسيرها وعد منها التمثيل ورد بأنه مستلزم للتركيب المنافى للإفراد فلا يصح عده من الاستعارة التى هى من أقسام المجاز المفرد وفسر التخييلية بضد تفسير التحقيقية وهو مالا تحقق لمعناه حسا ولا عقلا بل هو صورة وهمية محضة كلفظ الأظفار فإنه لما شبه المنية بالسبع فى الاغتيال أخذ الوهم فى تصويرها بصورة السبع فاخترع لها صورة مثل صورة أظفاره ثم أطلق عليها لفظ الأظفار فتكون تصريحية لا مكنية لأنه أطلق

[الباب الثامن الايجاز والاطناب والمساواة]

[تأدية المعنى بلفظ قدره ... هى المساواة كسر بذكره
و بأقل منه إيجاز علم ... وهو إلى قصر وحذف ينقسم

كعن مجالس الفسوق بعدا   ولاتصاحب فاسقا فتردى] أقول: المساواة كون اللفظ بقدر المعنى المراد : أى مثله نحو: ولايحيق المكر السيء إلا بأهله وسر بذكره تعالى أى إلى الحضرة العلية لأنه أعظم وسيلة إليها والايجاز كون اللفظ أقل من المعنى من غير إخلال نحو عفو الله نرجو إذ المراد قصر الرجاء على عفو الله تعالى دون غيره وهذا المعنى يؤدى بعبارة أكثر من المثال فان حصل إخلال ردّ كما يأتى وهو قسمان إيجاز قصر و إيجاز حذف فالأول نحو قوله تعالى - ولكم فى القصاص حياة - لأن الناس إذا علموا أن من قتل قتل كان ذلك أدعى إلى عدم قتل بعضهم بعضا فيكون ذلك حياة لهم وليس فى ذلك حذف . والثانى نحو واسئل القرية أى أهل القرية والمحذوف إما جزء جملة كالمثال أو جملة نحو أن اضرب بعصاك البحر فانفلق أى فضرب فانفلق ومنه مثال المتن إذ التقدير ابعد بعدا وبقية البيت تكملة وفى البيت النهى عن مجالسة الفساق ومصاحبتهم لأن من تخلق بحالة لايخلو حاضره منها والخلطة كما تورث الخير تورث الشرّ وفى العزلة عن الفساق تخلص من شرورهم. قال :

[وعكسه يعرف بالاطناب   كالزم رعاك الله قرع الباب   يجىء بالايضاح بعد اللبس   لشوق أو تمكن فى النفس   المقصود

اسم المشبه وهو الأظفار المحققة على المشبه به وهو صورة وهمية شبيهة بصورة الأظفار المحققة والقرينة إضافتها إلى المنية فالتخييلية عنده قد تكون بدون المكنية وهو مخالف لتفسير غيره على مافيه من التعسف بكثرة الاعتبارات التى لاحاجة إليها ولا دليل عليها .

فصل

[الحسن فى استعارة التخييل   بحسب المكنى والتمثيلى
وذى الكناية وذى التحقيقى أن   يرعى الذى فى وجه تشبيه زكن
ولا يشم ريحه لفظا وإن   يجلو ولا يكون كالألغاز عن
فلا يقال أسد لأبخرا   وإن قوى التشبيه حتى صيرا
طرفيه كالواحد مثل العلم   والنور فاستعارة ذو حتم]

هذا فصل فى شرائط حسن الاستعارة فالتخييلية حسنها بحسب المكنىّ عنها لأنها لاتكون إلا تابعة لها وليس لها فى نفسها تشبيه بل هى حقيقة فحسنها تابع لحسن متبوعها . وأما التحقيقية والتمثيلية فحسنها برعاية جهات حسن التشبيه بأن يكون وجه الشبه شاملا للطرفين والتشبيه وافيا بافادة الغرض ونحو ذلك وأن لاتشم رائحة التشبيه من جهة اللفظ لأنه يبطل الغرض من الاستعارة بادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به لما فى التشبيه من الدلالة على أن المشبه به أقوى من المشبه وأن يكون الشبه جليا لئلا تصير الاستعارة ألغازا وتعمية كما لوقيل رأيت أسدا مرادا به إنسان أبخر فان وجه التشبيه بين الطرفين خفىّ فيتعين التشبيه حينئذ ولا تحسن الاستعارة ، فان قوى الشبه بين الطرفين حتى اتحدا كالعلم والنور والشبهة والظلمة تعينت الاستعارة ولم يحسن التشبيه لئلا يصير كتشبيه الشىء بنفسه فيقال عند فهم مسئلة حصل فى قلبى نور ولايقال علم كالنور فالأقسام ثلاثة : مايحسن فيه التشبيه والاستعارة ، ومايتعين فيه التشبيه ، ومايتعين فيه الاستعارة . وأما الاستعارة بالكناية فكالتحقيقية أيضا فى أن حسنها برعاية جهات التشبيه لأنها تشبيه مضمر وقد تقدم أن الترشيحية أبلغ من التجريدية والمطلقة فالترشيح من شرائط حسن الاستعارة وقد ذكر الطيبى فى هذا الفصل وتقدم أيضا أن الغريبة أحسن من القريبة والتفصيلية أحسن من الاجمالية وذكره الطيبى هنا وزاد أن تكون التخييلية مؤكدة بمعنى المشاكلة كقوله تعالى - إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم - أكد بقوله يد الله بعد التخييل لمعنى المشاكلة فى يبايعونك وأن يكون فى الكلام عدة استعارات نحو فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ، استعار القرية للأهل على سبيل الكناية والذوق للكسوة على التحقيقية وعدل عن كساها لأن الاذاقة أقوى فى الادراك من اللمس واللباس للجوع .

خاتمة

قد يطلق المجاز فيما غيرا   إعرابه بزيد اوحذف عرا
ليس كمثله يريد المثلا   وكاسأل القرية يعنى الأهلا]

قد يطلق المجاز على كلمة تغير إعرابها بزيادة لفظ أوحذفه نحو : ليس كمثله شىء : أى ليس مثله لأن

وجاء بالايغال والتذييل تكرير اعتراض او تكميل يدعى بالاحتراس والتتميم وقفو ذى التخصيص ذا التعميم]

أقول : الاطناب تأدية المعنى بلفظ أزيد منه لفائدة فهو عكس الايجاز نحو اللهم متعنا بالنظر إلى وجهك الكريم بفضلك مع أحبابنا فى جنة النعيم . والفائدة فى ذلك إظهار شأن الجنة بوقوع الرؤية فيها ومن ذلك مثال المتن وفائدة رعاك الله أن لزوم قرع الباب لايفيد مع عدم رعاية الله وعنايته وقولنا لفائدة مخرج للتطويل وهو زيادة لفظ غير متعين لالفائدة كقوله :

وألفى قولها كذبا ومينا

فان الكذب والمين واحد والزائد أحدهما غير معين والحشو وهو زيادة متعينة لالفائدة كقوله :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله

فقبله حشو ويكون الاطناب بأمور . منها الايضاح بعد اللبس أى البيان بعد الابهام لأن ذلك أوقع فى النفس لرؤية المعنى فى صورتين أولاهما مبهمة والأخرى موضحة فتتشوق النفس إليه مبهما و يتمكن منها موضحا فقوله لشوق الخ علة للايضاح بعد اللبس ومنها الايغال وهو ختم الكلام بمايفيد نكتة يتم الكلام بدونها نحو ـ اتبعوا المرسلين اتبعوا من لايسألكم أجرا وهم مهتدون ـ ومعلوم أن الرسول مهتد لكن فيه زيادة حث للاتباع وترغيب فى الرسل ، ومنها التذييل وهو تعقيب جملة بجملة تحتوى على

المقصود نفى أن يكون شىء مثله تعالى لانفى أن يكون شىء مثل مثله فالأصل فيه النصب خبر ليس فتغير إلى الجر بزيادة الكاف وقوله تعالى ـ واسأل القرية ـ أى أهل القرية وأصله الجر فتغير إلى النصب بسبب حذف المضاف . قال فى الايضاح فان كان الحذف أوالزيادة لايوجب تغيير الاعراب كقوله تعالى ـ أوكصيب ـ إذ أصله كمثل ذوى صيب لدلالة ماقبله عليه وقوله تعالى ـ فبما رحمة لئلا يعلم ـ فلا توصف الكلمة بالمجاز .

الكناية

[لفظ أريد لازم معناه مع ... جواز أن يقصد معناه تبع
ومن هنا تخالف المجازا ... أقسامها ثلاثة ما انحازا
بها سوى نسبة أو وصف وذا ... يكون معنى أو معان يحتذى
شرطهما التخصيص بالذى كنى ... عنه وما يطلب بها الوصف إن
تنقل بلا واسطة قريبة ... وهذه واضحة خفية
طول النجاد عن طويل القامة ... وذو القفا العريض عن بلادة
ونسبة التصريح مامنها حوت ... مضمرة ساذجة ما قد خلت
أو بوساطة فذو الإبعاد ... كالكريم مكثر الرماد
وللوقود فالطبيخ ينتقل ... فكثرة الآكل فالضيف وصل
وما عدا النسبة من مطلوبه ... كالمجد فى برديه أو فى ثوبه
إذ لم يصرح بثبوت ذاك له ... بل فى الذى احتوى عليه جعله
وربما فى ذين يحذف الذى ... بوصف مثل ما تقول للبذى
من سلم الأنام من لسانه ... ويده فمسلم لشانه
قلت وقد يراد هذان معا ... فهو كنايتان فيه وقعا]

هذا هو المقصد الثالث من علم البيان . والكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه كقولك طويل النجاد مريدا طول القامة لجواز إرادة طول حمائل السيف معه أيضا . وعبارة التبيان ترك التصريح بالشىء إلى ما يساويه فى اللزوم فينتقل منه إلى الملزوم و بجواز إرادة المعنى الحقيقى مع اللازم تخالف المجاز فانه لايراد فيه المعنى الحقيقى مع المجازى للزوم القرينة المانعة من إرادته . قال فى المصباح و إنما يعدل عن التصريح إلى الكناية لنكتة كالايضاح أو بيان حال الموصوف أو مقدار حاله أو القصد إلى المدح أو الذم أو الاختصار أو الستر أو الصيانة أو التعمية والإلغاز أو التعبير عن الصعب بالسهل أو عن المعنى القبيح باللفظ الحسن . والكناية أقسام : الأول : مايطلب بها غير صفة ولا نسبة بل نفس الموصوف ، فمنها ماهو معنى واحد بأن يتفق فى صفة من الصفات اختصاص بموصوف معين فتذكر ليتوصل بها إليه كقولك مضياف كناية عن زيد بسبب اختصاصه ، ومنها ماهى مجموع معان بأن تؤخذ صفة فتضم إلى لازم آخر وآخر فتصير جملتها مختصة بموصوف فيتوصل بذكرها إليه كقولنا كناية عن الانسان حى مستوى القامة عريض الأظفار وشرط هاتين الكنايتين الاختصاص بالمكنى عنه بأن لايوجد لغيره

معناها لتأكيد فبينه وبين الايغال عموم من جهة نحو وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا وهو قسمان : الأول جرى مجرى المثل وهو أن تكون الثانية مستقلة بنيل المراد وغير متوقفة على ماقبلها نحو المثال المتقدم.

الثانى مالم يخرج مخرج المثل وهى أن تتوقف الثانية على الأولى فى إفادة المراد نحو ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى إلا الكفور أى وهل يجازى ذلك الجزاء المخصوص. ومنها التكرير نحو كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كرر لتأكيد الانذار والردع وأتى بثم للدلالة على أن الثانى أبلغ من الأول ومنها الاعتراض وهو أن يؤتى بجملة فأكثر بين شيئين متلازمين نحو الله تعالى فعال لما يريد واعلم رعاك الله أنه لا يضيع من قصده والنكتة فى الأول التنزيه وفى الثانى الدعاء. ومنها التكميل ويسمى الاحتراس وهو أن يؤتى فى كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه نحو أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين . ومنها التتميم وهو أن يؤتى فى كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة لنكتة كالمبالغة فى نحو ـ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ـ بجعل الضمير عائدا على الطعام أى على حب الطعام والاحتياج إليه . ومنها عطف الخاص على العام لنكتة نحو حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى . والنكتة

ليحصل الانتقال

الثانى : ما المطلوب بها صفة من الصفات كالجود والكرم ونحو ذلك ، وهى ضربان . قريبة وهى ماينتقل الذهن منها إلى المطلوب بلا واسطة ، وهى نوعان : واضحة يحصل الانتقال منها بسهولة كقولهم كناية عن طول القامة طويل النجاد وطويل نجاده وما كان منها حاويا لضمير الموصوف ففيها شوب تصريح كالمثال الأول ومالا فساذجة كالثانى . وخفية ، وهى ما يتوقف الانتقال منها على فكر وتأمل كقولهم كناية عن البليد عريض القفا فان عرض القفا مما يستدل به على البلادة والبلاهة فهو ملزوم لها بحسب الاعتقاد لكن الانتقال منه فيه نوع خفاء . الضرب الثانى ماينتقل فيها بواسطة وهى بعيدة كقولهم كثير الرماد كناية عن الكرم فانه ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة الوقود للحطب تحت القدر ومن كثرة الوقود إلى كثرة الطبخ ومن كثرة الطبخ إلى كثرة الأكلة ومن كثرة الأكلة إلى كثرة الضيفان ومنها إلى المقصود وهو الكرم .

القسم الثالث : مايطلب به نسبة أى إثبات أمر لأمر أونفيه عنه كقولهم المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه لم يصرح بثبوت المجد والكرم له بأن يقول هو مختص بهما أو نحوه بل كنى عن ذلك بكونهما بين برديه أو ثوبيه وجعلهما فيما يختص به ويشتمل عليه فان الأمر إذا أثبت فيما يختص بالرجل ويحويه من ثوب ومكان فقد أثبت له وقد يحذف الموصوف فى هذين القسمين الثانى والثالث كقولك فى عرض من يؤذى المسلمين بيده أو بيده ولسانه أى يفحش « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » فانه كناية عن نفى صفة الاسلام عن المؤذى وهو غير مذكور فى الكلام ، وأما الأول وهو مايطلب بالكناية فيه نفس الصفة وتكون النسبة مصرحا بها فالموصوف فيها مذكور لامحالة وبقى للكناية قسم رابع لم يتعرض له فى التلخيص وذكرته من زيادتى وهو ما يكون المطلوب بها صفة ونسبة معا كقولنا كثر الرماد فى ساحة زيد كناية عن نسبة الضيافة إليه وقيل فى الاعتذار عن عدم عده أنه ليس بكناية واحدة بل كنايتان . إحداهما المطلوب بها نفس الصفة وهى كثرة الرماد كناية عن المضيافية. والثانية المطلوب بها نسبة المضيافية إلى زيد وهى جعلها فى ساحته ليفيد إثباتها له وهذا معنى قولى * فهو كنايتان فيه وقعا * واستنبط الزمخشرى كناية خامسة وهى أن تعمد إلى جملة معناها على خلاف الظاهر فتأخذ الخلاصة من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة والمجاز فتعبر بها عن المقصود كما تقول فى نحو الرحمن على العرش استوى إنه كناية عن الملك فان الاستواء على السرير لايحصل إلا مع الملك فجعل كناية عنه وكذا قوله تعالى ـ والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ـ كناية عن تصور عظمته وكنه جلاله :

[ويوسف قسم ذا الباب إلى ... رمز وتعريض وتلويح تلا
إشارة إيماء فالذى حذف ... موصوفه مناسب تعريضا عرف
ووجهه التنويه والتلطف ... أو يترك الإغلاظ أو يستعطف
ومنه مايراد معناه معه ... ومنه لا حرره من جمعه
إن كثرت وسائط فوصفا ... ملوحا وإن تقل مع خفا
رمز وإلا فالأخيران وقد ... مجازا التعريض فى بعض ورد

كقوله

الاهتمام بالمعطوف . قال : [ووصمة الاخلال والتطويل * والحشو مردود بلا تفصيل] أقول: الوصمة العيب ، والاخلال إفساد المعنى المؤدى بعبارة أقل منه ، والتطويل الزيادة الغير المتعينة لالفائدة ، والحشو الزيادة المتعينة لالفائدة والثلاثة مردودة عند علماء البلاغة والله أعلم . قال :

[الفن الثانى علم البيان]

[فن البيان علم مابه عرف تأدية المعنى بطرق تختلف وضوحها واحصره فى ثلاثة تشبيه او مجاز او كناية] أقول : أخر علم البيان عن علم المعانى لما تقدم هناك ، وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد المدلول عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال بطرق مختلفة فى إيضاح الدلالة عليه بأن يكون بعض الطرق واضح الدلالة و بعضها أوضح فخرج معرفة إيراده بطرق مختلفة فى اللفظ والعبارة فقط ، والمراد بالمعنى الواحد كل معنى واحد يدخل تحت قصد المتكلم وإرادته فلو عرف أحد إيراد معنى قولنا زيد جواد بطرق مختلفة لم يكن بمجرد ذلك عالما بالبيان، والمراد بالطرق التراكيب ومثال ذلك إيراد معنى زيد جواد فى طرق التشبيه زيد كالبحر فى الكرم زيد كالبحر زيد بحر. وهذا الفن محصور فى ثلاثة أشياء: التشبيه والمجاز والكناية، ووجه الحصر أن اعتبار المبالغة فى إثبات المعنى للشىء إما على طريق الالحاق

كقوله آذيتنى فستعرف ... يريد من لا بالخطاب يوصف
وإن ترد بذاك كلا منهما ... كناية واشرط دليلا لهما]

قال السكاكى : الكناية تتفاوت إلى تعريض وتلويح ورمز وإشارة وإيماء . فالتعريض ماسبق آنفا لأجل موصوف غير مذكور كما تقدم فى مثال المؤذى لأنه أمال الكلام إلى جانب مشيرا به إلى آخر يقال نظر إليه بعرض وجهه أى جانبه قال الطيبى وذلك يفعل إما لتنويه جانب الموصوف نحو أمر المجلس السامى نافذ ومنه ورفع بعضهم درجات أى محمد صلى الله عليه وسلم إعلاء لقدره لأنه العلم الذى لايشتبه ، وإما لتلطف به كقول الخاطب عسى الله أن ييسر لى امرأة صالحة أو استعطاف كقول المحتاج جئت لأسلم عليك وأنظر إلى وجهك الكريم قال :

أروح لتسليم عليك وأغتدى ... وحسبك بالتسليم منى تقاضيا

أو احتراز عن المخاشنة كما تقدم فى مثال المؤذى ، أو إهانة وتوبيخ نحو و إذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت. قال التقى السبكى والتعريض قسمان . قسم يراد به معناه الحقيقى ويشار به إلى المعنى الآخر المقصود كما تقدم . وقسم لايراد بل يضرب مثلا للمعنى الذى هو مقصود التعريض كقول إبراهيم عليه السلام بل فعله كبيرهم هذا وقد نبهت على ذلك كله من زيادتى . وأما التلويح فهو مالم يسق لأجل موصوف محذوف مع كثرة الوسائط لأن التلويح الإشارة من بعد كما فى كثير الرماد والرمز مايشار به إلى المطلوب مع قلة الوسائط وخفاء فى الملزوم كعريض القفا وعريض الوسادة وسمى رمزا لأنه الاشارة من قرب على سبيل الخفية ونكتته إما مراعاة الموصوف كحديث إن وسادك لعريض أو الاحتراز عن بشاعة اللفظ كالافضاء عن الجماع ونحو ذلك والايماء والاشارة ماقلت وسائطه بلا خفاء سمى بها لظهور المشار إليه كقوله :

إن السماحة والمروءة والندى ... فى قبة ضربت على ابن الحشرج

أراد أن يخص الصفات بالممدوح من غير تصريح فجعلها مطروحة فى قبة مضروبة عليه قال السكاكى والتعريض قد يكون مجازا كقوله آذيتنى فستعرف فان كنت تريد بتاء الخطاب إنسانا مع المخاطب لا المخاطب فمجاز و إن أردت به المخاطب ومن معه كليهما فهو كناية لاستعمال اللفظ فى معناه الأصلى وغيره ولابد فى الصورتين من قرينة تبين أن المراد فى الأولى الانسان الذى مع المخاطب وحده ليكون مجازا وفى الثانية كلاهما ليكون كناية وتحقيق ذلك أن مثل هذا الكلام دال على تهديد المخاطب بسبب الايذاء و يلزمه تهديد كل من صدر عنه الايذاء ، فان استعملته وأردت به تهديد المخاطب أو غيره من المؤذين كان كناية و إن أردت به تهديد غير المخاطب بسبب الإيذاء لعلاقة اشتراكه للمخاطب فى الايذاء إما تحقيقا و إما فرضا وتقديرا مع قرينة دالة على عدم إرادة المخاطب كان مجازا :

[وكون هذى والمجاز أبلغا ... من ضد هذين اتفاق البلغا
والاستعارة من التشبيه ... إذ قوة المجاز لاتليه
قلت وذو التمثيل باستعارة ... أبلغ منه لابلا استعارة
وأبلغ الأنواع تمثيلية ... مكنية بعد فتصريحية
و بعدها كناية وقد علا ... ذو نسبة فصفة فما خلا

أوالاطلاق . والثانى أما إطلاق الملزوم على اللازم أوعكسه ، وما يبحث فيه عن الأول التشبيه ، وعن الثانى المجاز ، وعن الثالث الكناية . قال :

على الأصح الفهم لا الحيثية
أقسامها ثلاثة مطابقه
تضمن التزام أما السابقه
فهى الحقيقة ليس فى البيان
بحث لها وعكسها العقليتان]

أقول : الدلالة فهم أمر من أمر والأول المدلول والثانى الدال فان كان لفظا دالا على تمام ماوضع له فالدلالة مطابقية كدلالة الانسان على الحيوان الناطق أوعلى جزئه فى ضمن كله فتضمنية كدلالته على الحيوان فى ضمن الحيوان الناطق أو على أمر خارج عن معناه لازم له ، فالتزامية كدلالته على قبول العلم وإن كان الدال غير لفظ فالدلالة غير لفظية وبيان أقسامها كاللفظية ومايتعلق بها فى شرحنا للسلم فى المنطق للمصنف والمطابقـــة ليس للبيانيين بحث عنها وإنما بحثهم عن دلالة التضمن والالتزام العقليتين لقبولهما للوضوح والخفاء بخلاف الأولى الوضعية ، لأن السامع إن كان عالما بوضع الألفاظ لذلك المعنى لم يكن بعضها أوضح عنده من بعض وإن لم يكن عالما بذلك لم يكن كل واحد من الألفاظ دالا عليه لتوقف الفهم على العلم

وهذه الثلاث من قسم الخبر والخلف إنشاء ذى التشبيه قر]

أطبق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة والكناية أبلغ من التصريح ، لأن الانتقال فيهما من الملزوم إلى اللازم فهو كدعوى الشىء ببينة إذ وجود الملزوم يقتضى وجود اللازم وأن الاستعارة أبلغ من التشبيه لأنها مجاز وهو حقيقة والمراد بالأبلغية إفادة زيادة تأكيد للاثبات ومبالغـة فى الكمال فى التشبيه لازيادة فى المعنى لاتوجد فى الحقيقة ، والتصريح والتشبيه ثم نبهت من زيادتى على مراتب سائر أنواع البيان من الاستعارات والكنايات وغيرها ، فالتمثيل على سبيل الاستعارة أبلغ منه لاعلى سبيل الاستعارة قاله فى الايضاح وأبلغ أنواع الاستعارة التمثيلية كما يؤخذ من الكشاف وتليها المكنيه فهى أبلغ من التصريحية صرح به الطيبى لاشتمالها على المجاز العقلى ومطلق الاستعارة أبلغ من الكناية كما قال الشيخ بهاء الدين إنه الظاهر لأنها كالجامعة بين كناية واستعارة قلت ولأنها مجاز بخلاف الكناية قال الشيخ بهاء الدين وأبلغ أنواع الكناية ماطلب فيه نسبة ثم صفة ثم مالم يكن فيه واحد منهما ثم نبهت أيضا على أن التشبيه والاستعارة والكناية من قبيل الخبر لاالانشاء على خلف فى التشبيه حكاه التقى السبكى فى تفسيره واختار أنه خبر عما فى نفس المتكلم من التشبيه كما أن حسبت خبر عن حسبانه قال ولا يختلف الحال فى ذلك بين كأن والكاف غير أن كأن صريحة فيه من جهة أن موقعها أن تقوى التشبيه حتى يتخيل أو يكاد يتخيل أن المشبه هو المشبه به والكاف محتملة له وللإخبار عن المماثلة الخارجية كقولك مثل هذا .

[خاتمة] ذكر أصحاب البديعيات فى بديعياتهم من هـذا المذكور فى هذا الفن التشبيه وتشبيه شيئين بشيئين والمجاز والاستعارة والتمثيل و إرسال المثل والكناية والتعريض .

الفن الثالث علم البديع

[علم البـديع مابه قد عرفا وجوه تحسين الكلام إن وفى
مطابقا وقصـــده جـلى فمنـــه لفظى ومعنـوى]

علم البديع علم يعرف به وجوه تحسين الكلام أى تتصور معانيها ، وتعلم أعدادها وتفاصيلها بحسب الطاقة بعد رعاية مطابقته لمقتضى الحال ورعاية وضوح دلالتـه : أى خلوه عن التعقيد المعنوى إذ لاتعتبر وتعـد محسنة للكلام إلا بعد رعايتها و إلا كان كتعليق الدر على الخنازير . قال أبو جعفر الأندلسى وهو أخص الفنون الثلاثة لتركبه من الفنين وزيادة قال وهما بالنسبة إليه كالحياة والنطق بالنسبة للانسان فلا يوجد البديع بدونهما كما لايوجد الانسان بدون الحياة والنطق والمعانى بالنسبة إلى البيان كالحياة بالنسبة إلى النطق فتوجد المعانى بدونه كما يوجد الحيوان بلا نطق ولا عكس كما لاعكس وقولى وقصده مصدر بمعنى المفعول أى المقصود منـه جلى أى واضح . ثم أنواعه تنقسم إلى قسمين : إلى مايتعلق بتحسين الألفاظ و إلى مايتعلق بتحسين المعانى . قال الشيخ سعد الدين أى بحسب الأصالة و إن كان بعضها لايخلو عن تحسين ما للفظ . وفى شرح الفوائد الغياثية المعنوى ماتعلق بالبلاغة واللفظى ماتعلق بالفصاحة ، وقسمها جماعة إلى ثلاثة فزادوا مايتعلق بتحسينهما معا كالمطابقة والمقابلة والأمر قريب .

تنبيهان : الأول قال أبوجعفر الأندلسى أنواع البديع فى الكلام كالملح فى الطعام وكالخال فى الوجنات

بالوضع بخلاف العقليتين لجواز اختلاف اللوازم فى الوضوح ، إذ قد يكون الشىء جزء الشىء أوجزء جزئه وقد يكون لازما أولازم لازم فوضح الدلالة بحسب قلة الوسائط وكثرتها والله أعلم. قال :

[تشبيهنا دلالة على اشتراك
أمرين فى معنى بآلة آتاك
أركانه أربعة وجه أداه
وطرفاه فاتبع سبل النجاه]

أقول : التشبيه لغة التمثيل ، واصطلاحا الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى بآلة مخصوصة كالكاف ملفوظة أو مقدرة فخرج نحو جاء زيد وعمرو وقاتل زيد عمرا والاستعارة التحقيقية نحو : رأيت أسدا فى الحمام ، والمكنية نحو : أنشبت المنية أظفارها والتجريد الآتى فى البديع نحو رأيت من زيد أسدا ودخل نحو زيد أسد فان المحققين على أنه تشبيه بليغ لا استعارة لأن المستعار له مذكور ولا تكون الاستعارة إلا حيث يطوى ذكره ويجعل الكلام خاليا عنه وأركانه أربعة : وجه وأداة وطرفان نحو زيد كالأسد فى الشجاعة ، فالوجه المعنى الجامع بين زيد والأسد وهو الشجاعة ، والأداة آلة وهى الكاف ، والطرفان زيد والأسد ، وقد يقتصر على لفظهما . قال :

الوجنات إذا كثر قبح وخرج عن باب الاستحسان فكذلك البديع إذا كثر وتكلف مجته الطباع وإنما يحسن إذا وقع فى الكلام سهلا مستعذبا عاريا عن التكلف فاذا أفرط فى الزيادة خاطبته الطباع :

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم ... والعذب يهجر للإفراط فى الخصر ... انتهى .

قلت : لم أر ذلك للمتقدمين إلا فى مثل الجناس والسجع ونحوهما أما مثل التورية والاستخدام واللف والنشر ونحوها فحاشا وكلا ، وقد عدّ الصفى الحلى وأتباعه من أنواع البديع الابداع بالباء الموحدة وفسروه بأن تكثر أنواع البديع فى البيت نعم التكلف مذموم كيف كان .

التنبيه الثانى : البديع فى اللغة : الغريب . وأول من اخترعه وسماه بهذا الاسم عبد الله بن المعتز وجمع منها سبعة عشر نوعا وقال فى أول كتابه : وماجمع قبلى فنون البديع أحد ولا سبقنى إليه مؤلف وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين ، وعاصره قدامة الكاتب فجمع منها عشرين نوعا تواردا فيها على سبعة فكان مازاده ثلاثة عشر نوعا فتكامل لهما ثلاثون ثم تبعهما الناس ، فجمع أبو هلال العسكرى سبعة وثلاثين ، ثم جمع ابن رشيق مثلها ، وتلاهما شرف الدين التيفاشى فبلغ بها السبعين ، ثم تكلم فيها ابن أبى الأصبع فأبدع وذكر أنه وقف على أربعين كتابا فى هذا العلم وأخذ منها سبعين نوعا واستخرج عشرين ، ثم صنف ابن منقذ كتاب التفريع فى البديع جمع فيه خمسة وتسعين نوعا ثم جاء صفى الدين الحلى فجمع فيها مائة وأربعين نوعا فى قصيدة نبوية ثم زاد من زاد ، ثم رأيت بديعية فيها أكثر من مائتى نوع . وأما السكاكى فذكر منها تسعة وعشرين ثم قال ولك أن تستخرج من هذا القبيل ماشئت وتلقب كلا من ذلك ما أحببت ، وذكر صاحب التلخيص من البديع المعنوى ثلاثين نوعا ومن اللفظى سبعة وذكر فى أثنائها أمورا ملحقة بها تصلح أن تعد أنواعا أخر ، وقد زدت عليه الجم الغفير كما سيأتى مبينا إن شاء الله تعالى وقد التزمت أن آتى فى كل نوع بمثال فأكثر من الحديث النبوى تمرينا وتشريفا وتيمنا به .

المعنوى

[منه الطباق بالتضاد مائل ... الجمع بين اثنين ذى تقابل
فى جملة من نوع أو نوعين ... اسمين أو فعلين أو حرفين
كمثل أيقاظا وهم رقود ... يحيي ويميت وله تعديد
طباق منفى طباق موجب ... كاخش ولا تخش وذى تسبب
قلت وقيل الشرط فى الطباق ... أن يأتى اللفظان بالوفاق
وإنما يحسن مع مزيد ... ولهم تطابق الترديد
ومنه تدبيج بألوان ترد ... مكنيا أوتورية لما قصد]

الطباق ويقال له المطابقة والتطبيق والتطابق لغة أن يضع البعير رجله فى موضع يده يقال منه طابق البعير إذا فعل ذلك ، واصطلاحا الجمع بين متضادين أو متقابلين فى الجملة أى سواء كان التقابل حقيقيا ، أو اعتباريا ، أو بالايجاب والسلب وليس المراد الضدين اللذين لا يجتمعان كالبياض والسواد مثلا ويقال لهذا النوع أيضا التضاد والمقاسمة والتكافؤ ، وله أقسام : لأنهما تارة يكونان من نوع واحد

[وحسيان منه الطرفان * أيضا وعقليان أو مختلفان] أقول : طرفا التشبيه إما حسيان كالخد والورد أوعقليان كالعلم والحياة أو مختلفان ، بأن يكون المشبه حسيا والمشبه به عقيا كالسبع والموت ، أوعكسه كالموت والسبع والمراد بالحسى المدرك هو أو مادته باحدى الحواس الخمس الظاهرة فدخل الخيالى ، وهو المعدوم الذى فرض مجتمعا من أمور كل واحد منها مما يدرك بالحس كقوله :

وكأن محمر الشقيـ ق إذا تصوب أوتصعد
أعلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد

فان كلا من الأعلام والياقوت والزبرجد والرمح محسوس لكن المركب الذى هذه الأمور مادته ليس بمحسوس لأنه غير موجود ، والحس لا يدرك إلا ماهو موجود والعقلى ماعدا ذلك فيشمل الوهمى وهو ماليس مدركا باحدى الحواس ولكنه لو أدرك لكان بها مدركا كقوله :

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فأنياب الأغوال مما لايدركه الحس لعدم وجودها ولو أدركت لم تدرك إلا بحس البصر. قال :

كاسمين نحو: أيقاظا وهم رقود، ومايستوى الأعمى والبصير الآية، أوفعلين نحو: يحيى ويميت ، وحديث «من تأنى أصاب أوكاد ومن عجل أخطأ أوكاد» رواه الطبرانى ، وحديث مسلم «من يصعد فوق الثنية فانه يحط عنه ماحط عن بنى إسرائيل» واجتمعا فى حديث مسلم «من حاول أمرا بمعصية كان أبعد لما رجا وأقرب لمجىء مااتقى» رواه فى الحلية وحديث «من اقتراب الساعة أن ترفع الأشرار وتوضع الأخيار ويفتح القول ويحبس العمل» رواه الطبرانى، أوحرفين نحو: لهاما كسبت وعليهاما اكتسبت. وتارة من نوعين نحو - أومن كان ميتا فأحييناه ، ثم تارة يكونان حقيقيين كالأمثلة السابقة أومجازيين كالآية الآخرة وكقوله :

إذا نحن سرنا بين شرق ومغرب تحرك يقظان التراب ونائمه

فالمطابقة بين يقظان ونائم ونسبتهما إلى التراب مجاز أو مختلفين كقوله :

لا تعجبى ياهند من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

لأن ضحك المشيب مجاز و بكاء الرجل حقيقة ، وتارة يكون الطباق فى الإيجاب كهذه الأمثلة ؛ وتارة فى النفى نحو قوله تعالى : فلا تخشوا الناس واخشون وقوله تعالى: ولكن أكثر الناس لايعلمون يعلمون. وحديث كونوا للعلم وعاة ولاتكونوا له رواة أخرجه فى الحلية ، وقول بعضهم :

خلقوا وماخلقوا لمكرمة فكأنهم خلقوا وماخلقوا
رزقوا وما رزقوا سماح يد فكأنهم رزقوا وما رزقوا

ويلحق بالطباق ما كان راجعا للمضادة بتأويل كالتسبب فى قوله تعالى : أشداء على الكفار رحماء بينهم طوبق الأشداء والرحماء لأن الرحمة متسببة عن اللين الذى هو ضد الشدة وكذا قوله تعالى: لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فان الابتغاء لايضاد السكون لكنه يستلزم الحركة التى هى ضده ونبهت من زيادتى على أن بعضهم شرط فى الطباق توافق اللفظين فلا يجىء فى اسم مع فعل ولاعكسه ، ولافى حقيقة ومجاز فذلك يخص باسم التكافؤ على أن بعضهم ذكر أن المطابقة مجردة ليس تحتها كبير أمر فان قصارى ذلك أن يطابق الضد بالضد وهو شىء سهل اللهم إلا أن يترشح بنوع من أنواع البديع يشاركه فى البهجة والرونق كقوله تعالى: يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى انضم إلى المطابقة العكس والتكميل وكقول امرىء القيس :

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

انضم إليها التكميل فى قوله معا المقصود منه قرب الحركة فى حالتى الاقبال والادبار وحالتى الكر والفر والاستطراد بالتشبيه وكقول أبى تمام :

بيض الصفائح لاسود الصحائف فى متونهن جلاء الشك والريب

انضم إليها الجناس وقول الأرجانى :

تعلق بين الهجر والوصل مهجتى فلاأربى فى الحب أقضى ولانحبى

انضم إليها اللف والنشر، وقول القاضل :

دام صاحى وداده أبد الدهـر حبيبا لسكرى النشوان

انضم إليها الاستعارة وقول ابن خطيب داريا :

[والوجه مايشترك فيه * وداخلا وخارجا تلفيه]
وخارج وصف حقيقى جلا * بحس او عقل ونسبى تلا * وواحدا يكون أو مؤلفا * أو متعددا وكل عرفا

يامعشر

الطرفين وخارجا عنها ، فالأول كما كالشجاعة فى تشبيه الرجل الشجاع بالأسد ويكون داخلا فى حقيقة فى تشبيه ثوب بآخر فى الجنس كقولك هذا القميص مثل هذا فى كونهما كتانا ، والثانى كمثلو هذا المثال وهو إما وصف حقيقى أو إضافى ، والأول قسمان : حسى أى مدرك باحدى الحواس بالبصر من الألوان والأشكال والمقادير والحركات والسمع من الأصوات الضعيفة والقوية وما بينهما والذوق من الطعوم والشم من الروائح واللمس من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والخشونة والملاسة واللين والصلابة والخفة والثقل ومايقابلها من البلة والجفاف واللزوجة وغير ذلك وعقلى كالكيفيات النفسانية من الذكاء والعلم والغضب والحلم والكرم والبخل والشجاعة والجبن وسائر الغرائز والاضافى أن يكون معنى متعلقا بشيئين كإزالة الحجاب فى تشبيه الحجة بالشمس فإنها ليست هيئة متقررة فى ذات الحجة ولا فى ذات الحجاب ، فمراد المصنف بالنسبى الاضافى . وينقسم وجه الشبه أيضا إلى ثلاثة أقسام : واحد ومركب من متعدد تركيبا حقيقيا بأن تكون حقيقته ملتئمة من أمور مختلفة ، أو اعتباريا بأن تكون هيئة انتزعها العقل من عدة

يامعشر الاصحاب قد عن لى معنى يزيل الحمق فاستظرفوه
لاتحضروا إلا بأخفافكم ومن تثاقل منكم خففوه

انضم إليها التورية . ولهم طباق الترديد كما ذكرته من زيادتى . وهو أن ترد أواخر الكلام المطابق على أوله ، فان خلا من الطباق فهو رد العجز على الصدر مثاله قول الأعشى :

لايرفع الناس ماأوهوا و إن جهدوا طول الحياة ولا يوهون مارفعوا

وفى الأحاديث من ذلك كثير . ومن الطباق مايسمى التدبيج ، وقد ذكرته من زيادتى و إن مثل فى التلخيص لأحد قسميه ، وهو أن يؤتى فى المدح أو غيره بألوان لقصد الكناية أو التورية لما بين اللونين من التقابل مثال تدبيج الكناية قول أبى تمام :

تردى ثياب الموت حمرا فما أتى لها الليل إلا وهى من سندس خضر

ذكر الحمرة والخضرة وكنى بالأول عن القتل و بالثانى عن الجنة وحديث «مامن عبد يموت فيترك صفراء أو بيضاء إلا جعل الله له بكل قيراط منها صفحة من نار» رواه أحمد ، ومثال الثانى قول الحريرى : فمذاغبر العيش الأخضر ، وازور المحبوب الأصفر ، اسود يومى الأبيض ، وابيض فودى الأسود ، حتى رثى لى العدو الأزرق ، فياحبذا الموت الأحمر ، فالمعنى القريب للمحبوب الأصفر هو الانسان الذى به صفرة والبعيد هو الذهب وهو المراد فيكون تورية وقريب منه قولى فى إحدى مقاماتى : واقتنا ذلك اليوم الأبيض ، نمرح فى الروض الأخضر ، ونسبح فى الماء الأسمر ، على رغم العدو الأزرق ، إلى أن غرب الكوكب الأصفر ، وأقبل الشفق الأحمر ، فاخضر الأسودان وافترقنا واجتمع الفرقدان :

[ومنه نوع سمى المقابله وهى مجىء أحرف مقابله
ترتب الثانى على الأوائل كمثل قولى فى خطاب العاذل
اعفف وذم صل وعز وأفق أوخن وزك اقطع وهن وشاقق
وقال فى المفتاح مهما شرطا فى أول فالضد فى الثانى اشرطا
قلت وذا المثال بالمفوف يسمى ومن أنواعه عد الصفى]

من الطباق نوع يسمى المقابلة وهى أخص منه ، وهو أن تذكر لفظين أو أكثر ثم أضدادها على الترتيب الأول ، فالأول كقوله تعالى : فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ، وقوله تعالى : فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ، وقوله تعالى : جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ، وقوله صلى الله عليه وسلم «إن لله عبادا جعلهم مفاتيح للخير مغاليق للشر» وقوله صلى الله عليه وسلم «ما كان الرفق فى شىء إلا زانه وما كان الخرق فى شىء إلا شانه» رواه مسلم ، وقوله صلى الله عليه وسلم «ما كان الفحش فى شىء إلا شانه وما كان الحياء فى شىء إلا زانه» رواه الترمذى ، وقوله صلى الله عليه وسلم «مروا بالمعروف و إن لم تفعلوه وانهوا عن المنكر و إن كنتم تفعلونه» رواه الطبرانى ومن مقابلة ثلاثة بثلاثة قول أبى دلامة :

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

قال السكاكى إذا شرط فى الأول أمر شرط فى الثانى ضده كقوله تعالى : فأما من أعطى واتقى الآيتين قابل بين الاعطاء والبخل والاتقاء والاستغناء والتصديق والتكذيب واليسرى والعسرى ، ولما جعل التيسير فى الأول مشتركا بين الاعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده وهو التعسير مشتركا بين

أمور ، وإلى متعدد بأن ينظر إلى عدة أمور ويقصد اشتراك الطرفين فى كل واحد منها ليكون فى كل منها وجه تشبيه بخلاف المركب فانه لم يقصد اشتراك الطرفين فى كل من تلك الأمور بل فى الهيئة المنتزعة أو فى الحقيقة الملتئمة منها ، وكل واحد من هذه الثلاثة إما حسى أو عقلى فهذه ستة ويختص المتعدد بالاختلاف بأن يكون بعضه حسيا وبعضه عقليا فالأقسام سبعة : مثال الواحد الحسى تشبيه ثوب بآخر فى لونه ، والعقلى تشبيه العلم بالنور فى الاهتداء ومثال المركب الحسى قوله :

وقد لاح بالفجر الثريا كما ترى كعنقود ملاحية حين نورا

فالوجه هنا الهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرات الصغار المقادير فى رأى العين فنظر إلى عدة أشياء وقصد إلى الهيئة الحاصلة منها ، والعقلى كقوله تعالى ـ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ـ الوجه حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب فى اصطحابه وهو أمر عقلىّ مأخوذ من أمور متعددة لأنه روعى من جهة الحمار فعل مخصوص وهو الحمل ، ومحمول مخصوص وهو الأسفار المشتملة على العلوم وكون الحمار جاهلا بما فيها وكذلك روعى من جهة المشبه أيضا فعل مخصوص وهو الحمل

تعرض

أضدادها وهى البخل والاستغناء والتكذيب . قال الشيخ سعد الدين : وعلى هذا لا يكون بيت أبى دلامة من المقابلة لأنه شرط فى الدين والدنيا الاجتماع ولم يشرط فى الكفر والافلاس ضده والآية المذكورة فيهما مقابلة أربعة بأربعة وكذا حديث الطبرانى السابق ، ومن مقابلة خمسة بخمسة قول المتنبى :

أزورهم وسواد الليل يشفع لى وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

وستة بستة قول القائل :

على رأس عبد تاج عز يزينه وفى رجل حرّ قيد ذلّ يشينه

والبيت الذى نظمته فى مثال هذا النوع فيه نوع آخر من البديع بينته من زيادتى وهو التفويف ذكره الصفى ومتابعوه والطيبى فى التبيان ، وفسروه بأن يؤتى بمعان ملائمة فى جمل مستوية المقدار من قولهم ثوب مفوف إذا كان فيه خطوط ومثل له الشيخ بهاء الدين بقوله تعالى : الذى خلقنى فهو يهدين الآيات ، وقوله تعالى : يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ومثل الصفى بقول أبو الطيب المتنبى :

أقل أنل اقطع احمل عل سل أعد زد هش بش تفضل ادن سر صل

ومثل الطيبى بقول الآخر :

فلو أنّ مابى بالجبال لهدّها وبالنار أطفأها وبالماء لم يجر
وبالناس لم يحيوا وبالدهر لم يكن وبالشمس لم تطلع وبالنجم لم يسر

ومثل الأندلسى بقول الآخر :

يامن يؤمل أن تكون صفاته كصفات عبد الله أنصت واسمع
اصدق وعف وبرّ واصبر واحتمل واحلم ودار وكاف وابذل واشجع

وأما ابن مالك وعبد الباقى فجعلاه ثلاثة أقسام : ما تكون جمله قصارا كبيت أبى الطيب وطوالا كبيتى الطيبى ومتوسطة كبيت الأندلسى . وأما ابن خطيب زملكا فانه فسره بأن تصف المذكور بما يدل على مدحه ثم بما يدل على ذمه لكن تقرنه بما يشعر بأنه مدح كقوله :

هم الأخيار منسكة وهديا وفى الهيجا كأنهم صقور
فهم حرب الكرام على المعالى وفيهم عن مساءتهم فتور

[ثم مراعاة النظير جمع أمر وما ناسبه ويدعوا
تناسبا فان مناسبا ختم مبتدأ تشابه الأطراف سم]

مراعاة النظير ويسمى أيضا التناسب كما فى النظم والتوفيق كما فى التلخيص والائتلاف والمؤاخاة أن تجمع أمرا وما يناسبه لا بالتضادّ وهو أصناف : الأول أن يناسب اللفظ المعنى كقول زهير :

أثافىّ سفعا فى معرس مرجل ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم
فلما عرفت الدار قلت لربعها ألا عم صباحا أيها الربع واسلم

فأتى فى البيت الأول لكون معانيه أعرابية بألفاظ غريبة وأتى فى البيت الثانى لكونها عرفية بألفاظ مستعملة ومثال ذلك من الحديث حديث الصحيحين « ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف أغبر ذى طمرين لايؤبه له لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار كل عتلّ جواظ مستكبر » وفى رواية أحمد « أهل النار كل جعظرى جواظ » وفى رواية أبى نعيم « كل شديد قعبرى مستكبر » أتى فى أهل الجنة بألفاظ سهلة رقيقة وفى أهل النار بألفاظ جفة شديدة وليس فى التخليص

للتوراة لأنها بأيديهم ومحمول مخصوص وهو التوراة المشتملة على العلوم وكون اليهود جاهلين بما فيها حقيقة أو حكما لعدم عملهم بمقتضاها ومثال المتعدد الحسي تشبيه فاكهة بأخرى فى اللون والطعم والرائحة والعقلى تشبيه رجل بآخر

فى العلم والحلم والحياء ومثال المتعدد المختلف حسن الطلعة وكمال الشرف فى تشبيه رجل بالشمس ثم وجه الشبه يكون مأخوذا من التضاد فينزل منزلة التناسب فيشبه الشىء بما قام به معنى مضاد لما قام بذلك المشبه وذلك إذا كان القصد التهكم أى الاستهزاء بالمشبه أو التمليح أى جعل الكلام مليحا مستظرفا كتشبيه البخيل بحاتم فان كان القصد السخرية فالأول أو الانبساط مع المخاطب فالثانى ، فالتمليح هنا بتقديم الميم خلاف ما يأتى فى البديع فانه بتقديم اللام . قال :

[فصل فى أداة التشبيه وغايته وأقسامه]

[أداته كاف كأن مثل
وكل ما ضاهاها ثم الأصل
إيلاء ما كالكاف ما شبه به
بعكس ما سواه فاعلم وانتبه]

أقول : أداة التشبيه

تعرض لهذا القسم . الثانى أن يناسب اللفظ اللفظ كقول البحترى فى وصف الابل التى أنحلها السير .

كالقسى المعطفات بل الأسـ ـهم مبرية بل الأوتار

فانه لما شبه الابل بالقسى فى الرقة والانحناء وأراد تكرير التشبيه كان يمكنه التشبيه بالعراجين وبنون الخط لوجود ذلك فيها فآثر الأسهم والأوتار لمناسبة لفظ القسى وكذا قول ابن رشيق .

أصح وأقوى ما سمعناه فى الندى من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث ترويها السيول عن الحيا عن البحر عن كف الأمير تميم

فيه مناسبة بين الصحة والقوة والسماع والخبر والأحاديث والرواية ، ثم بين السيل والحيا وهو المطر والبحر وكف تميم مع ما فيه من رعاية العنعنة إذ جعل الرواية لصاغر عن كابر كما يقع فى مسند الأحاديث فان السيول أصلها المطر والمطر أصله البحر كما قيل :

كالبحر يمطره السحاب وماله من عليه لأنه من مائه

وكذا قول الآخر فى غلام معه خادم يحرسه :

ومن عجب أن يحرسوك بخادم وخدام هذا الحسن من ذاك أكثر
عذارك ريحان وثغرك جوهر وخدك ياقوت وخالك عنبر

ومثاله من الحديث «ذوالوجهين فى الدنيا وذو اللسانين فى النار» رواه أبو داود وغيره . الثالث أن يناسب المعنى المعنى بأن يؤتى فى آخر الكلام بما يناسب أوله معنى ، وهذا النوع يسمى تشابه الأطراف كقوله تعالى: لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، فان اللطف يناسب مالا يدرك بالبصر والخبرة تناسب ما يدرك . وقد حكى أن أعرابيا سمع قارئا يقرأ: فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله غفور رحيم ولم يكن يقرأ القرآن فقال إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه .

تنبيه : لو ذكر الشىء مع مالا يناسبه كان عيبا و إن كان جائزا كقول أبى نواس .

وقد حلفت يمينا مبرورة لاتكذب برب زمزم والحو ض والصفا والمحصب

قال أبو جعفر الأندلسى عابوا عليه ذكر الحوض مع زمزم والصفا والمحصب فانه غير مناسب وانما يناسب ذكر الحوض مع الميزان والصراط وشبههما من أحوال القيامة . قلت وكأنه أراد حوض زمزم الذى يسقى منه ولو قال بدله والبيت لسلم . قال الأندلسى وكذا لو جاء بمتناسبين فأفرد أحدهما وثنى الآخر أو جمعه فهو عيب كقوله .

ألا يا ابن الذين فنوا وماتوا أما والله ما ماتوا لتبقى
ومالك فاعلمن فيها بقاء إذا استكملت آجالا ورزقا

قال فجمع الأجل وأفرد الرزق وهما متناسبان لا يوجد أحدهما بدون الآخر وكان الأولى خلافه . قلت المختار أن ذلك ليس بعيب وقد تقدم عقب الالتفات من زوائدى أن تفنن الخطاب بذلك من البلاغة وقد ورد من ذلك فى القرآن كثير قال تعالى: ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة فأفرد السمع وجمع الآخرين وقال تعالى : يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل .

[ومنه الارصاد وذا أن تجعلا من قبل عجز البيت ما دل على
تمامه إذا الروى عرفا والبعض بالتسهيم هذا وصفا

الكاف وكأن ومثل ونحوها مما يشتق من المماثلة كنحو ومثل ، والأصل فى الكاف وما أشبهها كلفظ نحو ومثل وشبه أن يليه المشبه به لفظا نحو زيد كأسد أو تقديرا نحو: أو كصيب من السماء أى كمثل ذوى صيب وربما يليه غيره نحو: واضرب لهم

مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه الآية ، ليس المراد تشبيه الدنيا بالماء بل تشبيه حالها فى بهجتها وما يتعلق بها من الهلاك بحال النبات الحاصل من الماء يكون أخضر ثم ييبس فتطيره الرياح بخلاف عكس الكاف ونحوها نحو كأنّ فانه يليها المشبه لا المشبه به نحو كأن زيدا أسد . قال :

[وغاية التشبيه كشف الحال
مقدار اومكان اوايصال
تزيين اوتشويه اهتمام
تنويه استطراف او إيهام
رجحانه فى الوجه فى القلوب
كالليث مثل الفاسق المصحوب]

أقول : غاية التشبيه أى فائدته أمور : منها كشف حال المشبه أى بيان أنه على أى وصف من الأوصاف كتشبيه ثوب بثوب فى لونه إذا كان لونه مجهولا للمخاطب . ومنها بيان مقدار حال المشبه إذا كان السامع يعلمها إجمالا كما فى تشبيه الثوب الأسود بالغراب فى شدة السواد ، ومنها بيان إمكان وجوده بأن يكون أمرا غريبا يمكن أن يخالف فيه ويدعى امتناعه فيستشهد له بالتشبيه كقوله

فان تفق الأنام وأنت منهم ... فان المسك بعض دم الغزال

فانه لما ادعى أن الممدوح فاق الناس حتى صار أصلا برأسه وجنسا بنفسه وكان هذا فى الظاهر كالممتنع احتجّ لهذه الدعوى وبين إمكانها بأن شبه هذه

جانب

[قلت بشرط أن يكون اللفظ دل ... فان يك المعنى فتوشيح أجل]

الارصاد لغة مصدر أرصدت الشيء إذا أعددته واصطلاحا أن يكون فيما تقدّم من البيت أو النثر دليل على آخره إذا عرف الروىّ فكأنه أرصد الكلام الأول لمعرفة آخره ومنهم من يسميه التسهيم من سهمت الشيء أى صوبته كأنه صوب الكلام الأول لقصد الدلالة على الآخر ، وهو قسمان : أحدهما أن تكون دلالته لفظية نحو ـ وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ـ الآية فدلّ قوله فاختلفوا مع قوله لقضى على أن الفاصلة يختلفون وكذا قوله جلّ وعلا ـ وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ـ وقول زهير :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ... ثمانين عاما لا أبالك يسأم

الثانى : أن تكون معنوية كقوله تعالى ـ إن الله اصطفى آدم ـ الآية فان الاصطفاء يدل على أن الفاصلة العالمين لا باللفظ لأن لفظ العالمين غير لفظ اصطفى ولكن بالمعنى لأنه يعلم من جهته أن من لوازم اصطفين شيء أن يكون مختارا على جنسه وجنس هؤلاء المصطفين العالمون ، وأوردوا ههنا الحديث أنه لما نزل ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الآيات قال بعض الصحابة تبارك الله أحسن الخالقين قبل أن يسمعها فقال النبى صلى الله عليه وسلم بها ختمت وقد روى أن قائل ذلك عمر رضى الله تعالى عنه وهى معدودة من موافقاته أخرجه ابن أبى حاتم وروى اسحق بن راهويه فى مسنده والطبرانى فى معجمه من حديث زيد بن ثابت أنه معاذ بن جبل ثم نبهت من زيادتى على التوشيح وقد اختلف فيه فقيل هو القسم الثانى من التسهيم وهو ما كانت دلالته معنوية . وقال الشيخ بهاء الدين وهو ما كان فيه اللفظ الدالّ على القافية أول البيت قال فى التسهيم أعمّ وعلى الأول مشى ابن مالك فى المصباح فقال هو أن تكون فى الصدر كلمة إذا عرفت معناها عرفت منه القافية لكونه من جنس معنى القافية أو ملزوما له ثم مثل بآية إن الله اصطفى :

[ومنه ما يدعونه المشاكله ... أن يذكر الشيء بلفظ ليس له
لكونه صحبته تحقيقا او ... مقدرا ومكر الله تلوا
وقولهم قالوا اقترح شيئا نجد ... قلت اطبخوا لى جبة بيت عهد]

المشاكلة لغة المماثلة ، واصطلاحا ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقا أو تقديرا وقال بعضهم ذكره بلفظ مصاحبه لوقوعه فى صحبته قال واحترزنا بقولنا لوقوعه فى صحبته عن الجناس التام والمجاز فانك إذا قلت مال زيد المال لمن بذل المال فقد عبرت عن الثانى بلفظ مصاحبه ولكن لا لأجل المصاحبة بل لكون الواضع وضعه للثانى حقيقة كما وضعه للأول وإذا قلت قتل الأسد من كان أسدا وأنت تعنى بالأول السبع وبالثانى الشجاع فقد عبرت عن الثانى بلفظ الأول لا للمصاحبة بل لوجه من وجوه المجاز قال فالمشاكلة إذن لا حقيقة ولا مجاز أما الأول فلأن الطبخ مثلا فى البيت الآتى لا تدل على الخياطة وضعا ، وأما الثانى فلعدم العلاقة المعتبرة قال وإن أورد أن الواسطة لم يقولوا بها حيث قسموا اللفظ إلى حقيقته ومجاز قلنا هو تقسيم باعتبار اللفظ مع معناه وهذا باعتباره مع مشاكله لا بالنظر إلى وضع اللفظ للمعنى . قلت هذا الكلام يحتاج إلى تأمل وفحص والذى يظهر فى بادىء الرأى أنها مجاز وما ادعاه من عدم العلاقة ممنوع ويكفى فى العلاقة المصاحبة مثال التحقيقى قوله تعالى : تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ومكروا ومكر الله ، فان إطلاق النفس والمكر فى

الحالة بحالة المسك الذى هو من الدماء ثم إنه لايعد من الدماء لما فيه من الأوصاف الشريفة التى لاتوجد فى الدم والتشبيه فيه ضمنى لاتصريحى ، ومنها إيصال حال المشبه أى تقريرها فى نفس السامع وتقوية شأنه كما فى تشبيه من لم يحصل من سعيه على طائل بمن يرقم على الماء . ومنها تزيين المشبه ليرغب فيه كتشبيه وجه أسود بمقلة الظبى ، ومنها تشويهه أى تقبيحه ليرغب عنه كتشبيه وجه مجدور بسلحة جامدة وقد نقرتها الديكة ومنها الاهتمام بالمشبه به كتشبيه الجائع وجها كالبدر فى الاشراق والاستدارة بالرغيف ويسمى إظهار المطلوب ، ومنها التنويه بالمشبه فى إظهاره وشهرته كتشبيه رجل خامل الذكر برجل مشهور بين الناس ومنها استطراف المشبه أى عده طريفا حديثا بديعا كما فى تشبيه فحم فيه جمر موقد ببحر من المسك موجه الذهب لابراز المشبه فى صورة الممتنع عادة ومنها إيهام رجحان المشبه على المشبه به فى وجه الشبه وذلك فى التشبيه المقلوب كقوله :

وبدا الصباح كأن غرته * وجه الخليفة حين يمتدح فقيه إيهام ان وجه الخليفة أتم من الصباح فى الوضوح والضياء ومنه مثال المتن، وهو الليث مثل الفاسق المصحوب فالفاسق الصاحب مثل الأسد فى عدم أمن غائلته وعوده على صاحبه بالضرر

جانب البارىء تعالى إنما هو للمشاكلة وكذا قوله تعالى – وجزاء سيئة سيئة مثلها – إذ الجزاء لايوصف بكونه سيئة لأنه حق وفى الحديث «خذوا من الأعمال ماتطيقون فان الله لايمل حتى تملوا» رواه الشيخان . المعنى لايقطع فضله عنكم ، وقول الشاعر :

قال اقترح شيئا نجدلك طبخه   قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

أى خيطوا لى ، ومثال التقديرى قوله تعالى – صبغة الله – أى تطهير الله لأن الايمان يطهر النفوس والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون إنه تطهير لهم فعبر عن الايمان بصبغة الله للمشاكلة بهذه القرينة .

[تنبيه] الغالب تأخير اللفظ الذى تقع به المشاكلة عما يشاكله كما تقدم وقد يتقدم كقوله تعالى : فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم .

[ثم المزاوجة إن زواج فى   الشرط والجزا المعنى قد يفى]

المزاوجة ويقال الازدواج ، وأصله اقتران الشيئين أن يؤتى فى كل واحد من الشرط والجزاء بأمرين مزدوجين كقول البحترى :

إذا مانهى الناهى فلج به الهوى   أصاخت إلى الواشى فلج بها الهجر

وقوله : إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها   تذكرت القربى ففاضت دموعها

فان كان الشرط مزدوجا دون الجواب لم يسم بذلك كقوله تعالى – بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون – ومثاله من الحديث مارواه أبو يعلى من حديث أبى موسى «من أكل فشبع وشرب فروى فقال الحمد لله الذى أطعمنى فأشبعنى وسقانى فأروانى خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» فوقعت فى الشرط مزاوجات كثيرة لطيفة وبيان الازدواج فى الجواب أن يقدر خرج من ذنوبه فهو كيوم ولدته أمه» وروى الشيخان حديث «من نسى وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فانما أطعمه الله وسقاه» وروى الطبرانى من حديث انس «من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم يومئذ وكان له بعدد من دفن فيها حسنات :

[والعكس تأخير الذى قدم فى   أحد طرفى جملة أن تضف
أو جملتين اسميتين أوجلا   فعليتين والرجوع ان على
كلامه السابق قد يعود   لنقضه لنكتة يريد
قلت ومنه السلب والايجاب إن   من جهتين اشتملاه حيث عن
ومنه مدح الشىء ثم ذمه   أو عكسه تغاير يعمه]

فى هذه الابيات أنواع : أحدها العكس ويسمى التبديل ، وهو أن يقدم فى الكلام جزء ثم يؤخر وهو أنواع : الأول أن يقع بين أحد طرفى جملة وما أضيف إليه نحو: قول الامام إمام القول وعادات السادات سادات العادات ، وحديث محرم الحلال كمحلل الحرام رواه الطبرانى .

الثانى : ان يقع بين لفظين فى طرفى جملتين اسميتين نحو . قوله تعالى – لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن .

الثالث : أن يقع بين متعلق فعلين فى جملتين نحو يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى وقد يقع بين متعلق اسمية وفعلية كقوله صلى الله عليه وسلم «لست من ددولادد منى» رواه الطبرانى .

النوع الثانى : الرجوع وهو أن يرجع المتكلم عن الكلام السابق بالنقض بأن ينفى مثبتا أو يثبت

ففيه إيهام أن الفاسق المصحوب أرجح من الليث فى وجه الشبه. قال : [وباعتبار طرفيه ينقسم * أربعة تركيبا إفرادا علم]

أقول ينقسم التشبيه باعتبار الطرفين إلى أربعة أقسام : الأول تشبيه مفرد بمفرد كتشبيه الخد بالورد . الثانى تشبيه مفرد بمركب كتشبيه الشقيق بأعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد. الثالث تشبيه مركب بمركب بأن يكون فى كل من الطرفين كيفية حاصلة من عدة أشياء قد تضامت حتى عادت شيئا واحدا كما فى قوله :

كأنّ مثار النقع فوق رءوسنا
وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

الرابع تشبيه مركب بمفرد كما فى تشبيه نهار مشمس قد شابه زهر الربا بليل مقمر فالمشبه مركب والمشبه به مفرد . قال :

[وباعتبار عدد ملفوف او
مفروق أو تسوية جمع رأوا]

أقول : ينقسم التشبيه باعتبار تعدد طرفيه إلى ملفوف وهو أن يؤتى أولا بالمشبهات على طريق العطف أو غيره ثم بالمشبه بها كذلك كقوله فى وصف العقاب بكثرة اصطياد الطيور :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

شبه الطرىّ من قلوب الطير بالعناب واليابس منها بالحشف البالى وإلى مفروق وهو أن يؤتى بمشبه ومشبه به ثم آخر وآخر كقوله :

منفيا ، وإنما يكون لنكتة وإلا فهو كذب محض مثاله قول زهير :

قف بالديار التى لم يعفها القدم * بلى وغيرها الأرواح والديم

والنكتة فيه أنه يبين برجوعه دهش عقله عند رؤية ديار أحبته فلم يعرف مايقول وتوهم ماليس بصحيح فلما راجعه عقله رجع بالنقض عن الكلام الأول . الثالث السلب والايجاب نبهت عليه من زيادتى وقد ذكر ابن أبى الأصبع أنه من مستخرجاته ولكنه سبقه إليه العسكرى وعرفه بأن يبنى المتكلم كلامه على نفى شىء من جهة واثباته من جهة أخرى كقوله تعالى ـ فلا تقل لهما أف ولاتنهرهما وقل لهما قولا كريما ـ قال الشيخ بهاء الدين وهو راجع إلى الطباق ، وقال ابن حجة هو بمعنى الرجوع وفسره ابن أبى الأصبع بأن يقصد المادح إفراد ممدوحه بصفة لايشركه فيها غيره فينفيها فى أول كلامه عن الناس ويثبتها لممدوحه كقول الخنساء :

وما بلغت كف امرىء متناولا * من المجد إلا والذى نلت أطول
وما بلغ المهدون للناس مدحة * وإن أطنبوا إلا الذى فيك أفضل

الرابع التغاير وذكرته من زيادتى ويسمى التلطف أيضا ، وهو أن يغاير ما كان عليه بأن يمدح الشىء ثم يذمه أو بالعكس كقول الصفى بعد أن شكا من العذال :

فالله يكلأ عذالى ويلهمهم * عذلى فقد فرّحوا قلبى بذكرهم
[ومنه الايهام ويدعى التوريه * وفضلوا ذا النوع ثم تاليه
إطلاق لفظ شركة ويقصد * بعيده فتارة يجرّد
مما يلائم القريب كاستوى * ثم المرشح الذى له حوى
قلت لقد قصر فى بيانها * فليس فى البديع مثل شانها
وكل مايلازم لايقترن * لا لقريب او بعيد قد زكن
فهى التى تجردت وألحقا * ما اللازمان استويا واتفقا
وسم مايلازم الذى دنا * مرشحا وضده مبينا
كلاهما قبل أو بعد ذكر * ثم المهيأة فما لاتستقر
إلا بلفظ قبلها أو بعدها * أو لفظتين فقد لفظ فقدها]

التورية ، ويقال لها الايهام بالتحتية والتخييل فن عظيم وباب منيع ، وهى والاستخدام أفضل أنواع البديع كما نبهت عليه فى النصف الثانى من البيت الأول وهو من زيادتى وثم فيه للترتيب الذكرى لاالمعنوى لأن الأندلسى صرّح بأن الاستخدام أجل من التورية وأعذب وألطف وإن كان المختار عندى أنهما سيان ، وأصل التورية مصدر ورّيت الخبر إذا سترته وأظهرت غيره كأنه مأخوذ من وراء الانسان كأن المتكلم يجعله وراءه بحيث لايظهر ، وحدها أن يذكر لفظ له معنيان وهو المراد بقولى لفظ شركة والمراد الشركة المعنوية أعم من أن يكونا حقيقيتين أو أحدهما حقيقة والآخر مجازا لا الشركة الأصولية فان ذلك لا يكون فى المجاز ويكون أحد المعنيين قريبا أى ظاهرا بحسب العرف والآخر بعيدا ويقصد البعيد ويورّى عنه بالقريب فيتوهمه السامع من أول وهلة ولذلك سمى أيضا بالايهام ثم تارة لايذكر فيها شىء من لوازم المورى به وهو القريب فتسمى مجردة وتارة يذكر فتسمى مرشحة هذا ماذكره صاحب التلخيص ولعمرى لقد قصر فى شأن

التورية

التورية ، وما أنصفها حيث أخل بذكر أقسامها وهى أعظم أنواع هذا الفن وأجله قال الزمخشرى : ولا ترى بابا فى البيان أدق ولا ألطف من التورية ولا أنفع ولا أعون على تأويل المتشابهات فى كلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من ذلك قوله تعالى - الرحمن على العرش استوى - فإن الاستواء على معنيين : الاستقرار فى المكان وهو المعنى القريب المورّى به الذى هو غير مقصود لتنزيه الحق تعالى عنه . والثانى الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المقصود الذى ورى عنه بالقريب المذكور انتهى ، ومن ذلك قول أبى بكر رضى الله تعالى عنه فى الهجرة وقد سئل عن النبى صلى الله عليه وسلم من هذا ؟ فقال رجل يهدينى إلى السبيل أراد يهدينى إلى الاسلام فورى عنه بهادى الطريق وهو الدليل فى السفر . قال ابن حجة وكانت خواطر المتقدمين عن التورية بمعزل وأفكارهم مع صحتها ماخيمت عليها بمنزل وربما وقعت لهم عفوا من غير قصد وأول من كشف غطاءها وجلا ظلمة إشكالها المتنبى وتلاه أبو العلاء فأتى بها على عقادة وتكلف ، ثم القاضى الفاضل وهو الذى كشف بعد طول التحجب ستر حجابها ثم تداولها الناس بعده فسموا إلى أفقها وأطلعوا شموسها وقسموا التورية على أربعة أقسام : مجردة ومرشحة ومبينة ومهيأة ، وكل من هذه الأربعة قسمان فالمجرّدة هى التى لم يذكر فيها شىء من لوازم القريب المورى به ولا البعيد المورى عنه كالآية السابقة وقول أبى بكر السابق ، وقول إبراهيم عليه السلام لما سأله الجبار عن زوجته هذه أختى أراد أخوّة الإسلام وقول ابن عبد الظاهر يصف واديا .

و بطحاء من واد يروقك حسنه ولا سيما إن جاد غيث مبكر
به الفضل يبدو والربيع وكم غدا به العيش يحيى وهو لا شك جعفر

فالتورية وقعت فى الفضل والربيع ويحيى وجعفر والاشتراك فى كل من الأربعة ظاهر ، وقول ابن زبلاق وقد أهدى لبدر الدين لؤلؤ حملا .

يا أيها المولى الذى ببابه كل أمل لولم تكن بدرا لما أهدى لك الثور الحمل

وقعت التورية بالبدر والثور والحمل وهى مشتركة بين بدر السماء واسم الممدوح والثور والحمل بين البرجين والحيوانين وقد وجدت من هذا فى الحديث قوله صلى الله عليه وسلم « الحجر الأسود يمين الله فى أرضه فمن لم يدرك بيعة النبى صلى الله عليه وسلم فمسح الحجر فقد بايع الله » و يلحق بهذا النوع ما كان فيه لازمان فتكافآ ولم يترجح أحدهما على الآخر فكأنهما لم يذكرا وصار معنى القريب والبعيد بذلك فى درجة واحدة . قلت وينبغى أن تسمى هذه مقترنة كقول البحترى :

ووراء تسدية الوشاح ملية بالحسن تملح فى القلوب وتعذب

تعارض اللازمان فى تملح فانه يحتمل أن يكون من الملوحة ولازمه تعذب وهو المعنى القريب وأن يكون من الملاحة ولازمه ملية بالحسن وهو البعيد المورى عنه وقول ابن الوردى :

قالت إذا كنت تهوى أنسى وتخشى نفورى
صف ورد خدى وإلا أجور ناديت جورى

وأما المرشحة فهى التى يذكر فيها لازم المورى به قبل لفظ التورية أو بعده سميت بذلك لتقويتها به لأنه المورى به غير مراد فكأنه ضعيف فاذا ذكر لازمه تقوى به ، فالأوّل وهو ماذكر اللازم من قبل كقوله تعالى - والسماء بنيناها بأيد - فانه يحتمل الجارحة وهو المورى به وقد ذكر من لوازمه

النغر باللؤلؤ المنضد أو البرد أو الاقاح فى قوله:
كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو اقاح.
قال :
[وباعتبار الوجه تمثيل إذا
من متعدد تراه أخذا]
أقول: ينقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى تمثيل وهو ما كان وجه الشبه فيه وصفا منتزعا من متعدد كما فى إنى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فالمشبه هيئة منتزعة من أمور متعددة والمشبه به كذلك والى غير تمثيل وهو ماليس وجهه كذلك نحو الصالح فى هذا الزمان كالكبريت الأحمر. قال
[و باعتبار الوجه أيضا مجمل
خفى وجلى اومفصل]
أقول: ينقسم التشبيه أيضا باعتبار الوجه إلى مجمل وهو مالم يذكر فيه وجه الشبه كالمثال المتقدم والوجه الغرة ومن الوجه ماهو خفى لايفهمه إلا الخواص كقول بعضهم هم

كالحلقة المفرغة لايدرى أين طرفاها : أى هم متناسبون فى الشرف كما أن الحلقة متناسبة الأجزاء فى الصورة ، ومنه ماهو ظاهر يفهمه كل أحد نحو زيد كالأسد ، و إلى مفصل وهو ماذكر فيه وجه

الشبه كقوله : وثغره فى صفاء وأدمعى كاللآلى قال: [ومنه باعتباره أيضا قريب وهوجلىّ الوجه عكسه الغريب
لكثرة التفصيل أو لندرة فى الذهن كالتركيب فى كنهية] أقول : ينقسم التشبيه أيضا باعتبار

وجهه إلى قريب مبتذل ، وهومايتنقل فيه من المشبه إلى المشبه به من غير احتياج إلى تأمل كتشبيه الجرة صغيرة بالكوز فى المقدار والشكل والى غريب وهو مالا ينتقل فيه إلا بعد الفكر كتشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل ، إما لكثرة التفصيل فى الوجه كهذا المثال أو ندور حصول المشبه به فى الذهن لكونه وهميا كأنياب الأغوال أو مركبا خياليا نحو : أعلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد أو مركبا عقليا نحو كمثل الحمار يحمل أسفارا ، والمراد بالنهية العقل أى كالمركب العقلى ، وفى بعض النسخ لكثرة التفصيل بعد النسبة وهو بضم الباء معطوف بحذف العاطف وأل فى النسبة عوض عن المضاف إليه أى ومن أسباب الغرابة بعد نسبة المشبه به عن المشبه

على جهة الترشيح البنيان ويحتمل القوة والقدرة وهو البعيد المقصود ومنه قول ابن دانيال الكحال :

ياسائلى عن حرفتى فى الورى　　وصنعتى فيهم وإفلاسى
ماحال من درهم إنفاقه　　يأخذه من أعين الناس

فقوله أعين الناس يحتمل الحسد وضيق الأعين وهو الورى به ولازمه درهم الانفاق لأنه من لوازم الحسد ويحتمل العيون التى يلاطفها بالكحل وهو المورى عنه وقول ابن نباتة فى مليح له عم وعلى وجنته خال :

لولا سطا عمه لفزنا　　ويلاه من عمه وخاله

فالخال معناه البعيد النقطة والقريب أخو الأم والعم ترشيح له والثانى وهوماذكر بعد كقول الشاعر :

مذ همت من وجدى فى خالها　　ولم أصل منه إلى اللثم
قالت قفوا واستمعوا ماجرى　　خالى قد هام به عمى

ذكر العم بعد الخال ترشيحا له ، وقول الآخر :

أقلعت عن رشف الطلى　　واللثم فى ثغر الحبب　　وقلت هذى راحة　　تسوق للقلب التعب

فراحة معناها القريب ضدّ التعب وقد ذكر بعدها ترشيحا لها والبعيد وهو المورى به الخمر . وأما المبينة فهى ماذكر فيها لازم المورى عنه قبل أو بعد سميت بذلك لتبين المورى عنه بذكر لازمه إذ كان قبل ذلك خفيا أنه المعنى فلما ذكر لازمه تبين فالأول كقول شيخ الشيوخ الحموى :

قالوا أما فى جلق نزهة　　تنسيك من أنت به مغرى
ياعاذلى دونك من لحظه　　سهما ومن عارضه سطرا

فالسهم والسطر موضعان من منتزهات دمشق وذلك البعيد المورى عنه وذكر النزهة بجلق قبلهما مبين لهما والقريب سهم اللحظ وسطر العارض وقلت فى ذلك أرثى غصونا أمّ أولادى رحمها الله تعالى :

يامن رآنى بالهموم مطوّقا　　وظللت من فقدى غصونا فى شجون
أتلومنى فى عظم نوحى والبكا　　شأن المطوّق أن ينوح على غصون

والثانى كقول ابن سناء الملك :

أما والله لولا خوف سخطك　　لهان علىّ ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا　　وليس هما سوى قلبى وقرطك

فالخافقين يحتمل القرط والقلب وهو البعيد وقد بينه بعد والمشرق والمغرب وهو المورى به . وأما المهيأة فمالاتقع التورية فيه ولاتتهيأ إلا بلفظ قبلها أو بعدها أوتكون التورية فى لفظين لولا كلّ منهما لما تهيأت التورية وهو معنى قولى فقد كل فقدها : أى يوجب فقدها ، فالأول وهو مايتهيأ بلفظ قبل كقول ابن سناء الملك :

وسيرك فينا سيرة عمرية　　فروّحت عن قلبى وفرجت عن كربى
وأظهرت فينا من سمائك سنة　　فأظهرت ذاك الفرض من ذلك الندب

فالفرض والندب معناهما القريب الحكمان الشرعيان والبعيد الفرض بمعنى العطاء والندب الرجل السريع فى قضاء الحوائج ولولا ذكر السنة لما تهيأت التورية ولا فهم الحكمان . والثانى وهو ماتتهيأ بلفظ بعد كقول على رضى الله عنه فى الأشعث بن قيس : انه كان يحوك الشمال باليمين فالشمال معناها القريب ضدّ اليمين والمورى عنه جمع شملة ولولا ذكر اليمين بعده مافهم السامع معنى اليد

فيقل بذلك حضور المشبه به فى الذهن حين حضور المشبه . قال :

[وباعتبار آلة مؤكد　　بحذفها ومرسل إذ توجد　　ومنه مقبول بغاية يفى　　وعكسه المردود ذو التعسف

الذى

وأبلغ التشبيه مامنه حذف * وجه وآلة يليه ماعرف] أقول : ينقسم التشبيه باعتبار أداته إلى مؤكد ومرسل ، فالمؤكد ماحذفت أداته نحو زيد أسد ، والمرسل ماذكرت فيه الأداة نحو زيد كالبدر وسمى مرسلا لإرساله عن التأكيد المقتضى بظاهره أن المشبه عين المشبه به ، ثم من التشبيه ماهو مقبول وهو الوافى بأى غرض من الأغراض المتقدمة وماهو مردود وهو عكسه ، أى الغير الوافى بذلك ، والبليغ من التشبيه ماحذف منه وجه الشبه وأداة التشبيه نحو زيد أسد أو مع حذف المشبه نحو أسد فى مقام الاخبار عن زيد ويليه حذف أحدهما أى الوجه أو الأداة أى فقط أو مع حذف المشبه نحو كالأسد ونحو كالأسد عند الاخبار عن زيد ونحو زيد أسد فى الشجاعة ونحو أسد فى الشجاعة عند الاخبار عن زيد ولا قوة لذكرهما معا مع ذكر المشبه أو بدونه نحو زيد كالأسد فى الشجاعة ونحو كالأسد فى الشجاعة خبرا عن زيد . قال :

[الباب الثانى
الحقيقة والمجاز]

[حقيقة مستعمل فيما وضعله بعرف ذى الخطاب فاتبع] أقول : المقصود من هذا المبحث المجاز إذ به يتأتى اختلاف الطرق فذكر الحقيقة لمقابلتها له لا لتوقفه عليها لأن التحقيق عدم التوقف ، والحقيقة فى الأصل من حق الشىء ثبت سميت بذلك لثبوت اللفظ على أصل وضعه

الذى به التورية وقول الشاعر :

لولا التطير بالخلاف وأنهم ... قالوا مريض لايعود مريضا
لقضيت نحبا فى جنابك خدمة ... لأكون مندوبا قضى مفروضا

فالمندوب معناه المورى عنه الميت الذى يبكى عليه والمورى به الحكم الشرعى ولولا ذكر المفروض بعده لما تهيأت التورية والثالث وهو مالا يقع إلا بلفظين لولا كل منهما لم تتهيأ كقول عمر بن أبى ربيعة المخزومى لما تزوج سهيل رجل فى غاية القبح ثريا بنت عبدالله بن الحرث بن أمية وهى فى غاية الجمال :

أيها المنكح الثريا سهيلا ... عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية إذا ما استقلت ... وسهيل إذا استقل يمانى

فالمعنى المورى به الكوكبان والمورى عنه الزوجان ولولا ذكر الثريا الذى هو النجم لم يتنبه السامع لسهيل وكل منهما صالح للتورية .

تنبيهات : الأول قال أهل الفن ليس كل لفظ مشترك بين معنيين تتصور فيه التورية كاللغات التى تدور على الألسنة وإنما تتصور حيث يكون المعنيان ظاهرين إلا أن أحدهما أسبق إلى الفهم من الآخر وهذا يختلف باختلاف الأماكن والعرف وبحسب اللوازم المبينة والمرشحة .

الثانى : قال الشيخ بهاء الدين التورية المجردة يدخل فيها الاستعارة المجرده والمطلقة ، والتورية المرشحة نوع من الاستعارة المرشحة فى الأصل ، والفرق بينهما أن مع الاستعارة قرينة تصرف اللفظ لها وتجعل المعنى البعيد قريبا والتورية ليست كذلك والغالب عليها الترشيح بما يبعد إرادة المجاز .

الثالث : الفرق بين اللفظ الذى تتهيأ به التورية والذى تترشح به والذى تتبين به أن الأول لو لم يذكر لم تتهيأ التورية أصلا والآخران مقربان للتورية ولو لم يذكرا كانت موجودة .

الرابع : قال الأندلسى المجردة أعم من المهيأة لأنه كلما وجدت المهيأة وجدت المجردة ولاعكس لأن المجردة تكون فى لفظ واحد فان تعلق بغيره فمهيأة أيضا وإلا فلا .

الخامس : المراد باللازم شىء يختص بأحد المعنيين وشرطه أن لا يكون لفظه مشتركا .

السادس : الفرق بين التورية واللغز أن لفظ التورية يكون المعنى المراد منه مدلولا عليه باللفظ حقيقة كان أو مجازا والمعنى المراد من اللغز لايدل عليه اللفظ بحقيقة ولامجاز ولا يكون من عوارض ذلك اللفظ إنما هو أمر مدرك بالحدث والتخمين ولذلك تتفاوت الأذهان فى استخراجه .

السابع : حكى بعضهم فى التورية قولا نادرا فقال : هى أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى ثم يرددها بعينها ويعلقها بمعنى آخر نحو : مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته فجاء بلفظ الجلالة مضافا إليه ثم جاء به مبتدأ مثل قوله أحق أن تقوم فيه فيه رجال الأول متعلق بتقوم والثانى خبر رجال كذا أورده الأندلسى نقلا عن ابن النقيب فى تفسيره ونظيره من الحديث من تمام الصلاة الصلاة فى النعلين رواه الطبرانى . قلت : الظاهر أن هذا القول تصحف على ناقله فان هذا هو النوع المسمى بالترديد السابق فى الاطناب فتحرف على الناقل الترديد بالتورية ثم رأيت فى المصباح لابن مالك التمثيل بالآية الأولى للترديد فصح ماقلته .

[واعدد هنا الترشيح والتوهيما ... وافرق بذهن قد حوى تقويما]

هذا البيت أيضا من زيادتى وفيه نوعان الترشيح والتوهيم ولهما مناسبة بالتورية ، والترشيح أن

والمجاز من جاز المكان يجوزه إذا تعداه إلى مكان آخر سمي بذلك لأنهم جازوا به معناه الأصلي إلى معنى آخر والحقيقة عرفا اللفظ
المستعمل فيما وضع له في اصطلاح المخاطب نخرج المهمل فلا يوصف بحقيقة ولا مجاز والمستعمل في غير
ماوضع له غلطا إن لم تكن علاقة ومجازا إن كانت والمستعمل فيما وضع له في غير عرف المخاطب كالصلاة المستعملة عند اللغوي في الدعاء إذا استعملها في الهيئة المخصوصة فانها حينئذ ليست حقيقة لأن هذا ليس عرف اللغوي ومثلها الفعل إذا استعمله اللغوي في الحدث والزمان فقوله مستعمل أي لفظ مستعمل وماواقعة على المعنى والمراد بذي الخطاب المخاطب بكسر الطاء قال :

[ثم المجاز قد يجيء مفردا
وقد يجي مركبا فالمبتدا
كلمة غايرت موضوعا مع
قرينة لعلقة نلت الورع
كاخلع نعال الكون كي تراه
وغض طرف القلب عن سواه]

أقول : المجاز قسمان مفرد ومركب فالمفرد الكلمة المستعملة في غير ماوضعت له لعلاقة وقرينة مانعة من إرادته كالأسد الذي استعمله اللغوي في الرجل الشجاع واستعمال الخلع والغض في الاعراض عما سوى الله تعالى ، نخرج المهمل والغلط والكتاية وغايرت تجاوزت ، والورع ترك مالاشبهة فيه خوفا من الوقوع في الشبهة

يأتي المتكلم بكلمة لاتصلح لضرب من المحاسن حتى يؤتى بلفظة ترشحها وتؤهلها لذلك ، وذلك شامل لترشيح التورية والاستعارة والتشبيه والطباق وغير ذلك ولذلك أفردوه بنوع كقوله :

وإذا رجوت المستحيل فانما ... تبنى الرجاء على شفير هار

فلولا الشفير لم يكن في الرجاء تورية برجا البئر وقوله :

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه ... ياجنتي لرأيت فيه جهنما

فقوله ياجنتي رشحت لفظة جهنم للمطابقة ، وأما التوهيم فذكر لفظ يوهم خلاف المقصود وهو أيضا شامل لتوهيم التورية والطباق وغيرهما ، فأما إيهام التورية فكقول الصفي :

حتى إذا صدروا والخيل صائمة ... من بعد ماصلت الأسياف في القمم

فذكر صيام الخيل يوهم أن صلت من الصلاة والمراد الصليل وهو صوت الحديد ومنه قوله تعالى : الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان فذكر النجم توهيم لأنه يوهم أن المراد نجم السماء والمراد نجم النبات قلت ومنه حديث الديلمي مثل الناظر في النجوم كالناظر في عين الشمس كلما اشتد نظره فيها ضعف بصره ففي هذا الحديث ثلاثة توهيمات في الناظر وفي النجوم وفي بصره فتأمل. وأما توهيم الطباق فكقوله * تردى ثياب الموت حمرا * البيت فانه أوهم الطباق بين الأحمر والأخضر ولامطابقة إذ لاتضاد بينهما قلت ومثاله من الحديث حديث مسلم من لطم حر وجه عبده فان كفارته عتقه فذكر حر توهيم للطباق مع عبده وليس ضده ، ومنها أن يأتي المتكلم بكلمة توهم بما بعدها أنه أراد تصحيفها ومراده خلاف مايتوهمه السامع كقوله :

وإن الفئام الذي حوله ... لتحسد أرجلها الأرؤس

فلفظة الأرجل توهم السامع أن لفظة الفئام بالقاف ومراده بالفاء وهي الجماعات الكثيرة :

[ومنه الاستخدام أن يرادا ... بكلمة بعض الذي أفادا
ثم بضمر لها البواقي ... أو أول بضمر والباقي
بآخر كجل عينا أحمد ... أخجلها وهابها المعتمد]

الاستخدام استفعال وهو كما قال السكاكي وأتباعه إطلاق لفظ مشترك بين معنيين مراد به أحدهما ثم يعاد عليه ضمير مراد به المعنى الآخر أو يعاد عليه ضميران مراد بكل واحد منهما مثال الأول قول الشاعر :

إذا نزل السماء بأرض قوم ... رعيناه ولو كانوا غضابا

فالسماء يراد به المطر وهو المراد أولا والنبات وهو المراد بضميره ، ومنه المثال المذكور في البيت فالعين فيه بمعنى الذات والضمير في أخجلها بمعنى الشمس وفي وهابها بمعنى الذهب . وأحلى ماقيل في هذا النوع قول بعضهم :

وللغزالة شيء من تلفته ... ونورها من ضياخديه مكتسب

ومثال الثاني قول البحتري :

فسقى الغضى والساكنيه وإنهم ... شبوه بين جوانحي وضلوعي

فالضمير راجع من ساكنيه إلى الغضى باعتبار المكان ومن شبوه باعتبار الشجر وقال صاحبنا الشهاب المنصور :

ما أحسن

وهو ملاك الدين كله فقليل العمل معه كثير وكثيره مع عدمه قليل بخلاف الطمع فانه مفسدة الدين ومذلة الرجال. قال :

[كلاهما شرعىّ او عرفى   نحو ارتقى للحضرة الصوفى
أو لغوى والمجاز مرسل * أواستعارة فأما الأول
فماسوى تشابه علاقته   جزء وكل او محل آلته
ظرف ومظروف مسبب سبب   وصف لماض او مآل مرتقب]

أقول : كل من الحقيقة والمجاز لغوى وشرعى وعرفى كالصلاة المستعملة لغة فى الدعاء والهيئة المخصوصة والعكس أى الصلاة المستعملة شرعا فى الهيئة والدعاء وكالدابة المستعملة لغة فى كلّ مايدبّ على الأرض وفى ذوات الأربع ، والعرف عام وهو ما لايتعين ناقله عن المعنى اللغوى وخاص ، وهو مايتعين ناقله عن المعنى اللغوى المنقول عنه كالفعل المنقول عند النحاة عن الحدث المعنى اللغوى إلى الكلمة المخصوصة ومنه مثال المتن فان الارتقاء حقيقة فى المحسوسات مجاز فى الترقى فى مقامات السلوك وكالحضرة فان الصوفية نقلوها من المحسوسات إلى دائرة الكمال والصوفى من صفا من الرعونات البشرية حتى وصل بذلك إلى خالق البرية . ثم المجاز المفرد إما مرسل ، وهو ما كانت العلاقة فيه غير المشابهة كاستعمال اسم الجزء فى الكلّ كالكلمة فى الكلام ، وعكسه كاستعمال الأصابع فى الأنامل فى يجعلون

ماأحسن النجم على   سمائه ونهــره   بنوره وزهره   ونوره وزهـره

فأتى مع الاستخدام اللطيف بالجناس واللفّ والنشر .

تنبيهان : أحدهما الفرق بين الاستخدام والتورية أن التورية يراد بها أحد المعنيين والاستخدام يراد به كلاهما . الثانى قد عرف بدر الدين بن مالك وأتباعه الاستخدام باطلاق لفظ مشترك ثم يؤتى بلفظين يفهم من أحدهما أحد المعنيين ومن الآخر الآخر قال الأندلسى والتعريفان راجعان إلى مقصود واحد وهو استعمال المعنيين بيانه فى البيت الأول أنّ نزل ورعيناه يخدمان معنى السماء نزل لمطر ورعيناه للنبات . وفى البيت الثانى الساكنيه يخدم المكان وشبوه يخدم الشجر . ومما يجىء على طريقة ابن مالك دون الأخرى قول أبى العلاء :

قصد الدهر من أبى حمزة الأو   واب مولى حجى وخدن اعتقاد
وفقيها أفكاره شددن للنعـمان مالم يشده شعر زياد

فالنعمان يحتمل أبا حنيفة رضى الله عنه وابن المنذر ملك الحيرة ، وفقيها يخدم الأول وشعر زياد وهو النابغة شاعره يخدم الثانى وليس ضمير يشده للنعمان حتى يجىء على طريقة التلخيص بل اللفظ المشترك فصار طيب الذكر الذى شاده زياد لايعلم لمن هو ، نعم إن قدر مالم يشد له عاد إليه بهذا التقدير . لطيفة : قد تتبعت الأحاديث لأجد فيها مثالا للاستخدام فلم أجد إلا حديث صلوا ركعتى الضحى بسورتيهما الشمس وضحاها والضحى رواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث عقبة فأعاد الضمير على الركعتين باعتبار الضحاءين .

[ومنه الارداف بأن يذكر ما   يرادف المقصـود لا مالزما

هذا النوع من زيادتى وفيه شبه بالتورية والاستخدام وهو الارداف وهو أن يريد المتكلم معنى فلايعبرعنه بلفظه الموضوع له بل بمرادفه كقوله تعالى: واستوت على الجودى حقيقة ذلك جلست على المكان فعدل عن اللفظ الخاص بالمعنى إلى مرادفه لما فى الاستواء من الإشعار بجلوس متمكن لازيغ فيه ولاميل وهذا لايحصل من لفظ الجلوس وقال صلى الله عليه وسلم «كل شىء من المرأة للصائم حلال إلاما بين الرجلين» رواه الطبرانى عبر به عن الفرج وقال صلى الله عليه وسلم «من يضمن لى مابين رجليه وما بين لحييه أضمن له الجنة» رواه الشيخان قالوا ومنه باب مثلك لايبخل وغيرك لايجود وفرق بينه وبين الكناية بأنها انتقال من لازم إلى ملزوم وهومن مذكور إلى متروك .

[فان أتى بما يكون أبعدا   فذلك التمثيل إذ ما قصدا]

هذا النوع أيضا من زيادتى وهو التمثيل وفسره قدامة بأن يريد معنى فلايدل عليه بلفظه الموضوع له ولا بلفظ قريب منه بل يأتى بلفظ أبعد من لفظ الارداف يصلح أن يكون مثالا للفظ المعنى المراد كقولك فلان نقىّ الثوب أى منزه عن العيوب ومنه قوله تعالى : وقضى الأمر أى هلك من قضى الله تعالى هلاكه ونجا من قدر نجاته عدل عن اللفظ الخاص إلى التمثيل لبلاغة الايجاز ولكون الهلاك والنجاة كانا بأمر آمر مطاع ولا يحصل ذلك من اللفظ الخاص ومنه حديث أم زرع «زوجى ليل تهامة لاحرّ ولابرد ولاوخامة ولاسآمة» أرادت وصفه بحسن العشرة مع نسائه فعدلت إلى لفظ التمثيل لمافيه من الزيادة حيث شبهته بليل تهامة المجمع على اعتداله فتضمن حسن الوصف باعتدال المزاج المستلزم حسن العشرة وخصت الليل لما فيه من راحة الحيوان ولأنه سكن ومحلّ الاجتماع

أصابعهم فى آذانهم . ومنها إطلاق اسم الحال على المحلّ وعكسه وقد اجتمعا فى قوله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد إذ المراد بالزينة الثوب والمسجد الصلاة ، ومنها الآلة نحو ، واجعل لى لسان صدق فى الآخرين أى ذكرا حسنا فاستعمل اللسان فى الذكر لأنه آلته ، ومنها استعمال الظرف فى المظروف نحو شربت كوزا أى ماء وعكسه نحو: ففى رحمة الله أى الجنة التى هى ظرف للرحمة ، ومنها إطلاق اسم المسبب على السبب نحو: أمطرت السماء نباتا أى غيثا وعكسه نحو رعينا غيثا أى نباتا ومنها اعتبار ما كان نحو : وآتوا اليتامى أموالهم سماهم يتامى باعتبار وصفهم الماضى ومنها الأول نحو: إنى أرانى أعصر خمرا أى عصيرا يئول إلى الخمر. وإما استعارة ، وهو ما كانت العلاقة فيه المشابهة كالأسد المستعمل فى الرجل الشجاع فى قولك رأيت أسدا فى الحمام ثم إن علاقات المجاز المرسل أكثر مما ذكره المتن ومن أرادها فعليه بما كتبناه على عصام الاستعارات . قال :

[فصل فى الاستعارة]

[والاستعارة مجاز علقته
تشابه كأسد شجاعته ❊ وهى مجاز لغة على الأصح ❊ ومنعت فى علم لم اتضح
وثردا اومعدودا اومؤلفا ❊ منه قرينة لها قد ألفا] أقول : الاستعارة اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة

بالحبيب لاسيما وقد جعلته معتدلا بين الحر والبرد والطول والقصر وهذه صفة ليل تهامة .

[واللف والنشر بأن يعددا ❊ لفظا و بعد ما لكلّ عددا
ولم يعين ماله توكيلا ❊ لسامع مجملا او تفصيلا
مرتبا أو غيره معكوسا او ❊ مشوشا وفيه رابعا حكوا
والخلف فى الأفضل من هذين قر ❊ وقيل لاخلف بتحرير النظر]

اللف مصدر لف الشىء إذا جمعه والنشر مصدر نشره إذا بسطه ، وفى الاصطلاح أن تذكر شيئين أو أشياء إما تفصيلا بالنصّ على كلّ واحد أو إجمالا بأن تأتى بلفظ يشتمل على متعدّد ثم تذكر أشياء على عدد ما ذكرته كلّ واحد يرجع إلى واحد من المتقدّم وتفوّض إلى عقل السامع ردّ كل واحد إلى مايليق به لا أنك تنص عليه . فالاجمالى كقوله تعالى : وقالوا لن يدخل الجنة إلامن كان هودا أو نصارى أى وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى وإنما سوغ الاجمال فى اللف ثبوت العناد بين اليهود والنصارى فلا يمكن أن يقول أحد الفريقين بدخول الفريق الآخر الجنة فوثق بالعقل فى أنه يرد كل قول إلى فريقه لأمن اللبس وقائل ذلك يهود المدينة ونصارى نجران ، والتفصيل ثلاثة أقسام :

أحدها : أن يكون على ترتيب اللف كقوله تعالى : جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فالسكون راجع إلى الليل والابتغاء راجع إلى النهار وقول الشاعر :

ومقرطق يغنى النديم بوجهه ❊ عن كأسه الملأى وعن إبريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها ❊ فى مقلتيه ووجنتيه وريقه

وقول حمدة الأندلسية :

ولما أبى الواشون إلا فراقنا ❊ ومالهم عندى وعندك من ثار
غزوتهم من مقلتيك وأدمعى ❊ ومن نفسى بالسيف والسيل والنار

الثانى : أن يكون على ترتيبه معكوسا كقوله تعالى ـ يوم تبيض وجوه وتسودّ وجوه فأما الذين اسودّت وجوههم الخ وقول الشاعر :

كيف أسلو وأنت حقف وغصن ❊ وغزال لحظا وقدّا وردفا

فاللحظ للغزال والقد للغصن ، والردف للحقف . الثالث : أن يكون لاعلى ترتيبه لاطردا ولاعكسا ويسمى المشوش وذكره والبيت الذى يليه من زيادتى وذكر الزمخشرى قسما رابعا كقوله تعالى: منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله . قال هذا من باب اللف وترتيبه وتقديره ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار إلا أنه فصل بين منامكم وابتغاؤكم بالليل والنهار لأنهما زمانان والزمان والواقع فيه كشىء واحد مع إعانة اللف على الاتحاد ، واختلف هل الأفضل المرتب أو غيره الشامل للمعكوس والمشوش فالشلوبين على الأول وابن رشيق على الثانى؛ قال الشيخ عز الدين بن جماعة والحق عندى أن الأول أراد لغة والآخر أراد بلاغة وهذا معنى قولى وقيل لاخلف الخ .

[والجمع أن يجمع فى حكم عدد ❊ كقول بعض الشعراء إذ زهد
إن الشباب والفراغ والجده ❊ مفسدة للمرء أىّ مفسده]

الجمع أن يجمع بين شيئين أو أشياء متعددة فى حكم كقوله تعالى: المال والبنون زينة الحياة الدنيا جمع

المال

كالأسد المستعمل فى الرجل الشجاع فقوله كأسد شجاعته : أى الأسد إذا أطلق على الرجل الشجاع وشجاعته العلاقة بينهما أى علاقته شجاعته ، والأصح أنها من المجاز اللغوى الذى هو استعمال اللفظ فى غير ماوضع له ، وقيل من العقلى بمعنى أن التصرف فى أمر عقلى لا لغوى لأنها لما لم تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله فى جنس المشبه به كان استعمالها فيما وضعت له ورده فى الأصل ويمتنع أن تكون الاستعارة فى العلم لما اتضح عندهم من أنها تقتضى إدخال المشبه فى جنس المشبه به بجعل أفراده قسمين: متعارفا وغير متعارف ولا يمكن هذا فى العلم لمنافاته الجنسية إلا إذا تضمن العلم نوع وصفية بواسطة اشتهاره بوصف من الأوصاف كحاتم المتضمن الاتصاف بالجود فيتأول فيه فيجعل كأنه موضوع للجواد سواء كان ذلك الرجل المعهود أو غيره فيتناول حاتم حينئذ الفرد المتعارف المعهود والفرد الغير المتعارف ويكون إطلاقه على المعهود : أعنى حاتما الطائى حقيقة وعلى غيره ممن يتصف بالجود استعارة نحو رأيت اليوم حاتما وقرينة الاستعارة تكون فردا أى أمرا واحدا نحو رأيت أسدا يرمى أو متعددا أى أكثر من أمر اثنين فأكثر فيكون كل واحد منها أومنهم قرينة كقولك رأيت أسدا يرمى على فرسه أومع

المال والبنين فى الزينة وكذا قوله ـ والشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان ـ وكالبيت المذكور فى النظم وهو لأبى العتاهية اسمعيل بن القاسم وكان من الشعراء ثم تزهد ونظم فى الزهد كثيرا فروى الخطيب البغدادى قال حدثنا أحمد بن عمر بن روح قال حدثنا المعافى بن زكريا قال حدثنا محمد بن القاسم الأنبارى قال حدثنا أبى قال حدثنا الحسن بن عبد الرحمن قال حدثنا محمد ابن اسحق بن أحمد الكوفى قال قال أبو العتاهية عملت عشرين ألف بيت فى الزهد :

[وعكسه التفريق أن يباينا ... بينهما فى مدح أو أمر عنى
فان يعدد وأضاف مالكل ... إليه تعيينا فتقسيم يحل
و إن هما أدخل فى معنى وقد ... فرق وجهى ذاك أو بجمع عدد
حكم فتقسيم تلا أوعكس ذا ... كلاهما جمع وأوّل خذا
إليه تفريقا وذا تقسيما ... وقد تجى ثلاثة تضميما
كيوم يأتى بعد لا تكلم ... لآخر القصة فهى تنظم
ويطلق التقسيم إذ مااستوفى ... أقسامه أو حاله مضيفا
كلا إلى ملائم نحو يهب ... آية شورى ويقال البيت هب]

فى هذه الأبيات أنواع : الأوّل التفريق وهو إيقاع تباين بين أمرين أو أكثر من نوع واحد ليفيد زيادة فى المدح أو نحوه مما أنت بصدده كقوله :

ما نوال الغمام يوم ربيع ... كنوال الأمير يوم سخاء
فنوال الأمير بدرة عين ... ونوال الغمام قطرة ماء

وقوله :

من قاس جدواك بالغمام فما ... أنصف فى الحكم بين شكلين
أنت إذا جدت ضاحك أبدا ... وهو إذا جاد دامع العين

الثانى : التقسيم وهو أن تذكر متعددا وتضيف مالكل إليه على التعيين وبهذا القيد يخرج اللف والنشر كقوله :

ولا يقيم على ضيم يراد به ... إلا الأذلان عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته ... وذا يشج فلا يرثى له أحد

وقول أبى تمام :

وماهو بين إلا الوحى أوحد مرهف ... تميل ظباه اخدعى كل مائل
فهذا دواء الداء من كل عالم ... وهذا دواء الداء من كل جاهل

الثالث : الجمع والتفريق وهو أن تدخل شيئين فى معنى وتفرق جهتى الادخال كقوله :

فوجهك كالنار فى ضوئها ... وقلبى كالنار فى حرها

وقول البحترى :

ولما التقينا والنقا موعدلنا ... تعجب رائى الدر منا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها ... ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

قال الطيبى : ومنه قوله تعالى ـ الله يتوفى الأنفس حين موتها ـ الآية جمع النفسين فى حكم التوفى ثم فرق بين جهتى التوفى بالحكم بالامساك والارسال أى الله يتوفى الأنفس التى تقبض والتى لم تقبض

زيادة فى الهيجاء أو تكون معانيها ملتئمة أى مربوطا بعضها ببعض يكون الجميع قرينة لا كل واحد كقوله :

وصاعقة من نصله تنكفى بها   على أروس الأقران خمس سحائب

أى أنامله الخمس التى هى فى الجود وعموم العطايا كالسحائب لما استعار السحائب لأنامل الممدوح ذكر أن هناك صاعقة وبين أنها من نصل سيفه ثم قال على أروس الأقران ثم قال خمس سحائب فذكر العدد الذى هو عدد الأنامل فظهر من جميع ذلك أنه أراد بالسحائب الأنامل والضمير فى ألفا للقرينة وذكره للضرورة وألفه للاطلاق كالذى قبله . قال .

[ومع تناف فيها تنتمى إلى العناد لا الوفاق فاعلم
ثم العنادية تمليحية تلفى كما تلفى تهكمية]

أقول تنقسم الاستعارة باعتبار الطرفين أعنى المستعار منه والمستعار له إلى عنادية وهى التى يمتنع اجتماع طرفيها كاستعارة اسم المعدوم للموجود الذى لا منفعة فيه واستعارة اسم الميت للحى الجاهل، وإلى وفاقية وهى التى يمكن اجتماع طرفيها فى شئ كاستعارة الاحياء للاهتداء فى قوله — أو من كان ميتا فأحييناه — ثم الأولى إما تمليحية أى المقصود منها التمليح

فيمسك الأولى ويرسل الأخرى .

الرابع : الجمع مع التقسيم ، وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه أو العكس وهذا معنى قولى : يجمع عدد حكم ✽ فتقسيم تلا أو عكس ذا ✽ فحكم فاعل يجمع وعدد مفعوله وقف عليه بالسكون على لغة ربيعة وتقسيم مبتدأ خبره تلا : أى يجمع المتعدد الحكم ثم يقسم أو يقسم أولا ثم يجمع الأقسام تحت حكم وقولى كلاهما جمع : أى هذا القسم والذى قبله وهو إدخال العدد فى معنى وقد فرق وجهى الادخال كل منهما يسمى جمعا ،فالأول يقال له جمع مع التفريق ، والثانى جمع مع التقسيم وهومعنى قولى : وأول خذا إليه تفريقا : أى ضمه إليه فى التسمية وذا : أى الثانى تقسيما : أى ضمه إليه مثال القسم الأول من هذا النوع وهو ما تأخر فيه التقسيم قول أبى الطيب :

حتى أقام على أرباض خرشنة   تشقى به الروم والصلبان والبيع
للسبى ما نكحوا والقتل ما ولدوا   والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

جمع أولا شقاء الروم بالممدوح ثم قسمه ثانيا وفصله ومثاله من القرآن قوله تعالى — ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله — ومن الحديث قوله صلى الله عليه وسلم « لكل إنسان ثلاثة أخلاء فأما خليل فيقول ما أنفقت فلك وما أمسكت فليس لك فذلك ماله وأما خليل فيقول أنا معك فاذا أتيت باب الملك تركتك ورجعت فذلك أهله وحشمه ، وأما خليل فيقول أنا معك حيث دخلت وحيث خرجت فذلك عمله » رواه الحاكم . ومثال عكسه قول حسان :

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم   أوحاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك فيهم غير محدثة   إن الخلائق فاعلم شرها البدع

قسم أولا صفة الممدوحين إلى الاعداء ونفع الأشياع ثم جمعهما فى قوله سجية .

الخامس: الجمع مع التفريق والتقسيم وهومعنى قولى ✽ وقد تجيء ثلاثة تضمنا ✽ كقوله تعالى — يوم يأت لا تكلم نفس إلا باذنه — الآيات ، فالجمع فى قوله تعالى — لا تكلم نفس إلا باذنه — لأنها متعددة معنى إذ النكرة فى سياق النفى تعم ، والتفريق فى قوله — فمنهم شقى وسعيد — والتقسيم فى قوله تعالى — فأما الذين شقوا ، وأما الذين سعدوا — ومنه قوله :

لمختلفى الحاجات جمع ببابه   فهذا له فن وهذا له فن
فللخامل العليا وللمعدم الغنى   وللمذنب العتبى وللخائف الأمن

وقد يطلق التقسيم على أمرين ، وأحدهما أن تستوفى أقسام الشئ بالذكر كقوله تعالى — يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور — الآية إذ لا يخلو حال المتزوج من أحد هذه الأقسام الأربعة إما أن يكون له إناث أو ذكور أوهما أو لا واحد منهما وقوله تعالى — له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك — استوفى أقسام الزمان وقوله تعالى — يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم — استوفى جميع الهيآت الممكنات وقوله صلى الله عليه وسلم « ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت » قال الأندلسى ومنه ما يحكى أن بعض وفود العرب قدم على عمر بن عبد العزيز فتكلم منهم شاب فقال يا أمير المؤمنين ، أصابتنا سنون سنة أذابت الشحم وسنة أكلت اللحم وسنة أكلت العظم وفى أيديكم فضول مال ، فان كانت لنا فعلام تمنعونها عنا وإن كانت لله ففرقوها على عباده وإن كانت لكم فتصدقوا

والظرافة أوتهكمية بأن يكون المقصود التهكم والاستهزاء بأن يستعمل اللفظ فى ضد معناه نحو رأيت أسدا تريد جبانا قاصدا التمليح والظرافة ، أوالتهكم والسخرية. قال : [وباعتبار جامع قريبه * كقمر يقرأ أوغريبه

وباعتبار جامع وطرفين * عقلا وحساسته بغير مين]

أقول : تنقسم الاستعارة باعتبار الجامع إلى قريبة وغريبة فالأولى ماكان الجامع فيها ظاهرا نحو رأيت أسدا يرمى ورأيت قمرا يقرأ والثانية ماكان الجامع فيها خفيا لايدركه إلا الخاصة نحو :

وإذا احتبى قربوسه بعنانه * البيت

شبه هيئة وقوع العنان فى موقعه من قربوس السرج ممتدا إلى جانبى فم الفرس بهيئة وقوع الثوب موقعه من ركبتى المحتبى ممتدا إلى جانبى ظهره ثم استعار الاحتباء وهو أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بثوب ونحوه لوقوع العنان فى قربوس السرج فجاءت الاستعارة غريبة لغرابة الشبه. وتنقسم الاستعارة أيضا باعتبار الطرفين والجامع إلى ستة أقسام ، لأن الطرفين إما حسيان أوعقليان أوالمشبه حسى والمشبه به عقلى وعكسه ، فان كانا حسيين فالجامع إما حسى نحو : فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار ، فان

فتصدقوا بها علينا فان الله يجزى المتصدقين . فقال عمر ماترك لنا الأعرابى فى واحدة عذرا . قلت : هذه الحكاية أخرجها البيهقى باسناده فى شعب الايمان وفى ألفاظها مخالفة يسيرة لما هنا وفيها أن الخليفة مروان لاعمر وأنه قال لو أن السؤال يسألون هكذا ماردنا أحدا قال ابن الأثير ولايريد أهل البيان بالتقسيم القسمة العقلية كما يذهب إليه المتكلمون لأنها تقتضى أشياء مستحيلة بل أرادوا مايقتضيه المعنى مما يمكن وجوده .

الثانى : أن تذكر أحوال الشىء مضافا إلى كل مايليق به كقوله :

ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا ... كثير إذا شدوا قليل إذا عدوا

وقوله :

ثمانية لم تفترق مذ جمعتها ... فلا افترقت ماذب عن ناظر شفر

ضميرك والتقوى وكفك والندى ... ولفظك والمعنى وسيفك والنصر

[ومنه تجريد بأن ينزع من ... ذى صفة آخر مثله زكن

مبالغا فى أنه فيها كمل ... كمن فلان لى صديق وأجل

وإن سألت أحمدا لتسألن ... بحرا به مندفقا ومنه أن

يخاطب الانسان نفسه وقد ... نصحا وتوبيخا وتعريضا قصد]

التجريد قسمان : أحدهما أن ينتزع من أمر ذى صفة آخر مثله مبالغة فى كمالها نحو لى من فلان صديق حميم جرد من الرجل الصديق آخر مثله متصفا بصفة الصداقة ونحو مررت بالرجل الكريم والنسمة المباركة جردوا من الرجل الكريم آخر مثله متصفا بصفة البركة وعطفوه عليه كأنه غيره وهو هو . قلت : ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « إياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا » رواه النسائى وابن ماجه من حديث عائشة ، وهذا القسم تارة يجىء على وجه الكناية كالمثال الأول ويكون التجريد فيه بمن قال الشيخ بهاء الدين والباء وفى ، وتارة على وجه التشبيه ويكون بالباء وبمن وبفى كقولك إن سألت أحمد لتسألن به البحر جرد منه البحر تشبيها له به وقوله :

وبى ظبية أدماء ناعمة الصبا ... تغار الظباء الغيد من لفتاتها

أعانق غصن البان من لين قدها ... وأجنى جنى الورد من وجناتها

جرد من قدها غصنا ومن وجنتها وردا بعد التشبيه وتقول رأيت من فلان البحر ، وتارة يخلو منهما فيكون بدون حرف كمثال الرجل الكريم والنسمة المباركة وبفى نحو : لهم فيها دار الخلد فانها هى دار الخلد لكن انتزع منها مثلها وجعل دار الخلد تهويلا .

الثانى : أن تجرد نفسك فتخاطبها كأنها غيرك وذلك لنكت ، منها قصد النفع لها كقوله :

أقول لها وقد جشأت وجاشت ... مكانك تحمدى أوتستريحى

لما أراد أن يوطن نفسه على احتمال المكروه جردها مخاطبا لها ناصحا ، ومنها قصد التوبيخ كقول امرىء القيس :

تطاول ليلك بالأثمد ... ونام الخلى ولم ترقدى

خاطب نفسه على جهة التجريد موبخا لها فان نفسه نفس ملك فكان من حقها الصبر وعدم الجزع ، ومنها التعريض بآخر كقوله :

أتبكى على ليلى وأنت تركتها ... وكنت عليها بالملا أنت أقدر

وذكر هذه النكت من زيادتى ، ومنها قصد التحريض كقول أبى الطيب :

لاخيل عندك تهديها ولا مال   فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

جرد نفسه وخاطبها على جهة التحريض على مدح الممدوح :

[وأبلغ الأقسام ماقد ثنيا   ثم المبالغة أن يدعيا
باوغه فى الضعف أوفى شدة   حدا محالا أو بعيد الرتبة
فان يكن عقلا وعادة ورد   يمكن فالتبليغ أوفى العقل قد
فذاك إغراق كلاهما قبل   أولا ولا فهو غلوّ ما احتمل
مالم يقرّبه لذاك شئ   نحو يكاد زيتها يضئ
أوفيه نوع من تخيل حسن   أومخرج الهزل من الشاعر عن
قلت و بعض وهن المبالغه   أصلا و بعض فى السموّ نابغه
وضدها التفريط عد الجنى   وما رأيت غيره بمعتنى
وجعله للنوع جنسا عظما   إلحاق جزئىّ بكلىّ نما]

الشطر الأوّل من زيادتى ، ومضمونه أن أبلغ أقسام التجريد ماثنى به وهو المثنى على التشبيه الذى أشرت إليه فى النظم بقولى * و إن سألت أحمدا لتسألنّ * بحرابه ، ثم المبالغة أن يدعى لوصف بلوغه فى الشدة والضعف حدا مستحيلا أومستبعدا ، وفائدة ذلك أن لايتوهم السامع أن الموصوف قاصر فى ذلك الوصف ، وهى منحصرة فى ثلاثة أقسام ، لأن الصفة التى وقعت فيها المبالغة ، إما أن تمكن عقلا وعادة ،أوعقلا لاعادة، أولاعقلا ولاعادة ، والأوّل يسمى التبليغ، والثانى الاغراق، والثالث الغلوّ ومثال التبليغ قوله صلى الله عليه وسلم «لخلوف فم الصائم أطيب عندالله من ريح المسك» قال الأندلسى فصيرورة ريح فمه أطيب من المسك مبالغة وهو ممكن عادة وعقلا وقول امرىء القيس يصف فرسا :

فعادى عداء بين ثور ونعجة   دراكا ولم ينضح بماء فيغسل

ادّعى أن فرسه أدرك ثورا ونعجة وحشيين فى مضمار واحد ولم يعرق وهذا ممكن عقلا وعادة ومثال الاغراق قوله :

ونكرم جارنا مادام فينا   ونتبعه الكرامة حيث مالا

ادّعى أن جاره لايميل إلى جانب إلاوهو يرسل الكرامة والعطاء على أثره وهذا ممكن عقلا ممتنع عادة وهو معنى قولى أوفى العقل قد ، وقد اسم فعل بمعنى حسب كقط وهذان القسمان مقبولان . وأما الغلوّ فالمقبول منه أصناف ، منها ماأدخل عليه مايقرّبه إلى الصحة كلفظ يكاد فى قوله تعالى : يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ولو ولولا ونحوهما كقوله :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم   قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

وقوله :   ولوأن مابى من جوى وصبابة   على جمل لم يدخل النار كافر

أى لنحل حتى يدخل فى سم الخياط ولفظة إن كما فى قوله صلى الله عليه وسلم « كل مسكر حرام و إن كان الماء القراح» رواه ابن منيع فى مسنده عن أبى سعيد قال إسكار الماء الخالص الذى لايشوبه شىء محال صححه اقترانه بإن التى هى لفرض المحال وقوعه ، ومنها ماتضمن نوعا حسنا من التخييل كقول أبى الطيب :

عقدت سنابكها عليه عثيرا   لو تبتغى عنقا عليه لأمكنا

العثير الغبار والعنق نوع من السير ، ادعى أن الغبار المرتفع من سنابك الخيل اجتمع فوق رءوسها متراكما متكاثفا بحيث صار أرضا يمكن أن تسير عليه وهذا ممتنع عادة وعقلا لكنه تخييل حسن وقول القاضى الأرجانى :

المستعار منه ولد البقرة والمستعار له الحيوان الذى خلقه الله تعالى من حلىّ القبط ، والجامع الشكل والجميع حسى وإما عقلى نحو ـ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ـ فان المستعار منه كشط الجلد عن نحو الشاة ، والمستعار له كشط الضوء عن مكان الليل وهما حسيان والجامع مايعقل من ترتب أمر على آخر ، و إما مختلف كقولك رأيت شمسا وأنت تريد إنسانا كالشمس فى حسن الطلعة ونباهة الشأن و إن كانا عقليين فالجامع لايكون إلا عقليا نحو ـ من بعثنا من مرقدنا ـ فان المستعار منه الرقاد والمستعار له الموت والجامع بينهما عدم ظهور الفعل والجميع عقلى ، و إن كان المستعار منه حسيا والمستعار له عقليا فكذلك نحو ـ فاصدع بما تؤمر ـ فان المستعار منه كسر الزجاجة وهو حسى والمستعار له التبليغ والجامع التأثير وهما عقليان أو عكسه نحو ـ إنا لما طغى الماء ـ فان المستعار له كثرة الماء وهو حسى والمستعار منه التكبر والجامع الاستعلاء المفرط وهما عقليان . قال : [واللفظ إن جنسا فقل أصليه   وتبعية لدى الوصفيه

يخيل

يخيل لى أن سمر الشهب فى الدجى وشدت بأهدابى إليهن أجفانى

أى يوقع فى خيالى أن الشهب محكمة بالمسامير لاتزول عن مكانها وأن أجفان عينى قد شدت بأهدابها إلى الشهب لطول سهرى وعدم انطباقها وهذا ممتنع عقلا وعادة لكنه تخييل حسن ولفظ يخيل مما يقربه إلى الصحة ، ومنها أن يخرج مخرج الهزل والخلاعة كقوله :

أسكر بالأمس إن عزمت على الشر ب غدا إن ذا من العجب

ومما لايقبل قول أبى نواس :

وأخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التى لم تخلق

وقوله : كفى بجسمى نحولا أننى رجل لولا مخاطبتى إياك لم ترنى

وقول الآخر : أنحلنى الحب فلو زج بى فى مقلة الوسنان لم ينتبه

ويحكى : أن العتابى لقى أبا نواس فقال له أما تستحى من الله حيث قلت وأخفت أهل الشرك البيت ؟ فقال وأنت أما تستحى من الله حيث قلت :

مازلت فى غمرات الموت مطرحا يضيق عنى وسيع الرأى من حيلى

فلم تزل دائبا تسعى بلطفك لى حتى اختلست حياتى من يدى أجلى

وقد نبهت من زيادتى على أن فى أصل قبول المبالغة خلافا وأن بعضهم لايرى لها فضلا لأنها فى الصناعة كالاستراحة من الشاعر إذا أعياه إيراد المعانى فأخرجها عن حد الكلام الممكن إلى حد الامتناع والمبالغة ، وبعضهم قصر الفضل عليها ونسب المحاسن كلها إليها محتجا بأن أحسن الشعر كذبه : أى ما كان لفظه لفظ الكذب فى الظاهر وإن كان له تأويل حكاهما فى المصباح ، ونبهت من زيادتى أيضا على نوع يسمى التفريط ذكره عبد الباقى اليمنى فى كتابه ولم أره لغيره . قال وهو ضد المبالغة أن يؤتى بالوصف ناقصا عما يقتضيه حال المعبر عنه كقول الأعشى :

ومامزبد من خليج الفرا ت خور خواريه تلتطم

بأجود منه بماعونه إذا ما سماؤهم لم تغم

مدح ملكا بجوده بالماعون وفرط إذ ليس ذلك يعد كرما للسوقة فضلا عن الملوك قلت وما فى هذا مايعد من البديع إلا أن يكون قصد بذلك تهكما واستهزاء ، ونبهت أيضا من زيادتى على نوع من البديع يسمى حصر الجزئى وإلحاقه بالكلى وهو نوع غريب صعب المسلك اخترعه ابن أبى الأصبع وهو شبيه بالمبالغة ذكرته عقبها ، وذلك أن يأتى المتكلم إلى نوع فيجعله جنسا تعظيما له ويجعل الجزئيات كلها منحصرة فيه كقول الصفى :

فرد هو العالم الكلى فى شرف ونفسه الجوهر القدسى فى العظم

وقول الآخر : فبشرت آمالى بملك هو الورى ودار هى الدنيا ويوم هو الدهر

وقد وجدت من ذلك فى الحديث « الدعاء هو العبادة » .

[ثمة منه المذهب الكلامى إيراده الحجة للمرام

على طريقهم كقوله علا لوكان فيهما وما له تلا]

المذهب الكلامى إيراد الحجة للمطلوب على طريقة أهل علم الكلام فى القطع والافحام ، وأول من اخترعه وسماه بذلك الجاحظ وسماه ابن النقيب الاحتجاج النظرى كقوله تعالى - لوكان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا - أى خرجتا عن نظامهما المشاهد وتمامه لكنهما لم يفسدا فليس فيهما آلهة إلا الله وقوله تعالى حكاية عن السيد إبراهيم صلى الله عليه وسلم - إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها

تنقسم الاستعارة باعتبار اللفظ إلى أصلية وتبعية فان كان المستعار اسم جنس فالاستعارة أصلية نحو رأيت أسدا فى الحمام وإن كان صفة نحو الحال ناطقة بكذا أو فعلا نحو نطقت الحال بكذا ومنه مثال المصنف أو حرفا نحو: فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا فالاستعارة تبعية للاستعارة الأصلية المقدرة فى مصدر المشتق اسما أو فعلا ، وللتشبيه فى متعلق الحرف . قال :

[وأطلقت وهى التى لم تقترن بوصف او تفريع أمر فاستبن

وجردت بلائق بالفصل ورشحت بلائق بالأصل

نحو ارتقى إلى سماء القدس ففاق من خلف أرض الحس

أبلغها الترشيح لابتنائه على تناسى التشبيه وانتفائه]

أقول تنقسم الاستعارة باعتبار ذكر مايلائم الطرفين وعدمه إلى مطلقة وهى التى لم تقترن بشىء من ملائمات المستعار منه ، والمستعار له نحو رأيت أسدا إذا كانت القرينة حالية وإلى مجردة وهى ما اقترنت بما يلائم

من المغرب وقصد شاعر أبادلف فقال ممن أنت ؟ قال من تميم . فقال :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ... ولو سلكت طرق الهداية ضلت

فقال نعم بتلك الهداية جئتك فخجل واستكتمه وأجازه وأفحمه بدليل ألزمه فيه أن المجىء إليه ضلال ومنه قول الآخر : دع النجوم لطرقى يعيش بها ... وبالعزائم فانهض أيها الملك

إن النبى وأصحاب النبى نهوا ... عن النجوم وقد أبصرت ماملكوا

[ومنه تفريع وذا أن يثبتا ... لمتعلق به ما أثبتا
لآخر له فان بما نفى ... أولا عن الذى بشىء وصفا
أفعل للوصف مناسبا وقد ... عدى بمن إلى الذى ذاك قصد
فذاك بالتفضيل حقا دعيا ... والحسن فى التعليل أن يدعيا
للوصف علة له تناسب ... بلطف معنى لاحقيق يصحب
فتارة يكون ثابتا قصد ... علته وذاك ضربين عهد
مالم تبن علته فى العادة ... أو علة خلاف ذى قد بانت
وما قصد ثبوته من ممكن ... أو غيره وما على الشك بنى]

فى هذه الأبيات ثلاثة أنواع .

الأول التفريع : وهو بالعين المهملة ضد التأصيل كما هو مقتضى كلام الجمهور وضبطه بعضهم بالمعجمة كأن المتكلم فرغ باله من الحكم أولا إلى الحكم ثانيا ، وحده أن يرتب حكما على صفة من أوصاف الممدوح أو المذموم ثم يرتب ذلك الحكم بعينه على صفة أخرى من أوصافه على وجه يشعر بالتفريع والتعقيب كقوله :

أحلامكم لسقام الجهل شافية ... كما دماؤكم تشفى من الكلب

فرع على وصفهم بشفاء أحلامهم لسقام الجهل وصفهم بشفاء دمائهم من داء الكلب ومثاله من الحديث «الخمر تعلو الخطايا كما أن شجرها يعلو الشجر» رواه الديلمى من حديث أنس . قال عبد الباقى وغيره : وهذا النوع قريب من الاستطراد جدا و يفارقه باشتراط كون المفرع فى معنى المفرع عليه بخلاف الاستطراد .

الثانى التفضيل : هو من زيادتى ، ذكره الصفى وأتباعه وجعله الأندلسى قسما من التفريع وكذا فعل صاحب التلخيص أولا ثم ضرب عليه بخطه كما رأيته فى نسخته ومشى عليه فى الايضاح وهو أن ينفى بما أولا دون غيرها من أدوات النفى عن ذى وصف أفعل تفضيل مناسب لذلك الوصف معدى بمن إلى ما يراد مدحه أو ذمه فتحصل المساواة بين الاسم المجرور بمن و بين الاسم الداخلة عليه ما النافية لأنها نفت الأفضلية فتبقى المساواة كقوله :

ما ربع مية معمورا يطيف به ... غيلان أبهى ربا من ربعها الخرب

ولا الخدود و إن أدمين من خجل ... أبهى إلى ناظرى من خدها الترب

ومثاله من الحديث «ماذئبان ضاريان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه» رواه الترمذى وحديث الطبرانى «ما المعطى من سعة بأعظم أجرا من الآخذ إذا كان محتاجا» وقولى أفعل بالنصب مفعول نفى ومناسبا صفته والوصف متعلق به ، ومنهم من سمى هذا النوع النفى والجحد ، وقد اخترع ابن أبى الأصبع قسما ثالثا وهو أن يصدر الكلام باسم أو صفة ثم يكون مضافا إلى آخر فيتفرع من ذلك معا رقى مقصودك فى مدح أوذم كقوله :

وفى العهود وفى الوعود ... كريم الصفات كريم الهبات

المستعار له نحو رأيت أسدا يرمى إذا كانت القرينة حالية ، لأن التجريد كالترشيح إنما يكون بعد تمام الاستعارة وإلى مرشحة وهى ما اقترنت بما يلائم المستعار منه نحو رأيت أسدا له لبد والقرينة حالية ومنه مثال المصنف فان الارتقاء وهو التصاعد من سفل إلى علو يلائم السماء المستعار لحضرة القدس ، ولا يخفى ما فى ارتقى وفاق من الأصلية والتبعية والترشيح حيث استعير الارتقاء لانتقال حال السالك من حال إلى حال أعلا منه وفاق بمعنى علا وهو مما يلائم المستعار منه . وأما بقية البيت فاستعارة مجردة حيث استعير الأرض للصفات الدنيئة والحسى يلائمها لادرا كها به فمن فاعل ارتقى : أى ارتقى إلى حضرة الملكوت من غاب عن الأكوان ومراد المصنف بالفصل المستعار له ، و بالأصل المستعار منه وقد يجتمع الترشيح والتجريد فى كلام واحد كقوله : لدى أسد شاكى السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم فالسلاح للتجريد والأظفار للترشيح ، والترشيح أبلغ من التجريد ، لأنه مبنى على تناسى التشبيه والاطلاق أبلغ من

وقول

وقول المتنبي : أنا ابن اللقاء أنا ابن السخاء أنا ابن الضراب أنا ابن الطعان
طويل النجاد طويل العماد طويل القناة طويل السنان

قالوا : وفيه نظر فهو بتعديد الصفات أنسب . قلت : وبالترديد أنسب وأنسب .

الثالث : حسن التعليل ، وهو أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي في الواقع بل خيالي ، وهو أقسام : فتارة يكون الوصف ثابتا قصد بيان علته ، ثم هذا نوعان ، لأنه إما أن لايظهر له في العادة علة إن كان في الواقع لايخلو عن علة ، أو تظهر له علة غير المذكورة ، فالأول كقوله :

لم يحك نائلك السحاب وإنما حمت به فصبيبها الرحضاء

فنزول المطر من السماء وصف ثابت لايظهر له في العادة علة وقد علله بأنه عرق حماها الحادثة لها بسبب عطاء الممدوح حسدا له وقوله :

زعم البنفسج أنه كعذاره حسنا فسلوا من قفاه لسانه

والثاني كقوله : ما به قتل أعاديه ولكن يتقي إخلاف ماترجو الذئاب

فان قتل الأعادي في العادة لدفع مضرّتهم لا لما ذكره من أن طبيعة الكرم غلبت عليه ومحبة صدق رجاء راجيه بعثته إلى قتلهم لما علم أنه إذا توجه للحرب صارت الذئاب ترجو الرزق من لحوم من يقتل من الأعادي ، وتارة يكون الوصف غير ثابت وهو ضربان . ممكن كقوله :

ياواشيا حسنت فينا إساءته نجى حذارك إنساني من الغرق

فان استحسان إساءة الواشي ممكن لكنه لما خالف الناس فيه عقبه معللا بأن حذاره منه نجى إنسان عينه من الغرق في الدموع حيث ترك البكاء خوفا منه ليكون مقرّبا لتصديقه . وغير ممكن كقوله :

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته لما رأيت عليها عقد منتطق

فانّ نية الجوزاء خدمته لا ثابتة ولا ممكنة وقد علله بقوله عليها عقد منتطق وهي الكواكب التي حولها يقال لها نطاق الجوزاء ، ومن حسن التعليل نوع يبنى على الشك كقوله :

كأنّ السحاب الغرّ غيبن تحتها حبيبا فما ترقا لهنّ مدامع

علل على سبيل الشك نزول المطر من السحاب بأنها غيبت حبيبا تحت تلك الربا فهي تبكي عليه .

[ومنه تأكيدك للمدح بما يشبه ذما وثلاثا قسما
والأفضل استثناء وصف فضل من وصف ذم قدنفي من قبل
مقدرا دخوله فيه كلا عيب له إلا ارتقاه للعلا
ومنه الاستثناء قبل وصف مدح يلي وصفا له لاينفي
ومنه أن يولى به معرفا عامله للذمّ معنى قد وفي
وما به استثنى يحوى الفضلا نحو وما تنقم منا إلا
ثمة الاستدراك في ذا الباب كمثل الاستثناء باقتراب
وعكسه ضربان أن يستثنى من نفي وصف المدح ذم يعنى
إن دخلت كمثل مافيه هدى إلا عمى عن الطريق المقتدى
وإن يجيء تلو وصف ذمّ كجاهل لكنه ذو ظلم
وزيد بعد الذمّ وصف يوهم زواله ثم لذمّ يفهم]

من أنواع البديع تأكيد المدح بما يشبه الذم وتأكيد الذم بما يشبه المدح وهو من مخترعات ابن المعتز . فالأول ثلاثة أقسام ، أفضلها أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح له بتقدير

التجريد والتجريد مع الترشيح متكافئان ، ثم إن عدم ورود الترشيح في كتاب الله تعالى على مازعمه بعضهم لاينافي الأبلغية المذكورة كما لايخفى لأن ذكر غيره لأهمية عرضية لايقتضي عدم هذه المزية الذاتية ومن عرف مواقع الكلام هان عليه هذا المقام . قال :

[فصل في التحقيقية والعقلية]

[وذات معنى ثابت بحسّ او عقل فتحقيقية كذا رأوا
كأشرقت بصائر الصوفيه بنور شمس الحضرة القدسيه]

أقول : قسم الاستعارة إلى تحقيقية وتخييلية فمراده بالعقلية التخييلية بدليل المقابلة فالاستعارة إن تحقق معناها حسا نحو رأيت أسدا في الحمام أو عقلا نحو اهدنا الصراط المستقيم فان المستعار له قواعد الدين وهي محققة عقلا فالاستعارة تحقيقية ، وإن لم يتحقق لاحسا ولا عقلا بل كان أمرا متوهما فالاستعارة تخييلية كالأظفار في أنشبت المنية أظفارها كما سيأتي آنفا في كلامه

فقوله كأشرقت الخ مثال للاستعارة التحقيقية المتحقق معناها عقلا ، إذ المستعار منه الاستنارة بالنور المحسوس والمستعار له

انشراح الصدر واتباعه وهو أمر محقق عقلا ، وكذا الشمس فان المستعار له المعارف الربانية. قال :

[فصل فى المكنية]

[وحيث تشبيه بنفس أضمرا
وماسوى مشبه لم يذكرا
ودل لازم لما شبه به
فذلك التشبيه عند المنتبه
يعرف باستعارة الكناية
وذكر لازم بتخييلية
كأنشبت منية أظفارها
وأشرقت حضرتنا أنوارها]

أقول : إذا لم يذكر شىء من أركان التشبيه سوى المشبه ودلّ على المشبه به بذكر لازمه قيل لذلك التشبيه المضمر فى النفس أى الذى لم يدل عليه بأداته استعارة بالكناية ويسمى اللازم استعارة تخييلية لأن معناها لم يكن محققا لا حسا ولا عقلا كأظفار المنية فى قولنا أنشبت المنية أظفارها فان الأظفار مستعملة فى شىء متوهم للمنية أى الموت شبيه بالأظفار الحقيقية وتبع المصنف الأصل فى جعل التشبيه استعارة بالكناية والحق أنها لفظ المشبه به المستعمل فى المشبه المضمر فى النفس المرموز إليه بلازمه كلفظ السبع هنا إذ الاستعارة اللفظ المستعمل فى غير ماوضع له

دخولها فى صفة الذم كقوله : ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب

يعنى إن كانت فلول السيف عيبا على سبيل الفرض والتقدير فلا عيب فيهم غيره وليس بعيب فى التحقيق لأنه من كمال الشجاعة . الثانى أن تثبت لشىء صفة مدح وتعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له كحديث «أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش» أى غير أنى من قريش أورده أصحاب الغريب ولايعلم من خرّجه ولا إسناده و إنما كان الأول أبلغ لأنه يفيد التأكيد من وجهين أحدهما أنه كدعوى الشىء ببينة حيث علق الدعوى وهى إثبات شىء من العيب بالمحال والمتعلق بالمحال محال فيتحقق عدم العيب . والثانى أن الأصل فى الاستثناء الاتصال فذكر أداته قبل المستثنى يوهم إخراج شىء مما قبلها فاذا وليها صفة مدح وتحول من الاتصال إلى الانقطاع جاء التأكيد بالمدح على المدح والاشعار بأنه لم يجد صفة ذم يستثنيها فاضطر إلى استثناء صفة مدح ، وأما الثانى فانما يفيد التأكيد من هذا الوجه فقط . الثالث أن يؤتى بمستثنى فيه معنى المدح وعامله فيه معنى ذم نحو – وماتنقم منا إلا أن آمنا – أى ماتعيب منا إلا الأجلّ المناقب والمفاخر وهو الايمان فهو يفيد التأكيد من الوجهين الأولين والاستدراك فى هذه الأنواع كالاستثناء كقوله :

هو البدر إلا أنه البحر زاخر سوى أنه الضرغام لكنه الوبل

وأما تأكيد الذم بما يشبه المدح فضربان كالضربين الأولين من عكسه . الأول أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشىء صفة ذم بتقدير دخولها فى صفة المدح نحو فلان لاخيرفيه إلا أنه يسىء إلى من أحسن إليه . والثانى أن يثبت لشىء صفة ذمّ ويعقب بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى نحو فلان فاسق إلا أنه جاهل ، ومن ألطف ماوقع فيه قول القائل :

هو الكلب إلا أن فيه ملالة وسوء مراعاة وماذاك فى الكلب

والأول أبلغ كما تقدم والاستدراك فيه كالاستثناء . وزاد ابن جابر الأعمى ضربا ثالثا ، وهو أن تأتى بصفة ذمّ مثبتة ثم بصفة بعدها توهم رفع صفة الذم ثم تعلق بها مايبين أنها ذم فتكون ذما بعد ذم ، قال وهو أبلغ من الأولين لما فيه من التهكم والاستهزاء ومثاله أن تقول رأيت عنق زيد عاطلا خليته بالصفع أثبت أوّلا صفة ذمّ وهى كونه عاطلا ثم أثبت تحليته فأوهمت رفعه فلما قلت بالصفع تبين أن هذه التحلية ذم آخر وأنشد فيه نظما :

يازاعما أنك لى ناصح إنى بهذا غير مغرور
لما بدا قبح الذى قلته حسنت ذاك القول بالزور

[ومنه الاستتباع مدح باللذا يستتبع المدح بشىء غير ذا
وإن تضمن فيه معنى وهو لم يسق له فذاك إدماج أعمّ
قلت الأصح الأول الوصف بنص يفهم وصفا للذى الأول خص]

من أنواع البديع الاستتباع والادماج . فالأول هو المدح بشىء على وجه يستتبع المدح بشىء آخر كقوله : نهبت من الأعمار مالوحويته لهنئت الدنيا بأنك خالد

مدحه بالنهاية فى الشجاعة على وجه استتبع مدحه بكونه سببا لصلاح الدنيا ونظامها وأنه نهب الأعمار دون الاموال ولم يكن ظالما فى قتلهم . والثانى وأصله لفّ الشىء فى ثوب و بعضهم سماه بالتعليق وقوم بالتضعيف أن تضمن كلاما سيق لمعنى معنى آخر فهو أعمّ من الاستتباع لأن ذلك خاص بالمدح كقوله :

أقلب فيه أجفانى كأنى أعدّ بها على الدهر الذنوبا

ضمن

أو استعماله والتشبيه ليس واحدا منهما ، وقيل إنها لفظ المشبه المستعمل في المشبه به بادعاء أنه عينه وهذا مذهب السكاكي وهو مردود كالأول والثاني مذهب السلف وهو المختار وقوله وأشرقت بعد ماقبله شاهد ثان حيث شبه الخضرة بالشمس تشبيها مضمرا في النفس وأثبت ماهو من لوازم المشبه به وهو الأنوار المنصوب على نزع الخافض . قال : [فصل في تحسين الاستعارة]

[محسن استعارة تدريه برعي وجه الحسن للتشبيه
والبعد عن رائحة التشبيه في لفظ وليس الوجه ألغازا قفي]

أقول : حسن الاستعارة إنما يكون برعاية جهات حسن التشبيه بأن يكون وجه الشبه شاملا للطرفين والتشبيه وافيا بما علق به من الغرض و بأن لايشم رائحته لفظا لأن ذلك يبطل الغرض من الاستعارة أعني ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به ولذلك اشترط أن يكون مابه المشابهة بين الطرفين جليا لئلا تصير الاستعارة ألغازا أي كلاما معمى كما لوقيل رأيت أسدا وتريد إنسانا أبخر إذ وجه الشبه بين الطرفين خفي فظهر أن التشبيه أعم محلا إذ كل

ضمن وصف الليل بالطول شكاية الدهر وقول الآخر :

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا ... وأسعفنا فيمن نحب ونكرم
فقلت له نعماك فيهم أتمها ... ودع أمرنا إن الأهم المقدم

ضمن التهنئة شكوى الدهر وقوله :

ولا بد لي من جهلة في وصاله ... فمن لي بخل أودع الحلم عنده

أدمج الفخر في الغزل بجعل حلمه لايفارقه ألبتة ولا ترغب نفسه عنه و إنما عزم على أن يودعه إذا كان لابد له من وصل هذا المحبوب لأن الودائع تستعاد ثم استفهم عن الخل الصالح لذلك فيكون مفهومه بقاء حلمه لعدم من يصلح للوديعة ثم أدمج في ضمن الفخر المدمج شكوى الزمان بقلة الاخوان وفقد من يصلح لهذا الشان ، وفسر قوم الاستتباع بأنه الوصف بشيء على وجه يستتبع الوصف بآخر سواء كان مدحا أوذما ومشى عليه الطيبي وغيره ومثل له بقول ابن الرومي :

نكهتها تقتل جلاسها ... لقرب مجشاها من المفسى

وصفها بالبخر على وجه استتبع وصفها بالقصر وقال الشيخ بهاء الدين وفيه نظر لأنه يتحد حينئذ بالادماج . قلت : ليس كذلك فقد صرح الطيبي بأن الادماج أخص وهذا هو الصواب لأن الوصف المستتبع في الأول للموصوف أولا بخلاف الثاني فان الوصف المضمن لغير الموصوف أولا كما ترى وفرق الأندلسي أيضا بأن الاستتباع لايكون بذم في مدح ولاعكسه بخلاف الادماج .

[تنبيه] قسم عبد الباقي وابن مالك الادماج قسمين : أحدهما ماتقدم . والثاني أن تقصد نوعا من البديع فيجيء في ضمنه نوع آخر كقوله تعالى : وله الحمد في الأولى والآخرة قصدت المبالغة فجاء الطباق في ضمنها قالا ولا تمكن دعوى العكس لأن السياق دال على قصد المبالغة إذ بها يتم الغرض من المعنى دون الطباق فكانت مقصودة وكان تبعا :

[ومنه توجيه بأن يوافق ... محتملا وجهين باختلاف
كقول من قال لأعور ألا ... ياليت عينيه سواء جعلا
قال الصفي فسر التوجيه أن ... يأتي بألفاظ شهيرة بفن
يوردها بغير ماله اشتهر ... كالرفع والنصب وكالجزم وجر
نحو ارتفاع في محله وجب ... من أمره جزم وللحكم انتصب
وجعل السابق من تفسيره ... تفسير الابهام كذا لغيره
قال ونحو ذلك بالموار به ... لكنه يأتي لمن قد عاتبه
بمخلص ولايجي في الابتدا ... به كذا بل غيره قد أوردا
كقوله قد ضاع شعري لما ... أوخذ بل قدضاء صغت النظما]

من أنواع البديع التوجيه ، وعرفه قوم بأن يحتمل الكلام وجهين متباينين من المعنى احتمالا مطلقا من غير تقييد بمدح أوذم أوغيره ، وقوم بأن يحتمل معنيين أحدهما مدح والآخر ذم ، وهذا رأي لا نرضاه ، والذي عليه حذاق الصنعة وأصحاب البديعيات وأولهم الصفي الحلي أن هذا التفسير للنوع المسمى بالابهام بالباء الموحدة كما اخترعه ابن أبي الأصبع وسماه وعرفه بذلك ، ومن أمثلته أن شاعرا مطبوعا فصل له قباء عند خياط أعور فقال له سآتيك به لا تدري أقباء هو أم دراعة فقال الشاعر إن فعلت ذلك قلت فيك بيتا لايعلم من سمعه أدعوت لك أم عليك ففعل فقال :

جاء من زيد قباء ... ليت عينيه سواء

مايتأتى فيه الاستعارة يتأتى فيه التشبيه من غير عكس لجواز أن يكون وجه الشبه غير جلي كما في المثال، ولا منافاة بين هـذا و بين اشتراط عدم ابتذال وجه الشبه أي بأن يكون بعيدا لأن البعد مما يقبل الشدة والضعف فالمراد أن لايصل بعده إلى الألغاز. قال:

[فصل في تركيب المجاز]

[مركب المجاز ما تحصلا في نسبة اومثل تمثيل جلا
وإن أتى استعارة مركب فمثلا يدعى ولاينكب]

أقول: قسم المجاز المركب إلى قسمين: الأول ماتحصل أي تقدم في الاسناد الخبري. الثاني ما استعمل فيما شبه بمعناه الأصلي وكان وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد، وهذا يسمى استعارة تمثيلية فقوله: أومثل تمثيل جلا: أي ظهر، مثال تشبيه التمثيل في الوجه نحو إني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى المستعمل في تردد شخص في أمر شبهت صورة تردده في الأمر بصورة من قام يمشي إلى أمر فترك المشي فتارة يقدم رجله وتارة يؤخرها، فكل من الطرفين والجامع هيئة منتزعة من متعدد

يحتمل في العمى والأبصار وقال آخر في الحسن بن سهل لما زوج ابنته بوران للخليفة:

بارك الله للحسن ولبوران في الختن
يا إمام الهدى ظفر ت ولكن ببنت من

فلم يعلم ماأراد بقوله ببنت من أفي الرفعة أم في الحقارة؟. وقال أبومسلم الخراساني يوما لسليمان بن كثير إنك كنت في مجلس وقد جرى ذكري فقلت اللهم سوّد وجهه واقطع رأسه واسقني من دمه فقال نعم قلت ذلك ونحن جلوس بكرم حصرم فاستحسن إبهامه وعفا عنه، وأورد عبدالباقي وغيره من أمثلة ذلك من الحديث حديث البخاري «إذا لم تستح فاصنع ماشئت» فانه يحتمل مدحا وذما، الأول إذا لم تفعل فعلا تستحي منه فاصنع ماشئت، والثاني إذا لم يكن لك حياء يمنعك فاصنع ماشئت وحديث أحمد أنه ذكر عنده شريح الحضرمي فقال ذاك رجل لايتوسد القرآن يحتمل مدحا وهو أنه لاينام الليل في تلاوة القرآن فلا يكون القرآن متوسدا معـه، وذما وهو أنه لايحفظه فاذا نام لايتوسد القرآن معه وحديث «من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين» يحتمل المدح بأنه لشدة مايحمل من وفاء حقوق المسلمين والنظر في مصالحهم وقع في تعب عظيم كتعب من ذبح بغير سكين، والذم بأنه قدوقع في ظلم الناس ولايقدر على إقامة الحق فهو هالك على وجه شديد الألم كمن ذبح بغير سكين قال الأندلسي وقد يحصل ذلك من الضمير نحو: فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فالضمير من له يحتمل رجوعه لموسى ولفرعون. وقول من سئل عن أبي بكر وعلي رضي الله عنهما أيهما أفضل وهو في موضع لايمكنه التصريح فيه بمذهب أهل السنة. أفضلهما من كانت ابنته تحته. وقريب من هذا النوع المواربة. قال ابن أبي الأصبع هي مشتقة من الورب بفتحتين وهو العرق إذا فسد كأن المتكلم أفسد مفهوم كلامه بما أبداه من التأويل وذلك أن يقول المتكلم قولا يتضمن ماينكر عليه فاذا حصل الانكار استحضر بحذقه وجها من الوجوه يتخلص به، إما بتحريف كلمة أوتصحيفها أوزيادة أونقص فمثاله بالتحريف قول عتبان الحروري:

فان يك منكم نجل مروان وابنه ويحيى ومنكم هاشم وحبيب
فمنا حصين والبطين وقعنب ومنا أمير المؤمنين شبيب

فلما بلغ الشعر هشاما وظفر به قال له أنت القائل ومنا أمير المؤمنين شبيب فتخلص بفتح الراء بعد ضمها، وشاهد الحذف قول أبي نواس يهجو خالصة جارية الرشيد:

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع در على خالصه

فلما بلغ الرشيد أنكر عليه وهدده فقال لم أقل إلا ضاء فاستحسن موار بته وقال بعض من حضر هذا بيت قلعت عيناه فأبصر. وشاهد التصحيف قول العز الموصلي لما مات فتح الدين بن الشهيد وشمس الدين المزين:

دمشق قالت لنا مقالا معناه في ذا الزمان بين
اندمل الجرح واستراحت ذاتي من الفتح والمزين

[لطيفة] روى الطبراني عن عائشة «أن النبي صلى الله عليه وسلم أتته عجوز من الأنصار فقالت يارسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال صلى الله عليه وسلم: إن الجنة لاتدخلها عجوز، ثم ذهب فصلى ثم رجع فقالت عائشة رضي الله عنها لقد لقيت من كلمتك مشقة وشدة فقال صلى الله عليه وسلم: إن ذلك كذلك إن الله إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكارا» فهذه الكلمة البديعة يحتمل أن تكون من الابهام وهو بعيد ومن المواربة وهو قريب. ومن الهزل المراد به الجد وهو أقرب وقد قال صلى الله عليه وسلم «إني لأمزح ولا أقول إلا حقا». وأما تعريف التوجيه فماحرره الصفي الحلي

والمتأخرون

والمتأخرون فبأن يوجه المتكلم بعض كلامه إلى أسماء متلائمة اصطلاحا من أسماء أعلام أو قواعد علوم أو غير ذلك مما تتشعب له الفنون توجيها مطابقا لمعنى اللفظ الثانى من غير اشتراك حقيق ويفارق التورية من وجهين: أحدهما أن التورية باللفظ المشترك والتوجيه باللفظ المصطلح. والثانى أن التورية بلفظ واحد والتوجيه لايصح إلا بعدة ألفاظ متلائمة كقول العلاء الوداعى على اصطلاح أهل الحديث:

من أمّ بابك لم تبرح جوارحه ... تروى أحاديث ما أوليت من منن
فالعين عن قرة والكف عن صلة ... والقلب عن جابر والسمع عن حسن

وجه بقرة بن خالد السدوسى وصلة بن أشيم العدوى التابعى وجابر الصحابى وحسن البصرى وقول السليمانى على اصطلاح النحو:

أضيف الدجى لونا إلى ليل شعره ... فطال ولولا ذاك ما خصّ بالجرّ
وحاجبه نون الوقاية ماوقت ... على شرطها فعل الجفون من الكسر

وقول الصفى الحلى فى اصطلاح النحو:

خلت الفضائل بين الناس ترفعنى ... بالابتداء فكانت أحرف القسم

وقول الآخر:

عرّج بنا نحو طاول الحمى ... فلم تزل آهلة الأربع
حتى نظل اليوم وقفا على السا ... كن أو عطفا على الموضع

وقول الشرف النابلسى على اصطلاح الفقه:

احجج إلى الزهر لتحتظى به ... وارم جمار الهم مستنفرا
من لم يطف بالزهر فى وقته ... من قبل أن يحلق قد قصرا

وقول ابن العفيف على اصطلاح الجدل:

ومابال برهان العذار مسلما ... ويلزمه دور وفيه تسلسل

وقول الآخر على اصطلاح العروض:

وبقلبى من الهموم مديد ... وبسيط ووافر وطويل
لم أكن عالما بذاك إلى أن ... قطع القلب بالفراق الخليل

وقول الآخر على اصطلاح الكتاب:

رأيت فقيرا فى المرقعة التى ... على حسنه دلت وحسن طباعه
بخديه ريحان الحواشى محقق ... إلى الثلث والفضاح تحت رقاعه

وقول بعضهم وهو مختف بسبب تزوير فى رقعة لابن فضل الله يقبل الأرض وينهى أنه منذ ثلث سنة محقق مختف فى حواشى البيت يخشى توقيعات الرقاع من صاحب الطومار وسؤال المملوك نسخ هذا الأمر الفضاح بحيث لايقع عليه غبار فان المملوك وحق المصحف مايحمل عود ريحان. وقول صاحب زهير على الرمل:

تعلمت خط الرمل لما هجرتنى ... لعلى أرى شكلا يدلّ على الوصل
فقالوا طريق قلت يارب للقا ... وقالوا اجتماع قلت يارب للشمل

وقول ابن الوردى على النجوم:

وجارية كرهت بيعها ... من الأسود السئ المنظر

دون التشبيه فقوله ولاينكب أى لايحول اللفظ الدال على المشبه لوجوب بقاء الاستعارة على الهيئة التى يستحقها المشبه به. قال:

[فصل فى تغيير الاعراب]

[ومنه ما إعرابه تغيرا بحذف لفظ أو زيادة ترى]

أقول: من المجاز نوع آخر غير ماتقدم وهو كل كلمة تغير إعرابها بحذف لفظ أو زيادته نحو وجاء ربك: أى أمره وليس كمثله شئ أى مثله على ما فيه فالحكم الأصلى لربك الجر ولمثل النصب فتغير بالحذف فى الأول والزيادة فى الثانى، وإنما كان هذا النوع مغايرا لما تقدم لأن المجاز اللفظ المستعمل فى غير ماوضع له أو استعماله والتغيير بمعنى التغيير وليس واحدا منهما وأورد بعضهم هذا النوع إلى المجاز الاسنادى والحذف والزيادة يصدق كل منهما على الاسم والحرف فحذف الاسم تقدم فى المثال وزيادته نحو: أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب إذ المراد فرعون نفسه وزيادة

هى الشمس فالبدر كفء لها فما ترضى زحلا مشترى

وقوله الآخر على الهندسة :

محيط بأشكال الملاحة وجهه كأن به إقليدسا يتحدث

فعارضه خط استواء وخاله به نقطة والشكل شكل مثلث

ومن التوجيه فى الصناعات قولى فى القضاء :

الكتاب العزيز قاض علينا وبه الاقتداء فى كل خله

من يرد أن يكون قاض عليه فليقل فى أمامه بسم الله

وقد علمت أن قولى قلت الصفى إلى آخر الأبيات المذكورة من زيادتى :

[والهزل ذو الجد فقل لمن أتى مباحثا كيف تهجى باوتا

قلت ومنه يقرب التهكم والهجو فى معرض مدح نظموا

وإن خلا الهجو من الفحاشة ونحوها فسم بالنزاهة]

ومن أنواع البديع الهزل المراد به الجد بأن يقصد مدح إنسان أو ذمه فيخرج ذلك مخرج الهزل والمجون كقوله .

إذا ماتميمى أتاك مفاخرا فقل عد عن ذا كيف أكلك للضب

وقول أبى العتاهية :

أرقيك أرقيك بسم الله أرقيكا من بخل نفسك عل الله يشفيكا

ماسلم كفك إلا من يناولها ولا عدوك إلا من يرجيكا

ومنه التهكم ذكرته من زيادتى وهو من مخترعات ابن أبى الأصبع وفسره الصفى بالاستهزاء كقوله:

فياله من عمل صالح يرفعه الله إلى أسفل

وعبارة المصباح إخراج الكلام عن ضد مقتضى الحال استهزاء بالمخاطب أو غيره أو تعريضا بقوة المحرك للغضب والفرق بينه و بين الذى قبله أن التهكم ظاهره جد و باطنه هزل والذى قبله بالعكس ومنها الهجو فى معرض المدح ذكرته من زيادتى أيضا وهو من مستخرجات ابن أبى الأصبع وهو أن يقصد هجاء إنسان فيأتى بألفاظ موجهة ظاهرها المدح و باطنها القدح فيتوهم أنه يمدحه وهو يهجوه كقول الحماسى :

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا

كأن ربك لم يخلق لخشيته سواهم من جميع الخلق إنسانا

ظاهره المدح بالحلم والخشية والتقوى و باطنه المقصود أنهم فى غاية الذل والعجز، والفرق بينه وبين التهكم أن التهكم لا تخلو ألفاظه من لفظة دالة على نوع ذم أو يفهم من فحواه الهجو وألفاظ الهجو فى معرض المدح لا يقع فيها شىء من ذلك ولا تزال تدل على ظاهر المدح حتى يقترن بها ما يصرفها عنه ومنها النزاهة ومحلها الهجاء وهو أن يأتى فيه بألفاظ خالية عن الفحاشة بحيث لو أنشدتها العذراء فى خدرها لم يعب عليها وفى القرآن من ذلك العجب العجاب كقوله تعالى - وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون - الآيات قالوا وأحسن ما وقع فى هذا الباب من الشعر قول جرير :

لو أن تغلب جمعت أنسابها يوم التفاخر لم تزن مثقالا

فانه هجو فى غاية الانكاء وألفاظه منزهة عن الفحش :

[تجاهل العارف سوق ماعلم مساق غيره لنكتة تهم

[لفظ به لازم معناه قصد
مع جواز قصده معه يرد
إلى اختصاص الوصف بالموصوف
كالخير فى العزلة ياذا الصوفى
ونفس موصوف ووصف والغرض
إيضاح اختصار اوصون عرض
أو انتفاء اللفظ لاستهجان
ونحوه كاللمس والاتيان]

أقول : قد عرف الكناية بأنها اللفظ الذى أريد به لازم معناه مع جواز إرادته نحو زيد طويل النجاد فان المراد لازم معناه وهو طول القامة و يجوز مع ذلك إرادة طول النجاد الذى هو المعنى الحقيقى و بهذا القيد فارقت المجاز لأنه لابد من كون القرينة فيه مانعة عن إرادة المعنى الحقيقى نحو رأيت أسدا فى الحمام فى الحمام قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقى وهو الحيوان المفترس كذا قالوا برمتهم .

واعترض ذلك عصام الدين فى كتابته على متن السمرقندية بما يعلم بمراجعته .

مثل المبالغة فى المدح البهى   والذم والتوبيخ والتدله
كمعشر الظباء ياحور النظر   أمنكم سعاد أم من البشر]

تجاهل العارف سوق المعلوم سوق غيره : أى يسأل عما يعلمه سؤال مالا يعلمه لنكته كالمبالغة فى المدح كقوله :

ألمع برق سرى أم ضوء مصباح   أم ابتسامتها بالمنظر الضاحى

أو الذم كقوله :

وما أدرى وسوف إخال أدرى   أقوم آل حصن أم نساء

والتوبيخ كقوله :

أيا شجر الخابور مالك مورقا   كأنك لم تجزع على ابن طريف

والتدله فى الحب كقوله :

بالله ياظبيات القاع قلن لنا   ليلاى منكن أم ليلى من البشر
[القول بالموجب أن يأتى إلى   وصف بقول غيره أطلق على
شئ له أثبت حكم يثبت   هذا لغيره ولكن يسكت
عن نفيه عنه أو الثبوت له   ومنه لفظ فى كلام حمله
على خلاف قصده مما احتمل   بذكر ذى تعلق له حصل
كقوله سلوت ياهذا عن   فقل له عن صحبتى ووطنى]

من أنواع البديع القول بالموجب وهو نوع لطيف جدا وأفرده الصلاح الصفدى بالتأليف ويسمى أيضا الأسلوب الحكيم وهو ضربان . أحدهما أن يقع صفة فى كلام الغير كناية عن شئ أثبت له حكم فتثبتها أنت فى كلامك لغير ذلك الشئ من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم بذلك الغير أو نفيه عنه كقوله تعالى : يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله الآية فالأعز وقعت فى كلام المنافقين كناية عن فريقهم والأذل عن فريق المؤمنين وأثبت المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة ، فأثبت الله فى الرد عليهم صفة العزة لغير فريقهم وهو الله ورسوله والمؤمنون ولم يتعرض لثبوت ذلك الحكم الذى هو الاخراج للموصوفين بصفة العزة ولا لنفيه عنهم . والثانى حمل لفظ وقع فى كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه ، وحذاق البديع شرطوا خلوه من لفظة لكن لأنهم خصصوا بها نوع الاستدراك كقوله :

قلت ثقلت إذ أتيت مرارا   قال ثقلت كاهلى بالأيادى
قلت طولت قال لابل تطولـت وأبرمت قال حبل ودادى

وقول الشواء :

ولما أتانى العاذلون عدمتهم   وما فيهم إلا للحمى قارض
وقد بهتوا لما رأونى شاحبا   وقال به عين فقلت وعارض

وقول الشهاب محمود :

رأتنى وقد نال منى النحول   وفاضت دموعى على الخد فيضا
فقالت بعينى هذا السقام   فقلت صدقت وبالخصر أيضا
[قلت ومنه يقرب التسليم أن   يسلم الفرض المحال ثم عن
لازمه يصد إذ قد وجدا   مامنع اتباعه ويوردا

وأجيب عن اعتراضه فيما كتبته على شرحه المذكور وترد إلى أقسام ثلاثة الأول اختصاص الوصف بالموصوف كقولهم المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه جعل إحاطة الثوبين والبردين بالوصفين كناية عن اختصاص الممدوح بهما ومن ذلك الخير فى العزلة الخ كناية عن اختصاص الصوفى بها الثانى مايطلب بها نفس الموصوف كقولك جاء المضياف تريد زيدا لكثرة إقرائه للضيف حتى صار اختصاصه بذلك كاللازم ينتقل من المضياف إليه . الثالث مايطلب بها نفس الصفة نحو كثير الرماد كناية عن المضياف ، ونحو طويل النجاد كناية عن طول القامة والأولى بعيدة لكثرة الوسائط والثانية قريبة لعدم الواسطة ثم الغرض من الكناية الإيضاح كطويل النجاد لطول القامة ، أو الاختصار كفلان مهزول الفصيل : أى لكثرة نحر الأمهات كناية عن كرمه ، أو الستر ، وهو المراد بالصون كأهل الدار كناية عن الزوجة صيانة لهما ، أو اختيار الفصحاء للفظ باستهجان المكنى عنه نحو فالآن باشروهن ونحو فلان لمس زوجته وأتاها كناية عن المجامعة

فى الفن تقسيم استعارة على
تشبيه ايضا باتفاق العقلا]
أقول: المجاز أبلغ من الحقيقة والكناية أبلغ من التصريح لأن الانتقال فيهما من الملزوم إلى اللازم وهو كدعوى الشىء ببينة فان وجود الملزوم يقتضى وجود اللازم لامتناع انفكاك الملزوم عن لازمه والاستعارة أبلغ من التشبيه لأنها نوع من المجاز والتشبيه حقيقة وقد علمت أن المجاز أبلغ منها والله أعلم. قال :

[الفن الثالث البديع
[علم به وجوه تحسين الكلام
تعرف بعد رعى سابق المرام
ثم وجوه حسنه ضربان
بحسب الألفاظ والمعانى]

أقول : تقدم أن فن البديع ليس جزءا من البلاغة بل هو تابع لها فالنظر فيه فرع النظر فيها فلذلك أخر ، وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة فقوله علم خبر مبتدإ محذوف ودليل مفاده الترجمة وسابق المرام أى المطلوب

و إن على الممكن مع ماناقضه   مريده علق فالمناقضه
كذاك الاستدراك والاستثنا   حيث أفادا بهجة وحسنا]

هذه الأبيات من زيادتى فيها أنواع تقرب من القول بالموجب فجعلتها عقبه .

الأول التسليم : وهو أن يفرض المتكلم حصول أمر قد نفاه أو أفهم استحالته أو شرط فيه مستحيلا ثم يسلم وقوعه و يأتى بما يدل على عدم فائدته كقول الصفى :

سألت فى الحب عذالى فما نصحوا   وهبه كان فما نفعى بنصحهم

وعبارة الشيخ بهاء الدين وهو أن يفرض محالا منفيا أومشروطا بشرط بحرف الامتناع ليكون ماذكره ممتنع الوقوع لامتناع شرطه كقوله تعالى: ماتخذالله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب الآية .

الثانى المناقضة : وهى تعليق الشرط على نقضين ممكن ومستحيل ومراده المستحيل دون الممكن ليؤثر التعليق عدم وقوع الشرط فكأن المتكلم ناقض نفسه فى الظاهر إذ شرط وقوع أمر بوقوع نقيضين كقول النابغة :

و إنك سوف تحلم أو تناهى   إذا ماشبت أو شاب الغراب

علقه على شيبه وهو ممكن ومشيب الغراب وهو محال وهو المراد لأن مقصوده أنه لايحلم أبدا وقول الصفى :

وانى سوف أسلوهم إذا عدمت   روحى وأحييت بعد الموت والعدم

الثالث الاستدراك : عدوه من أنواع البديع بأن يكون فيه حسن ودقة سواء تقدمه تقرير ما أخبر به المتكلم أم لا وقد أشار إليه فى الايضاح أنه قريب من القول بالموجب فالأول كقوله :

و إخوان حسبتهم دروعا   فكانوها ولكن للأعادى
وخلتهم سهاما صائبات   فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب   لقد صدقوا ولكن عن ودادى

وقوله يخاطب قاضيا أودع مالا فادعى ضياعه :

إن قال قد ضاعت فيصدق أنها   ضاعت ولكن منك يعنى لو تعى
أوقال قد وقعت فيصدق أنها   وقعت ولكن منه أحسن موقع

وقول الأرجانى :

غالطتنى إذ كست جسمى ضنا   كسوة أعرت من الجلد العظاما
ثم قالت أنت عندى فى الهوى   مثل عينى صدقت لكن سقاما

والثانى قول زهير :

أخو ثقة لايهلك الخمر ماله   ولكنه قد يهلك المال نائله

والنكتة الزائدة على معنى الاستدراك فى الأولى ظاهرة وفى هذا أنه لو اقتصر على صدر البيت لأوهم البخل فأزاله به .

الرابع الاستثناء : بأن يفيد أيضا نكتة زائدة على الاخراج ويكسو المعنى بهجة وحسنا كقوله :

فلو كنت بالعنقاء أو بأطومها   لخلتك إلا أن تصد ترانى

ومنه نوع سماه ابن أبى الأصبع استثناء الحصر وهو غير الذى يخرج القليل من الكثير ونظم فيه :

إليك و إلا ماتحث الركائب   وعنك و إلا فالمحدث كاذب

المعنى لاتحث الركائب إلا إليك ولايصدق المحدث إلاعنك .

[والاطراد

[والاطراد ذكرك اسم من علا　　وأبه وجده على الولا
بلا تكلف على وجه جلى　　مثل الحسين بن الحسين بن على]

من أنواع البديع الاطراد وهو لغة مصدر اطرد الماء وغيره إذا جرى بلا توقف ومعناه أن يذكر الشاعر اسم الممدوح وأبيه وجده على التوالى بلا تكلف ولا تعسف كقوله :

إن يقتلوك فقد ثللت عروشهم　　بعتيبة بن الحرث بن شهاب

وقوله :

من يكن رام حاجة بعدت عنه　　وأعيت عليه كل العياء
فلها أحمد المرجى بن يحيى بن　　معاذ بن مسلم بن رجاء

وقال الصفى الاطراد ذكر اسم الممدوح ولقبه وكنيته وصفته اللائقة به واسم من أمكن من أبيه وجده وقبيلته فى بيت واحد بلا تعسف ولا تكلف والانقطاع بألفاظ أجنبية ولم يتقدمه أحد إلى اشتراط هذه الأمور كلها ومثله بقول بعضهم :

مؤيد الدين أبو جعفر　　محمد بن العلقمى الوزير

[قلت ومنه الاحتباك يختصر　　من شقى الجملة ضد ماذكر
وهو لطيف راق للمقتبس　　بينه ابن يوسف الأندلسى
والطرد والعكس قريب منه　　حرره الطيبي فابحث عنه
يقرر الأول بالمنطوق ذا　　مفهوم تاليه و بالعكس خذا]

هذه الأبيات وما بعدها إلى القسم الثانى كلها من زيادتى . فمن أنواع البديع الاحتباك وهو نوع لطيف لم يتنبه له أحد من أهل هذا الفن ولا ذكره أصحاب البديعيات ولم نقف على أحد تعرض لذكره إلا رفيق الأعمى فى شرح بديعيته وكنت تأملت قوله تعالى ـ لايرون فيها شمسا ولا زمهريرا ـ وقولهم إن الزمهرير هو البرد أو القمر قولان فقلت لعل المراد به البرد وأشير بالشمس إلى أنه لاحر فيها فحذف من الأول الحر ومن الثانى القمر والتقدير لاشمس فيها ولا قمر ولا حر ولا برد وقلت فى نفسى هذا نوع لطيف لكن لاأعرف فى أنواع البديع مايدخل فيه ثم اجتمعت بصاحبنا العلامة برهان الدين البقاعى فذكر أن بعض شيوخه أفاده أن من أنواع البديع مايسمى الاحتباك وهو أن تذكر جملتان فى كل متقابلان ويحذف من كل ضد ماذكر فى الأخرى كقوله تعالى ـ فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة ـ فحذف من الأول مؤمنة ومن الثانى تقاتل فى سبيل الشيطان وقال لى لم أقف على من تعرض لهذا النوع ولم أره فى كتاب وقد ألفت فيه كراسة سميتها الادراك فلما طالعت شرح بديعية ابن جابر لرفيقه أحمد بن يوسف الأندلسى رأيته ذكره فى أثناء كلامه استطرادا فقال من أنواع البديع الاحتباك وهو نوع عزيز ، وهو أن يحذف من الأول ماثبت نظيره فى الثانى ومن الثانى ماثبت نظيره فى الأول كقوله تعالى ـ ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق ـ الآية التقدير ومثل الأنبياء والكفار كمثل الذى ينعق والذى ينعق به فحذف من الأول الأنبياء لدلالة الذى ينعق عليه ومن الثانى الذى ينعق به لدلالة الذين كفروا عليه وقوله ـ وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء ـ التقدير تدخل غير بيضاء وأخرجها تخرج بيضاء الخ فحذف من الأول تدخل الخ ومن الثانى أخرجها انتهى ملخصا . قلت ومن ألطفه قوله تعالى ـ خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا أى صالحا بسيء وآخر سيئا بصالح ومأخذه من الحبك الذى معناه السد والاحكام وتحسين أثر الصنعة فى الثوب فحبك الثوب سد مابين خيوطه من الفرج وسده و إحكامه بحيث يمنع عن الخلل مع الحسن والرونق و بيان أخذه منه ان مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفرج بين الخيوط

السابق وهو المطابقة ووضوح الدلالة اللذان هما مفادان للفنين قبله ، ثم وجوه التحسين منها مايتعلق باللفظ فيكسوه حسنا وجمالا كالجناس التام ومنها مايتعلق بالمعنى كذلك كالمطابقة وسيأتى مثالهما وقدم الألفاظ فى البيت لأنها طريق للمعانى وأخر الكلام على مايتعلق بها اهتماما بشأن المعانى لأنها المقصودة أولا و بالذات وقصد الألفاظ عرضى . قال :

[الضرب الأول المعنوى]
[وعد من ألقابه المطابقه
تشابه الأطراف والموافقه]

أقول : تقدم وجه تقديم الضرب المعنوى فمن ألقابه المطابقة وتسمى الطباق والتضاد والتكافؤ وهو الجمع بين متقابلين فى الجملة أى سواء كان تقابل ضدين أو نقيضين أوعدم وملكة ويكون بلفظين من نوع اسمين نحو ـ وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ـ أو فعلين نحو : يحيى و يميت ،أوحرفين نحو ـ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ـ أومن نوعين نحو أومن كان ميتا فأحييناه والطباق قسمان طباق الايجاب كامثل وطباق السلب وهو الجمع بين فعلين من نوع واحد أحدهما مثبت والآخر منفى أو أحدهما أمر والآخر نهى نحو ولكن أكثر الناس لايعلمون يعلمون

ظاهر افلا تخشوا الناس واخشون. ومنها تشابه الأطراف وهو التناسب بين أول الكلام وآخره فى المعنى نحو ـ لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ـ ومنها الموافقة وتسمى التناسب والتوافق أيضا ومراعاة النظير وهو جمع أمر وما يناسبه لابالتضاد نحو: الشمس والقمر بحسبان. قال:

[والعكس والتسهيم والمشاكله ... تزاوج رجوع او مقابله]

أقول : اشتمل هذا البيت على ستة ألقاب. الأول العكس وهو أن يقدم فى الكلام جزء ثم يؤخر نحو عادات السادات سادات العادات. الثانى التسهيم ويسمى الارصاد وهو أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت مايدل عليه إذا عرف الروى نحو ـ وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ـ وقوله :

إذا لم تستطع شيئا فدعه ... وجاوزه إلى ماتستطيع

الثالث المشاكلة وهى ذكر الشىء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقا أو تقديرا فالأول نحو قوله :

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه * قلت اطبخوا لى جبة وقميصا : أى خيطوا فعبر عنه بلفظ

فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر فى نظمه وحوكه فوضع المحذوف مواضعه كأن حائكا له مانعا من خلل يطرقه فسد بتقديره مايصلح به الخلل مع ما أكسبه من الحسن والرونق . ومن أنواع البديع الطرد والعكس ذكره الطيبى فى التبيان وفسره بأن يؤتى بكلامين يقرر الأول بمنطوقه مفهوم الثانى و بالعكس كقوله تعالى ـ ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ـ إلى قوله ـ ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن ـ فمنطوق الأمر بالاستئذان فى تلك الأوقات خاصة مقرر لمفهوم رفع الجناح فيما عداها و بالعكس وكذا قوله ـ لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون ـ .

[ومنه نفى الشىء بالايجاب ... نفى الثبوت بانتفا الأسباب
وإن أتى فى البيت وعظ لامع ... أو حكمة فهو الكلام الجامع
حكاية التحاور المراجعه ... ترتيبه أوصافه المتابعه
ثم الترقى وهو ذكر المعنى ... ففوقه ثم التدلى يعنى]

فى هذه الأبيات أنواع :

أحدها : نفى الشىء بإيجابه وفسره ابن رشيق وابن أبى الأصبع وغيرهما بما معناه أن يكون الكلام ظاهره إيجاب الشىء وباطنه نفيه بأن ينفى ماهو من سببه كوصفه وهو المنفى فى الباطن نحو ـ لايسألون الناس إلحافا ـ نفى الالحاف والمراد فى الباطن نفى السؤال ألبتة وقوله : ماللظالمين من حميم ولا شفيع يطاع، نفى طاعة الشفعاء والمراد نفى الشفيع مطلقا وقال الشاعر * على لاحب لايهتدى بمناره * أى لامنار له يهتدى به .

لطيفة : هذا النوع يورده المنطقيون فى كتبهم ويعبرون عنه بعبارة على اصطلاحهم ويمثلون له بقولهم مافى الدار زيد ويقصدون عدم وجود زيد فى الدنيا أصلا فاذا وقع لأرباب الحديث والسنة مثل هذا فانهم يتحاشون عن التعبير عنه باصطلاح المناطقة وقد وسع الله لهم فى العبارة فليوردوه على اصطلاح أهل البديع .

الثانى : الكلام الجامع وفسروه بأن يأتى الشاعر ببيت مشتمل على حكمة أو وعظ أو غير ذلك من الحقائق التى تجرى مجرى الأمثال كقوله :

ومن يك ذا فضل ويبخل بفضله ... على قومه يستغن عنه ويذمم

وقول المتنبى : وإذا كانت النفوس كبارا ... تعبت فى مرادها الأجسام

الثالث : المراجعة ذكرها ابن مالك وعبد الباقى وغيرهما وهى حكاية التحاور بين المتكلم وغيره فى البيت الواحد بألفاظ وجيزة كقول الصفى :

قالوا اصطبر قلت صبرى غير متبع ... قالوا اسلهم قلت ودى غير منصرم

الرابع : الترتيب والمتابعة وهو من مستخرجات التيفاشى ، وهو أن يرتب أوصاف الموصوف على ترتيبها فى الخلقة الطبيعية ، ولا يدخل فيها وصفا زائدا كقول مسلم بن الوليد :

هيفاء فى فرعها ليل على قمر ... على قضيب على حقف النقا الدهش

فان الأوصاف الأربعة على ترتيب خلقة الانسان من الأعلى إلى الأسفل وقول الصفى :

كالنار منه رياح الموت إن عصفت ... يروى صرى مائه أرض الوغى بدم

رتبه على العناصر الأربعة ومثل عبد الباقى بقوله تعالى ـ والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ـ وقوله تعالى ـ وهزى إليك بجذع النخلة

الطبخ لوقوعه فى صحبة طبخ الطعام . ومنه: ومكروا ومكر الله ، والثانى نحو: صبغة الله وهو مصدر مؤكد

تساقط عليك رطبا جنيا — وقوله — فكذبوه فعقروها — الآية وقول زهير :

يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

الخامس الترقى : ذكره فى التبيان وهو أن يذكر المعنى ثم يردفه بما هو أبلغ منه كقولهم عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض وقوله تعالى الخالق البارئ المصور: أى قدر مايوجد ثم مثله وقوله — لن ترضى عنك اليهود ولا النصارى — أى ولا من هو أقرب مودة فكيف بالأبعد .

السادس : التدلى بأن يذكر الأعلى أولا ثم الأدنى لنكتة نحو الرحمن الرحيم فان الأول أبلغ ولو اقتصر عليه لاحتشم أن يطلب منه اليسير فكمل بالألطف لذلك وخرّج على ذلك — لاتأخذه سنة ولا نوم، ولاتقل لهما أف ولاتنهرهما، لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون — أو نكته البداءة بالمسيح أن الخطاب مسوق للرد على النصارى ثم استطرد للرد على العرب المدعين فى الملائكة ثم تخلص إلى حال المعاد .

[ومنه الاستطراد أن ينتقلا من غرض لآخر قد شاكلا
والافتنان الجمع للفنين كالمدح والهجو ونحو ذين
والاشتقاق أخذ معنى من علم فان يطابق فبالاتفاق سم
ومنه الالغاز ونوع القسم والاكتفاء حذف بعض الكلم
وخيره عندى مافيه وفت تورية عن اكتفاء صرفت
وجمعه مؤتلفا أو مختلف والاتساع شامل لما عرف
وإن يكن فى اللفظ لبس فيق تفسيره فذاك تفسير الخفى
وإن يزل لبسا عن الابهام فذاك إيضاح بلا إبهام
وإن أتى مشترك يبادر غير المراد فاشتراك صادر
حسن البيان زاد فى المصباح ورده الجلال فى الايضاح]

فى هذه الأبيات أنواع : أحدها الاستطراد وذكره فى التبيان والايضاح والمصباح ، وهو أن يكون فى فن من الفنون : أى غرض من الأغراض ثم يسنح له فن آخر يناسبه فى الذكر فيورده ثم يرجع إلى الأول ويقطع الاستطراد ؛ وبهذا القيد يخرج عن التخلص ، وعرفه فى الايضاح بالانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به لم يذكر بذكر الأول التوصل إلى الثانى ، وبهذا يفارق التخلص أيضا ، وفى شرحه أن المراد بالاتصال أن يكون بين المعنيين مناسبة ، وذكر الحاتمى أنه نقل هذه التسمية عن البحترى وذكر غيره أن البحترى نقلها عن أبى تمام كقوله تعالى — ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود — فذكر ثمود استطراد . قلت : وقد خرجت عليه ولا الملائكة المقربون وأورد منه الطيبى قوله تعالى : ومايستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا فعطف ومن كل تأكلون لكونه مناسبا لأصل الكلام ، وهو البحران المعنىّ بهما المؤمن والكافر ، وقوله: وإذ قال لقمان لابنه الآية استطرد فيها إلى قوله : ووصينا الانسان بوالديه واستطرد من الوصية إلى قوله: حملته أمه وهنا على وهن وفائدة الاستطراد الأول التحريض على قبول موعظة الآباء ، وفائدة الثانى التوكيد فى التوصية فى حقهم وبالوالدة خصوصا لماتكابد من مشاق الحمل والرضاع ومن أمثلته فى الشعر :

إذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه فليس به بأس وإن كان من جرم

استطرد من الوعظ إلى الهجو ، وقال ابن خطيب زملكا ومنه حديث خطبته صلى الله عليه وسلم

لآمنا بالله : أى تطهير الله لأن الايمان يطهر النفوس والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يقال له المعمودية ويقولون إنه تطهير لهم ، فعبر عن الايمان بالله بصبغة الله للمشاكلة لهذه القرينة . الرابع المزاوجة وهى أن يزاوج أى يقارن بين معنيين فى الشرط والجزاء كقوله :

إذا مانهى الناهى فلجّ بى الهوى
أصاخت إلى الواشى فلجّ بها الهجر

زاوج بين نهى الناهى وإصاختها إلى الواشى الواقعين فى الشرط والجزاء بأن رتب عليهما لجاج شىء وإن كان فى الأول لجاج الهوى وفى الثانى لجاج الهجر . الخامس الرجوع وهو العود إلى الكلام السابق بالنقض لنكتة كقوله :

قف بالديار التى لم يعفها القدم
بلى وغيرها الأرواح والديم

أخبر أوّلا أن هذه الديار لم يبلها تقادم العهد ثم نقض هذا الخبر بقوله بلى وغيرها الأرواح أى هبوبها والديم أى القطر والنكتة إظهاره التحير

كأنه أخبر أولا بما لا تحقق له ثم لما أفاق بعض إفاقة نقض الكلام السابق قائلا بل عفاها القدم
وغيرها الأرواح
والديم. السادس المقابلة
وهو أن يؤتى بمعنيين
متوافقين أو أكثر
ثم يقابل ذلك على
الترتيب نحو فليضحكوا
قليلا وليبكوا كثيرا
ومنه ـ فأما من أعطى
واتقى وصدق بالحسنى
إلى العسرى ـ وقوله:
ما أحسن الدين والدنيا
إذا اجتمعا
وأقبح الكفر والافلاس
بالرجل
وأدخل الأصل هذا
النوع فى المطابقة. قال:
[تورية تدعى بإيهام
لما
أريد معناه البعيد
منهما
ورشحت بما يلائم
القريب
وجردت بفقده فكن
منيب]
أقول : من ألقاب
المعنوى التورية
وتسمى الايهام لاشتمالها
على إيهام إرادة المعنى
القريب أيضا وهو أن
يذكر لفظ له معنيان
قريب و بعيد ويراد
البعيد نحو ـ الرحمن
على العرش استوى ـ
بمعنى الاستواء القريب
الاستقرار ومعناه
البعيد الاستيلاء وهو المراد وهى قسمان مجردة وهى التى لا تلائم شيئا مما يلائم القريب كهذا

كلما

عام الفتح «إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة فقيل يارسول الله أرأيت شحوم الميتة ، فانه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها ؟ فقال لا هو حرام ، ثم قال قاتل الله اليهود إن الله لما حرم عليهم الشحوم جملوها فباعوها» قال فقوله قاتل الله اليهود الخ من باب الاستطراد ، وقال فى الايضاح وقد يكون الثانى هو المقصود ويذكر الأول قبله ليتوصل إليه من غير أن يشعر بذلك قال فى الايضاح ولا بأس أن يسمى إيهام الاستطراد .

والثانى الافتنان : وهو أن يتفنن المتكلم فيأتى بفنين أو أكثر فى فقرة واحدة أو بيت واحد كالغزل والحماسة والمديح والهجاء والهناء والعزاء كقوله تعالى : ثم ننجى الذين اتقوا الآية فيها هناء وعزاء وقوله تعالى ـ كل من عليها فان ـ الآية فيها عزاء وفخر وقول عنترة :

إن تغدفى دونى القناع فاننى طب بأخذ الفارس المستلئم

أوله تشبيب وآخره حماسة وقول الآخر :

أبوك قد جل أهل الثرى فجمل الله بك المقبره

فيه تعزية ومديح مؤد إلى تهكم .

الثالث الاشتقاق : وهو من مستخرجات العسكرى وعرفه بأن يشتق المتكلم من الاسم العلم معنى فى غرض يقصده من مدح أوهجاء كقوله فى نفطويه :

أحرقه الله بنصف اسمه وصير الباقى صراخا عليه

وقول الصفى : لم يلق مرحب منه مرحبا ورأى ضد اسمه عند هذا الحصن والأطم

الرابع الاتفاق : وهو عزيز الوقوع جدا ، وهو أن يتفق للشاعر واقعة واسم مطابق لتلك الواقعة كقوله فى لؤلؤ الحاجب حين غزا الفرنج فى بحر القلزم :

عدوكم لؤلؤ البحر مسكنه والدر فى البحر لايخشى من الغير

وقوله فى الوزير ابن العلقمى لما ولى الوزارة بعد ابن الفرات :

ياعصبة الاسلام نوحى واندبى حزنا على ماتم للمستعصم
دست الوزارة كان قبل زمانه لابن الفرات فصار لابن العلقمى

اتفق أنهما وزيران وأن المورى بهما نهران معروفان وطابق بينهما بالفرات الحلو والعلقم المر وقول ابن حجة يخاطب الملك المؤيد شيخا وقد كسر النيل بمسرى و بلغه يومئذ قصد نوروز مصر ليقاتله ،

أيا ملكا بالله صار مؤيدا ومنتصبا فى ملكه نصب تمييز
كسرت بمسرى نيل مصر و ينقضى بحقك بعد الكسر أيام نوروز

الاتفاق أن كسر نوروز بعد كسر مسرى .

الخامس الاكتفاء : وهو حذف بعض الكلمات أو بعض الحروف لدلالة الباقى عليه فالأول كقول ابن مطروح :

لا أنثنى لا أنتهى لا أرعوى مادمت فى قيد الحياة ولا إذا

أى ولا إذامت وحسنه أنه لو ذكره فى البيت الثانى لكان عيبا من عيوب الشعر يسمى التضمين مع تفوته من حلاوة الاكتفاء ولطفه فى الأذهان وقال البها زهير :

ياحسن بعض الناس مهلا صيرت كل الناس قتلى
لم يبق غير حشاشة فى مهجتى وأخاف أن لا

وقال القيراطى : حسنات الخد منه قد أطالت حسراتى

والبعيد القدرة وهو المراد ، وقرنت بما يلائم القريب وهو البناء وقوله منيب خبر كان وقف عليه بالسكون على لغة ربيعة . قال :

[جمع وتفريق وتقسيم ومع
كليهما أو واحد جمع يقع]

أقول : ذكر فى هذا البيت ستة ألقاب من الضرب المعنوى . الأول الجمع وهو أن يجمع بين متعدد فى حكم كقوله تعالى ـ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ونحو :

إن الشباب والفراغ والجده
مفسدة للمرء أى مفسده

الثانى التفريق ، وهو إيقاع تباين بين أمرين من نوع فى المدح أو غيره نحو ـ هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ـ وكقوله :

ما نوال الغمام وقت ربيع
كنوال الأمير يوم سخاء
فنوال الأمير بدرة عين
ونوال الغمام قطرة ماء

كلما ساء فعالا   قلت إن الحسنات

وقد تتبعت الأحاديث فوجدت منه قوله صلى الله عليه وسلم « الطيرة شرك وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل » هكذا رواه البخارى فى الأدب والترمذى وغيرهما بحذف الاستثناء بعد إلا اكتفاء والأحسن فى ذلك عندى ماتضمن تورية تصرفه عن الاكتفاء كقولى :

قلت وقد بشروا بنجل   رب أنلنى مناى فضلا
إن عاش فاجعله خير نجل   موفيا عهده وإلا

أى و إلا فاقبضه صغيرا و يحتمل عطفه على العهد والإل الذمة قال الله تعالى : لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة ، ومن الاكتفاء بالبعض فى كلمة واحدة وهو عزيز قول ابن سناء الملك :

أهوى الغزالة والغزال وربما   نهنهت نفسى عفة وتدينا
ولقد كففت عنان عينى جاهدا   حتى إذا أعييت أطلقت العنا   (ن)

وقول شيخ الشيوخ الحموى :

إليكم هجرتى وقصدى   وفيكم الموت والحياة
أمنت أن توحشوا فؤادى   فآنسوا مهجتى ولا تو   (حشوا)

وأحسنه أيضا ما كان فيه تورية كقول ابن مكانس :

لله ظبى زارنى فى الدجى   مستوفز ممتطيا للخطر
فلم يقم إلا بمقدار أن   قلت له أهلا وسهلا ومر   (حبا)

وقول البدر ابن الدمامينى :

الدمع فاض بافتضاحى فى هوى   ظبى يغار الغصن منه إذا مشى
وغدا بوجدى شاهدا ووشى بما   أخفى فيالله من قاض وشا   (هد)

وقوله : يقول مصاحبى والروض زاه   وقد بسط الربيع بساط زهر
تعال نباكر الروض المفدى   وقم نسعى إلى درّ ونسرى   (ن)

وقول الصدر على بن الأدمى يخاطب خليل بن بشار :

يامتهمى بالسقم كن منجدى   ولا تطل رفضى فانى على   (ل)
أنت خليلى فبحق الهوى   كن لشجونى راحما ياخلى   (ل)

السادس : الإلغاز ، ذكره فى التبيان ويسمى المحاجاة والتعمية ، وهو أن يؤتى المتكلم بألفاظ مشتركة من غير ذكر الموصوف وعبارات تدلّ بظاهرها على غيره و باطنها عليه كقوله فى القلم :

وذى خضوع راكع ساجد   ودمعه من جفنه جارى
مواظب الخمس لأوقاتها   منقطع فى طاعة البارى

وقال أبو العلاء فى الإبرة :

سعت ذات سم فى قميص فغادرت   به أثرا والله شاف من السم
كست قيصرا ثوب الجمال وتبعا   وكسرى وعادت وهى عارية الجسم

وأنشدنى صديقنا الشهاب المنصورى ملغزا فى قلم :

أيها البارع الذى كم أحاجى   حلّ من ربقة المعمى ولغزا
أى شئ حاكى الدياجى وحاكت   عند تمشيقه الأنامل طرزا
زمن البيض كم تحلى بوصل   وإليه ما زالت السمر تعزى

 الثالث التقسيم . وهو ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين كقوله :

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الأذلان عير الحىّ والوتد هذا على الخسف مربوط برمته

وبه تحفظ الشرائع حتى صار صوتا لكل شرع وحرزا
أخرس يوسع الأنام حديثا وله الدهر لست تسمع ركزا
فأجب فهو فى الخفاء جلىّ زادك الله رفع قدر وعزا

فأجبته ارتجالا :

أيها الشاعر الذى فاق مجدا وارتفاعا على الأنام وعزا
جاءنى لغزك البهىّ فأضحى للأحاجى وللمميز طرزا
هو فى اسم إن صحفوه فلم يخـــف وذو عكسه يردّ ويخزى
وهو ذو أحرف ثلاث وثلثا ه لخرف وذاك للعقل يعزى
وتراه مركبا وهو لاشك ك بسيط وماله قط أجزا
دونك الحل بارتجال ولا زلـــت شهابا وللمجيبين حرزا

وكتبت وأنا بالعقبة إليه ملغزا فى طيبة ألبس الله سلطان الأدباء تاج الاكرام وهداه منهاج الكرام ما اسم على أربعة وهو علم مفرد وكم فيه من إشارة تعهد ارتفع بالاضافة ، وخفض من رام خلافه ، إن حذفت نصفه الثانى فاسم لأكرم قبيل أو فعل خفيف غير ثقيل وإن ضممت إلى أوله آخره فاسم لمن قد هاجره وإن جمعت ثالثه مع أوله ففعل لاشك فى لطفه ومع ذلك يأبى الحبيب أن يفعله بالفه وإن شدّد ثانيه فهو فى المتلو فيه قافيه وإن صحفت جملته فاسم لما إن حلّ به حرم وإن أشبهه الانسان ظرف وكرم وإن أبدلت من يائه ألف فهو على حاله لايختلف وإن كسرت أوله وصحفت ثالثه فأصل كل نذير وبشير ، ومن عجب أنه جمع بين شبهى المسك والكبر حوى أفضل الخلق والخلق وأفصح القول والنطق فأفصح عنه غيبه ولذ بصاحب طيبة . فكتب لى فى الجواب : أيد الله مولانا جلال الدين والدنيا ومعدن التدريس والفتيا جمل الله به ملة الاسلام وجمعنا الله وإياه فى طيبة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وبعد فقد وقف العبد على تميق هذا اللغز الممتنع على غير قريحته ، السهل على سجيته ، فوجد مولانا لم يترك قولا ولا مقيلا لقائل ولا فضيلة لفاضل ، بل حال ببديع استقصائه بين السؤال والجواب ، وظفر من الحروف باللباب ، وفاز بالصحيح دون السقيم واجتنى الزهر وترك الهشيم ، فهنالك قدح العبد زند الفكرة بعد إخماده ، وأيقظ طرف الفترة من رقاده ، فوجد مولانا قد ألغز فى اسم جميعه على الأرض وبعضه على السماء وفيه ظهر الابصار من العماء ، إن شدّد فهو مضادّ لمرة وإن ضم فهو مشترك بين شهر وآجرة وإن أبدل ثانيه راء احتاج إلى شراب العطار وربما نشأ عن شراب الخمار وإن ألقى نصفه فهو ضدّ البسط والنشر وإن أبدل ثانيه بمرادف الحوت فهو من شاطئ البحر وإن رخم والحالة هذه فهو آخر السلاطين ولا تزال فى حرمة طه ويسٓ ، فهذا أيدك الله ما أهدته ملكة الفكرة ووصلت إليه يد القدرة والسلام . وقد ورد فى الألغاز عدّة أحاديث جمعها الحافظ أبو الفضل العراقى كما رأيت ذلك بخطه أشهرها حديث الصحيحين «أخبرونى بشجرة مثلها مثل المسلم . قال ابن عمر فوقع الناس فى شجر البوادى ووقع فى قلبى أنها النخلة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هى النخلة » .

[فائدة] قال فى نهاية الأدب اللغز والمحاجاة والمعاياة والعويص والرمز والملاحن والمعمى أسماء مترادفة لمعنى واحد ، وإنما اختلافها بحسب الاعتبارات فانك إذا اعتبرته من حيث إنه قد يحمل على وجوه فلغز أو من حيث إن غيرك حاجاك أى استخرج مقدار عقلك فمحاجاة أو من حيث إن واضعه قصد أن يعاييك أى يظهر إعياءك فمعاياة أو من حيث صعوبة فهمه واعتياص معناه فعويص

وذا يشجّ فلا يرثى له أحد

الرابع الجمع مع التفريق وهو أن يدخل شيئان فى معنى ويفرق بين جهتى الادخال كقوله :

فوجهك كالنار فى ضوئها وقلبى كالنار فى حرّها

الخامس الجمع مع التقسيم . وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه أو بالعكس فالأوّل كقوله :

حتى أقام على أرباض خرشنة تشقى به الروم والصلبان والبيع
للسبى مانكحوا والقتل ماولدوا والنهب ماجمعوا والنار مازرعوا

والثانى كقوله :

قوم إذا حاربوا ضروا عدوّهم أوحاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك فيهم غير محدثة إن الخلائق فاعلم شرها البدع

السادس الجمع مع التفريق والتقسيم كقوله تعالى — يوم يأت لا تكلم نفس إلا باذنه فمنهم شقىّ وسعيد فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلاماشاء ربك

أو

أو من حيث أن واضعه لم يفصح عنه فرمز أو من حيث إنه ستر عنك وغطى فالمعمى انتهى وفى شرح أحاجى الزمخشرى للسخاوى الحاجاة أن تسأل صاحبك عما لا يكاد يفطن للجواب عنه وهو نوع من الألغاز اه وقد خصص قوم الأحجية بنوع ابتكره الحريرى ونسج على منواله ناسجوه وهو أن يؤتى بلفظ مركب مرادف للمنطوق به يكون له مشارك من كلام غير مركب فيصير اللفظ بتركيبه وعدمه يجمع معنيين معا قال الحريرى :

يامن نتائج فكره مثل النقود الجائزه
ما مثل قولك للذى حاجيت صادف جائزه

فان مثله ألفى صلة . قال :

أيا مستنبط الغا مض من لغز وإضمار
ألا اكشف لى مامثل تناول ألف دينار

فان مثله هادية . وقال .

يا من حدائق فضله مطاولة الأزهار غضه
ما مثل قولك للحا جى ذا الحجاما اختصار فضه

فان مثله أبى رقة ؛ وللحريرى فى المقامات من ذلك عشرة أحاج وعمل منه الناس كثيرا ، ولابن الوردى فيه كراسة على حروف المعجم ولم يقع لى منه غير أحجية واحدة وهى قولى فى إحدى مقاماتى :

يا أيها الحبر الذى حاز التقدم فى الصدر
ما مثل قولك إذ تحا جى آخرا جامع دبر

فان مثله طاسة :

السابع : القسم ، وهو أن يحلف على شىء بما يكون له مدحا أو ذما وما يكسبه فخرا وما يكون هجاء لغيره كقوله تعالى ـ فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ـ ، قسم يوجب الفخر لتضمنه المدح بأعظم قدرة وأكمل عظمة ، حاصلة من ربوبية السماء والأرض وتحقيق الوعد بالرزق . وقال الأشتر النخعى :

بقيت وحدى وانحرفت عن العلا ولقيت أضيافى بوجه عبوس
إن لم أشن على ابن هند غارة لم تخل يوما من ذهاب نفوس

تضمن الفخر لنفسه . وقال ابن المعتز فى القسم فى الغزل :

لا والذى سل من جفنيه سيف ردى مدت له من عذاريه حمائله
ماصارمت مقلتى دمعا ولا وصلت غمضا ولا سالمت قلبى بلابله

الثامن : جمع المؤتلف والمختلف ، وهو أن يريد التسوية بين ممدوحين فيأتى بمعان مؤتلفة فى مدحهما ويروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لاينتقص الآخر ، فيأتى لأجل ذلك بمعان تخالف معنى التسوية ، كقوله تعالى ـ وداود وسليمان إذ يحكمان ـ الآية ، فسوى فى الحكم والعلم وزاد فضل سليمان بالفهم .

التاسع : الاتساع وهو أن يأتى بلفظ يتسع فيه التأويل بحسب قوى الناظر فيه وبحسب مايحتمل اللفظ من المعانى كما وقع فى فواتح السور .

العاشر والحادى عشر والثانى عشر : التفسير والايضاح والاشتراك وهذه الأنواع متقاربة . فالتفسير وسماه الطيبى فى التبيان تفسير الخفى ، وابن مالك فى المصباح تفسير المعنى الخفى أن يكون فى الكلام

عطاء غير مجذوذ ـ جمع فى قوله لا تكلم نفس لأنها نكرة فى سياق النفى ، ثم فرّق بأن بعضهم شقىّ وبعضهم سعيد ، ثم قسم بأن أضاف إلى الأشقياء مالهم من عذاب النار وإلى السعداء مالهم من نعيم الجنة ، فقوله ومع كليهما الخ يعنى أن الجمع يقع مع التفريق تارة ومع التقسيم أخرى ومع كليهما وقد تقدم كل ذلك . قال :

[واللفّ والنشر والاستخدام
أيضا وتجريد له أقسام]

أقول : ذكر فى هذا البيت ثلاثة ألقاب . الأول اللفّ والنشر وهو ذكر متعدد على التفصيل والاجمال ثم ذكر ماالكلّ من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده إليه فالأول ضربان ، لأن النشر إما على ترتيب اللف نحو ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله . وإما على غير ترتيبه كقوله :

كيف أسلو وأنت حقف وغصن وغزال لحظا وقدا وردفا . والثانى كقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا

نصارى فلفّ بين الفريقين لعدم الالتباس والثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق مقوله . الثانى الاستخدام وهو أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما ثم بضميره الآخر أو يراد بأحد ضميريه أحدهما ثم بالآخر الآخر فالأول كقوله : إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا والثانى نحو أتينا غيثا فرعيناه وشربناه . الثالث التجريد وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة آخر مثله فيها مبالغة فى كمالها فيه وهو أقسام منها ما يكون بمن التجريدية نحو قولهم لى من فلان صديق حميم أى بلغ من الصداقة حدا صح معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها مبالغة فى كمالها فيه ، ومنها ما يكون بالباء التجريدية الداخلة على المنتزع منه كقولهم لئن سألت فلانا لتسألن به البحر بالغ فى اتصافه بالسماحة حتى انتزع منه بحرا فى السماحة ، ومنها ما يكون بفى الداخلة على المنتزع منه نحو قوله تعالى — لهم فيها

لبس فيأتى بما يوضحه كذا قوله ومثله بقوله تعالى — إن الانسان خلق هلوعا إذا مسه الشرّ جزوعا — الآية ، فقوله إذا مسه الخ تفسير هلوعا وكذا قوله :

الألمى الذى يظنّ بك الظنـــن كأن قد رأى وقد سمعا

فقوله الذى الخ تفسير الألمى وقال قدامة هو أن يأتى بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه دون تفسيره فيؤتى به بعده وهو بمعنى الأول والمطابق للمثالين ، لكن التعبير بالأخير أحسن قال ومنه قوله :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحق والقمر

قلت ومنه حديث أبى داود «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» والايضاح أن يكون فى ظاهر الكلام لبس فلا يفهم من أول وهلة حتى يوضحه فى بقية كلامه كقوله :

يذكرنيك الخير والشرّ كله وقول الجفا والحلم والعلم والجهل
فألقاك عن مكروهها متنزها وألقاك فى محبوبها ولك الفضل

معنى البيت الأول تلبيس لأنه يقتضى المدح والذم ، فأوضحه بالثانى قال والفرق بينهما أن الايضاح رفع الاشكال والتفسير تفصيل الاجمال لأن المفسر من الكلام ليس فيه إشكال . قلت وأوضح من عبر عن الفرق ابن مالك فى المصباح وعبد الباقى اليمنى حيث قالا الايضاح إزالة لبس التوجيه بأن يحتمل الكلام مدحا وذما فيأتى بكلام يزيله ويعينه للمدح أو الذمّ والتفسير إزالة خفى الحكم وعلى هذه العبارة الواضحة عوّلت فى النظم وعبرت عن التوجيه بالابهام لما تقدّم هناك تقريره ، وأما الاشتراك فان يؤتى بلفظ مشترك بين معنيين يسبق إلى الذهن المعنى الذى لم يرد فيؤتى بما يبين المراد كقوله : وأنت التى حببت كل قصيرة إلىّ ولم تعلم بذاك القصائر

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد قصار الخطا شرّ النساء البحاتر

أتى فى البيت الثانى بما أزال به وهم السامع ومثاله من الحديث قوله صلى الله عليه وسلم «دبّ إليكم داء الأمم من قبلكم الحسد والبغضاء هى الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر» رواه الترمذى وغيره والفرق بينه وبين الايضاح أنه فى اللفظ والايضاح فى المعانى خاصة وبينه وبين التوهيم أنه باللفظ المشترك فقط والتوهيم يكون به وبغيره من تحريف أو تصحيف أو تبديل .

الثالث عشر: حسن البيان زاده المصباح وذكره أصحاب البديعيات تبعا له قال وهو كشف المعنى وإيصاله إلى النفس بسهولة قال ويكون مع الايجاز والاطناب . قال فى الايضاح وهذا تخليط لأنه وظيفة علم البيان لأنه محسن ذاتى والبديع وظيفته البحث عن المحسن الخارجى .

[وقد وجدت مقصدا بديعا سميته التأسيس والتفريعا
قاعدة كلية يمهدها يبنى عليها شعبة يقصدها
مثاله لكلّ دين خلق وخلق ذا الدين الحياء الموثق]

هذا نوع لطيف اخترعته لكثرة استعماله فى الكلام النبوى ولم أر فى الأنواع المتقدمة ما يناسبه فسميته بالتأسيس والتفريع وذلك أن يمهد قاعدة كلية لما يقصده ثم يرتب عليها المقصود كقوله صلى الله عليه وسلم «لكلّ دين خلق وخلق هذا الدين الحياء» رواه ابن ماجه عن أنس وقد استعمل صلى الله عليه وسلم مثل هذا فى تقريراته كثيرا ، فقال «لكل نبى حوارى وحوارىّ الزبير» رواه الشيخان عن جابر «لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» رواه الشيخان عن أنس «لكل نبىّ دعوة دعا بها فى أمته وإنى خبأت دعوتى شفاعتى لأمتى» رواه الشيخان عن أبى هريرة «لكل شىء قلب وقلب القرآن يسّ» رواه الترمذى عن أنس «لكل نبىّ خاصة من أصحابه

دار الخلد ، ومنها ما يكون بغير توسط حرف نحو قوله : فلئن بقيت لأرحلن بغزوة * تحوى الغنائم أو يموت كريم

يعنى نفسه انتزع منه نفسه كريما مبالغة فى كرمه ، ومنها مخاطبة الانسان نفسه كقوله:

لاخيل عندك تهديها ولا مال ،
فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

انتزع من نفسه شخصا آخر مثله فى فقد الخيل والمال . قال :

[ثم المبالغة وصف يدعى
بلوغه قدرا يرى ممتنعا
أو نائيا وهو على انحناء
تبليغ اغراق غلو جائى
مقبولا او مردودا التفريع
وحسن تعليل له تنويع]

أقول : ذكر فى هذه الأبيات ثلاثة ألقاب . الأول المبالغة وهو ادعاء بلوغ وصف فى الشدة أو الضعف إلى حد مستحيل أو مستبعد لئلا يظن أنه غير متناه فيه وهى ثلاثة أقسام تبليغ وإغراق وغلو فالتبليغ أن يكون الوصف المدعى ممكنا عقلا وعادة كقوله :

فعادى عداء بين ثور ونعجة
دراكا ولم ينضح بماء فيغسل

ادعى أن فرسه أدرك ثورا ونعجة أى ذكرا وأنثى من بقر الوحش فى مضمار واحد ولم يعرق وهذا ممكن عقلا وعادة والاغراق ما أمكن عقلا لا عادة كقوله :

و إن خاصتى أبو بكر وعمر » رواه الترمذى عن ابن مسعود « لكل نبى رفيق و إن رفيقى فى الجنة عثمان » رواه الترمذى عن طلحة « لكل نبى ولاة من النبيين و إن ولاتى منهم أبى وخليل أبى إبراهيم » رواه أحمد عن ابن مسعود « لكل أمة فتنة وفتنة أمتى المال » رواه أحمد عن كعب بن عياض « لكل أمة مجوس و إن القدرية مجوس أمتى » رواه أبو داود عن حذيفة « لكل شىء حقيقة وما يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه » رواه أحمد عن ابى الدرداء « لكل شىء زكاة وزكاة الجسد الصيام » رواه ابن ماجه عن أبى هريرة « لكل شىء مفتاح ومفتاح السموات قول لا إله إلا الله » رواه الطبرانى عن معقل بن يسار « لكل شىء أنفة وأنفة الصلاة التكبيرة الأولى » رواه الطبرانى عن أبى الدرداء « لكل شىء شرف وشرف المجالس ما استقبل به القبلة » رواه أبو يعلى عن ابن عباس « لكل شىء صفوة وصفوة الصلاة التكبيرة الأولى » رواه أبو يعلى عن أبى هريرة « لكل شىء قمامة وقمامة المسجد لاوالله و بلى والله » رواه أبو يعلى عن أبى هريرة « لكل شىء معدن ومعدن التقوى قلوب العارفين » رواه الطبرانى عن ابن عمر « لكل شىء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين » رواه ابن لال فى مكارم الأخلاق عن ابن عمر « لكل شىء آفة تفسده وآفة هذا الدين ولاة السوء » رواه الحرث بن أبى أمامة فى مسنده عن ابن مسعود « لكل شىء باب و باب العبادة الصيام » رواه ابن حبان فى الثواب عن أبى الدرداء « لكل شىء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن » رواه الحاكم عن أنس « لكل شىء عماد وعماد هذا الدين الفقه » رواه أبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة « لكل شىء نسبة ونسبة الله قل هو الله أحد » رواه الطبرانى عن أبى هريرة « لكل نبى تركة وضيعة و إن تركتى وضيعتى الأنصار فاحفظونى فيهم » رواه الطبرانى عن أنس « لكل نبى حرم وقد حرمت المدينة » رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن ابن عباس « لكل أمة أجل وأجل أمتى مائة سنة فاذا مر على أمتى مائة سنة أتاها ماوعدها الله » - يعنى كثرة الفتن - رواه أبو يعلى عن المستورد بن شداد « لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد » رواه أبو يعلى عن أنس ، وفى الأحاديث من ذلك شىء كثير ، وإنما أطلت هنا بهذه الأمثلة تقريرا للنوع الذى اخترعته .

[والنفى للموضوع قصدا صنعه   مثاله ليس الشديد الصرعه]

هذا النوع أيضا من مخترعاتى ، وسميته نفى الموضوع : وهو كثير فى الحديث وكلام البلغاء بأن يكون اللفظ موضوعا لمعنى فيصرح بنفيه عنه ويثبته لغيره مبالغة فى ادعاء ذلك الحكم ، ومثاله ما رواه الشيخان عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » وما رواه مسلم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماتعدون الرقوب فيكم ؟ قالوا الذى لاولد له . قال ليس ذلك بالرقوب ولكن الرقوب الذى لم يقدم من ولده شيئا » . قال أبو عبيدة : الرقوب فى اللغة فاقد الأولاد فى الدنيا فجعله فاقدهم فى الآخرة ، ومنه « ليس الغنى عن كثرة المال ولكن الغنى غنى النفس » رواه الشيخان عن أبى هريرة « ليس البيان كثرة الكلام ولكن فصل فيما يحب الله ورسوله وليس العى عى اللسان ولكن قلة المعرفة بالحق » رواه الديلمى عن أبى هريرة « ليس الجهاد أن يضرب الرجل بسيفه فى سبيل الله إنما الجهاد من عال والديه وعال ولده وعال نفسه يكفها عن الناس » رواه فى الحلية عن أنس « ليس السنة أن لا تمطروا ولكن السنة أن تمطروا ثم لاتنبت الأرض شيئا » رواه الشافعى « ليس الصيام من الأكل والشرب إنما الصيام من اللغو والرفث » رواه الديلمى عن أبى هريرة

غير واقع فى زماننا بل كاد أن يلحق بالممتنع العقلى وهذان النوعان مقبولان أى مرضيان مستحسنان والغلو ما لا يمكن لا عقلا ولا عادة كقوله :

وأخفت أهل الشرك حتى إنه
لتخافك النطف التى لم تخلق

تخوف النطف مستحيل عقلا وعادة ومنه مقبول ومردود فالمقبول منه ما أدخل فيه ما يقربه إلى الصحة نحو يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار، فيكاد قرب ذلك من الصحة ، ومنه ما أخرج مخرج الهزل والخلاعة كقوله :

أسكر بالأمس إن عزمت على الشـ
ـرب غدا إن ذا من العجب

والمردود منه ما ليس كذلك .

الثانى التفريع ، وهو أن يثبت لمتعلق أمر حكم بعد إثباته لمتعلق له آخر على وجه يشعر بالتفريع كقوله :

أحلامكم لسقام الجهل شافية
كما دماؤكم تشفى من الكلب

فرّع على وصفهم بشفاء أحلامهم من داء الجهل وصفهم بشفاء دمائهم من داء الكلب

«ليس عدوك الذى إذا قتلك أدخلك الجنة وإذا قتلته كان نورا لك ولكن عدوك نفسك التى بين جنبيك وامرأتك التى تضاجعك على فراشك وولدك الذى من صلبك» رواه الطبرانى وغيره عن أبى مالك الأشعرى «ليس الأعمى من يعمى بصره ولكن الأعمى من تعمى بصيرته» رواه الديلمى عن عبد الله بن جراد :

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء

كان صلى الله عليه وسلم يتمثل به كما رواه الديلمى عن ابن عباس .

[وإن أتى بجمل للمقصد ... توصلا لحكم ما به ابتدى
وصح حذف الوسط الموصول ... فذاك التمهيد للدليل]

هذا نوع ثالث اخترعته وسميته تمهيد الدليل ، وهو أن يقصد الحكم بشىء فيرتب له أدلة تقتضى تسليمه قطعا بأن يبدأ بالمقصود ويخبر عنه بجملة مسلمة ثم يخبر عن تلك الجملة بأخرى مسلمة فيلزم ثبوت الحكم للأول بأن يحذف الوسط ويخبر بالأخير عن الأول ، وهذا شكل من أشكال المناطقة ، ونحن معاشر أهل السنة لا نتبعهم أصلا وهم مصرحون بأنه فى طبع أهل الذوق والذكاء والقرآن والسنة طافحان باستعماله ، ثم تارة يكون الوسط جملة واحدة ، وتارة يكون أكثر فمن الأول قوله صلى الله عليه وسلم «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا» رواه مسلم لأنه يصح أن يحذف الوسط فيقال «لا تدخلوا الجنة حتى تحابوا لم يؤمن بالله من لم يؤمن بى ولم يؤمن بى من لا يحب الأنصار» رواه الطيالسى عن سعيد بن زيد «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك» رواه النسائى عن أبى هريرة «من آذى مسلما فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله» رواه الطبرانى عن أنس .

[ومنه تصحيف بأن يعتمدا ... به وبالتصحيف أمن قصدا]

هذا نوع رابع اخترعته ، وهو أن يأتى فى المقصود بكلام لتصحيفه معنى معتبر فيقصد ذلك لتذهب نفس السامع إلى كل من معنييه كما حكى عن بعض الأذكياء أنه كتب إلى بعض أصحابه أنه يشترى له من البضائع الرائجة وأمر أن لا ينقط ليصلح للرائجة والرابحة . ومن ألطف ما وقع فى الحديث مما تصحيفه معتبر حتى اختلف الناس فى روايته ما رواه أبو يعلى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «عليكم بغسل الدبر فانه يذهب بالبواسير» فقوله بغسل الدبر اختلف فيه فبعضهم فهم أنه بفتح الغين المعجمة وسكون السين وضم الدال المهملتين والباء الموحدة ، ومنهم الحافظ أبو الحسن الهيثمى فأورده فى باب الاستنجاء ، وناسب ذلك قوله فانه يذهب بالبواسير فانه من أمراض المقعدة ، وبعضهم فهم أنه عسل النحل ، ومنهم الحافظ أبو منصور الديلمى فانه قال عقبه فى مسند الفردوس والدبر بفتح الدال وسكون الموحدة هو النحل ، وقريب منه حديث الترمذى «أربع من سنن المرسلين السواك والتعطر والنكاح والحياء» منهم من يرويه بالتحتية ، ومنهم من يرويه بالنون .

القسم الثانى اللفظى

[منه الجناس بين لفظين بأن ... تشابها فان يك الوفاق عن
تعدد الحروف والأنواع ثم ... ترتيبها وهيئة فالتام سم
فان يكن نوعا فذا مماثل ... أولا فمستوفى كقائل وقائل
فان يكن مركبا إحداهما ... جناس تركيب فان نداها

خطا فـــذو تشابه وإلا ... فذاك مفروق وإن تجـلى
من كلمـــة وجزئها فالمرفـــو ... أو ركبا ملفق والخلف
فى النقط إن يوجـد فالمصحف ... أو حركات فهو المحرّف
أو عـــدد فناقص بحـرف ... فى أول أو وسـطه أو طرف
مطرف مكتنف مردوف ... مذيل إن زيدت الحروف
أو نوع حرف لم يكن بأكثر ... من واحـد فى أول أو آخر
أو وســط ثم إذا تقاربا ... مضارع ولاحق إن جانبا
قلت فان تناســبا فى اللفظ ... كالضاد والظاء فـذاك اللفظى
وإن يخالف فى ترتب دعى ... بالقلب فى الكل وفى البعض رعى
فان يقع فى أول البيت وفى ... آخره فهـو مجنـح قفى
وفوق حـــرف أولا متـوج ... وإن تواليا فـذا المزدوج
وإن يكن تجاذب الطرفان ... مشـوش قـد زاد فى التبيان
وبالجناس ألحقـــوا شيئين ... أحـدهما تشابه اللفظين
قلت وذا تجانس الاطـــلاق ... والآخر الجمع فى الاشتقاق
قلت الجناس المعنوى أن تضمرا ... ركنيه والمرادفين تذكرا
وذكره لواحـــد وما ردف ... أو ما يدلّ باشارة عـــرف
ثم توســط الجناس قـررا ... وشرط حسن فيـه أن لا يكثرا
فان يصر تورية وانحصرا ... فى واحـد فقد علا وافتخرا]

من أنواع البديع اللفظية الجناس بين اللفظين ، وهو تشابههما فى اللفظ ، والجناس مصدر جانس ويسمى التجنيس والمجانسة والتجانس . قال فى كنز البراعة : ولم أر من ذكر فائدته وخطر لى أنها الميل إلى الاصغاء فان مناسبة الألفاظ تحدث ميلا وإصغاء إليها ، ولأن اللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به آخر كان للنفس تشوق إليه . قال الشيخ بهاء الدين : والعبارة الثانية قاصرة على بعض أنواعه . قال وكفى بالتجنيس فخرا مراعاة النبىّ صلى الله عليه وسلم حيث قال «غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله وعصية عصت الله ورسوله» وهو من تجنيس الاشتقاق . قلت وفى بعض طرقه «وتجيب أجابت الله ورسوله» وقد صرح الأندلسى بأن الجناس أشرف الأنواع اللفظية . ثم الجناس أنواعه كثيرة وقد أفرده الصلاح الصفدى بتأليف سماه جنان الجناس .

[الأول . التام] بأن يتفقا فى أعداد الحروف وأنواعها وترتيبها وهيئاتها ، وهو أقسام :
أحدها المماثل ، بأن تكون الكلمتان من نوع واحـد كاسمين أو فعلين أو حرفين كقوله تعالى ـ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ـ قيل ولم يقع منه فى القرآن غير هذه الآية. واستنبط شيخ الاسلام أبو الفضل بن حجر آية أخرى هى ـ يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار، يقلب الله الليل والنهار ، إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار ـ وقوله صلى الله عليه وسلم للصحابة حين نازعوا جريرا «دعوا جريرا والجرير» أى زمامه . قلت لم أقف على هذا الحديث ولكن وجدت قوله صلى الله عليه وسلم «من تعلم صرف الكلام ليسحر به قلوب الناس لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا» رواه أبو داود الصرف الأول فضل الكلام كما فسره به أبو عبيدة والثانية النافلة أو التوبة وقوله من أمر بمعروف فليكن أمره ذلك بمعروف وقوله «أول من يدخل النار سلطان لم يعدل فى سلطانه»

لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقى وهو أربعة أنواع لأن الصفة التى ادعى لها علة مناسبة ، إما ثابتة قصد بيان علتها ، أو غير ثابتة أريد إثباتها ، والأولى إما أن لا يظهر لها فى العادة علة وان كانت لا تخلو فى الواقع عنها كقوله :

لم يحك نائلك السحاب وإنما ... حمت به فصبيبها الرحضاء

أى المصبوب هو عرق الحمى فنزول المطر من السحاب صفة ثابتة لا يظهر لها فى العادة علة وقد علله بأنه عرق حماها بسبب عطاء الممدوح أو يظهر لتلك الصفة علة غير العلة المذكورة لتكون المذكورة غير حقيقية فيكون من حسن التعليل كقوله :

ما به قتل أعاديه ولكن ... يتقى إخلاف ما ترجو الذئاب

فان قتل الأعداء فى الغالب لدفع مضرتهم لا لما ذكره من أن طبيعة الكرم غلبته ومحبة صدق رجاء الراجين بعثته على قتل أعدائه لما علم من أنه إذا توجه للحرب صارت الذئاب ترجو اتساع الرزق عليها بلحوم من يقتل من الأعداء ،

والثانية إما ممكنة كقوله : ياواشيا حسنت فينا إساءته نجى حذارك إنسانى من الغرق فان استحسان إساءة الواشى ممكنة لكن لما خالف الشاعر الناس فيه إذ لايستحسنه الناس عقبه بأن حذاره منه أى من الواشى نجى إنسان عينه من الغرق فى الدموع حيث ترك البكاء خوفا منه أو غير ممكنة كقوله :

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته
لما رأيت عليها عقد منتطق

من انتطق أى شد النطاق وحول الجوزاء كواكب يقال لها نطاق الجوزاء فنية الجوزاء خدمة الممدوح صفة غير ممكنة قصد إثباتها كذا فى الايضاح وبحث شارح الأصل بما يعلم بمراجعته فثبت أن فى الصفة الثابتة نوعين وفى غيرها كذلك فقوله مقبولا أو مردودا حالان من ضمير الغلو فى جائى والتفريع ابتداء كلام . قال : [وقد أتوا فى المذهب الكلامى

بحجج كمهيع الكلام
وأكدوا مدحا بشبه الذم

كالعكس والادماج من ذا العلم

أقول : ذكر فى هذين البيتين أربعة ألقاب ، الأول المذهب الكلامى وهو إيراد حجة للمطلوب

رواهما الديلمى وقول ابن الرومى :

للسود فى السود آثار تركن بها ... وقعا من البيض تثنى أعين البيض

الثانى : المستوفى بأن كانا من نوعين كاسم وفعل أو حرف كحديث الصحيحين «إنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ماتجعل فى فى امرأتك » وقوله :

وسميته يحيى ليحيي فلم يكن ... لأمر قضاه الله فى الناس من بد

وقوله : ما مات من كرم الزمان فانه ... يحيا لدى يحيى بن عبد الله

الثالث : جناس التركيب ، وهو التام الذى أحد لفظيه مركب وهو قسمان ، ملفوف وهو ماتركب من كلمتين تامتين أوثلاث كلمات ، ومرفو وهو ماتركب من كلمة و بعض أخرى أومن كلمة وحرف من حروف المعانى وكل منهما إما متشابه بأن يتفقا فى الخط أومفروق بأن يختلفا فيه ثم قديكون ذلك فى متفقتين أو مختلفتين مثال الملفوف المتشابه قول البستى .

إذا ملك لم يكن ذاهبه ... فدعه فدولته ذاهبه

وقول الآخر : عضنا الدهر بنابه ... ليت ما حل بنا به

ومثال المفروق قول البستى :

كلكم قد أخذ الجا ... م ولا جام لنا
ما الذى ضر مدير الـ ... ـجام لو جاملنا

وقوله أيضا : و إن أقر على رق أنامله ... أقر بالرق كتاب الأنام له

ومثال المرفو وهو من زيادتى وذكره فى الايضاح مفروقا قول الحريرى :

والمكر مهما اسطعت لاتأته ... لتقتنى السودد والمكرمه

وقوله أيضا : ولاتله عن تذكار ذنبك وابكه ... بدمع يحاكى المزن حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه ... وروعة ملقاه ومطعم صابه

ومنه الحديث : باسم الاله وبه بدينا ... وحبذا ربا وحب دينا

ومثله قولى : وكلما مات نحو حب ... لابد لى فيه من رقيب
فليس ينأى فواعنائى ... وليس ينفك قدر قيب

وقوله * فلاح لى أن ليس فيهم فلاح * الرابع : الجناس التام الملفق ، وهو من زيادتى أيضا وهو المتركب ركناه وعده نوعا آخر غير المركب الحاتمى وابن رشيق وأصحاب البديعيات وغالب المؤلفين لم يفرقوا بينهما كقوله : وكم بجباه الراغبين إليه من ... مجال سجود فى مجالس جود

وقول البستى : إلى حتفى سعى قدمى ... أرى قدمى أراق دمى

وقوله : فلم تضع الأعادى قدر شانى ... ولا قالوا فلان قد رشانى

قلت و ينبغى أن يجعل هذا أيضا نوعين : أحدهما ما توافقا خطا كالبيت الأخير . والثانى ما تخالفا كالبيت الأول والثانى و يسمى الأول الموافق والثانى الفارق .

[والثانى : من أنواع الجناس ماوقع الاختلاف فيه فى هيئات الحروف] وهو نوعان :

أحدهما : المصحف بأن اختلفت الحروف فى النقط وهو من زيادتى و بعضهم يسميه جناس الخط و يكون فى نوع أو نوعين مختلفين كقوله تعالى ـ والذى هو يطعمنى و يسقين و إذا مرضت فهو يشفين ـ وحديث الطبرانى «إذا ظهر الزنا والربا فى قرية أذن الله تعالى فى هلاكها» وحديث الصحيحين «يسروا ولاتعسروا وبشروا ولاتنفروا» وقول على رضى الله تعالى عنه قصر ثوبك فانه أتقى وأنقى وأبقى.

الثانى : المحرف بأن وقع الاختلاف فى الحركات و يكون فى نوع أو نوعين وتارة يجتمع التصحيف

والتحريف

والتحريف ، وتارة يقع الاختلاف فى الحركة فقط أوالسكون فقط أوفيهما. ومنه أيضا مفرد ومركب والمركب ملفوف ومرفو، وكلاهما مفروق ومشتبه كقوله تعالى - وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وقوله صلى الله عليه وسلم « ماحسن الله خلق رجل ولاخلقه فتطعمه النار » رواه الطبرانى ، وقوله « إن الله وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف » رواه الحاكم ، وقوله « الدين شين للدين » رواه الديلمى، وقوله « جبة البرد جنة البرد » وروى الديلمى حديث « الشيطان يهم بالواحد والاثنين فاذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم » وحديث « مكتوب فى الانجيل اتق الله ثم نم حيث شئت » وقول ابن نباتة :

قوامك تحت شعرك يا أمامه غدا لك حاملا علم الامامه

ويعزى لعلىّ رضى الله تعالى عنه غرّك عزك ، فصار قصار ذلك ذلك، فاخش فاحش فعلك فعلك بهذا تهدى ، ولغيره ربّ ربّ غنى غى سرته شرته فجاءه فجأة بعد بعد عشرته عسرته فهاتان القطعتان فيهما غالب أنواع هذا القسم فغرك عزك مصحف محرف مفرد من نوعين ، وقوله فصار قصار ذلك فاخش فاحش فعلك فعلك بهذا تهدى كذلك لكنه مرفو مشتبه وذلك ذلك كذلك لكنه ملفوف من نوع وربّ ربّ من نوعين محرف مفرد وقس الباقى .

[الثالث : من أنواع الجناس الناقص] بأن يختلفا فى عدد الحروف ، وهو قسمان :

أحدهما : أن يقع الاختلاف بحرف واحد ، إما فى الأول أو الوسط أو الطرف ويكون فى نوع أو نوعين .

فالأول : سميته أنا بالمردوف ، لأن حرف الزيادة مردوف بما وقع فيه التجانس كقوله تعالى - والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق - وحديث الصحيحين « الايمان يمان » وحديث الطبرانى « ترك الوصية عار فى الدنيا ونار وشنار فى الآخرة » وحديث الديلمى « الحدة لاتكون إلا فى صالحى أمتى ثم تفئ » .

والثانى : سميته أنا بالمكتنف لأن حرف الزيادة فيه مكتنف :أى متوسط بين ما اكتنفاه كقولهم جدى جهدى وحديث أحمد «الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ الشاة الشاذة » وحديث مسلم « ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء » وحديث الطبرانى « ماذا يرجو الجار من جاره إذا لم يرفقه بأطراف خشبة فى جداره » وحديث البخارى فى النفر الثلاثة « أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه » وحديث الديلمى « مابعث الله نبيا إلا وقد أمه بعض أمته » .

والثالث : سماه فى التلخيص بالمطرف لأن الزيادة وقعت فيه فى الطرف كحديث أحمد « من آوى ضالة فهو ضال » وقوله * يمدون من أيد عواص عواصم * وقوله :

وسألتها بإشارة عن حالها وعلىّ فيها للوشاة عيون
فتنفست صعدا وقالت ما الهوى إلا الهوان أزيل منه النون

فقولى مردوف الخ لف ونشر لماقبله والأولان من زيادتى . القسم الثانى : أن يقع الاختلاف بأكثر من حرف وسماه فى التلخيص مذيلا وهو مخصوص بما كانت الزيادة فيه فى الآخر فان كانت فى الأول فسماه بعضهم متوجا كما بينته من زيادتى وسماه فى كنز البلاغة ترجيعا لأن الكلمة رجعت بذاتها بزيادة وقد يكون فى الوسط أيضا وينبغى أن يسمى الزائد ويكون من نوع أو نوعين مثال المذيل قوله تعالى - وانظر إلى إلهك - وحديث الديلمى « هل لك فى الغذاء ياهلال » وقول الخنساء :

إن البكاء هو الشفا ء من الجوى بين الجوانح

ومثال المتوج قوله تعالى - إن ربهم بهم ، وقوله - من آمن بالله - وحديث الشيخين « فى الحبة السوداء

لفسدتا - واللازم وهو الفساد : أى الخروج عن النظام منتف فالملزوم وهو تعدد الآلهة مثله وهذه الملازمة من المشهورات الصادقة التى يكتفى بها فى الخطابيات دون القطعيات ، والمهيع الطريق . الثانى تأكيد المدح بمايشبه الذمّ وهو ضربان أفضلهما أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشئ صفة مدح بتقدير دخولها فيها كقوله :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهنّ فلول من قراع الكتائب

أى إن كان فلول السيف عيبا فأثبت شيئا منه على تقدير كونه منه وهو محال فهو فى المعنى تعليق بالمحال والمعلق بالمحال محال والتأكيد فيه من جهة أنه كدعوى الشئ ببينة والأصل فى مطلق الاستثناء الاتصال فذكر أداته قبل ذكر مابعدها يوهم إخراج شئ مما قبلها فاذا وليها صفة مدح جاء التأكيد. والثانى أن يثبت لشئ صفة مدح ويعقب بأداة استثناء

يليها صفة مدح أخرى له نحو «أنا أفصح من نطق بالضاد بيدأنى من قريش» . وأصل الاستثناء فيه أيضا أن يكون منقطعا لكنه لم يقدر متصلا كما قدر فى الضرب الأول فلا يفيد التأكيد إلا من الوجه الثانى وهو أن ذكر أداة الاستثناء قبل ذكر المستثنى يوهم إخراج شىء مما قبلها من حيث إن الأصل فى مطلق الاستثناء هو الاتصال فاذا ذكر بعد الأداة صفة مدح أخرى جاء التأكيد ولا يفيد التوكيد من جهة أنه كدعوى الشىء ببينة لأنه مبنى على التعليق بالمحال المبنى على تقدير كون الاستثناء متصلا ولهذا كان الضرب الأول أفضل . الثالث تأكيد الذم بما يشبه المدح وهو مراده بالعكس وهو ضربان أحدهما أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشىء صفة ذم بتقدير دخولها فيها كقولك فلان لاخير فيه إلا أنه يسىء إلى من أحسن إليه . وثانيهما أن يثبت لشىء صفة ذم وتعقب بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى كقولك فلان فاسق إلا أنه جاهل وتحقيقها على قياس ماتقدم. الرابع الادماج ، وهو أن يضمن كلام سيق لمعنى

الشفاء من كل داء » وحديث الديلمى « ضع بصرك موضع سجودك » وقول البستى :

أبا العباس لاتحسب بأنى ... بشىء من حلى الأشعار عارى

فلى طبع كسلسال معين ... زلال من ذرى الأحجار جارى

الرابع : ماوقع الاختلاف فيه فى أنواع الحروف ، ويشترط أن يكون بأكثر من حرف واحد والايبعد التشابه ويفقد التجانس ، ويسمى هذا النوع تجنيس التصريف ، وهوقسمان مايكون التخالف بحرف مقارب فى المخرج ومايكون بغيره ، والأول يسمى المضارع ، والثانى اللاحق وكل منهما إما فى الأول أوفى الأوسط أوفى الآخر ويكون من نوع أو نوعين .

فالأول : من المضارع نحو بينى وبين كنى ليل دامس وطريق طامس ، وحديث ابن السنى وغيره « ما أضيف شىء إلى شىء أفضل من علم إلى حلم » وحديث الطبرانى « زر غبا تزدد حبا » ومن اللاحق قوله تعالى – ويل لكل همزة لمزة – وحديث الترمذى «أسفروا بالفجرفانه أعظم للأجر» وحديث الطبرانى «التجارهم الفجار» وحديثه «الحمد لله الذى حسن خلقى وزان منى ماشان من غيرى» .

والثانى : من المضارع كحديث « تعوذوابالله من طمع يهدى إلى طبع » وقوله تعالى – وهم ينهون عنه وينأون عنه – ومن اللاحق كقوله تعالى – وإنه على ذلك لشهيد ، وإنه لحب الخير لشديد – وحديث الطبرانى « لولا رجال ركع وصبيان رضع وبهائم رتع » وقوله تعالى – ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون – .

والثالث : من المضارع كحديث الصحيحين « الخيل معقود فى نواصيها الخير » ومن اللاحق نحو – وإذاجاءهم أمر من الأمن أوالخوف أذاعوابه – وحديث الطبرانى «لن تفنى أمتى حتى يظهرفيهم التمايز والتمايل» وحديث الديلمى « أحبّ المؤمنين إلى الله من نصب نفسه فى طاعة الله ونصح لأمة محمد » وحديث الترمذى « دبّ إليكم داء الأمم » وسمى قوم هذا النوع المطمع لأنه لما ابتدأ بالكلمة على وفق الحروف التى قبلها طمع فى أنه يجانسها بمثلها جناسا مماثلا ، وبقى قسم آخر نبهت عليه من زيادتى ، وهوأن يكون المبدّل مناسبا للآخرمناسبة لفظية ويسمى اللفظى كالذى يكتب بالضاد والظاء نحو – وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة – والتاء والهاء نحوجبلت القلوب على معاداة المعاداة والنون والتنوين كقول الأرجانى :

وبيض الهند من وجدى هواز ... باحدى البيض من علياهوازن

والنون والألف كقول ابن العفيف التلمسانى :

أحسن خلق الله وجها وفما ... إن لم يكن أحق بالحسن فمن

الخامس : ماوقع الاختلاف فيه فى ترتيب الحروف ويكون أيضا من نوع أونوعين فان كان فى كل الحروف فقلب كلّ نحو حسامه فتح لأوليائه حتف لأعدائه أو بعضها فقلب بعض كقوله تعالى – فرقت بين بنى إسرائيل – وحديث الصحيحين « اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا » وحديثهما « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان لعنتها الملائكة » وحديث « يقال لصاحب القرآن يوم القيامة اقرأ وارق » وحديث الديلمى « ماذهب بصر عبد فصبر إلادخل الجنة » فهذه الخمسة أنواع أصول الجناس وتحت كلّ نوع منها أقسام كما ترى .

النوع السادس : تجانس الإطلاق ، وجعله فى التلخيص والذى بعده ملحقا بالجناس ويسمى أيضا المشابهة والمقاربة والمغايرة وإيهام الاشتقاق وهوأن يجتمع اللفظان فى المشابهة فقط نحو – قال إنى لعملكم من القالين ، وجنى الجنتين ، وإن يردك بخيرفلارادّ لفضله ، ليريه كيف يوارى سوأة أخيه –

وحديث

وحديث أحمد «مامن حاكم بين الناس إلاحشر يوم القيامة وملك آخذ بقفاه حتى يقف به على جهنم» وحديث «دع مايريبك إلى مالايريبك و إن أفتاك المفتون» على رواية فتح الميم وضم النون مفردا من الفتنة .

النوع السابع . تجنيس الاشتقاق : وهو أن يجتمعا فى أصل الاشتقاق و يسمى أيضا المقتضب نحو فأقم وجهك للدين القيم . فروح ور يحان «الظلم ظلمات يوم القيامة» . قال كشاجم فى خادم أسود ظالم :

يامشبها فى فعـلـه لونه   لم يخط ما أوجبت القسمه

فعلك من لونك مستخرج   والظلم مشتق من الظلمـه

النوع الثامن . الجناس المعنوى : وهو من ز يادتى ولم يتعرض له فى الايضاح أيضا ولاذكره ابن رشيق ولا ابن أبى الأصبع ولاأبو منقذ وذكره جماعة و بالغوا فى ظرفه ، وهو نوعان تجنيس اضمار وتجنيس إشارة . فالأول وهو أصعب مسلكا أن يضمر الناظم ركنى التجنيس و يأتى فى الظاهر بما يرادف المضمر للدلالة عليه كقول ابن عبدون فى الخمر وقد صارت خلا :

ألا فى سبيل اللهو كأس مدامة   أتتنا بطعم عهده غـيـر ثابت

حكت بنت بسطام بن قيس عشية   وأمست كجسم الشنفرا بعد ثابت

و بنت بسطام اسمها الصهباء والشنفرا قال :

اسقنيها ياسواد بن عمرو   إن جسمى بعد خلى لخل

الخل هو الرقيق المهزول وظهر من كناية اللفظ الظاهر جناسان مضمران فى صهباء وصهباء وخل وخل وكقول الصفى :

وكل لحظ أتى باسم ابن ذى يزن   فى فتكه بالمعنى أو أبى هرم

اسم ابن ذى يزن سيف وأبو هرم اسمه سنان فظهر له جناسان مضمران من كناية الألفاظ . والثانى و يسمى أيضا تجنيس الكناية وهو أن يقصد المجانسة فى بيت بين الركنين فلايوافقه الوزن على إبرازها فيضمر الواحد و يعدل إلى مرادف فيـه كناية عن المضمر أو إلى لفظة فيها كناية لفظية تدل عليها وهذا القسم ذكره الفخر الرازى فى نهاية الايجاز والطيبى فى التبيان ومثلا له بقوله :

حلقت لحية موسى باسمه   و بهـــرون إذا ماقلبا

أراد أن يقول موسى فلم يساعده الوزن فعدل إلى قوله باسمه ومثله قول دعبل فى سلمى امرأته :

إنى أحبـك حبا لوتضمنه   سلمى سميك دق الشاهق الرامى

فى سميك كناية لطيفة أشعرت أن الركن المضمر فى سلمى ، فظهر جناس الاشارة بين الظاهر والمضمر فى سلمى وسلمى الذى هو الجبل ، ومن الاشارة التى دل عليها المرادف قول عقيلة لما أراد قومها الرحيل من بنى نهلان وتوجه منهم جماعة يحضرون الابل :

فما مكثنا دام الجمال عليكما   بنهلان إلا أن تشد الأباعر

أرادت أن تجانس بين الجمال والجمال فلم يساعدها الوزن ولا القافية فعدلت إلى مرادفة الجمال بالأباعر [وللجناس أقسام باعتبارات أخر] . أحدها : المزدوج ، و يسمى أيضا المكرر وهو أن يتوالى متجانسان كقوله تعالى وجئتك من سبأ بنبأ يقين وحديث «من حسن الله خلقه وخلقه كان من أهل الجنة» رواه أبو الشيخ و ابن حبان وحديث «المؤمنون هينون لينون» . وقول البحترى :

من كل ساجى الطرف أغيد أحيد   ومهفهف الكشحين أحوى أحور

ثانيها . المجنح : وهو أن يقع أحد المتلاين أول البيت والآخر آخره كقوله :

آخر كقوله : أقلب فيـه أجفانى كأنى ✻ أعد بها على الدهر الذنوبا فانه ضمن وصف الليل بالطول الشكاية من الدهر . قال : [وجاء الاستتباع والتوجيه ما يحتمل الوجهين عند العلما] أقول : ذكر فى هذا البيت نوعين : الأول الاستتباع وهو المدح بشئ على وجه يستتبع المدح بشئ آخر فهو أخص من الادماج كقوله :

نهبت من الأعمار مالو حويته ✻ لهنئت الدنيا بأنك خالد

مدحــه بالنهاية فى الشجاعة على وجه استتبع مدحه بكونه سببا لصلاح الدنيا ونظامها . الثانى التوجيه وهو إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين كقول من قال لأعور ✻ ليت عينيه سواء ✻ يحتمل صحة عينه العوراء فيكون دعاء له و بالعكس فيكون دعاء عليه . قال : [ومنه قصد الجد بالهزل كما يثنى على الفخور ضد ما اعتمى] أقول : ذكر فى هذا البيت نوعا واحدا وهو إيراد الجد فى قالب الهزل كقوله : إذا ماتميمى أتاك مفاخرا ✻ فقل عد عن ذا كيف أكلك للضب فقوله يثنى أى يعطف و يرد على الفخور

لاح أنوار الهدى من كفه فى كل حال

ثالثها المشوّش : بفتح الواو وهو من زيادتى وذكره فى الايجاز والتبيان وغيرهما ، وهو كل تجنيس يتجاذبه الطرفان من الصنعة كقولهم مليح البلاغة ، أنيق البراعة ، لو اتحدت اللامان كان مضارعا ، أو العينان كان مصحفا ومنه حديث أبى داود وسوء الخلق شؤم لو اتحد أول الكلمة كان مطرفا أو حذفت الميم كان مصحفا وحديث الترمذى وغيره منى مناخ من سبق لو اتحدت حركات الميمات كان فى الكلمات الثلاث جناس مطرف أو حذفت الخاء كان محرفا .

ثم نبهت من زيادتى على أن الجناس نوع متوسط فى البديع ليس كالتورية والاستخدام والطباق ونحوها ، واتفقوا على أنه إنما يحسن إذا قلّ فان كثر سمج وخرج إلى حدّ النزول بخلاف التورية ونحوها ، فان جعل الجناس تورية وانحصر المعنيان فى ركن واحد فقد علت رتبته وارتفعت وصارت تسمى بالتورية التامة . مثال ذلك قول صاحب الجناس المركب :

أعن العقيق سألت برقا أومضا أ أقام حاد بالركائب أومضى

فقال من جعله تورية :

وإذا تبسم ضاحكا لم ألتفت إن عاد برقا فى الدياجى أومضى

ومن أمثلة هذا النوع قول شيخ الاسلام أبى الفضل بن حجر :

سألت من لحظه وحاجبه كالقوس والسهم موعدا حسنا
ففوق السهم من لواحظه وانقوس الحاجبان واقترنا

وقول ابن مكانس :

أقول لحبى قم ومس يامعذبى كميسة خود حرّك السكر رأسها
ولا تسه عن شئ إذا ماحكيتها فقام كغصن البان لينا وماسها

وقولى : وقائل إذ قطعت بدرا ببقعة صعبة المولج
بما تسمى هذى وماذا أصنع فيها فقلت عالج

[ومنه رد عجز لصدر إن تقع اللفظة صدر النثر
وشبهها فى ختمه والشعر فى آخر وشبهها فى الصدر
لذلك المصراع أوصدر اللذا قبل كذا فى حشوه أوختم ذا]

من الأنواع اللفظية رد العجز على الصدر ، أو يسمى التصدير وهو فى النثر أن تقع اللفظة أوله ومثلها أومجانسها أوالملحق بها آخره ، وهومعنى قولى وشبهها نحو ـ وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ـ ونحو ـ استغفروا ربكم إنه كان غفارا ـ ونحو سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل ، وحديث الشيخين «من غدا إلى المسجد أو راح أعدّ الله له فى الجنة نزلا كلما غدا أو راح» .

وفى الشعر أن يكون أحد اللفظين المذكورين فى آخر البيت والآخر فى صدر المصراع الثانى ، وهو معنى قولى فى الصدر لذلك المصراع أو صدر المصراع الأول أوحشوه أو آخره فالأول كقوله :

وإن لم يكن إلا معرج ساعة قليلا فأنى نافع لى قليلها

وقوله : وقدكانت البيض القواضب فى الوغى بواتر وهى الآن من بعده بتر

وقوله : * أملتهم ثم تأملتهم فلاح لى أن ليس فيهم فلاح

والثانى كقوله :

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعى الندى بسريع

وقوله : دعانى من ملامكما سفاها فداعى الشوق قبلكما دعانى

لنكتة تجاهل عنهم نقل]

أقول : ذكر فى هذا البيت نوعا واحدا وهو تجاهل العارف وسماه السكاكى سوق المعلوم مساق غيره لنكتة كالمبالغة فى المدح فى قوله :

ألمع برق سرى أم ضوء مصباح
أم ابتسامتها بالمنظر الضاحى

والتوله والتحير فى الحب فى قوله :

بالله ياظبيات القاع قلن لنا
ليلاى منكنّ أم ليلى من البشر . قال :

[والقول بالموجب من قل ضربان
كلاهما فى الفن معلومان]

أقول : ذكر فى هذا البيت نوعا واحدا وهو القول بالموجب وبسط الكلام فيه كتب الأصول وهو ضربان ، أحدهما أن تقع صفة فى كلام الغير كناية عن شئ أثبت له حكم فتثبتها لغيره من غير تعرض لثبوته له وانتفائه عنه نحو يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله ـ للمؤمنين فالأعز صفة وقعت فى كلام المنافقين كناية عن فريقهم والأذل كناية

عن المؤمنين وقدأثبت المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة ، فأثبت الله تعالى تلك الصفة التى

الثالث كقوله :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه   فليس على شىء سواه بخزان

الرابع كقوله : فمشغوف بآيات المثانى   ومفتون برنات المثانى

وقوله : فدع الوعيد فما وعيدك ضائرى   أطنين أجنحة الذباب يضير

و إن انضم إلى التصدير تورية علا قدره كما تقدم فى الجناس كقول ابن الوردى :

مطرزة مثل بدر السماء   تمحق وجه الضيا بالظلم
سبى حسنها عقل تطريزها   ألم تره ليس يشكو ألم

[قلت فان قافية تعاد فى   أول تال فهو تسبيغ وفى
ومنه تطريز وذا أن تذكرا   عدة أسماء و بعد تخبرا
بصفة كررتها ومنه   تعديدك الأوصاف فردا عنه *
تنسيقهم قلت صفات العظمة   تلاحمت مستحسنا ملتئمة]

هذه الأبيات من زيادتى فيها أنواع لفظية :

أحدها : التسبيغ بسين مهملة وغين معجمة ، وهوأن يعاد لفظ القافية فى أول البيت الذى يليها وسماه قوم تشابه الأطراف وقد تقدم أنه اسم لغير ذلك كقول أبى نواس :

خزيمة خير بنى حازم   وحازم خير بنى دارم
ودارم خير تميم وما   مثال تميم فى بنى آدم

الثانى : التطريز ، وهو أن يبتدئ بذكر جمل من الذوات غير مفصلة ثم يخبر عنها بصفة واحدة مكررة بحسب العدد الذى أتى به كقول ابن الرومى :

قرون فى رءوس فى وجوه   صلاب فى صلاب فى صلاب

وقول ابن المعتز :

كأن الكأس فى يدها وفيها   عقيق فى عقيق فى عقيق
فتوبى والمدام ولون خدى   شقيق فى شقيق فى شقيق

الثالث : التعديد ، ذكره الفخرالرازى وغيره ، وذلك أن يوقع أسماء مفردة على سياق واحد فان روعى فيه طباق أوجناس أوازدواج أومقابلة فهوالغاية فى حسن هذا النوع كقوله تعالى ـ ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ـ وحديث « كفى بالمرء فى ذنبه أن يكثر حظه و ينقص عمله وتقل حقيقته جيفة بالليل بطال بالنهار كسول جزوع منوع هلوع رتوع » رواه فى الحلية ، وقول المتنبى :

فالخيل والليل والبيداء تعرفنى   والسيف والرمح والقرطاس والقلم

الرابع : التنسيق ، و يسمى حسن النسق ، وهو كما فى شرح الفوائد الغياثية : أن يذكر الشىء بصفات متوالية ، وفى شروح البديعيات أن يأتى بكلمات من النثر والشعر متلائمات متلاحمات تلاحما سليما مستحسنا لامعيبا مستهجنا ، وتكون جملها ومفرداتها متسقة متوالية إذا أفرد منها البيت قام بنفسه واستقل معناه بلفظه كقوله

بيض الوجوه كريمة أحسابهم   شم الأنوف من الطراز الأول

وقوله . سل عنه وانطق به وانظر إليه تجد   ملء المسامع والأفواه والمقل

[و إن يجئ لفظ فصيح وارد   ما غيره يسد فالفرائد *

علقوا عليها الحكم لغير فريقهم وهو الله ورسوله والمؤمنون ردا عليهم ولم يتعرض لثبوت حكم الاخراج لمن أثبت لهم العزة ولا لنفيه عنهم لأن الغرض إنما هو إبطال دعواهم إثبات الحكم المعلق على تلك الصفة لأنفسهم . الثانى حمل لفظ وقع فى كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه كقوله :

قلت ثقلت إذ أتيت مرارا
قال ثقلت كاهلى بالأيادى

فحمل لفظ ثقلت الذى وقع فى كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بأن ذكر متعلقه الذى هو الأيادى ومنه ما إذا قال لك شخص أنا أعلم منك فتقول له بطرق الضلال . قال :

[والاطراد العطف بالآباء للشخص مطلقا على الولاء]

أقول : ذكر فى هذا البيت نوعا واحدا وهوالاطراد وحقيقته أن تأتى بأسماء الممدوح أو غيره وآبائه على ترتيب الولادة من غير تكلف كقوله

إن يقتلوك فقد ثللت عروشهم بعتيبة بن الحارث بن شهاب وثللت هدمت يقال ثل الله عروشهم أى هدم ملكهم والمثلول المهدوم ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم» . قال :

[الضرب الثانى
اللفظى]

[منه الجناس وهو ذو تمام
مع اتحاد الحرف والنظام
ومتماثلا دعى إن ائتلف
نوع ومستوفى إذا النوع اختلف
لن يعرف الواحد إلا واحدا
فاخرج عن الكون تكن مشاهدا]

أقول : تقدم وجه تقديم النوع المعنوى على اللفظى ، وأنواع اللفظى كثيرة ذكر المصنف كأصله بعضها منها الجناس وهو تشابه اللفظين فى التلفظ فيخرج المترادفان ويدخل المشترك ، ثم هو تام وغير تام ، فالتام أن يتفقا فى أنواع الحروف وأعدادها وهيآتها وترتيبها ، فإن كانا من نوع كاسمين سمى متماثلا نحو - ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة - ومنه مثال المصنف وإن كانا

على

[وإن يجئ وغيره سد وله تخصص تنكيتهم فاستعمله]

هذان النوعان من زيادتى ، وهما مختصان بالفصاحة دون البلاغة . فالفرائد أن يأتى بلفظة فصيحة تنزل من الكلام منزلة الفريدة من العقد ، وتدل على فصاحة المتكلم بها بحيث لو سقطت لم يسد غيرها مسدها كقوله تعالى - أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم - فالرفث فريدة لا يقام غيرها مقامها ، وقوله تعالى - أهش بها على غنمى - فأهش فريدة يعز على الفصحاء الاتيان بمثلها ومنه قولهم أنعم صباحا ، والتنكيت أن يقصد إلى لفظ يسد غيره مسده لولا نكتة فيه ترجح اختصاصه بالذكر لكان القصد إليه دون غيره خطأ ، ومنه فى القرآن العظيم - وأنه هو رب الشعرى - خص الشعرى بالذكر دون سائر النجوم وهو رب كل شئ لأن من العرب من عبد الشعرى فأنزل الله ذلك ردا على من ادعى فيها الإلهية . قالت الخنساء :

يذكرنى طلوع الشمس صخرا ... وأذكره لكل غروب شمس

خصت هذين الوقتين بالذكر ، وإن كانت تذكره كل وقت لما فيهما من النكتة المتضمنة المبالغة فى الوصف بالشجاعة والكرم لأن طلوع الشمس وقت الغارات وغروبها وقت وقود النيران للقرى .

[السجع أن تواطأ الفواصل ... فى ختمها بواحد والفاضل
ما استوت القرينتان ثم أن ... يطول ثان ثم ثالث ومن
طول الاولى زائدا لم يحسن ... وكل الاعجاز ابنها وسكن
وفى القرآن قل فواصل ولا ... يقال أسجاع فعنها قد علا
قلت وخير السجع ما قل إلى ... عشرة وضعفها ما طولا]

السجع مأخوذ من سجع الحمام وهو عند أهل الفن تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد ، وهو معنى قولهم : السجع فى النثر كالقافية فى الشعر ، ومن الناس من قبحه لحديث «أسجعا كسجع الجاهلية» ورد بأنه إنما أنكر سجع الجاهلية لا مطلق السجع . قال ابن النفيس : ويكفى فى حسنه ورود القرآن به ، ولا يقدح فى ذلك خلوه فى بعض الآيات ، لأن الحسن قد يقتضى المقام الانتقال إلى أحسن منه . وقال الخفاجى السجع محمود لا على الدوام ، ولذلك لم تجئ فواصل القرآن كلها عليه ، واختلف هل يجوز أن يقال فى فواصل القرآن أسجاع أم لا ؟ والأدب المنع لقوله تعالى - كتاب فصلت آياته - فسماه فواصل فليس لنا أن نتجاوزه ، ولأنه يشرف عن أن يشارك الكلام الحادث فى اسم السجع ، ولأن السجع فى الأصل هدير الحمام ونحوه ، والقرآن يشرف عن أن يستعار له لفظ فى أصل الوضع لطائر ، ورجح القاضى أبو بكر الباقلانى فى الانتصار جواز تسمية الفواصل سجعا ، وعليه قال الخفاجى الفواصل ضربان : ما يكون سجعا ، وهو ما تماثلت حروفه فى المقاطع مثل - والطور وكتاب مسطور - وضرب لا يكون سجعا ، وهو ما تقاربت حروفه فى المقاطع ولم تماثل ، وأفضل السجع ونحوه ما استوت قرائنه نحو - فى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود - ويليه ما طالت قرينته ، الثانية نحو - والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى - والثالثة نحو - خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة - الآية ، ولا يحسن أن يؤتى بقرينة أقصر مما قبلها بكثير ، ويجوز بقدر يسير . وقال الخفاجى لا يجوز أن تكون الثانية أقصر من الأولى ، وقال ابن الأثير الأحسن فى الثانية المساواة وإلا فأطول قليلا ، وفى الثالثة أن تكون أطول . وقال غيره الأحسن فى الفقرة المختلفة أن تكون الثانية أزيد من الأولى بقدر يسير لئلا يبعد على السامع وجود القافية فتذهب اللذة ، واحترز بذلك عن المرصع ونحوه . وقال أهل الفن قصر الفقرات يدل

على قوة المنشئ، وأقل مايكون كلمتان نحو: ياأيها المدثر قم فأنذر الآيات، والأكثر مازاد على ذلك وقال ابن الأثير السجع قصير وهو أحسن، وكلما قل كان أحسن نحو: فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر، والعاديات ضبحا الآيات. وطويل وهو أسهل، وهو مازاد على عشر كلمات إلى العشرين وقد أشرت إلى خلاصة هذه النقول فى النظم من زيادتى، وقولى وكل الاعجاز الخ أى يجب بناء الاعجاز أى أواخر الأسجاع على السكون ليتم التواطؤ والتزاوج كقولهم. ماأبعد مافات وما أقرب ماهو آت:

[ثم اللتان وزنها ذو خالف ... مطرف وإن وفاقا تلفى
وليس ما فى أول مقابلا ... وزنا ولا تقفية لما تلا
فالمتوازى ضده مرصع ... أوخص بالعجزين فالمصرع
وإن تكن قد ساوت المقارنة ... فى الوزن لا تقفية موازنة
فان تكن أفرادها مقابله ... يقال فى أوزانها مماثله]

السجع أقسام أحدها المطرف. وهو أن تختلف الفاصلتان فى الوزن ـ مالكم لاترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا ـ وكقولهم: جنابه محط الرحال ومخيم الآمال.

الثانى المتوازى: وهو ما اتفقا وزنا ولم يكن ما فى الأولى مقابلا لما فى الثانية فى الوزن والتقفية كقوله تعالى ـ فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ـ وقوله صلى الله عليه وسلم «اللهم أعط كل منفق خلفا وكل ممسك تلفا».

الثالث المرصع: وهو أحسن من قول التلخيص الترصيع كما قال الشيخ بهاء الدين لموافقة قولنا مطرف ومتوازى، وهو ما كان فى الأولى مقابلا لما فى الثانية وزنا وتقفية كقوله تعالى ـ إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم ـ إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم ـ وقول الحريرى. يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه، فان كان معه زيادة طباق أومقابلة أوجناس زاد فى الحسن كقوله صلى الله عليه وسلم «الطاعم الشاكر كالصائم الصابر» رواه الترمذى وقول الشاعر:

فحريق جمرة سيفه للمعتدى ... ورحيق خمرة سيبه للمعتفى

وقولهم إذا قلت الأنصار كلت الأبصار، وقولهم ماوراء الخلق الدميم إلا الخلق الذميم.

الرابع المصرع: وهو من زيادتى، وذكره فى الايضاح وهو توافق آخر المصراع الأول وعجز المصراع الثانى فى الوزن والروى والاعراب، وأليق مايكون فى مطالع القصائد كقول امرئ القيس فى أول معلقته:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وقد يأتى فى الأثناء كقوله فيها:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى ... بصبح وما الاصباح منك بأمثل

وقسمه فى التبيان إلى ثمانية أقسام:

أحدها: وهو الكامل أن يكون مستقلا فى فهم المعنى كقول المتنبى:

إذا كان مدحا فالنسيب المقدم ... أكل فصيح قال شعرا متيم

الثانى. أن يكون مستقلا وله رابطة بالثانى كقول أبى تمام:

ألم يأن أن تروى الظماء الحوائم ... وأن ينظم الشمل المبدد ناظم

الثالث. أن يكون غير مستقل كقوله:

من نوعين مسمى مستوفى كقوله: ماما ت من كرم الزمان فانه ... يحيى لدى يحيى بن عبد الله

قال:

[ومنه ذو التركيب ذو تشابه
خطا ومفروق بلا تشابه
وإن بهيئة الحروف اختلفا
فهو الذى يدعونه المحرفا]

أقول: من الجناس التام المركب، وهو ما كان أحد لفظيه مركبا فان اتفقا فى الخط سمى متشابها كقوله:

إذا ملك لم يكن ذاهبه ... فدعه فدولته ذاهبه

وإن لم يتفقا فى الخط سمى مفروقا كقوله:

كلكم قد أخذ الجام ولاجام لنا ... ما الذى ضر مدير الجام لو جاملنا

وإن اختلفا فى هيئات الحروف فقط سمى محرفا كقوله جبة البرد جنة البرد والحرف المشدد فى حكم المخفف

قال:

[وناقص مع اختلاف فى العدد
وشرط خلف النوع واحد فقد
ومع تقارب مضارعا ألف
ومع تباعد بلاحق وصف]

أقول: الجناس الناقص ما اختلف اللفظان فيه فى أعداد الحروف إما بحرف واحد فى الأول نحو ـ والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق

هذا مطرفا .
و إما بأكثر كقوله :
إن البكاء هو الشفا
ء من الجوى بين
الجوانح
وربما سمى هذا مذيلا
و إن اختلفا فى أنواعها
فيشترط أن لا يقع
بأكثر من حرف ثم
الحرفان إن كانا
متقاربين سمى مضارعا
وهو إما فى الأول نحو
بينى و بين كنى ليل
دامس وطريق
طامس ، أو فى الوسط
نحو - وهم ينهون عنه
و ينأون عنه - أو فى
الآخر نحو الخيل معقود
بنواصيها الخير إلى يوم
القيامة و إن لم يكونا
متقاربين سمى لاحقا
وهو أيضا إما فى الأول
نحو - ويل لكل همزة
لمزة أو فى الوسط نحو
- ذلكم بما كنتم
تفرحون فى الأرض
بغير الحق و بما كنتم
تمرحون - أو فى الآخر
نحو - و إذا جاءهم
أمر من الأمن أو
الخوف - . قال :
[وهو جناس القلب
حيث يختلف
ترتيبها الكل والبعض
أضف

مغانى الشعب طيبا فى المغانى بمنزلة الربيع من الزمان

الرابع : أن يكون معلقا على صفة فى أول الثانى كقوله : ألا انجلى .

الخامس : أن يكون لكل منهما فى التقديم معنى ، وهو فى الحسن يلى الأول كقوله :

من شروط الصبوح فى المهرجان خفة الشرب مع خلو المكان

السادس : أن يكون لفظ العجز حقيقة وهو مذموم كقوله :

وكل ذى غيبة يئوب وغائب الموت لا يئوب

السابع : أن يكون مجازا كقوله :

فتى كان شربا للعفاة ومرتعا فأصبح للهندية البيض مرتعا

الثامن : أن يتخالف لفظ العجزين و يتوافقا فى الموازنة وهو أقبح الكل كقوله :

أقلنى قد ندمت على الذنوب و بالاقرار عدت من الجحود

(الخامس : الموازنة) وهى تساوى القرينتين فى الوزن دون التقفية نحو - ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة -

(السادس : المماثلة) بأن تساويا فى الوزن دون التقفية وتكون أفراد الأولى مقابلة لما فى الثانية على حد ما تقدم فى المتوازى والمرصع كقوله تعالى - وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم - وقول أبى تمام :

مها الوحش إلا أن هاتا أوانس قنا الخط إلا أن تلك ذوابل

[وقيل لا يختص بالنثر ومنه ما يدعون بالتشطير
فى كل شطر سجعتان اتفقا وخالف الآخر ما قد سبقا
وسم بالتسميط إن توالت ثلاثة و بالوفاق وافت
وأن يسجع كله وجزءه مخالفا جزءا بجزء تجزئه]

ذهب بعضهم إلى أن السجع لا يختص بالنثر بل قد يكون فى النظم كقول أبى تمام :

تجلى به رشدى وأثرت به يدى وفاض به ثمدى وورى به زندى

ومنه على هذا القول نوع يسمى بالتشطير ، وهو أن يجعل كل من شطرى البيت سجعتين متفقتين فى الروى ، وروى السجعتين فى الصدر مخالف لروى السجعتين فى العجز كقول أبى تمام :

تدبير معتصم بالله منتقم لله مرتقب فى الله مرتغب

وقول مسلم بن الوليد :

موف على مهج فى يوم ذى رهج كأنه أجل يسعى إلى أمل

ومنه نوع يسمى بالتسميط ذكرته من زيادتى ، وهو مثل التشطير إلا أن السجعة الأولى من المصراع الثانى موافقة للسجعتين فى المصراع الأول فى الروى كقول الصفى :

فالحق فى أفق والشرك فى نفق والكفر فى فرق والدين فى حرم

ومنه قول الآخر :

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا

وقول شيخ الاسلام أبى الفضل بن حجر :

خان الأمانة واستن الخيانة واستثنى الديانة جان ثمرة العطب

وسلك ابن مالك فيه طريقة أخرى فقسمه إلى تسميط وتقطيع وتبعيض .

مجنحا يدعى إذا تقاسما بيتا فكانا فاتحا وخاتما ومع توالى الطرفين عرفا مزدوجا كل جناس ألفا فالأول

تناسب اللفظين فى اشتقاق * وشبهه فذاك ذو التحاق] أقول : إذا اختلف اللفظان فى ترتيب الحروف سمى جناس القلب نحو حسامه فتح لأوليائه حتف لأعدائه ويسمى قلب كل ونحو اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا ويسمى قلب بعض . وإذا وقع أحدهما فى أول البيت والآخر فى آخره سمى مقلوبا مجنحا نحو : لاح أنوار الهدى من كفه فى كل حال وإذا ولى أحد المتجانسين الآخر سمى مزدوجا نحو : وجئتك من سبأ بنبأ يقين ، ويلحق بالجناس شيئان أحدهما أن يجمع اللفظين اشتقاق نحو فأقم وجهك للدين القيم ، والثانى أن تجمعهما المشابهة وهو مايشبه الاشتقاق نحو قال إنى لعملكم من القالين وأشار إلى هذا بقوله تناسب البيت . قال :

[ويرد التجنيس بالاشارة
من غير أن يذكر فى العبارة
ومنه رد عجز اللفظ على
صدر فى نثر بفقرة جلا
مكتنفا والنظم الأول أولا
آخر مصراع فما قبل قلا
مكررا مجانسا وما التحق * يأتى كتخشى الناس والله أحق]

فالأول : ما كان كل الأجزاء فيه على سجع يخالف الروى ثم تارة تتفق الأجزاء فى التفصيل فيختص باسم الموازنة كقوله :

أفاد فجاد وساد فزاد وقاد فذاد وعاد فأفضل

هذا النوع ذكره الصفى وتارة لا كقوله :

وأسمر مثمر بمزهر نضر من مقمر مسفر عن منظر حسن

والثانى : ما كان بعض الأجزاء فيه مخالفا للروى ، ثم منه ما سجعه على المقاطع ومنه ماليس كذلك كقوله هم القوم البيت .

والثالث : كقول الخنساء :

حامى الحقيقة محمود الخليقة مهدى الطريقة نفاع وضرار

ومنه نوع آخر يسمى بالتجزئة ، ذكرته أيضا من زيادتى ، وهو أن يأتى ببيت ويجزئه جميعه ويسجعها جميعها على وزنين مختلفين جزء بجزء ، وأحدهما على روى يخالف روى البيت ، والثانى على روى البيت ، وعبارة المصباح أن يأتى بمقاطع أجزاء البيت على سجعتين متداخلتين أولهما مخالف للروى ، والثانى موافق كقول الصفى :

ببارق خذم فى مارق أمم أوشائق عرم فى شاهق علم

وقول الآخر : هندية لحظاتها خطية خطراتها دارية نفحاتها

[والانسجام ماعلا تسهلا عذوبة ومن عقادة خلا
وغالبا فى النثر إذما انسجما من غير قصد قد يرى منتظما]

هذا النوع من زيادتى والانسجام أن يكون الكلام لخلوه من العقادة كانسجام الماء فى انحداره ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة ، وغالب مايأتى ذلك إذا لم يقصدوا فيه نوعا من أنواع البديع يحصل به التكلف بل يأتى ذلك ضمنا من غير قصد ، وإذا كان الانسجام فى النثر فغالبا تكون قراءته موزونة بلا قصد لقوة انسجامه وشواهد ذلك ماوقع فى القرآن موزونا بلا قصد فمنه من بحر الطويل فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ومن المديد واصنع الفلك بأعيننا ، ومن البسيط فأصبحوا لايرى إلا مساكنهم ، ومن الوافر ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ، ومن الكامل والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، ومن الهزج فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا ، ومن الرجز ، ودانية عليها ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ، ومن الرمل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، ومن السريع ، أو كالذى مر على قرية ، ومن المنسرح إنا خلقنا الانسان من نطفة ، ومن الخفيف ، لايكادون يفقهون حديثا ، ومن المضارع يوم التناديوم تولون مدبرين ، ومن المقتضب فى قلوبهم مرض ، ومن المجتث نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم ، ومن المتقارب وأملى لهم إن كيدى متين .

[ومنه قلب عكسه إذا سلك كطرده كمثل كل فى فلك]

من أنواع القلب ويسمى المقلوب المستوى ومالا يستحيل بالانعكاس ، وهو أن يكون عكس البيت كطرده أى يقرأ بعكس حروفه من الآخر إلى الأول كما يقرأ من الأول إلى الآخر ، وغايته أن يكون رقيقا منسجما بلا تكلف . قال تعالى كل فى فلك وربك فكبر ، ومن الكلام الذى رق لفظه أرض خضراء وقول قاضى القضاة شرف الدين بن البازى * سور حماه بربها محروس * ومن القاضى الفاضل على العماد الكاتب وهو راكب ، فقال له : سر فلا كبا بك الفرس. فأجابه على الفور دام

علا العماد ، وأحسن ماقيل فيه من النظم قول الأرجانى :

مودته تدوم لكل هول ... وهل كل مودته تدوم

وقول الآخر * أرانا الاله هلالا أنارا * قال الشيخ بهاء الدين و بقى نوع آخر يقال له قلب الكلمات كقوله :

عدلوا فما ظلمت لهم دول ... سعدوا فما زالت لهم نعم
بذلوا فما شحت لهم شيم ... رفعوا فما زلت لهم قدم

فهو دعاء لهم ، وإذا قلبت كلماته صار دعاء عليهم .

[والحرف من قبل الروى يلزم ... فسمه لزوم مالا يلزم
كقوله تقهر وتنهر صدركا ... وزرك ظهرك وبعد ذكركا]

من الأنواع لزوم مالايلزم ويسمى الالتزام والاعنات ، وهو أن يلتزم الناثر أو الشاعر حرفا قبل الروى كالآيات المشار إليها فى النظم وكقوله تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس وقوله صلى الله عليه وسلم «من صام ثلاثة أيام من كل شهر فذلك صوم الدهر» رواه ابن ماجه عن أبى ذر وقوله «كل ماأصميت ودع ماأنميت» رواه الطبرانى عن ابن عباس وقوله «من عفا عند القدرة عفا الله عنه يوم العسرة» رواه الطبرانى عن أبى أمامة ، وقول ابن عمر البر شىء هين وجه طلق وكلام لين رواه ابن لال فى مكارم الأخلاق وفى الشعر منه شىء كثير وقد يقع الالتزام فى أكثر من حرف كقول أبى العلاء :

كل واشرب الناس على خبرة ... فهم يمرون ولا يعذبون
ولا تصدقهم إذا حدثوا ... فاننى أعهدهم يكذبون
وإن أروك الود عن حاجة ... ففى حبال لهم يجذبون

[قلت فان كان اللزوم فى الروى ... أو كلمات فهى تضييق قوى]

هذا النوع اخترعته وسميته بالتضييق بأن يلتزم فى الروى أمرا لايلزم ، وإنما لم يذكروه لظنهم أن الروى يلزم أن يكون على حرف واحد فلا يقع فيها التزام مالا يلزم وأشرت بما ذكرته إلى أن الروى قد يكون مثلا على الهاء فيلتزم أن لايأتى بها ضميرا أو الألف فيلتزم أن لايأتى بها ألف إطلاق وقد عمل العماد الأصبهانى قصيدة هائية لاضمير فيها وادعى البراعة وعارضه أبو اليمن الكندى بقصيدة مطلعها :

هل أنت راحم عبرة وتوله ... ومجير صب عند ماعنه نهى
هيهات يرحم قاتل مقتوله ... وسنانه فى القلب غير منهه
من مل من داء الغرام فاننى ... مذ حل بى مرض الهوى لم أنقه

عارضها البهاء السبكى بقصيدة وابن نباتة والصلاح الصفدى ولى فى ذلك قصيدة ذكرتها فى طبقات النحاة ويلحق بذلك ما إذا التزم أمرا فى كل كلمات البيت أو الرسالة وللصرصرى قصائد التزم فى كل كلمة منها صادا وقصائد التزم فى كل كلمة منها عينا ، وللحريرى رسالة التزم فى كل كلمة منها سينا أولها باسم القدوس أستفتح وباسعاده أستنجح سجية سيدنا سيف السلطان سدها سيدنا الاسفهسلار والسيد النفيس سيد الرؤساء حرست نفسه واستنارت شمسه وبسق غرسه واتسق أنسه استمالة الجليس مساهمة الأنيس ومواساة السحيق والنسيب ومساعدة الكسير والسايب إلى آخرها .

[ومنه تشريع ان يبنى على ... قافيتين البيت كل قد حلا
وهو الذى أبدعه الحريرى ... وسمه التوأم ذو التحرير]

يسمى أسدا فر الأسد من اسمه ، ومن أنواع الجناس اللفظى رد العجز على الصدر ففى النثر أن يجعل أحد اللفظين فى أول الفقرة والآخر فى آخرها وهذا معنى قوله مكتنفا نحو وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، وفى النظم أن يكون أحدهما فى آخر البيت والآخر فى صدر المصراع الأول أوحشوه أو آخره أوصدر المصراع الثانى وكله داخل تحت قوله قبل كقوله :

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه
وليس إلى داعى الندى بسريع *

وقوله مكررا البيت يعنى أن رد العجز على الصدر يأتى تارة مكررا وتارة مجانسا وتارة ملحقا وصور ذلك فى الأصل . قال :

[فصل فى السجع]

[والسجع فى فواصل فى النثر
مشبهة قافية فى الشعر
ضروبه ثلاثة فى الفن
مطرف مع اختلاف الوزن
مرصع إن كان مافى الثانيه

* أو جله على وفاق الماضيه وما سواه المتواز فادر * كسرر مرفوعة فى الذكر]

هذا النوع اخترعه الحريرى وهو أول من أبدعه كما بينته من زيادتى . قال الشيخ بهاء الدين وتسميته بالتشريع عبارة لايناسب ذكرها لأنه خاص بما يتعلق بالشرع المطهر حتى قال القائل :

ليتهم سموه باسم غير ذا   إنما التشريع دين قيم

وسماه ابن أبى الأصبع التوأم وهى تسمية مطابقة للمسمى كما ذكرته من زيادتى لأن معناه أن يبنى الشاعر بيته على وزنين من أوزان العروض فاذا أسقط منها جزءا أوجزءين صار الباقى بيتا من وزن آخر ثم تارة يكون الاسقاط من آخر النصف الثانى كقول الحريرى :

ياخاطب الدنيا الدنيـة إنها   شرك الردى وقرارة الأكدار
دار متى ما أضحكت فى يومها   أبكت غدا بعدا لها من دار

وتارة يسقط من آخر كل نصف من البيت كقول الصفى :

فلو رأيت مصابى بعد مارحلوا   رثيت لى من عذابى يوم بينهم

وقد يبنى على أكثر من قافيتين كقول الحريرى:

جودى على المتقدر الصب الجوى   وتعطـفى بوصاله وترحمى
ذا المبتلى المتفكر القلب الشجى   ثم اكشفى عن حاله لا تظلمى

فانه يصح حذف وترحمى ولاتظلمى وحذف بوصاله وعن حاله وحذف وتعطفى وثم اكشفى .

تنبيه : قيل إن التشريع قد يأتى فى سجع النثر أيضا قال الأندلسى والحق أن حسنه لايظهر إلا فى النظم لأن فيه الانتقال من وزن إلى وزن بخلاف النثر .

[قلت الروى إذ لاشيئا يصلح   فذلك التخيير خذ مارجح
وإن تجىء قافية كملها   فذلك التمكين مهد قبلها
ومنـه أن تأتلف المعانى   صحيحة توافق الأوزان
أو وافق الألفاظ والأوزان   وضـده الطاعة والعصيان
والوصل والقطع ونقط الأحرف   تركه حذف و بالخلف يفى]

هذه الأبيات كلها من زيادتى ، وفيها أنواع .

أحدها التخيير : وهو كون الروى من البيت أو السجعة صالحا لعدة ألفاظ فيتخير له كلمة منها كقوله :

إن الغريب الطويل الذيل ممتهن   فـكيف حال غريب ماله قوت

فانه يصلح محله :   ماله بيت ماله مال   ماله سبب ماله أحد

الثانى : التمكين ، ويسمى ائتلاف القافية وهو أن يمهد الناثر للسجعة أوالناظم للقافية تمهيدا تأتى القافية فيه متمكنة مستقرة فى قرارها غير نافرة ولا قلقة ولا مستدعاة بما ليس له تعلق بلفظ البيت ومعناه بحيث أن منشد البيت لو سكت كملها السامع بطبعه بدلالة ماقبل عليها كقول المتنبى :

يامن يعز علينا أن نفارقهم   وجداننا كل شىء بعدكم عدم

الثالث : ائتلاف المعنى مع الوزن وهو أن تأتى المعانى فى الشعر صحيحة لاتضطر فى الوزن إلى قلب ولاخروج عن الصحة كما فعل عروة بن الورد حيث قال :

فانى لو شهدت أبا سعاد   غداة غد بمهجته يفوق
فديت بنفسه نفسى ومالى   وما آلوه إلا ما أطيق *

أراد أن يقول فديت نفسه بنفسى ومالى فألجأته ضرورة الوزن إلى القلب .

أقول : من الجناس اللفظى السجع وهو توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد وهذا معنى قول السكاكى هو فى النثر كالقافية فى الشعر وهو ثلاثة أضرب . الأول المطرف إن كانا مختلفين فى الوزن نحو ـ مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا والثانى المرصع ، وهو ما استوت فواصله فى الوزن والتقفية وكان كل مافى إحـدى الفقرتين أوجله من الألفاظ مثل مايقابله من الأخرى كقول الحريرى فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ويقرع الأسماع بزواجر وعظه الثالث المتوازى وهو أن تستوى الفاصلتان فى اللفظ ولم توافق سائر ألفاظ أحدهما ولأجل مايقابلها من أختها فى الوزن والتقفية نحو ـ فيها سـرر مرفوعـة وأكواب موضوعة ـ قال :

[أبلغ ذاك مستو فما ترى
أخرى القرينتين فيه أكثرا
والعكس إن يكثر فليس يحسن
ومطلقا أعجازها تسكن
وجعل سجع كل شطر غير ما

* فى الآخر التشطير عند العلما]

أقول : القرينة طائفة من الكلام مشتملة على الفاصلة سميت بذلك لأنها مقارنة

الرابع : ائتلاف اللفظ مع الوزن قال قدامة وهو أن تكون الأسماء والأفعال تامة لايضطر الشاعر إلى نقصها أو لزيادة عليها أو تقديم أو تأخير كما وقع للفرزدق فى قوله :

وما مثله فى الناس إلا مملكا   أبو أمه حى أبوه يقاربه

الخامس : الطاعة والعصيان وهو أن يقصد الشاعر نوعا من أنواع البديع فيعصيه الوزن ويطيعه لنوع آخر كقول أبى الطيب :

يردّ يدا عن ثوبها وهو قادر   ويعصى الهوى فى طيفها وهو راقد

قال المعزى ، وهو مخترع هذا النوع أراد أن يقول وهو مستيقظ بحيث يطيعه الطباق مع قوله وهو راقد فلم يطعه الوزن وأطاعه لفظة قادر فحصل بها الجناس المقلوب .

السادس : الحذف وهو أن يحذف المتكلم من كلامه حروفا من حروف الهجاء بلا تكلف ولاتعسف بأن يحذف كل حرف موصول ويأتى بالجميع مقطوعة أوعكسه أو يحذف كل حرف منقوط ويأتى بالجميع مهملة أوعكسه أو يأتى بكلامه متخالفا حرف منه موصول وحرف مقطوع أوحرف معجم وحرف مهمل أوكلمة كل حروفها معجمة وكلمة كل حروفها مهملة ، وهكذا أو يلتزم حذف حرف واحد كالألف نبه على ذلك الرازى فى نهاية الايجاز وللحريرى من ذلك أشياء فى المقامات مثال الأول كقولهم كما أورده الرازى فى نهاية الايجاز :

وزر دار زرزور ودار زرارة   ودار رداح إن أردت دواء

وقولى فى بديعيتى :

روّض ودم وأرح ردد ودوّزر   وازر ووال دواداء وزد ورم

ومثال الثانى قول الحريرى : فتنتنى فجننتنى الأبيات الآتية ، ومثال الثالث قول الحريرى الحمد لله المحمود الآلاء ، الممدوح الأسماء ، الواسع العطاء ، المدعو لحسم اللأواء ، مالك الأمم ، ومصور الرمم ، وأهل السماح والكرم ، ومهلك عاد وإرم ، أدرك كل سر علمه ، ووسع كل مصرّ حلمه ، الخطبة بكمالها كل حروفها مهملة ، وعندهم أن التاء التى تكتب هاء فى هذا النوع حكمها حكم المهمل وقوله :

أعدد لحسادك حد السلاح   وأورد الآمل ورد السماح
وصارم اللهو ووصل المها   وأعمل الكوم وسمر الرماح
واسع لإدراك محل سما   عماده لا لأدراع المراح

الأبيات ، ومثال الرابع قوله :

فتنتنى فجننتنى تجنى   بتجن يفتن غب تجنى
شغفتنى بجفن ظبى غضيض   غنج يقتضى تغيض جفنى
غشيتنى بزينتين فشفتنى بزى يشف بين تثنى   الأبيات

ومثال الخامس فى رسالة الحريرى ، ومثال السادس قول الحريرى أيضا فى رسالته الرقطاء أخلاق سيدنا تحب ، وبعقوته يلب ، وقربه تحف ، ونأيه تلف ، ومن نظمها :

فلا خلا ذا بهجة يمتد ظل خصبه   فانه بر بمن آنس ضوء شهبه
زان مزايا ظرفه   بلبس خوف ربه

ومثال السابع قوله :

اسح فبث السماح زين   ولا تخب آملا يضيف

الثانية نحو والنجم إذا هوى ماضلّ صاحبكم وماغوى والثالثة نحو خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ، ولايحسن أن يؤتى بعد فقرة بفقرة أخرى أقصر منها كثيرا والأسجاع مبنية على سكون الأعجاز كقوله : ما أبعدمافات وما أقرب ماهو آت . قيل السجع غير مختص بالنثر بل يكون فى النظم كقوله :

تجلى به رشدى وأثرت به يدى
وفاض بى ثمدى وأورى به زندى

ومنه على هذا القول ماذكر المصنف وهو المسمى بالتشطير وهو جعل كل من شطرى البيت سجعة مخالفة لأختها كقوله :

تدبير معتصم بالله منتقم
لله مرتقب فى الله مرتغب

فان سجع الشطر الأول مبنى على الميم والثانى على الباء . قال :

[فصل فى الموازنة]

[ثم الموازنة وهو التسوية لفاصل فى الوزن لا فى التقفيه

وهى المماثلة حيث يتفق * فى الوزن لفظ فقرتيها فاستفق

ومثال الثامن :

ولا تجز رد ذى سؤال فمن أم فى السؤال خفف

[واللفظ إذا يقرؤه الألثغ لا يعاب قد سميته المنتحلا]

هذا النوع اخترعته وسميته المنتحل والمنتقى والمتحرى، وهو أن يختار لفظ إذا قرأه الألثغ لايعاب عليه تحريا وقد رأيت فى ذلك بيتين فى الراء لبعض الأقدمين وهما :

من شاء جمع معان قد خصصت بها وجاوزت كل حد لم ينل وطرا (وطغا)

وكيف يسطاع أن تحصى فضائلها وزندك الفرد مهما تقتدحه ورا (وغا)

وقيل فى ذلك :

وذات وجهين أتت بدعة غايتها فى الحسن لاتبلغ

قافية رائية قيل لا يعاب فى إنشادها الألثغ

وقد عملت منه أبياتا فى الراء والسين فمن الأول قولى :

(غاية) راية العلم لم تزل تنصب فى المحافل

ووهى كل خامل فى فنا الجهل رافل (غافل)

وقولى . من يحز الفضل فأصحابه ألسنها بذمه سائره (سائغه)

ومن يصغ نظما فأعداؤه للقدح فى مقصوده صائره (صائغه)

ومن الثانى قولى :

وبدر شكا عينيه والضعف فيهما فأفديه من بدر تحامل عن حس (حث)

أحاشيه من تعليقه بتمائم وأرقيه بالذكرى من العين والنفس (والنفث)

الحث بالمثلثة قذى العين .

[وأصل حسن مامضى أن يتبعا اللفظ معنى دون عكس وقعا]

أصل الحسن فى الأنواع اللفظية أن تكون الألفاظ تابعة للمعانى لا أن تكون المعانى تابعة للألفاظ بأن يؤتى بألفاظ متكلفة مصنوعة المعنى كما يفعله من له شغف بايراد المحسنات اللفظية ، فيجعل الكلام كأنه غير مسوق لافادة المعنى ولا يبالى بخفاء الدلالة وركاكة المعانى فاذا تركت المعانى على سجيتها طلبت لأنفسها ألفاظا تليق بها وعند ذلك تظهر البلاغة ويتميز الكامل من القاصر .

[خاتمة] قد أوردنا فى النظم من أنواع البديع مالايحصى مما هو فى التلخيص ومازدناه عليه وتقدم فى المعانى والبيان أنواع نبهنا عليها فى خاتمة كل من العلمين ويأتى فى خاتمة السرقات أنواع وهى : الابداع وسلامة الاختراع والاغراب والتوليد والعكس والتبديل وحسن الاتباع والمواردة والاقتباس والتضمين وهو استعانة ورفو وابداع والتفصيل والعقد والحل والتلميح والعنوان وبراعة الاستهلال والتخلص والمطلب والاختتام . وقد رأيت أن أورد هنا قصيدة من البديعيات ليكون كل بيت منها شاهدا لنوع من الأنواع المتقدمة فاخترت بديعية ابن حجة لاشتمال كل بيت منها على تسمية النوع الذى فيه على سبيل التورية ، أنشدنى صديقنا الحافظ نجم الدين بن فهد بمكة المشرفة شرفها الله تعالى قال أنشدنى التقى أبو بكر بن حجة لنفسه يمدح النبى صلى الله عليه وسلم :

لى فى ابتدا مدحكم ياعرب ذى سلم (براعة) تستهل الدمع فى العلم

لله سربى فسربى طلقوا وطنى (وركبوا) فى ضلوعى (مطلق) السقم

ورمت (تلفيق) صبرى كى أرى قدمى يسعى معى فسعى لكن أراق دمى

تساوى الفاصلتين فى الوزن دون التقفية نحو ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة ، فان كان مافى إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثره مثل مايقابله من الأخرى فى الوزن خص باسم المماثلة نحو وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وقوله :

مها الوحش إلا أن هاتا أوانس

قنا الخط إلا أن تلك ذوابل

ومنها القلب وهو أن يكون الكلام على ترتيب بحيث لوافتتح من آخره إلى أوله لخرج النظم الأول بعينه نحو كل فى فلك وربك فكبر فانه يقرأ من آخره كما يقرأ من أوله ، ومنها التشريع وهو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى عندالوقوف على كل منهما كقوله .

ياخاطب الدنيا الدنية إنها

شرك الردى وقرارة الأكدار. ومنها لزوم مالايلزم وهو أن يجىء قبل حرف الروى أو مافى معناه من الفاصلة ماليس بلازم للسجع نحو فاما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر . قال فى الأصل

وأصل الحسن فى ذلك كله أن تكون الألفاظ تابعة للمعانى دون العكس. قال :

[وأخذ شاعر كلاما سبقه
هو الذى يدعونه بالسرقه
وكل ماقرر فى الألباب
أوعادة فليس من ذا الباب]

أقول : السرقة أن يأخذ الشاعر كلام شاعر تقدم عليه واتفاق القائلين إن كان فى الغرض على العموم كالوصف بالشجاعة والسخاء فلا يدعى سرقة ومثله وجه الدلالة المشترك فى معرفته لتقرر ذلك فى العقول والعادات وإن لم يشترك الناس فى معرفة وجه الدلالة جاز أن يدعى فيه السبق والزيادة بأن يحكم بين القائلين فيه بالتفاضل بأن يقال زاد أحدهما على الآخر أونقص عنه ، وهذا قسمان كما سيأتى آنفا قال :

[والسرقات عندهم قسمان
خفية جلية فالثانى
تضمن معنى جميعا مسجلا
أردؤه انتحال ما قد نقلا

(وذيل) الهم همل الدمع لى فجرى   (كلاحق) الغيث حيث الأرض فى ضرم
ياسعد ما (تم) لى سعد (يطرفنى)   بقربهم وقليل الحظ لم يلم
هل من بقى ويقى إن صحفوا عذلى   (وحرفوا) وأتوا بالكلم فى الكلم
قد فاض دمعى وقاظ (القلب) إذ سمعا   (لفظى) عذل ملا الأسماع بالألم
أيا معاذ أخا الخنساء كنت لهم   يا (معنوى) فهدونى بجورهم
واستطردوا خيل صبرى عنهم فكبت   وقصرت كلياليـنا بوصلهم
وكان غرس التمنى يانعا فذوى   (بالاستعارة) من نيران هجرهم
(واستخدموا) العين منى وهى جارية   وكم سمحت بها أيام عسرهم
والبين (هازلنى) بالجد حين رأى   دمعى وقال تبرد أنت بالديم
(قابلتهم) بالرضا والسلم منشرحا   ولوا غضابا فياحربى لغيظهم
وما اورونى (التفاتا) عند نفرتهم   وأنت ياظبى أدرى بالتفاتهم
تغزلى (واقتنانى) فى شمائلهم   أضحى رثا لاصطبارى بعد بعدهم
قالوا نرى لك لحما بعد فرقتنا   فقلت (مستدركا) لكن على وضم
(فالطى والنشر) والتغيير مع قصر   للظهر والعظم والأحوال والهمم
بوحشة بدلوا أنسى وقد خفضوا   قدرى وزادوا غلوا فى (طباقهم)
(نزهت) لفظى عن فحش وقلت هم   عرب وفى حبهم ياغربة الذمم
(تخيروا) لى سماع العذل وانتزعوا   قلبى وزادوا نحولى مت من سقم
وزاد (إبهام) عذلى عاذلى ودجى   ليلى فهل من بهيم يشتفى أملى
وكم (تمثلت) إذا أرخوا شعورهم   وقلت بالله خل الرقص فى الظلم
ذل العذول بهم وجدا فقلت له   (تهكما) أنت ذو عز وذو شمم
قال اصطبر قلت صبرى ما (يراجعنى)   قال احتمل قلت من يقوى لصدهم
(توشيحهم) يملا تلك الشعور إذا   لفوه طيا تعرفنا بنشرهم
(شابهت أطراف) أقوالى فان أهم   أهم إلى كل واد فى صفاتهم
(أغاير) الناس فى حب الرقيب فمذ   أراه أبسط آمالى بقربهم
والله ما طال (تذليل) اللقاء بهم   ياعاذلى وكفى بالله فى القسم
خشن ألن احزن افرح امنع اعط أنل   (فوف) أجد وش رقق شذب لم
ياعاذلى أنت محبوب لدى فلا   (توارب) العقل منى واستفد حكمى
(جمع الكلام) إذا لم تغن حكمته   وجوده عند أهل الذوق كالعدم
إنى (أناقضهم) إن أزمعوا ونأوا   وجر نمل نبير إثر عيسهم
ألم أصرح (بتصدير) المديح لهم   ألم أهتد ألم صبر ألم ألم
(قولى) له (موجب) إذ قال أشفقهم   تسل قلت بنارى يوم فقدهم
وكم (بمعرض مدح) قد هجوتهم   وقلت سدتم بحمل الضيم والتهم
عفت التدود فلم (أستثن) بعدهم   إلا معاطف أغصان بذى سلم
طاب اللقا لذ (تشريع) الشعور لنا   على النقا فنعمنا فى ظلالهم
بكل بدر بليل الشعر يحسده   بدر السماء على (التتميم) فى الظلم

بحاله وألحقوا المرادفا * به ويدعى ما أتى مخالفا لنظمه إغارة ومحدا * حيث من السابق كان أجودا

وافر

وافترّ عجبا (تجاهلنا بمعرفة) قلنا أبرق بدا أم ثغر مبتسم
لما (اكتفى) خده القانى بحمرته قال العواذل بغضا إنه لدمى
ذكرت نظم اللآلى والحباب له (راعى النظير) بثغر منه منتظم
وقلت ردفك موج كى (أمثله) بالبحر قال قد استسمنت ذا ورم
وأسود الخال فى نعمان وجنته لى منذر منه (بالتوجيه) للعدم
يانفس ذوقى (عتابى) قد دنا أجلى منى ولم تقطعى آمال وصلهم
برئت من أربى والعز من شيمى إن لم أبرّ بنأى عنهم (قسمى)
ومن غدا قسمه التشبيب فى غزل (حسن التخلص) بالمختار من قسمى
محمد بن الذبيحين الأمين أبو البتول خير نبى فى (اطرادهم)
عين الكمال كال العين رؤيته يا (عكس) طرف من الكفار عنه عمى
أبدى البديع له الوصف البديع وفى نظم البديع حلا (ترديده) بفمى
(تكرير) مدحى حلا فى الزائد الكرم ابن الزائد الكرم ابن الزائد الكرم
(ومذهبى فى كلامى) أن بعثته لو لم تكن ماتميزنا على الأمم
فعلمه وافر والزهد (ناسبه) وحلمه ظاهر عن كل محترم
(ووشع) العدل منه الأرض فانشحت بحلة الأمجدين العهد والذمم
آدابه تممت لانقص يدخلها الوجه (تكميله) فى غاية العظم
قالوا هو البدر و (التفريق) يظهر لى فى ذاك نقص وهذا كامل الشيم
وانشق من أدب له بلا كذب شطرين فى قسم (تشطير) ملتزم
والبدر فى التمّ كالعرجون صار له فقل لهم يتركوا (تشبيه) بدرهم
ورد شمس الضحى للقوم خاضعة وما ليوشع (تلميح) بركبهم
(شيئان قد أشبها شيئين) فيه لنا تبسم وعطا كالبرق فى الديم
كذا (انسجام) دموعى فى مدائحه بالله شنف بها ياطيب النغم
و إن ذكرت زمانا ضاع من عمرى فى غير (تفصيل) مدحى صحت واندمى
(نوادر) المدح فى أوصافه نشقت منها الصبا فأتتنا وهى فى شمم
(بالغ) وقل كم جلا بالنور ليل وغى والشهب قد عميت من عثير الدهم
لو شاء (إغراق) من ناواه مدّ له فى البرّ بحرا بموج منه ملتطم
بلا (غلو) إلى السبع الطباق سرى وعاد والليل لم يجفل بصبحهم
سهل شديد له (بالمعنيين) بدا (تألف) فى العطا والدين للعظم
لا (يتقى) الخير من (إيجابه) أبدا ولا يشين العطا بالمنّ والسأم
للجود فى السير (إيغال) إليه وكم حبا الأنام بود غير منصرم
(تهذيب تأديبه) قد زاده عظما فى مهده وهو طفل غير منفطم
بحر وذو أرب برّ وذو رحب (لم يستحل بانعكاس) ثابت القدم
أوصافه الغر قد حلت (بتورية) جيدى وعقد لسانى بعد ذا وفمى
من اعتدى فبعد و إن (يشا كله) لحكمة هو فيها خير منتقم
(جمع) الأعادى (بتقسيم) يفرقه فالحىّ للأسر والأموات للضرم

فالأولى تأتى ، والثانية أن يأخذ المعنى كله إما بلفظه كله أو بعضه أو وحده وهذا معنى قوله مسجلا فان أخذ اللفظ كله من غير تغيير سمى انتحالا ونسخا وهو مذموم وهذا معنى قوله :

أردؤه انتحال ماقد نقلا
بحاله

كما حكى عن عبد الله بن الزبير أنه فعل ذلك بقول معن ابن أوس :

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته
على طرف الهجران إن كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه
إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

فانهما من قصيدة لمعن أولها :

لعمرك ماأدرى و إنى لأوجل
على أينا تعدو المنية أول

وفى معناه أن يبدل بالكلمات أو بعضها مايرادفها وهذا معنى قوله وألحقوا المرادفا به و إن كان مع تغيير لنظمه أو أخذ بعض اللفظ سمى إغارة ومسخا فان كان الثانى أبلغ لاختصاصه بفضيلة فممدوح كقول بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج ، وقول سلم : من راقب الناس مات هما

وفاز باللذة الجسور
وإن كان دونه فمذموم
كقول أبى تمام :
هيهات لايأتى الزمان
بمثله :
إن الزمان بمثله لبخيل
وقول أبى الطيب :
أعدى الزمان سخاؤه
فسخابه
ولقد يكون به الزمان
بخيلا
وإن كان مثله فأبعد
من الذم والفضل
للأول كقول أبى تمام:
لو حار مرتاد المنية
لم يجد
إلا الفراق على النفوس
دليلا
وقول أبى الطيب :
لولا مفارقة الأحباب
ماوجدت
لها المنايا إلى أرواحنا
سبلا
وإن أخذ المعنى وحده
سمى إلماما وسلخا
وقوله : وتقسيما فى أى
احفظ تقسيما تقدم آنفا
وهو ثلاثة أقسام أيضا
وأمثلتها بالأصل قال :
[السرقة الخفية]
[وماسوى الظاهر أن
يغيرا
معنى بوجه ما ومحمودا
يرى
لنقل او خلط شمول
الثانى
وقلب أو تشابه المعانى أحواله بحسب الخفاء * تفاضلت فى الحسن والثناء]

سناه كالبرق إن أبدوا ظلام وغى ... والعزم كالبرق فى (تفريق جمعهم)
ومن (إشارته) فى الحرب كم فهم الـ ... أنصار معنى به فازوا بنصرهم
(توليد) نصرتهم يبدو بطلعته ... ما السبعة الشهب ما توليد رملهم
قالوا طويل نجاد السيف قلت وكم ... لنأوه ألسن (تكنى) عن الكرم
آدابه وعطاياه ورأفته * ... سجية ضمن (جمع) فيه ملتئم
(إيجابه) بالعطايا ليس (يسلبه) ... ويسلب المنّ منه سلب محتشم
هداه (تقسيمه) حالى به صلحت ... حيا وميتا ومبعوثا مع الأمم
(أوجز) وسل أول الأبيات عن مدح ... فيه وسل مكة ياقاصد الحرم
بالحجر ساد فلا ندّ (يشاركه) ... حجر الكتاب المبين الواضح اللقم
(تصريع) أبواب عدن يوم بعثهم ... يلقاه بالفتح قبل الناس كلهم
فلا (اعتراض) علينا فى محبته ... فهو الشفيع ومن يرجوه يعتصم
وما لنا من رجوع عن حماه بلى ... لنا (رجوع) عن الأوطان والحشم
(ترتب) الحيوانات السلام له ... والنبت حتى جماد الصخر فى الأكم
محمد أحمد المحمود مبعثه ... كل من الحمد تبيين (اشتقاقهم)
ووصفه لابنه قد جاء تسمية ... فانه حسن حسب (اتفاقهم)
(إبداع) أخلاقه إبداع خالقه ... فى زخرف الشعر فاسجع بها وهم
فالخير (ماثله) والعفو جاوره ... والعدل جانسه فى الحكم والحكم
ألحق بحصر جميع الأنبياء به ... (فالجزء يلحق بالكلى) للعظم
وشم وميض بروق من (فرائده) ... وانظم حنانيك عقدا غير منفصم
يسٓ زادت على لقمان حكمته ... وبان (ترشيحه) فى نٓ والقلم
به العصا أثمرت عزّا لصاحبها ... موسى وكم قدمحت (عنوان) سحرهم
كذا الخليل (بتسهيم) الدعاء به ... أصابهم ونجا من حرّ نارهم
شملى (بتطريز) مدحى فيه منتظم ... ياطيب منتظم فيه ومنتظم *
وآله البحر آل ان يقس بندى ... كفوفهم فافهموا (تنكيت) مدحهم
وفى الوغى (رادفوا) السن القنا اسكتنا ... من العدا فى محل النطق بالكلم
(وأودعوا) للثرى أجسامهم فشكت ... شكوى الجريح إلى العقبان والرخم
والبعض ماتوا من (التوهيم) واطرحوا ... والسمر قد قبلتهم عند موتهم
وكلما (ألغزوه) حله لسن ... مذ طال تعقيده أزرى بفهمهم
وقدّه (باختراع سالم) ألف ... يبدو بترويسه من رأس كل كمى
وصحبه بالوجوه البيض يوم وغى ... كم (فسروا) من بدور فى دجى الظلم
ذكراه يطربهم والسيف ينهل من ... أجسامهم لم يشن (حسن اتباعهم)
كأنما الهام أحداق مسهدة ... ونومها (واردنه) فى سيوفهم
هذا وتزداد (إيضاحا) مخافتهم ... فى كل معترك من بطش ربهم
ما العود إن فاح نشرا أو شذا طربا ... يوما بأطيب من (تفريع) وصفهم
من ذا (يناسقهم) من ذا يطابقهم ... من ذا يسابقهم فى حلبة الكرم

(تعديد)

أقول : هذا هو القسم الثانى وهو السرقة الخفية وهو أن يغير المعنى بوجه لطيف بحيث لايظهر أنه مسروق إلا بعد تأمل وهو محمود وتغيير المعنى من وجوه : منها نقله وهو أن ينقل المعنى إلى محل آخر كقول البحترى :

سلبوا وأشرقت الدماء عليهم ... محمرّة فكأنهم لم يسلبوا

وقول أبى الطيب :

يبس النجيع عليه وهو مجرد ... من غمده فكأنما هو مغمد

ومنها أن يضاف إلى المعنى مايحسنه وهو المراد بالخلط كقول الأفوه :

وترى الطير على آثارنا ... رأى عين ثقة أن ستمار

وقول أبى تمام :

وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى ... بعقبان طير فى الدماء نواهل

أقامت على الرايات حتى كأنها ... من الجيش إلا أنها لم تقاتل

ومنها أن يكون معنى الثانى أشمل كقول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم ... وجدت الناس كلهم غضابا

وقول أبى نواس :

(تعديد) فضلهم يبدى لسامعه ... علما وذوقا وشوقا عند ذكرهم
نعم وقد طاب تعليل النسيم لنا ... لأنه مرّ فى آثار تربهم
(تعطف) الخير كم أبدوا لمذنبهم ... والخير مازال فى أبواب صفحهم
يحمون (مستتبعين) العفو إن ظفروا ... ويحفظون وفاهم حفظ دينهم
(طاعاتهم) تقهر (العصيان) قدرهم ... له العلوّ فجانسه بمدحهم
(فى معرض الذم) إن رمت (المديح) فقل ... لاعيب فيهم سوى إكرام وفدهم
هم معشر (بسطوا) جودا سقاه حيا ... وأخصب العيش فى أكناف أرضهم
نور القبائل ذو النورين ثالثهم ... وللمعال (اتساع) فى عليهم
(جمعت مؤتلفا) فيهم (ومختلفا) ... مدحا وقصرت عن أوصاف شيخهم
(تعريض) مدح أبى بكر يقدمنى ... فى سبق حليهم مع موصليهم
ثم (ترصع) شعرى واعتلت هممى ... وكم ترفع قدرى وانجلت غممى
(سجعى) ومنتظمى قد أظهرا حكمى ... وصرت كالعلم فى العرب والعجم
(تسميط) جوهره يلفى بأبحره ... ورشف كوثره يروى لكلّ ظمى
لأن مدح رسول الله (ملتزمى) ... فيه ومدح سواه ليس من لزمى
إذا (تزاوج) ذنبى وانفردت له ... بالمدح فزت ونجانى من النقم
ورّيت فى كلمى (جزأت) من قسمى ... أبديت من حكمى جليت كلّ عمى
لى فى المعانى جنود فى البديع وقد ... (جردت) منها لمدحى فيه كلّ كمى
وهو (المجاز) إلى الجنات إن عمرت ... أبياته بقبول سابغ النعم
(تألف اللفظ والمعنى) بمدحته ... والجسم عندى بغير الروح لم يقم
(واللفظ والوزن) فى أوصافه (ائتلفا) ... فما يكون مديحى غير منسجم
(والوزن) صح (مع المعنى تآلفه) ... بمدحه فأتى بالدرّ فى الكلم
(واللفظ باللفظ) فى التأسيس مؤتلف ... فى كلّ بيت بسكان البديع سمى
(تمكين) سقمى بدا من خيفة حصلت ... لكن مدائحه قد أبرأت سقمى
وقد أمنت وزال الخوف (منحذفا) ... نحو العدوّ ولم أحقر ولم أضم
واخضر أسود عيشى حين (دبجه) ... بياض حظى ومن زرق العداة حمى
وقلت يا ليت قومى يعلمون بما ... قد نلت كى يلحظونى (باقتباسهم)
يارب (سهل طريقى) فى زيارته ... من قبل أن تعترينى شدّة الهرم
حتى يبث بديعى فى محاسنه ... (حسن البيان) وأشدو فى حجازهم
قدعز (إدماج) شوقى والدموع لها ... على بهار خدودى صبغة العنم
فان أقف غير مطرود بحجرته ... لم (أحترس) بعدها من كيد مختصم
وفى (براعة) ما أرجوه من طلب ... إن لم أصرّح فلم أحتج إلى الكلم
قد صحّ (عقد) بيانى فى مناقبه ... وإن منه لسحرا غير سحرهم
تمت (مساواة) أنواع البديع به ... لكن تزيد على ما فى بديعهم
حسن ابتدائى به أرجو التخلص من ... نار الجحيم وأرجو (حسن مختتمى)

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد ومنها القلب وهو أن يكون معنى الثانى نقيض معنى الأول كقول أبى الشيص :

أجد الملامة فى هواك لذيذة
حبا لذكرك فليلمنى اللوم

وقول أبى الطيب :

أأحبه وأحب فيه ملامة
إن الملامة فيه من أعدائه

ومنها أن يتشابه المعنيان كقول جرير :

فلا يمنعك من أرب لحاهم
سواء ذو العمائم والخمار

وقول أبى الطيب :

ومن فى كفه منهم قناة
كمن فى كفه منهم خضاب

ثم إن تفاضل السرقة فى الحسن والقبول بحسب مراتب الخفاء فكلما كانت أشد خفاء كانت أقرب للقبول ولابد من العلم بأن الثانى أخذ من الأول إما باخباره عن نفسه أو بغير ذلك لجواز أن يكون الاتفاق من قبيل توارد الخاطر أى مجيئه على سبيل الاتفاق من غير قصد إلى الأخذ فاذا لم يعلم أن الثانى أخذ من الأول قيل قال فلان كذا وسبقه إليه فلان فقال كذا! ليغتنم فكالأول

خاتمة فى السرقات الشعرية وما يتصل بها

[إن قائلان اتفقا فى الغرض ... على العموم فكلاهما ارتضى
كالوصف بالسخاء والشجاعة ... ولا يعد سرقة للعادة
أو فى الدلالة عليه كالمجاز ... وهيئة تخص من للوصف حاز
كوصفه الجواد بالتهلل ... لطالب والقبض للمبخل
فان يكن مقررا كالبطل ... بأسد فحكمه كالأول
أولا ففيه السبق كالزيادة ... قد يدعى فمنه ذو غرابة
فى أصله ومنه ذو ابتذال ... أغرب به الحسن فى الاستعمال
فسم بالابداع ما قد اخترع ... من المعانى ليس قبله صنع
أوسمه سلامة اختراع ... وذلك الشامل للأنواع
وسم ذا الشهرة مع إغراب ... بالطرفة النوادر الاغراب
والأخذ والسرقة ظاهر ولا ... فالظاهر الأخذ لمعنى كملا
مع لفظه أو بعضه أو دونه ... فذاك محض سرقة يدعونه
والانتحال النسخ ليس يقبل ... كذا إذا بردفه قد يبدل
وأخذ بعض اللفظ بالتغيير سم ... إغارة والمسخ ثم ذا قسم
فان يكن أبلغ لاختصاصه ... لنكتة فامدحه لاقتصاصه
أو دونه ذم وإن تساويا ... أبعد عن ذم وفضل باديا
أو أخذ المعنى فقط فالمام ... والسلخ وهو ذو الثلاثة الأقسام
وغير ذى الظهور كالتشابه ... فى المعنيين حين قد أتى به
أو لمحل آخر قد نقلا ... أو لنقيض أو يكون أشملا
أو أخذ البعض وزاد حسنا ... وكل ذا يقبل حيث عنا
بل ربما أحسن فى التصرف ... فصار كالمبدع لا كالمقتفى
وكلما كان أشد فى الخفا ... فهو إلى القبول أقرب اقتفا
هذا إذا يعلم أن الثانى ... قد اقتفى الأول فى المعانى
إذ جاز أن يكون من توارد ... الخاطرين لا بقصد وارد
وعند فقد العلم قل قال كذا ... وغيره سبقه أو نحو ذا]

هذه خاتمة للبديع فقط دون الفنين قبله كما صرح بذلك فى الايضاح يذكر فيها أشياء تعرض لها المصنفون فى علم البديع مثل السرقات المقبولة والاقتباس والتضمين وبراعات الاستهلال والتخلص والانتهاء وما أشبه ذلك ، فاذا اتفق القائلان فان كان فى الغرض على العموم كالوصف بالشجاعة والسخاء وحسن الوجه فلا يعد هذا الاتفاق سرقة ولا استعانة ولا أخذا ونحو ذلك لتقرر هذا الغرض العام فى العقول والعادات واشتراك الناس فيه وإن كان الاتفاق على وجه الدلالة على الغرض كالمجاز والتشبيه والكناية وذكر هيئات تدل على الصفة لاختصاص تلك الهيئات بمن ثبتت له تلك الصفات كوصف الجواد بالنهار عند ورود قاصديه والبخيل بالعبوس عند ذلك ، فان اشترك الناس فى معرفة ذلك الوجه لاستقراره فى العقول والعادات كتشبيه الشجاع بالأسد والجواد بالبحر

بذلك فضيلة الصدق. قال : [الاقتباس] [الاقتباس أن يضمن الكلام
قرآنا اوحديث سيد الأنام
والاقتباس عندهم ضربان
محوّل وثابت المعانى
وجائز لوزن او سواه
تغيير نزر اللفظ لامعناه]

أقول : الاقتباس فى الاصطلاح تضمين الكلام نثرا أو نظما شيئا من القرآن أوالحديث لاعلى أنه منه كقول الحريرى . فلم يكن إلا كلمح البصر أوهو أقرب حتى أنشدفأغرب ، وقول الآخر :

إن كنت أزمعت على هجرنا
من غير ماجرم فصبر جميل
و إن تبدلت بنا غيرنا
فحسبنا الله ونعم الوكيل

وقول الحريرى : قلنا شاهت الوجوه وقبح اللكع ومن يرجوه

وقول ابن عباد :

قال لى إن رقيبى
سيء الخلق فداره
قلت دعنى وجهك الجنـ
ـة حفت بالمكاره

وهوضربان مالم ينتقل فيه المقتبس عن معناه الأصلى كما تقدم وهو المراد بثابت المعانى وخلافه وهو المراد بالمحوّل أى مانقل فيه المقتبس عن معناه الأصلى كقوله :

فكالأول أيضا لايعد سرقة ولا أخذا و إن لم يشترك الناس فى معرفته جاز أن يدعى فيه السبق والفاضل بالزيادة والنقص والكمال وعدمه وذلك ضربان : أحدهما خاص فى نفسه غريب . والآخر عام تصرف فيه بما أخرجه من الابتذال إلى الغرابة كما مر فى التشبيه والاستعارة فأما ما اخترع من المعانى ولم يسبق إليه فانه يسمى بالابداع كما بينته من زيادتى وهو بباء موحدة سماه بذلك الطيبى وغيره وسماه أهل البديعيات سلامة الاختراع ومنه قول ابن الرومى فى تشبيه الرقاقة .

لم أنس لا أنس خبازا مررت به ... يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها فى كفه كرة ... و بين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بمقدار ما تنداح دائرة ... فى صفحة الماء يلقى فيه بالحجر

فهو من مخترعاته التى لم يسبق إليها وجعلوا الابداع اسما لما اجتمع فيه عدة من أنواع البديع كقوله تعالى — وقيل يا أرض ابلعى ماءك — الآية ، فان فيه المناسبة التامة بين أقلعى وابلعى والمطابقة بين الأرض والسماء والمجاز فى و ياسماء والمراد مطر السماء والاستعارة فى أقلعى والاشارة فى وغيض الماء فانه عبر به عن معان كثيرة والتمثيل فى وقضى الأمر والارداف فى واستوت على الجودىّ والتعليل لأن غيض الماء علة الاستواء وصحة التقسيم إذا استوعب أقسام أحوال الماء حال نقصه والاحتراس فى وقيل بعدا للقوم الظالمين لئلا يظنّ أن الهلاك عم الظالم وغيره والمساواة لأن لفظ الآية لايزيد على معناها وحسن النسق لأنه تعالى قصّ القصة وعطف بعضها على بعض بحسن ترتيب وائتلاف المعنى لأن كل لفظة لايصلح معها غيرها و إيجاز الحصر لأنه قصّ القصة مستوفية بأقصر عبارة والتسهيم لأن أوّل الآية يفهم آخرها والانسجام وحسن البيان والتمكين لأن الفاصلة مستقرة فى محلها والتهذيب ومجموع ذلك هو الابداع .وأما أخذ المعنى المشهور مع التصرف بما يحسنه و يقربه فيسمى الاغراب والطرفة والنوادر كقول القاضى الفاضل :

تراءى ومرآة السماء صقيلة ... فأثر فيها وجهه صورة البدر

فانّ تشبيه الوجه بالبدر مشهور ، ولكن زيادة هذه النادرة الغريبة أخرجته إلى حدّ الاغراب فقولى فى النظم فسم بالابداع البيت والبيتان بعده من زيادتى . وأما الأخذ والسرقة فضربان . أحدهما ظاهر وهو أن يأخذ المعنى كله فان كان بلفظه كله من غير تغيير فهو مذموم جدا لأنه محض سرقة ويسمى نسخا أوانتحالا كما حكى أنّ عبد الله بن الزبير دخل على معاوية فأنشده قول معن بن أوس:

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته ... على طرف الهجران إن كان يعقل
و يركب حد السيف من أن تضيمه ... إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

فقال له معاوية لقدشعرت بعدى ولم يفارق عبد الله المجلس حتى دخل معن فأنشده لاميته التى أوّلها :

لعمرك ما أدرى و إنى لأوجل ... على أينا تعدو المنية أوّل

وفيها البيتان السابقان فقال معاوية لابن الزبير ماهذا يا أبا خبيب فقال هو أخى من الرضاعة وأنا أحق بشعره ومثله أن يبدل بالكلمات مايرادفها كما قال المتنبى :

لبسن الوشى لا متجملات ... ولكن كى يصنّ به الجمالا

فقال الصاحب : لبسن برود الوشى لا لتجمل ... ولكن لصون الحسن بين برود

و إن كان مع تغيير وأخذ بعض اللفظ لا كله سمى إغارة ومسخا وهو أقسام لأنه إما أن يكون الثانى أبلغ من الأول لاختصاصه بفضيلة كحسن السبك أو الاختصار أوالايضاح أو زيادة معنى أو عذوبة

يسير للوزن أوغيره وهو مراده بالنزر كقوله :
قد كان ماخفت أن يكونا
إنا إلى الله راجعونا
وقوله لا معناه أى لايجوز تغيير معنى اللفظ . قال :

[التضمين والحل والعقد]

[والأخذ من شعر بعزو ماخفى
تضمينهم وما على الأصل يفى
لنكتة أجمله واغتفرا
يسير تغيير ومامنه يرى
بيتا فأعلى باستعانة عرف
وشطرا أودنى بإبداع ألف]

أقول : التضمين اصطلاحا أن يضمن الشعر شيئا من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورا عند البلغاء كقوله :
على أنى سأنشد يوم بيعى
أضاعونى وأى فتى أضاعوا
وأحسنه ما زاد على الأول لنكتة كالتورية والتشبيه فى قوله :
إذا الوهم أبدى لى لماها وثغرها
تذكرت ما بين العذيب و بارق   ويذكرنى من قدها ومدامعى
مجر عوالينا ومجرى السوابق

ونقله

لفظ أوتمكين قافية أوتتميم نقص أوأدون أومساويا فالأول ممدوح كما قال بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته   وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فقال سلم بعده :

من راقب الناس مات غما   وفاز باللذة الجسور

فأجاد السبك وأوجز ، والثانى مذموم كما قال أبو تمام :

هيهات لايأتى الزمان بمثله   إن الزمان بمثله لبخيل

فقال المتنبى بعده :

أعدى الزمان سخاؤه فسخا به   ولقد يكون به الزمان بخيلا

فبيت أبى تمام أجود سبكا لأن المتنبى احتاج إلى أن وضع يكون موضع كان . والثالث أبعد من الذم والفضل للأول كما قال أبو تمام .

لوحار مرتاد المنية لم يجد   إلا الفراق على النفوس دليلا

وقال بعده المتنبى :

لولا مفارقة الأحباب ماوجدت   لها المنايا إلى أرواحنا سبلا

فإنهما سواء ، وإن كان الأخذ للمعنى فقط دون شىء من اللفظ سمى إلماما وسلخا لأنه ألم بالمعنى أى قصد إليه وسلخ اللفظ الذى هو كالجلد وألبسه غيره ، وهو ينقسم إلى الثلاثة السابقة فالأبلغ كقول أبى تمام :

هو الصنع إن تعجل فخير و إن ترث   فللريث فى بعض المواضع أنفع

وقول المتنبى : ومن الخير بطء سيبك عنى   أسرع السحب فى المسير الجهام

فإن الثانى أبلغ بزيادة التشبيه بالسحب والأدون كقول البحترى :

وإذا تألق فى الندى كلامه الـ   ـمصقول خلت لسانه من عضبه

وقول المتنبى : كأن ألسنهم فى النطق قد جعلت   على رماحهم فى الطعن خرصانا

فالأول أبلغ لما فى التألق والصقالة من الاستعارة التخييلية فإنها للكلام كالأظفار للمنية ولزم منه تشبيه كلامه بالسيف وهو استعارة بالكناية والمساوى كقول الأعرابى :

ولم يك أكثر الفتيان مالا   ولكن كان أرحبهم ذراعا

وقول أشجع : وليس بأوسعهم فى الغنى   ولكن معروفه أوسع

الضرب الثانى : أخذ غير ظاهر وهو أنواع . منها أن يتشابه المعنيان معنى الأول والثانى كقول جرير : فلا يمنعك من أرب لحاهم   سواء ذو العمامة والخمار

وقول المتنبى : ومن فى كفه منهم قناة   كمن فى كفه منهم خضاب

فكل من البيتين دل على عدم المبالاة بالرجال إلا أن الأول دل على مساواة النساء للرجال ، والثانى على تشبيه الرجال بالنساء فهو معنى غير المعنى الأول ، والأول أبلغ منه لما تقدم من أن التشابه أبلغ من التشبيه ، ومنها أن ينقل المعنى إلى محل آخر ويسمى التوليد كقول البحترى :

سلبوا وأشرقت الدماء عليهم   محمرة فكأنهم لم يسلبوا

وقول المتنبى : يبس النجيع عليه وهو مجرد   من غمده فكأنما هو مغمد

نقل المعنى من القتلى والجرحى إلى السيف ، ومنها أن يكون معنى الثانى نقيض معنى الأول وسموه بالعكس والتبديل . قال الشيخ بهاء الدين ، والأولى أن يسمى تخصيص المعنى المشهور

ونقله فى كنز البراعة كقوله :

أجد الملامة فى هواك لذيذة حبا لذكرك فليلمنى اللوم

وقول المتنبي : أأحبه وأحب فيه ملامة إن الملامة فيه من أعدائه

فان الثانى نقيض الأول فانه نفى حب الملامة بهمزة الانكار ، والأول صرح بحبها ، ومثله فى كنز البراعة بقوله : وربما فات قوما جل أمرهم من التأنى وكان الحزم لوعجلوا

ومنها أن يكون معنى الثانى أشمل من الأول كقول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم وجدت الناس كلهم غضابا

وقول أبى نواس : ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

فالثانى أشمل لشموله للناس وغيرهم ، ومنها أن يأخذ بعض المعنى ويزيده حسنا باضافته إليه مايحسنه كقول الأفوه :

وترى الطير على آثارنا رأى عين ثقة أن ستمار

وقول أبى تمام :

وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى بعقبان طير فى الدماء نواهل

أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش إلا أنها لم تقاتل

فان أبا تمام لم يلم بشىء من معنى قول الأفوه رأى عين الدال على قربها ولاقوله ثقة أن ستمار الدال على وثوق الطير بالميرة لاعتيادها ذلك ، وهو مما يؤكد المقصود لكن زاد بقوله إلا أنها لم تقاتل و بقوله فى الدماء نواهل و باقامتها مع الرايات حتى كأنها من الجيش و بهذا يتم حسن قوله إلا أنها لم تقاتل لأنه لايحسن الاستثناء إلابعد أن تجعل مقيمة مع الرايات معدودة مع الجيش حتى كأنها من المقاتلين وكل هذه الأنواع من الضرب الثانى مقبولة لما فيها من نوع تفرق ويسمى ذلك حسن الاتباع ، ومنها مايخرجه حسن التصرف من قبيل الاتباع إلى حيز الابتداع ويسمى ذلك بالاحتذاء كمن يقطع من الأديم نعلا على قياس نعل صاحبه وكلما كان أشد فى الخفاء كان أقرب إلى القبول هذا المذكور كله إذاعلم أن الثانى أخذ من الأول باقراره بذلك أونحوه و إلافلايحكم بشىء من ذلك لجواز أن يكون الاتفاق فى اللفظ أو المعنى من قبيل توارد الخواطر ومجيئه على سبيل الاتفاق من غير قصد إلى الأخذ كما جرى لامرىء القيس وطرفة بن العبد فى البيت الذى فى معلقتيهما وهو :

وقوفا بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل

وقال طرفة وتجلد فلما تنافسا فى ذلك أحضر طرفة خطوط أهل بلده فى أى يوم نظم البيت فكان اليوم الذى نظما فيه واحدا وقد كنت قلت قصيدة مطلعها :

أما لهذا الهم من آخر أما لهذا الكسر من جابر

أما لمن طال به حزنه من عاضد بين الورى ناصر

فرأيتها بعد ذلك فى التبيان وما كان من هذا النوع بأن لم يعلم أن الثانى أخذ من الأول يقال فيه قال فلان كذا وسبقه إليه فلان فقال كذا اتباعا للصدق وسلامة من الحكم بغير علم :

فصل فيما يتصل بالسرقات

[من ذاك الاقتباس أن يضمنا من القرآن والحديث ماعنى

على طريق ليس منه مثل ما قال الحريرى ولما دهما

[والعقد نظم النثر لابالاقتباس

والحل نثر النظم فاعرف القياس

واشترطوا الشهرة فى الكلام

والمنع أصل مذهب الامام]

أقول : العقد هو نظم النثر لاعلى طريق الاقتباس كقوله :

مابال من أوله نطفة وجيفة آخره يفخر

عقد قول على رضى الله عنه : وما لابن آدم والفخر وإنما أوله نطفة وآخره جيفة وأما الحل فهوأن ينثر النظم كقول بعض المغاربة : فانه لماقبحت فعلاته وحنظلت نخلاته لم يزل سوء الظن يقتاده ويصدق توهمه الذى يعتاده حل قول أبى الطيب

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه

وصدق مايعتاده من توهم

ويشترط فى الحل والعقد والتضمين أن يكون الكلام مشهورا لئلا يؤدى إلى تهمة فاعله بالكذب والمنع مطلقا مشهورا كان أوغير مشهور مذهب الامام مالك رحمه الله

تعالى . قال : [إشارة لقصة شعر مثل من غير ذكره فتلميح كمل] أقول : التلميح الاشارة إلى قصة أوشعر أومثل من

إشارة إلى قصة يوشع عليه السلام واستيقافه للشمس وكقوله : لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظى أرق وأحنى منك فى ساعة الكرب إشارة إلى البيت المشهور المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار وكقولك لشخص تعجل السيادة والتصدر قبل أوانهما لا تعجل تحرم تشير إلى قولهم من تعجل شيئا قبل أوانه عوقب بحرمانه. قال : [تذنيب فى ألقاب من الفن] [من ذلك التوشيع والترديد ترتيب اختراع او تعديد كالتائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون] أقول : التذنيب جعل الشىء ذنابة للشىء وتكميلا له ، والألقاب الأسماء وما ذكره هنا منه ما يرجع للضرب المعنوى من البديع ومنه ما رجع للفظى ،

قلنا جميعا شاهت الوجوه وقبح المكع ومن يرجوه
فمنه ما لم ينقل المقتبس عن أصله ومنه ماقد يعكس
وربما غير للوزن فلا يضره كقول بعض من خلا
قد كان ماقد خفت أن يكونا إنا إلى الإله راجعونا
قلت وأما حكمه فى الشرع فما لك مشدد فى المنع
وليس فيه عندنا صراحا لكن يحيى النووى أباحه
فى النثر وعظا دون نظم مطلقا والشرف المقرى فيه حققا
جوازه فى الزهد والوعظ وفى مدح النبى ولو بنظم فاقتفى
وتاجنا السبكى جوازه نصر إذا التميمى الجليل قد شعر
وقد رأيت الرافعى استعمله وغيره من صلحاء كمله]

يتصل بالسرقات الشعرية أشياء : منها الاقتباس وهو أن يضمن نثره أو شعره ماوقع فى القرآن أو السنة موزونا لاعلى أنه منه : أى لاعلى وجه يشعر بأنه من القرآن أو السنة بأن يقال فى أثناء الكلام قال الله تعالى أوقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك لا يكون حينئذ اقتباسا ، ثم هو أقسام لأنه إما من القرآن أو الحديث فى النظم أو النثر لم ينقل فيه المقتبس من معناه الأصلى أو نقل و بقى على لفظه أوغير يسيرا للوزن فان ذلك لايضره مثال ما اقتبس من القرآن فى النظم قوله :

إن كنت أزمعت على هجرنا من غير ماجرم فصبر جميل
وإن تبدلت بنا غيرنا فحسبنا الله ونعم الوكيل

وقال شيخنا الشهاب الحجازى الأديب :

يا أخا الرشد إذا جاءك ذوالد ين كن فى الحال من أصحابه
أو يعاند جاحد فى ربنا قل هو الرحمن آمنا به

وقلت :
أيها السائل قوما مالهم فى الخير مذهب
اترك الناس جميعا وإلى ربك فارغب

وقلت :
كم ذا رأيت الدهر من ملك ذى صولة والدهر موقوت
أبدت لهم دنياهم غرورا حتى إذا فرحوا بما أوتوا

وقلت :
عاب إملائى الحديث رجال قد سعوا فى الضلال سعيا حثيثا
إنما ينكر الأمانى قوم لا يكادون يفقهون حديثا

وقلت :
اعبد الله ودع عنك التوانى بالهجود
ومن الليل فسبحه وأدبار السجود

وقلت :
ابك على الذنب فى حياة أقم على نفسك الاغاره
تنج غدا من عذاب نار وقودها الناس والحجاره

وقلت :
إذا قمت لله فى أمره ولم ترع خلا وملكا عجيزا
أثبت عليه ثوابا جزيلا وينصرك الله نصرا عزيزا

وقلت :
لاتسكن ظالما ولاترض بالظلم وأنكر بكل مايستطاع
يوم يأتى الحساب ما لظلوم من حميم ولا شفيع يطاع

وقلت :
أيها المعطون مالا وافرا ثم لا تؤتوا ولا تصدقوا

من ذلك التوشيع وهو ذكر شىء من عجز الكلام مفسرا بمتعاطفين كقوله عليه الصلاة والسلام

إن تصلوا أو تصوموا أو تحجوا لن تنالوا البر حتى تنفقوا

وقلت : قد بلينا فى عصرنا بقضاة يظلمون الأنام ظلما عما
يأكلون التراث أكلا لما ويحبون المال حبا جما

وقلت : أول دنياك دبارا وإذا مارمت تقواه
فأقم وجهك للد ين حنيفا فطرة الله

وقلت : إذا كان عند المرء منا أمانة وهم بجهل أن يخاون صحبه
فلا يتبع النفس الخبيثة وليعد أمانته وليتق الله ربه *

وقلت : طوبى لأهل جنة طيبة لايبتغوا نقلا ولا تحويلا
دانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا

وقلت : وعد الله بالاجابة للسؤ ل فسله وارج خيرا مليا
وإذا أبطأ الجواب فأيقن إنه كان وعده مأتيا

ومثاله فى النثر قول الحريرى : فلم يك إلا كلمح البصر أو هو أقرب حتى أنشد وأغرب ، وقول ابن نباتة فى خطبته : فيا أيها الغفلة المطرقون أما أنتم بهذا الحديث مصدقون ، مالكم لاتشفقون فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ، وقول عبد المؤمن الأصبهانى صاحب طباق الذهب : فمن عاين تلون الليل والنهار لايغتر بدهره ، ومن علم أن الثرى مضجعه لايمزح على ظهره ، فياقوم لا تركضوا خيل الخيلاء فى ميدان العرض ، أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض ، ومثاله من الحديث فى النظم قوله :

دم الشهيد يحكى وردا بخد التركى اللون لون دم والريح ريح المسك

اقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم فى وصف الشهيد «يجاء به يوم القيامة وجرحه يدمى اللون لون الدم والريح ريح مسك» وقول أبى جعفر بن مالك الغرناطى :

لا تعاد الناس فى أوطانهم قلما يرى غريب الوطن
وإذا ماشئت عيشا بينهم خالق الناس بخلق حسن

اقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم لأبى ذر «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن» رواه الترمذى ، ومثاله فى النثر قول الحريرى : فانما الأعمال بالنيات وبها انعقاد العقائد الدينيات ، وقوله أيضا : شاهت الوجوه وقبح اللكع ومن يرجوه ، اقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وقد رمى الكفار بكف من حصباء وقال «شاهت الوجوه» رواه مسلم ، وغالب ماتقدم لم ينقل فيه المقتبس عن معناه ، ومثال مانقل قول ابن الرومى :

لئن أخطأت فى مدحــك ما أخطأت فى منعى لقد أنزلت حاجاتى بواد غير ذى زرع

معناه فى القرآن بواد لاماء فيه ولا نبات ، فنقله إلى جانب لاخير فيه ولا نفع وكل ماتقدم باق على لفظه ، ومثاله ماغير يسيرا قول بعض المغاربة :

قد كان ماخفت أن يكونا إنا إلى الله راجعونا *

وقول شيخنا الشهاب الحجازى :

لاتدع اليتيم يوما وكن فى شأنه كله رءوفا رحيما
أرأيت الذى يكذب بالديــن فذلك الذى يدع اليتيما

وقولى : أعوان أهل الظلم قد زلزلوا بيأسهم قلب الكئيب الكظيم

يشيب ابن آدم ويشب معه خصلتان الحرص وطول الأمل ، ومنه الترديد وهو تعليق الكلمة فى الفقرة أو المصراع بمعنيين نحو حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته كقوله :

صهباء لاتنزل الأحزان ساحتها
إن مسها حجر مسته سراء

ومنه الترتيب ، وهو ترتيب شىء على آخر لنكتة نحو: وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ، ومنه الاختراع وهو الاتيان بتركيب لم يسبق إليه نحو : ولما سقط فى أيديهم لم يسمع قبل نزوله فى القرآن . ومنه التعديد . وهو سوق المفردات دون عطف : كالتائبون العابدون الحامدون السائحون البيت وكحديث الأسماء الحسنى قال :

[تطريز اوتدبيج استشهاد
إيضاح ائتلاف استطراد]

أقول : التطريز اشتمال الصدر على جزءين مخبر عنه ومتعلقه والعجز على الخبر مقيدا بمثله كقوله «التسبيح فى الصلاة نور على نور» والتدبيج أن يكون الكلام فى معرض مدح أو غيره لونان فصاعدا لقصد الكناية أو التورية كقوله :

عليها الليل إلا وقد صارت من ثياب الجنة وكنى بالأول عن القتل وبالثانى عن دخول الجنة والاستشهاد الاستدلال كقوله : كأن بى ركن وثيق وقعت فيه الزلازل زعزعته نوب الدهـ ر وكرات النوازل مابقاء الحجر الصلـ ـد على وقع المعاول الشاهد فى البيت الثالث والايضاح أن يكون فى الكلام خفاء دلالة فيؤتى بكلام يبين المراد ويوضحه كقوله: يذكر فيك الخير والشر كله وقيل الخنا والعلم والحلم والجهل فألقاك عن مذمومها متنزها وألقاك فى محمودها ولك الفضل فالثانى بين المراد بالأول والائتلاف الجمع بين متناسبين لفظا أو معنى نحو : الشمس والقمر بحسبان والاستطراد أن يكون المتكلم فى فن من الفنون ثم يظهر له من آخر مناسبة فيورده ثم يرجع إلى الأول ويقطع الاستطراد كقوله تعالى – وهل أتاك حديث موسى – إلى قوله ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى . قال :

يا أيها الناس اتقوا ربكم زلزلة الساعة شىء عظيم

وقول ابن عباد :

قال لى إن رقيبى سيئ الخلق فداره
قلت دعنى وجهك الـجنة حفت بالمكاره

اقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم «حفت الجنة بالمكاره» رواه مسلم . ثم نبهت من زيادتى على حكم الاقتباس شرعا فان ذلك أمر مهم . فأما المالكية فانهم يبالغون فى تحريمه ويشددون النكير على فاعله حتى إنى أنشدت شيخنا قاضى القضاة محيى الدين بن أبى القاسم الأنصارى عالم الحجاز قول شيخنا الشهاب الحجازى :

مات ابن موسى وهو بحر كامل فهنا كم جمع الملائك مشترك
يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك

وقلت له ماتقول فى هذا . فقال لى : هذا كفر عندنا ، وأما أهل مذهبنا فلم يتعرض له المتقدمون ولا أكثر المتأخرين مع شيوع الاقتباس فى أعصارهم واستعمال الشعراء له قديما وحديثا ، وفى حفظى من كتاب الشعر للشيخ علاء الدين بن العطار أنه نقل فيه عن شيخه الشيخ محيى الدين النووى جواز الاقتباس فى النثر فى الخطب والوعظ ومنعه فى النظم . وقال الشرف إسمعيل ابن المقرى اليمنى ، وهو من شيوخ شيوخنا فى شرح بديعيته ما كان منه فى الخطب والوعظ ومدحه صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه ولو فى النظم فهو مقبول وغيره مردود ، وفى شرح بديعية ابن حجة الاقتباس ثلاثة أقسام : مقبول ، ومباح ، ومردود . فالأول ما كان فى الخطب والمواعظ والعهود . والثانى ما كان فى الغزل والرسائل والقصص . والثالث على ضربين : أحدهما مانسبه الله تعالى إلى نفسه ، ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه كما قيل عن أحد بنى مروان أنه وقع على مطالعة فيها شكاية عماله – إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم – والآخر تضمين آية فى معنى هزل ونعوذ بالله من ذلك كقوله :

أوحى إلى عشاقه طرفه هيهات هيهات لما توعدون
وردفه ينطق من خلفه لمثل ذا فليعمل العاملون

وذكر الشيخ تاج الدين السبكى فى الطبقات فى ترجمة الامام أبى منصور عبد القاهر بن طاهر التميمى البغدادى من كبار الشافعية وأجلائهم أن من شعره قوله :

يامن عدا ثم اعتدى ثم اقترف ثم انتهى ثم ارعوى ثم اعترف
أبشر بقول الله فى آياته * إن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف

وقال استعمال مثل الأستاذ أبى منصور مثل هذا الاقتباس فى شعره فائدة فانه جليل القدر والناس ينهون عن هذا ، وربما أدى بحث بعضهم إلى أنه لايجوز ، وقيل إن ذلك إنما يفعله من الشعراء الذين هم فى كل واد يهيمون ويثبون وثبة من لايبالى ، وهذا الأستاذ أبو منصور من أئمة الدين ، وقد فعل هذا وأسند عنه هذين البيتين الأستاذ الحافظ أبو القاسم بن عساكر . قلت ليس هذان البيتان من الاقتباس لتصريحه بقول الله تعالى ، وتقدم أن ذلك خارج عنه ، وأما أخوه الشيخ بهاء الدين فقال الورع اجتناب ذلك كله وأن ينزه عن مثله كلام الله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وسلم قلت رأيت استعمال الاقتباس لأئمة أجلاء نظما ونثرا منهم القاضى عياض فقد وقع له فى الشفاء مواضع من ذلك ، ومنهم الامام أبو القاسم الرافعى من أجلاء أئمة مذهبنا علما ودينا فقال ، وأنشده فى أماليه ورواه عنه الأئمة الأجلاء :

[إحالة تلويح أو تخييل وفرصة تسميط أو تعليل] أقول الاحالة مصدر أحلته على كذا، وهى قسمان خفية وجلية كقوله تعالى وقد نزل عليكم فى الكتاب إحالة على قوله: وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا الآية وكقوله: وآتينا داود زبورا والاحالة فى الآية الأولى ظاهرة وفى الثانية خفية لما قيل إنها إحالة على قوله ولقد كتبنا فى الزبور الآية لتضمنه تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم. والتلويح الكناية البعيدة التى كثرت فيها الوسائط بين اللازم والملزوم ككثير الرماد. والتخييل ويقال له الابهام وهو أن يذكر لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد البعيد وهو أقسام تسعة مذكورة فى المطولات من أرادها فليرجع إليها. والفرصة استدراجك المخاطب لتأخذه كقولك لمنكر المعاد هل كنت عدما فيقول نعم فتقول هل أنت من ماء مهين فيقول نعم فتقول الذى سواك من ذلك قادر على إعادتك. والتسميط كون بعض أجزاء البيت سجعا وبعضها خلاف الروى كأن يجعل البيت أربع سجعات ثلاث على روى غير روى البيت كقول بعضهم فى بديعيته

الملك لله الذى عنت الوجو ... ه له وذلت عنده الأرباب
متفردا بالملك والسلطان قد ... خسر الذين تجاذبوه وخابوا
دعهم وزعم الملك يوم غرورهم ... فسيعلمون غدا من الكذاب

وروى البيهقى فى شعب الايمان عن شيخه أبى عبد الرحمن السلمى قال أنشدنا أحمد بن محمد بن مزيد لنفسه:

سل الله من فضله واتقه ... فان التقى خير ما تكتسب
ومن يتق الله يجعل له ... ويرزقه من حيث لا يحتسب

وقال شيخ الشيوخ الحموى:

إن دمعت عينى فمن أجلها ... تبكى على حال من لا بكى
أوقعنى إنسانها فى الهوى ... ويا أيها الانسان ما غرك

وقال الشيخ زين الدين ابن الوردى:

إنسان عينى كم سها وكم بكى ... يا أيها الانسان إنك كادح

وقال شيخ الاسلام أبو الفضل بن حجر:

خاض العواذل فى حديث مدامعى ... لما رأوا كالبحر سرعة سيره
فحبسته لأصون سر هواكم ... حتى يخوضوا فى حديث غيره

وقال أيضا: يامعشر التجار أموالكم ... أدوا زكاتها ولا تكابروا
من قبل أن تصيبكم قارعة ... لأنكم ألهاكم التكاثر

وذكر الشريف تقى الدين الحسينى أنه نظم قوله:

مجاز حقيقتها فاعبروا ... ولا تعمروا هونوها تهن
وما حسن بيت له زخرف ... تراه إذا زلزلت لم يكن

ثم توقف لكونه استعمل هذه الألفاظ القرآنية فى الشعر فجاء إلى شيخ الاسلام تقى الدين بن دقيق العيد ليسأله عن ذلك فأنشده إياهما، فقال له قل وما حسن كهف، فقال ياسيدى أفدتنى وأفتيتنى.

[ومنه تضمين بأن يضمنا ... من شعر غيره وأن يبينا
ذلك إن لم يشتهر عند أولى ... بلاغة والحسن فيه أن يلى
لنكتة ليست هناك ثم لا ... يضر تغيير فبيت كملا
سم استعانة وللمصراع ... فدونه بالرفو والايداع
قلت فان من نظمه قد جعله ... فذاك تفضيل بصاد مهمله]

التضمين أن يضمن شعره شيئا من شعر الغير مع التنبيه على أنه من شعر الغير إن لم يكن مشهورا عند البلغاء لئلا يتهم بالأخذ والسرقة وإلا فلا حاجة إليه، والأحسن فى ذلك أن يزيد على الأصل بنكتة لا توجد كالتورية والتشبيه فى قوله:

إذا الوهم أبدى لى لماها وثغرها ... تذكرت ما بين العذيب وبارق
ويذكرنى من قدها ومدامعى ... مجر عوالينا ومجرى السوابق

فان المصراعين الأخيرين مضمنان من قصيدة للمتنبى. وقال صاحبنا الشهاب المنصورى:

إليك اشتياقى يا كنافة زائد ... فمالى غنى عنك كلا ولاصبر
فلازلت أكلى كل يوم وليلة ... ولازال منهلا بجرعائك القطر

حكم فيقدم عليه ذكر علة وقوعه كقول الصفى الحلى فى بديعيته :

لهم أسام سوام غير خافية
من أجلها صار يدعى الاسم بالعلم . قال :

[تحلية ونقل او تختم
تجريد استقلال او تهكم]

أقول : التحلية عقد نثر القرآن أوالحديث بزيادة على ألفاظهما فهى نوع من العقد كقوله :

الحمد لله منا باعث الرسل
أهدى بأحمدنا أحمد السبل

عقد قوله تعالى ــ لقد منّ الله على المؤمنين ــ الآية وقول الآخر :

ما بال من أوله نطفة
وآخره جيفة يفخر

عقد قوله صلى الله عليه وسلم « وما لابن آدم والفخر وانما أوله نطفة وآخره جيفة والنقل قريب من التحلية لأنه عقد لا يكون فيه شىء زائد عن لفظهما بل يكون كله فى ترجمة أخرى . والتختم عقد قرآن أو حديث اشتملا على شىء من لفظهما كقوله . وبدت لنا البغضاء من أفواههم وصدورهم فيها أذى وحقود

ضمن المصراع الثانى من قوله :

ألا يا اسلمى يا دارمى على البلا ولا زال منهلا بجرعائك القطر

ومما ورد فيه التنبيه قول الحريرى :

على أنى سأنشد عند بيعى أضاعونى وأىّ فتى أضاعوا

ضمن المصراع الثانى من بيت العرجى وتمامه * ليوم كريهة وسداد ثغر * ولا يضرّ فيه تغيير يسير كقوله فى يهودى به داء الثعلب متهكما :

أقول لمعشر غلطوا وغضوا من الشيخ الرشيد وأنكروه
هو ابن جلا وطلاع الثنايا متى يضع العمامة تعرفوه

غير من التكلم إلى الغيبة ، وتضمين البيت كاملا يسمى استعانة لأنه استعان بشعر غيره والمصراع فما دونه يسمى رفوا و إيداعا لأنه رفاشعره بشعر الغير وأودعه إياه . ثم نبهت من زيادتى على نوع يشبه التضمين هوالتفصيل بصاد مهملة وهو أن يضمن شعره مصراعا من نظم له سابق ، وحسنه التمهيدله والتوطئة ، وصرفه عن ذلك المعنى الذى وضع له أولا .

[ومنه عقد نظم نثر لا على طريق الاقتباس مماقد خلا]

العقد أن ينظم نثرا قرآنا أو حديثا أو مثلا أوغير ذلك لا على طريق الاقتباس بأن يقع تغيير كثير و يشير إلى أنه من القرآن أو الحديث وماأظنّ فى جواز ذلك خلافا فلا زالت الأئمة عليه فمن عقد القرآن قوله كما فى الايضاح :

أنلنى بالذى استقرضت حظا وأشهد معشرا قد شاهدوه
فان الله خلاق البرايا عنت لجلال هيبته الوجوه
يقول إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه

قلت بهذا يعلم أن بيتى أبى منصور السابقين عقد لا اقتباس ، ومنه قول ابن النبيه فى الملك الصالح :

دمياط طور ونار الحرب مؤنسة وأنت موسى وهذا اليوم ميقات
فاطرح عصاك تلقف كل ماصنعوا ولا تخف ما حبال القوم حيات

ومن عقد الحديث قول أبى الحسن طاهر بن معوذ الأشبيلى ومن نسبه للشافعى فقد غلط :

عمدة الدين عندنا كلمات أربع قالهن خير البريه
اتق الشبهات وازهد ودع ما ليس يعنيك واعملن بنيه

عقد حديث « إنما الأعمال بالنيات والحلال بين والحرام بين و بينهما مشتبهات » الحديث رواهما الشيخان « وازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس » رواه ابن ماجه «ومن حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه» رواه الترمذى وقول شيخ الاسلام أبى الفضل بن حجر :

إن من يرحم أهل الأرض قد آن أن يرحمه من فى السما
فارحم الخلق جميعا إنما يرحم الرحمن منا الرحما

وقوله :

من خير ما يتخذ الانسان فى دنياه كيما يستقيم دينه
قلبا شكورا ولسانا ذاكرا وزوجة صالحة تعينه

عقد حديث «ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة صالحة تعينه على أمر الآخرة» حسنه الترمذى . ومن عقد الأثر قول أبى العتاهية :

ما بال من أوله نطفة وجيفة آخره يفخر

عقد

عقد قول على رضى الله تعالى عنه وما لابن آدم والفخر إنما أوله نطفة وآخره جيفة ، ومن عقد المثل والحكمة قول أبى الطيب :

يراد من القلب نسيانكم   وتأبى الطباع على الناقل

عقد قول بعضهم روم نقل الطباع من ردىء الأطماع شديد الامتناع وقول الآخر :

ألم تر أن المرء تزرى يمينه   فيقطعها عمدا ليسلم سائره

عقد قول حكيم وقد سئل لم قطعت أخاك وهو شقيقك . قال : إنى لأقطع العضو النفيس من جسدى إذا فسد :

[وضده الحل وتلميح بأن   لقصة يشير أو شعر يعن

قلت كذا قدم ميما وانتقد   وشبه العنوان فافهم ما قصد]

الحل ضد العقد فهو نثر النظم قال فى الايضاح وشرط كونه مقبولا أمران : أن يكون سبكه مختارا لا يتقاعد عن سبك أصله وأن يكون حسن الموقع مستقرا فى محله غير قلق كقول بعض المغاربة فانه لما قبحت فعلاته وحنظلت نخلاته لم يزل سوء الظن يقتاده و يصدق توهمه الذى يعتاده حل قول أبى الطيب :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه   وصدّق ما يعتاده من توهم

وقال آخر : العيادة سنة مأجورة ومكرمة مأثورة ، ومع هذا فنحن المرضى ونحن العواد وكل وداد لا يدوم على ذلك فليس بوداد حل قول القائل :

إذا مرضنا أتيناكم نعودكم   وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

وأما التلميح فذكره فى التلخيص بتقديم الميم على اللام كذا رأيته بخطه وهو غلط نبه عليه الشراح لأن ذلك من الملاحة وهو فى باب التشبيه والاستعارة وأما الذى هنا فبتقديم اللام من لمحه إذا نظر إليه وهو أن يشير فى الكلام إلى قصة أو شعر أو مثل من غير ذكره فالأول كقوله :

فردت علينا الشمس والليل راغم   بشمس لهم من جانب الخدر تطلع

فوالله ما أدرى أأحلام نائم   ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع

وصف لحوقه بالأحبة المرتحلين وطلوع الشمس بوجه الحبيب من جانب الخدر فى ظلمة الليل ، ثم استعظم ذلك واستغرب وتجاهل تحيرا وقال أهذا حلم أراه فى النوم أم كان فى الركب يوشع فرد الشمس إشارة إلى قصة يوشع واستبقائه الشمس حين قاتل الجبارين يوم الجمعة وخاف أن تغيب فيدخل السبت فلا يحل له قتالهم فدعا الله تعالى فأوقفها له حتى فرغ وقول الآخر فى مليح اسمه بدر :

يابدر أهلك جاروا   وعلموك التجرى   وقبحوا لك وصلى

وحسنوا لك هجرى   فليفعلوا ما أرادوا   فانهم أهل بدر

أشار إلى قوله صلى الله عليه وسلم فى قصة حاطب وقد سأل عمر قتله «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم» . والثانى كقوله :

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظى   أرق وأحفى منك فى ساعة الكرب

أشار إلى البيت المشهور وهو قوله :

المستجير بعمرو عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار

والثالث كقوله :

من غاب عنكم نسيتموه   وقلبه عندكم رهينه

والتجريد نفى الملزوم لانتفاء اللازم كقوله تعالى لا يسألون الناس إلحافا : أى لا يكن منهم سؤال فلا يكون إلحاف . والاستقلال كناية عن جملة فى معناها جمل كجمل الآى كقوله :

وصالكم صد وحبكم قلى   ونصحكم غش وصلحكم حرب

والتهكم إبراز صورة المقصود فى سورة ضد استهزاء نحو : ذق إنك أنت العزيز الكريم . مقتضى الظاهر إنك أنت الذليل المهان قال :

[تعريض او الغاز ارتقاء   تنزيل او تأنيس او إيماء]

أقول : التعريض أن يميل باللفظ إلى جانب يفهم منه المقصود لا من جهة الوضع الحقيقى ولا المجازى بل من عرض اللفظ أى جانبه كقول السائل لمن يتوقع منه صدقة إنى محتاج . والالغاز تعمية المراد : أى تغطيته والانتقاء الانتقال من الأدنى إلى الأعلى فى الوجه المراد نحو لا أبالى بالوزير ولا بالسلطان والتنزيل عكس الترقى نحو هذا الأمر لا يعجز السلطان ولا الوزير . والتأنيس تقديم ما يؤنس المخاطب قبل إخباره بمكروه والايماء عند السكاكى الكناية القليلة الوسائط دون

أظنكم فى الوفاء ممن   صحبته صحبة السفينه

ثم نبهت من زيادتى على نوع آخر يسمى العنوان وهو شبيه بالتلميح وهو أن يأخذ المتكلم فى غرض له من وصف أو فخر أو مدح أو ذم أو غير ذلك ، ثم يأتى لقصد تكميله بألفاظ تكون عنوانا لأخبار متقدمة وقصص سالفة كقوله :

تثبت ان قولك كان زورا   أتى النعمان قبلك عن زياد

فأثر بين حى بنى جلاح   لظى حرب و بين بنى مصاد

أتى بعنوان يشير إلى قصة النابغة حين وشى به الواشون إلى النعمان فجر ذلك حروبا انطوت عليها قطعة من الدهر :

فصل

[و ينبغى التأنيق فى ابتداء   وفى تخلص وفى انتهاء

بأعذب اللفظ وحسن النظم   وصحة المعنى وطبق الفهم

فليجتنب فى اللفظ مايطير   به ومامنه المقام ينفر

وخيره مناسب للحال   وسمه براعة استهلال

واعن بتشبيب يجىء فى الكلام   قبل الشروع مايمهد المرام]

ينبغى للمتكلم شاعرا كان أوكاتبا أن يتأنق فى مواضع هى محل تشوف النفوس و يبالغ فى تحسينها بأعذب لفظ وأجزله وأرقه وأسلسه وأحسنه نظما وسبكا وأصحه معنى وأوضحه وأخلاه من التعقيد ومن التقديم والتأخير الملبس أوالذى لايناسب . أحدها الابتداء لأنه أول مايقرع السمع ، فان كان محررا أقبل السامع على الكلام ووعاه و إلا أعرض عنه ، ولوكان الباقى فى نهاية الحسن ، ألاترى إلى ابتداء امرىء القيس فى تذكار الأحبة والمنازل * قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل * فوقف واستوقف و بكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل فى مصراع واحد وقول الآخر فى تهنئة بالبناء : قصر عليه تحية وسلام   خلعت عليه جمالها الأيام

فيجب أن يجتنب مايتطير به فى المدح ويكره ماينفر منه المقام كما أنشد ابن مقاتل الضرير الداعى العلوى * موعد أحبابك بالفرقة غد * فقال له الداعى بل موعد أحبابك ياضرير ولك المثل السوء وأنشد جرير عبد الملك قصيدته التى أولها * أتصحو أم فؤادك غير صاح * فقال له عبد الملك بل فؤادك يا ابن الفاعلة ، وأنشد ذو الرمة عبد الملك قصيدته التى أولها :

* مابال عينك منها الماء ينسكب * وكان بعين عبدالملك رمص فهى تدمع أبدا . فقالله ماسؤالك عن هذا ياابن الفاعلة وأخرجه ، وأنشد أبوالنجم هشاما قوله فى الشمس :

صفراء قد كادت ولما تفعل   كأنها فى الأفق عين الأحول

وكان هشام أحول فأخرجه وأمر بحبسه ، وأنشد البحترى يوسف بن محمد قصيدته التى أولها :

* لك الويل من ليل تقاصر آخره * فقال له بل لك الويل والحرب . ودخل إسحق بن إبراهيم الموصلى على المعتصم وقد فرغ من بناء قصره بالميدان فأنشده قصيدة مطلعها :

يادار غيرك البلا ومحاكى   ياليت شعرى ماالذى أبلاكى

فتطير المعتصم من قبح هذا الابتداء وأمر بهدم القصر على الفور . ومن الابتداء الحسن نوع لطيف أخص منه وهو أحسنه وهو ما اشتمل على مايناسب الحال المتكلم فيه و يشير إلى ماسيق

خفاء فى الملزوم وفرق بين التلويح والرمز والايماء بأن التلويح ما كثرت وسائطه والرمز ماقلت وسائطه مع خفاء فى الملزوم كعريض القفا والايماء ماقلت وسائطه دون خفاء كطويل النجاد قال :

[حسن البيان رصف او مراجعه
حسن تخلص بلا منازعه]

أقول : حسن البيان كشف المعنى و إيصاله للنفس بسهولة والرصف وضع كل كلمة فى موضع يناسبها معنى ولفظا ووجها ولا يتم ذلك على أكمل حال إلا فى كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم والمراجعة حكاية التقاول كقوله تعالى: قال فرعون ومارب العالمين إلى قوله من الصادقين وحسن التخلص ملاءمة الخروج من فن من الكلام إلى فن آخر ويسمى براعة التخلص قال :

[فصل فما لايعد كذبا]

[وليس فى الايهام للتهكم
ولا التغالى بسوى المحرّم
من كذب وفى المزاح قد لزب
* بحيث لامندوحة عن الكذب] أقول : ليس فى الايهام وهو التورية كذب لأن المصطفى

الـكلام لأجله ويسمى ذلك براعة الاستهلال لأن المتكلم فهم غرضه من كلامه عند رفع صوته والاستهلال هو رفع الصوت كقوله فى التهنئة :

بشرى فقد أنجز الاقبال ماوعدا | وكوكب السعد فى أفق العلا صعدا

وقوله فى الرثاء :

هى الدنيـا تقـول بمـلء فيهـا | حذار حذار من بطشى وفتكى
فلا يغـرركم منى ابتسامى | فقولى مضحك والفعل مبكى

وقول الآخر فيه :

حكم المنية فى البرية جارى | ماهـذه الدنيا بدار قرار

وقول شيخ الاسلام أبى الفضل بن حجر فى مرثية شيخ الاسلام البلقينى رحمهما الله تعالى .

ياعين جودى لفقد البحر بالدرر | واذرى الدموع ولاتبقى ولا تذر

وقول الفقيه عمارة اليمنى فى العتب والشكوى :

إذا لم يسالمك الزمان فحارب | و باعد إذا لم تنتفع بالأقارب

وقول لسان الدين بن الخطيب فى إظهار النصر :

الحق يعلو والأباطل تسفل | والله عن أحكامه لايسئل

وقول البوصيرى فى المدح النبوى * أمن تذكر جيران بذى سلم * البيتين فان الغزل الذى يصدّر به المدح النبوى يتعين على الناظم أن يحتشم فيه و يتشبب بذكر ذى سلم ورامة وسفح العقيق والعـذيب و بارق وأكناف حاجر ونحوها و يجتنب التغزل فى ثقل الردف ورقة الخصر و بياض الساق وحمرة الخدّ وخضرة العـذار ونحو ذلك وقد ذكرت من زيادتى أنه لابد من التشبيب وهو أن يقدم قبل الشروع فى الـكلام مايمهد المرام من نسيب أوغيره قال الواحدى وأصله ذكر أيام الشباب واللهو ويكون ذلك فى ابتداء قصائد الشعر ، ثم سمى ابتداء كل أمر تشبيبا و إن لم يكن فى ذكر الشباب قال فى التبيان وهو على وجوه منها التغزل قبل المدح قال المتنبى :

إذا كان مدحا فالنسيب المقدّم | أكل فصيح قال شعرا متيم

وقال الأندلسى إذا كانت القصيدة مدحا خالصا خير فى افتتاحها بالغزل وتركه و إن تضمنت حادثة من الحوادث كهزيمة جيش ونصرته وفتح ونحو ذلك لم يجز افتتاحها به لأنه رقة محضـة فبينه و بين هذه الحوادث مباينة.ومنها التثبت عن الخطاب الهائل تلطفا . قال الله تعالى ـ عفا الله عنك لم أذنت لهم بدأ بالعفو قبل العتب تطمينا لقلبه صلى الله عليه وسلم . ومنها التنبيه على إلقاء السمع للخطاب الخطير بألا ونحوها من حروف الاستفتاح .

[وراع فى تخلص للقصد | ملائما لما به قد ابتـدى
ور بمـا إلى سـواه ينتقل | كمارأى المخضرمون والأول
والحسن فصله بأما بعد أو | هذا كما فى ذكر صاد قدتلوا]

النوع الثانى : مما يتأنق فيه التخلص مما ابتدئ به الـكلام من نسيب أوغيره كالأدب والفخر إلى المقصود على وجـه سهل يختلسه اختلاسا رقيقا دقيق المعنى ، بحيث لايشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثانى لشدة الالتئام بينهما ، وهذا النوع اعتنى به المتأخرون ووقع منـه فى القرآن مايسكر العقول ويحير الأفهام فانه تعالى فى سورة الأعراف ذكر الأنبياء والقرون الماضية والأمم السالفة ، ثم ذكر موسى وحكاية دعائه لنفسـه ولأمتـه بقوله تعالى

صلى الله عليه وسلم كان يمازح بها كقوله للعجوز التى طلبت منه الدعاء بدخول الجنة « إن الجنة لاتدخلها عجوز » ومثله التهكم لوروده فى الكتاب العزيز وكذلك المبالغة وهو المراد بالتغالى مالم تـكن محرمة أوكفرا كمن يصف أميرا بأنه قهر أهـل السماء أو عارض القـدرة بقوته . وأما المـزاح بالكذب على غـير تأويل من تورية أونحوها فحرام لأن اللعب لايبيح محرما وهذه المصيبة عمت بها البلوى فى زماننا إذ لايكاد مجلس يخلوعن المزاح بالـكذب وربما كفر المهازح فى بعض الأحيان . وأما المزاح العارى عن الـكذب فهو مباح لأن المصطفى صـلى الله عليه وسلم كان يمازح بعض الأحيان ولا يقول إلا حقا زاده الله شرفا وكرما ولزب أى لزم ارتـكاب ماذكر من التورية ونحـوها فى المـزاح لمن أراده لتـكون له مندوحة عن الـكذب . قال :

[خاتمة]

[وينبغى لصاحب الكلام تأنق فى البدء والختام
بمطلع حسن وحسن القال وسبك او براعة استهلال والحسن فى تخلص أواقتضاب وفى الذى يدعونه فصل الخطاب :

ومن سمات الحسن فى الختام [إردافه بشعر التمام] أقول : ينبغى للمتكلم أن يتأنق أى يتتبع الآنق

والأحسن فى أول كلامه وآخره فالأول موجب لاقبال نفس السامع والثانى يزيدها إقبالا على مامضى ، وجابر لما قد يقع قبله من التقصير فى التعبير فالأول يكون بحسن الابتداء لأنه أول مايقرع السمع . وأحسنه مايسمى بالمطلع ، ويسمى بالإلماع . ويسمى براعة الاستهلال وهو أن يقدم فى أول كلامه إشارة إلى ماسيق الكلام لأجله كقوله فى التهنئة :

بشرى فقد أنجز الاقبال ماوعدا
وكوكب المجد فى أفق العلا صعدا

ومنه مطلع سورة النور . ومن محاسن الابتداء صنعة الانتقال من المطلع إلى المقصود وهو ثلاثة أقسام : أحدها التخلص وهو الانتقال مما افتتح به الكلام إلى المقصود مع رعاية المناسبة بينهما . الثانى الاقتضاب وهو الانتقال إلى مالا يلائم . الثالث فصل الخطاب وهو متوسط بينهما وهو الانتقال إلى مايقرب من التخلص بأن يشوبه شىء من الملاءمة وعدّه بعضهم قسما من الاقتضاب ومنه قولهم بعد حمد الله والصلاة والسلام قال

وا كتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة ، وجوابه تعالى عنه ثم تخاص بمناقب سيد المرسلين بعد تخلصه لأمته بقوله ـ قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء فسأ كتبها للذين ـ من حالهم كيت وكيت ، وهم الذين يتبعون الرسول النبىّ الأمىّ ، وأخذ من صفاته الكريمة وفضائله العظيمة ، وفى سورة الشعراء حكى قول إبراهيم عليه السلام : ولا تخزنى يوم يبعثون ، فتخلص منه إلى وصف المعاد بقوله تعالى : يوم لاينفع مال ولا بنون الخ ، وفى سورة القيامة نهى نبيه صلى الله عليه وسلم عن العجلة بقوله تعالى ـ لاتحرّك به لسانك لتعجل به ـ ثم تخلص بقوله سبحانه وتعالى ـ كلا بل تحبون العاجلة ـ وأما العرب المتقدمون والمخضرمون وهم من أدرك الجاهلية والاسلام ومن قاربهم فانهم لم يعتنوا به بل ينتقلون بلامناسبة ، ويسمى الاقتضاب . نعم : لم يفتهم حسن التخلص كقول زهير :

إن البخيل ملوم حيث كان ولـــكن الكريم على علاته هرم

ومن الاقتضاب قول أبى تمام :

لو رأى الله أن فى الشيب خيرا جاورته الأبرار فى الخلد شيبا
كل يوم تبدى صروف الليالى خلقا من أبى سعيد غريبا

ومن الأوّل قوله :

تقول فى قومس قومى وقد أخذت منا السرى وخطا المهرية القود
أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الجود

ومن الاقتضاب مايقرب من التخلص فى أنه يشعر بشىء من الملاءمة كفصله بأما بعد ، وهذا كقولك بعد الحمد لله . أما بعد فان كذا وكذا فهو اقتضاب من جهة الانتقال من الحمد والثناء إلى كلام آخر عن غير ملاءمة لكن يشبه التخلص من حيث لم يؤت بالكلام الآخر فجأة بعد قصد نوع من الربط على معنى مهما يكن من شىء بعد الحمد والثناء فانه كان كذا وكذا وقوله تعالى ـ هذا و إنّ للطاغين لشرّ مآب ـ أى الأمر هذا أوهذا كما ذكر فهو اقتضاب فيه نوع مناسبة ارتباط . قال ابن الأثير : هذا فى هذا المقام من الفصل الذى هو أحسن من الوصل وهى علاقة وكيدة بين الخروج من كلام إلى آخر .

[فائدة] قال ابن الأثير : الذى أجمع عليه المحققون وعلماء البيان أنّ فصل الخطاب هو . أما بعد لأن المتكلم يفتتح كلامه فى أمر ذى شأن بذكر الله تعالى وتحميده فاذا أراد أن ينتقل إلى الغرض المسوق له فصل بينه و بين ذكر الله تعالى بقوله أما بعد اه ، وقد صح أن النبى صلى الله عليه وسلم خطب فقال : أما بعد أخرجه الشيخان فى قصة بريرة ، واختلف فى أوّل من نطق بها فروى الديلمى فى مسند الفردوس عن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوّل من قال أما بعد داود وهو فصل الخطاب » .

[وزاد فى التبيان حسن المطلب بعـــد وسيلة أتى بالطلب]

هذا البيت من زيادتى ، وهو الموضع الثالث مما يتأنق فيه ، ويسمى براعة المطلب ، وهو من مستخرجات الزنجانى صاحب المعيار وذكره فى التبيان . قال وحسنه أن يخرج إلى الغرض بعد تقدّم الوسيلة كقوله تعالى ـ إياك نعبد و إياك نستعين ـ وقول أمية بن أبى الصلت :

أأذكر حاجتى أم قد كفانى حياؤك إن شيمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء

على النبي صلى الله عليه وسلم أما بعد فهذا الخ ومن حسن الكلام ختمه بما يشعر بتمامه بحيث لا يكون بعده للنفس تشوق كقوله :

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله
وهذا دعاء للبرية شامل

وجميع سور القرآن على هذا الأسلوب يعلم ذلك بأدنى تدبر قال :

[هذا تمام الجملة المقصوده
من صنعة البلاغة المحموده

ثم صلاة الله طول الأمد
على النبي المصطفى محمد

وآله وصحبه الأخيار
ما غرّد المشتاق بالأسحار

وخرّ ساجدا إلى الأذقان
يبغى وسيلة إلى الرحمن

تم بشهر الحجة الميمون
متمّ نصف عاشر القرون]

أقول : المشار إليه جميع ما تقدم سوى الخطبة إذ ليست مقصودة بالذات والبلاغة عبارة عن فنى المعانى والبيان فإطلاقها على البديع تغليب وإنما كانت محمودة لأن بها يطلع على أسرار كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وتقدم معنى الصلاة والأمد الوقت المستقبل والمصطفى المختار والأخيار جمع خير بالتشديد وغرد من التغريد وهو

قال ومما اجتمع فيه حسن التخلص والمطلب قوله تعالى حكاية عن إبراهيم ـ فإنهم عدوّ لى إلا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين ـ إلى قوله تعالى ـ ربّ هب لى حكما وألحقنى بالصالحين ـ اه . وأما أصحاب البديعيات ففسروه بأن يلوح الطالب بالطلب بألفاظ عذبة مهذبة تشعر بما فى النفس دون كشف وتصريح وإلحاح مقترنة بتعظيم الممدوح كقول المتنبي :

وفى النفس حاجات وفيك فطانة
سكوتى بيان عندها وخطاب

وفرقوا بينه وبين الادماج بأن يقدر هناك معنى ثم يدمج غرضه فيه ويوهم أنه لم يقصده ، وهذا مقصور على الطلب وهو أيضا فرق بينه وبين الكناية .

[وإن يجئ فى الانتهاء مؤذن
بختمه فهو البليغ الأحسن]

هذا آخر المواضع التى يجب التأنق فيها لأنه آخر مايعيه السامع ويرسم فى الذهن فإن كان حسنا تلقاه السمع واستلذه وجبر ماوقع فيما سبقه من تقصير وإلا فبالعكس ، وربما أنسى المحاسن الموردة فيما سبق ، مثاله قوله :

وإنى جدير إذ بلغتك بالمنى
وأنت بما أملت فيك جدير

فإن توليتى منك الجميل فأهله
وإلا فإنى عاذر وشكور

وأحسن الانتهاء ما آذن بانتهاء الكلام حتى لايبقى للنفس تشوف ألبتة كقوله :

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله
وهذا دعاء للبرية شامل

[وسور القرآن فى ابتدائها
وفى خلوصها وفى انتهائها

واردة أبلغ وجه وأجل
وكيف لا وهو كلام الله جل

ومن لها أمعن فى التأمل
بان له كل خفى وجلى]

جميع سور القرآن فى فواتحها وتخلصاتها وخواتمها واردة على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها من الفصاحة والبلاغة كما يظهر ذلك بالتأمل كالتحميدات المفتتح بها أوائل السور وحروف الهجاء والنداء فى نحو ـ يا أيها الناس ـ وأعظم ذلك ما تضمنته الفاتحة التى هى مبدأ الكتاب من البراعة باحتوائها على العلوم الأربعة التى احتوى عليه القرآن وقامت بها الأديان ، وهى علم الأصول ومداره على معرفة الله تعالى وصفاته ، وإليه الاشارة برب العالمين الرحمن الرحيم ، ومعرفة النبوّات وإليه الاشارة بأنعمت عليهم ، ومعرفة المعاد ، وإليه الاشارة بمالك يوم الدين ، وعلم العبادات ، وإليه الإشارة بإياك نعبد ، وعلم السلوك وهو حمل النفس على الآداب الشرعية والانقياد لربّ البرية ، وإليه الاشارة بإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم ، وعلم القصص وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ليعلم المطلع على ذلك سعادة من أطاع الله تعالى وشقاوة من عصاه ، وإليه الإشارة بقوله ـ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ـ فنبه سبحانه وتعالى فى الفاتحة على جميع مقاصد القرآن وهذا هو الغاية فى براعة الاستهلال مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة والمقاطع المستحسنة ، وكذا ماحواه من التخلصات البليغة كما تقدمت الإشارة إليه خلاف قول بعض الناس إنه لم يأت فى القرآن تخلص ولذا نبهت عليه هنا من زيادتى ، وانظر إلى قوله تعالى ـ ليس له دافع من الله ذى المعارج ـ كيف تخلص من ذكر العذاب إلى صفاته عزّ وجلّ ، وكذلك الخواتيم من الأدعية والوصايا والفرائض والمواعظ والوعد والوعيد والتبجيل والتعظيم والتحميد وغير ذلك وانظر إلى سورة الزلزلة كيف بدئت بأهوال القيامة وختمت بقوله تعالى ـ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ـ .

[وتم ذا النظم بتيسير الأحد سلخ جمادى الثانى فى يوم الأحد
من عام ثنتين وسبعين التى بعد ثمانمائة للهجرة
فى ألف بيت كالنجوم تزهر وكالرياض فاح منها الزهر
أرجوزة فريدة فى أهلها إذ لم يكن فى فنها كمثلها
بكر منيع سترها لمن دنا ومن أتاها خاضعا نال المنى
زففتها لمن نهاه راجح ومهرها منه الدعاء الصالح
على إذا صرت قرين الرمس تنفعنى دعوته فى بؤسى *
والحمد لله على الإنعام حمدا يفوق البدر فى التمام
مصليا على نبىّ قد علت أوصافه بين الورى وكملت]

الواو فى وتم للاستئناف ، وذا للاشارة ، والنظم بمعنى المنظوم ، والباء للاستعانة أو السببية ، وفى الأحد والأحد جناس تام متماثل ، والأحد من أسمائه تعالى ، والتى صفة لسبعين لا لماقبله ، واللام فى الهجرة للعهد الذهنى ، وقولى فى ألف بيت حال من فاعل تمّ ، وإنما بلغت ذلك لما فيها من الزيادات الجمة ، ولو اقتصرنا على ما فى التلخيص لم تزد على النصف من ذلك إلا قليلا ، وجملتا التشبيه بعده حالان ، وأرجوزة خبر مبتدإ محذوف ومابعده صفات ، وإذ حرف لتعليل انفرادها فى أخواتها من كتب الفن ، وقولى بكر البيت استعارة تحقيقية شبهتها بالبكر فى عدم المنال لمن يلتفت إليها و يلق باله بالتأمل والطلب والسعى فى أسباب الوصول إليهاوالحصول لمن هو بخلاف ذلك ثم رشحتها بمايلائم المستعارمنه وهوالزفاف والمهر والنهى بالضم العقل لأنه ينهى صاحبه عن القبيح وعلى لغة فى لعلّ ، والرمس اللحد ، والبؤس الشدة ، وفى الحديث « ما الميت فى قبره إلا شبه الغريق المغوث ينتظر دعوة تلحقه من أب أوأم أو ولد أو صديق ثقة فاذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا ومافيها» رواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، وفى الانعام والتمام جناس ناقص ومصليا حال مقدرة وفى علت وكملت لزوم وفى الختم بكملت براعة عظيمة لأن خيرالختم ما كان بلفظ يؤذن بالختام وأبلغه لفظ الختم والتمام والكمال وقيل إن أبلغ ماورد فى ذلك قول القائل:

ما أسأل الله إلا أن يدوم لنا لا أن تزيد معاليه فقد كملت

قال مؤلفه [الشيخ عبدالرحمن بن أبى بكرالسيوطى الشافعى] هذا آخر شرح الألفية ، وقد فرغت من تأليفه يوم الأحد خامس ربيع الأول سنة ٨٧٥ خمس وسبعين وثمانمائة ، والحمد لله على التمام والصلاة والسلام على خير الأنام وعلى آله وصحبه الأعلام والتابعين لهم على الدوام .

بحمد الله تعالى تمّ طبع كتاب [شرح عقود الجمان فى علم المعانى والبيان] تأليف الحافظ جلال الدين « عبد الرحمن السيوطى » و بهامشه [حلية اللب المصون على الجوهر المكنون] للشيخ « أحمد الدمنهورى » مصححا بمعرفتى ؟

رئيس التصحيح
أحمد سعد على من علماء الأزهر الشريف

[القاهرة فى يوم الاثنين ٣٠ شوال سنة ١٣٥٨ هـ الموافق ١١ ديسمبر سنة ١٩٣٩ م]

ملاحظ المطبعة : محمد أمين عمران مدير المطبعة : رستم مصطفى الحلبى

التطريب فى الصوت والغناء والمشتاق : أى إلى الحضرة العلية بدليل السياق والميمون من اليمن وهو البركة وكان ميمونا لأنه من الأشهر الحرم والقرون جمع قرن وهومائة سنة وتمام نصفه خمسون ، أخبر أن نظمه تم سنة خمسين وتسعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

[قال أسير مساويه أحمد الدمنهورى] هذا آخر ما أردنا كتابته تحريرا فى العاشر من الخامس من الرابع من الثالث من الثانى عشر من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام نسأله سبحانه وتعالى أن يحسن عاقبتنا فى الأمور كلها وأن يدخلنادار كرامته ومحبينا من غير محنة بجاه حبيبه لديه تفضلا منه لاوجوبا عليه . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

فهـــرس

شرح عقود الجمان ، فى علم المعانى والبيان، لجلال الدين السيوطى

فهـــرس

حلية اللب المصون على الجوهر المكنون للدمنهورى ، الذى بالهامش